



مختصر تفسير الطبري
النجدي الصريح للأقوال والآثار
على جامع البيان عن تأويل آي القرآن



مختصر تفسير الطبري

لابن أبي كرات

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع: ٢٦٩٦٤

الترقيم الدولي: ٩-١٦-٦٧٢٠-٩٧٧-٩٧٨

الناشر

مكتبة العلوم والحكم

٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

مختصر تفسير الطبري

النجديّك الصّريح

للأقوال والآسانك

عليّ جامع البيان عن تأويلك أي القرآن

للعامة محمد بن جرير الطبري

المجلد الرابع

المختصره

فضيلة الشيخ / محمد بن إبراهيم أبو كرات

مكتبة العلوم والحكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة سعادة الشيخ المفتي الفقيه العالم المؤدب أبي بكر بن محمد بن الحنبلي حفظه الله على طاعته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَا كَثُرَتْ فِيهِ أَبَدًا ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۚ﴾ [الكهف].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ﴾ وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ القائل فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» وقال أيضا ﷺ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد: اعلم رحمة الله تعالى وإياك أن معتقد أهل السنة والجماعة الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو ما ذكره الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته [ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين، وأعتقد أن آيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة الأجر كأم القرآن وقل هو الله أحد وآية الكرسي] هذا هو كلام المأربي رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا الكتاب فصل الله فيه أحكام كل شيء مما يصلح أمر العباد في دنياهم وأخراهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النحل]

- ولا خلاف بين جزئياته بأي وجه من الوجوه، وآياته في المعنى الواحد لا يؤخذ الحكم في شيء منها منفردا بل يضم بعضها إلى بعض.
- ولأنه لا يفهم القرآن إلا وفق معناه وبيان الرسول ﷺ وعمل سلف الأمة.
- والقرآن لا يخالف ظاهرة باطنه ولا باطنه ظاهرة، ومن آتاه الله فهما في القرآن وعلمه التأويل يأتي بما يوافق القرآن لا بما يناقضه.
- وقد حفظ الله كتابه من التغيير والتبديل والزيادة أو النقصان إلى آخر الدنيا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]
- والنسخ واقع في القرآن للحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم، وللحكم والتلاوة معا.

- والقرآن ينسخ السنة متواترة وآحاد، والسنة كذلك تنسخ القرآن متواترة وآحادا.
- وكل واقع وكل من عند الله. [الكتاب: القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف]

❖ حكم الإيمان والعمل بالقرآن الكريم:

القرآن الكريم الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ على خاتم الأنبياء وأفضلهم محمد ﷺ هو آخر الكتب السماوية، وأعظمها، وأكملها، وأحكمها، أنزله الله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين.

فهو أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل، على أفضل الخلق وهو محمد ﷺ، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وهو اللسان العربي المبين، فيجب على كل أحد الإيمان به، والعمل بأحكامه، والتأدب بآدابه، ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، تكفل الله بحفظه، فسلم من التحريف والتبديل، ومن الزيادة والنقصان.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

- وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

❖ دلالة آيات القرآن:

آيات القرآن فيها تبيان كل شيء، وهي إما خبر أو طلب:

❖ والخبر قسمان:

١ - إما خبر عن الخالق وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

٢ - وإما خبر عن المخلوق كالسماء والأرض، والعرش والكرسي، والإنسان والحيوان، والجماد والنبات، والجنة والنار، وأخبار الأنبياء والرسل وأتباعهم وأعدائهم، وجزاء كل فريق ونحو ذلك.

❖ والطلب قسمان:

١ - إما أمر بعبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله، وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام وغير ذلك من أوامر الله.

٢ - وإما نهي عن الشرك بالله، وتحذير مما حرم الله كالربا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه.

- فله الحمد والشكر، وله المنة والفضل، حيث أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أفضل كتبه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

- وقال الله تعالى: ﴿شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ رَيْثُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

❖ حكم من استهان بالقرآن أو سبه:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحدهما أو حرفاً منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت]

فاحذر: من إلقاء المصحف أو بعضه ولو كلمة وكذا حرقة استخفافاً لا صوتاً ومثل إلقائه أو تركه بمكان قدر ولو كان طاهراً كبصاق أو تلطيخه به ومثل المصحف (الحديث - وأسماء الله تعالى - وكتب الحديث وكذا كتب الفقه) إن كان ذلك على وجه الاستخفاف بالشرعية [الشرح الصغير وحاشية الكبير]

إن تفسير بن جرير الطبري هو عمدة التفاسير، وإن أعظم ما تنفق فيه الأعمار هو تدبر القرآن الكريم وإتباع نوره وهداه وهو من أعظم أسباب إلانة القلب واستدرار الدمع وإحضار الخشية وأبعث على التوبة ومعلوم أن تدبره مفتاح للعلوم والمعارف وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم وبه يزداد الإيمان بالقلب وترسخ شجرته من و خلال تدبره يتعرف على صفات الرابحين فيجتهد على تحصيلها ويجاهد في الدعوة إليها فضلاً عن تعرفه على صفات الخاسرين عبودية لله تعالى ويحذر الآخرين منها على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ثم إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعالى قال (ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة وشفاء القلب والبركة والمنفعة ما لم يجده في شيء من الكلام لا نظاماً ولا نثراً وقد قال الإمام مقاتل بن سليمان في مقدمة تفسيره من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله فهو أمة وقال العلامة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ولما زال ملكهم وسلطانهم ولما صاروا عالة في معاشهم وأسبابها على سواهم.

وأحكام الإسلام موجودة في القرآن ولكن منها ما يظهر بأدنى نظر لجلاء النص فيه، ومنها ما يحتاج لجلاء نظر لخفاء النص فيه.

وتلك موازنة عكسية إذا برز الحكم قلت الحاجة للبصيرة، وإذا خفي الحكم زادت الحاجة إليها، وإلا فالحكم موجود بالنص أو بالاستنباط، وهذا من المراد بقوله جل ثناؤه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]

وإذا عميت البصائر عن الحجج كان حالها كحال البصر الأعمى عن الطريق، وإذا أخذ الإنسان العاقل العارف بلغة القرآن بأمرين فهم منه ما لا يفهمه غيره وفتح الله عليه ما لم يفتحه على غيره.

الأمر الأول: حسن القصد في طلب الحق. الأمر الثاني: إدامة البصر وإطالة التأمل في القرآن.

❁ وختاماً..

قلت: ولما وقف أخي الحبيب في الله فضيلة الداعية المبارك الشيخ: محمد بن إبراهيم أبو كرات على حقيقة ما سلفت الإشارة إليه.

شمر عن ساعد الجد والاجتهاد ليأخذ بيد نفسه والمسلمين عامة وطلبة العلم خاصة إلى العودة إلى الوحيين بفهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فاستعان بالله عَزَّوَجَلَّ منطلقاً من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وعكف على تفسير الإمام بن جرير الطبري ليقربه لعموم الأمة وذلك بتجريده للأقوال والأسانيد ولم يزد فيه حرفاً على ما خط وربما أورد بعض الرواية لما فيها من الدراية بمراد المفسرين من تأويل الآية معلقة دون إيراد الأسانيد كما نزع ما ورد من الأسرار اللغوية لتحقيق المراد من الاختصار ولم يتعرض للحكم على الأحاديث.

فجزى الله الشيخ خيراً فإني أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أنه من المخلصين الذين تحروا الصدق وتحلوا بالعمل وحين الخلق وقد من المنان عليه بصحة الاعتقاد والبعد عن التحريف والتجرد عن الهوى

وآمل في الطبعة الجديدة تزداد الهمة فينبه على القراءة الشاذة حيثما وجدت، والحكم على الأحاديث مرفوعة كانت أو موقوفة على حسب قواعد أهل الصنعة في الحديث مع الإنباه لتفادي التصحيفات الموجودة

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يثقل ميزان حسنات الإمام بن جرير الطبري والشيخ محمد بن إبراهيم أبو كرات على ما بذل من جهد مشكور وصلّ اللهم وسلم وبارك على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه الراجي عفو مولاه

أبي بكر بن محمد بن الحنبلي

في غرة رجب الحرام للعام الحادي والأربعين بعد المائة الرابعة والألف

من هجرة الرسول ﷺ

مقدمة المصنف

الحمد لله منزل الكتاب الذي أجرى بقدرته السحاب و أخضع لعظمته الرقاب وزلل بلطفه الشدائد الصعاب وأنعم بعلمه وتفضل على أولي الألباب، والصلاة والسلام على خير الأحاب نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الحساب.

وبعد: فقد من العلي القدير على عبده الفقير بخدمة كتابه الجليل بتجريد (سيد التفاسير) من الأقوال والأسانيد والحشو المزيد على ما يبغيه طالب العلم والمريد لزبدة تفسير الكتاب المجيد، والوقوف على ما رامه مصنف التأويل أبي جعفر الطبري بعد بحث وعناء شديد فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير ما يجازي العبيد.

فلم أزد فيه حرفاً على ما خط ولا خالفت فيه الخط، وربما أوردت بعض الرواية لما فيها من الدراية بمراد المفسرين من تأويل الآية معلقة دون ذكر الأسانيد، ونزعت ما ورد من الأسرار اللغوية، لتحقيق المراد من الاختصار والله هو العزيز الغفار، راجياً بذلك، حفظ المراد من التأويل بدون إفراط أو تقصير، سائلاً العلي القدير القبول واليسير وأن ينفع بهذا الجهد اليسير كل من رام علوم التفسير، إنه بالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتبه الفقير لعفوري

محمود بن إبراهيم أبو كرات

القاهرة ٢٠١٧: ١٢: ٢

ترجمة ابن جرير الطبري

✽ اسمه ونسبه وكنيته:

هو العالم المجتهد المحدث الفقيه المقرئ المؤرخ علامة وقته محمد جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر ثم الأُملي، وقيل يزيد بن خالد الطبري من أهل أمل طبرستان، وإليها نسبته، ولد رَحْمَةُ اللَّهِ فِي آخر سنة أربع وعشرين ومائتين.

✽ ثناء العلماء عليه:

قال عنه الحافظ أبو بكر البغدادي رَحْمَةُ اللَّهِ (كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً للكتاب عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وله كتاب (المشهور في تاريخ الأمم والملوك) وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه (تهذيب الآثار) لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه.

وقال ابن خزيمة بعد استعارته كتاب (جامع البيان) من أبي بكر بن بالويه ورده بعد سنين: قد نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير.

وقال الحسين بن علي التميمي لما رجعت من بغداد إلى نيسبور سألني ابن خزيمة فقال لي: ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم فقال: هل سمعت من بن جرير شيئاً؟ فقلت له لا فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لك من جميع من سمعت منه

وقال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير بن جرير لم يكن ذلك كثير

وقال شيخ الإسلام بن تيمية: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فاصحها (تفسير محمد ابن جرير الطبري) فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن

المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي عن تفسير الطبري: وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك

وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في (طبقات الفقهاء) في جملة المجتهدين وقال عنه الذهبي: كان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف علامة في التاريخ وأيام الناس عارفاً بالقراءات باللغة وغير ذلك

✽ أما شيوخه:

فأكثر من ستين شيخاً من كبار العلماء في الفقه والتفسير والسير وغير ذلك وله تلامذة أصبحوا من كبار أهل العلم

✽ أما مصنفاته:

فقد جاوزت الأربعين مصنف في شتى العلوم الشرعية

✽ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيََا مِنْ شَوَالِ سَنَةِ عَشْرِ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ سَنَةً بِخَمْسٍ أَوْ سِتِّ سِنِينَ، وَدُفِنَ فِي رَحْبَةِ يَعْقُوبَ بِبَغْدَادَ وَقَدْ رَثَاهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْأَدَبِ

رحم الله شيخنا ورضي عنه وارضاه وقدس روحه وطيب ثراه وجمعنا في الجنة وأياه

اخـنـص التـرجـة
محمـد بن إبراهـيم أبـوكـرات
مختـص تـفـسـير الطـبـري

تفسير سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ قال أبو جعفر: وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿الم﴾ وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله، والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأما قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فإن معناه: أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذا أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملثهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكَذَلِكَ ابْتَلَيْنَا أَتْبَاعَكَ بِمُخَالَفِكَ مِنْ أَعْدَائِكَ ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ منهم في قيلهم آمنا ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ منهم في قيلهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ صَدَقَ الصَّادِقُ مِنْهُمْ فِي قِيلِهِ آمَنَّا بِاللَّهِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ مِنْهُمْ بِابْتِلَائِهِ إِيَّاهُ بَعْدَهُ، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عذبهم المشركون، ففتن بعضهم، وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهاهم الله بفرج من عنده. كما جاء عن عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: نزلت، يعني هذه الآية ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ في عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، إذ كان يعذب في الله. وقال آخرون: بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة، وتخلفوا عن الهجرة، والفتنة التي فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء، هي الهجرة التي امتحنوا بها. كالذي جاء عن الشعبي، قال: إنها نزلت، يعني ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ الآيتين في أناس كانوا بمكة أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله ﷺ من المدينة: إنه لا يقبل منكم إقراراً بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون، فردّوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم: إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، قال: فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا،

فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(١) يقول تعالى ذكره: أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره، وهم المعنيون بقوله: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يقول: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ^(٢) يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريباً، وهو السميع^(٣) يقول: والله الذي يرجو هذا الراحي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله، العليم بصدق قلبه، إنه قد آمن من كذبه فيه، وقوله: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن يجاهد عدوه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله، فصح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفنتته لهم، ولم يرددوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت منهم في شركهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولنثيبهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥) يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ فيما أنزلنا إلى رسولنا ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ أن يفعل بهما ﴿حُسْنًا﴾. وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾، فقلنا له: إن جاهدك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إليّ معادكم ومصيركم يوم القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب سعد بن أبي وقاص. كما جاء عن قتادة ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا...﴾ إلى قوله: ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر، قالت أمه:

والله لا يُظِلُّني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ١٥ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الأعمال، وذلك أن يؤدوا فرائض الله، ويجتنبوا محارمه ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ في مدخل الصالحين، وذلك الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦ يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا أؤذي الله جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتد عن إيمانه بالله، راجعا على الكفر به ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد أهل الإيمان به ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَعَكُمْ﴾ ننصركم على أعدائكم، كذبا وإفكا، يقول الله: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أيها القوم من كل أحد ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغيرهم، فإذا أؤذي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وكما جاء قال ابن زيد، في قول الله: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ قال: هو المنافق إذا أؤذي في الله رجع عن الدين وكفر، وجعل فتنة الناس كعذاب الله. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة، فخرجوا مهاجرين، فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم. كما جاء عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروها، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ...﴾ إلى آخر الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم، فخرجوا. فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾ إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا مِنْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، حتى نجا من نجا، وقتل من قُتل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ١٧ يقول تعالى ذكره: وليعلمن الله أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المشاغل منكم عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٨ يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله من

قريش للذين آمنوا بالله منهم ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ يقول: قالوا: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتهم على الأعمال، فإننا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء الضحاك يقول في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم القادة من الكفار، قالوا لمن آمن من الأتباع: اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا، وهذا أعني قوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ وإن كان خرج مخرج الأمر، فإن فيه تأويل الجزاء، ومعناه ما قلت: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كما قال الشاعر: قُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى... لِيَصُوتَ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ يَرِيدُ: ادْعِي وَلَا دَعُ، ومعناه: إن دعوت دعوت. وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وهذا تكذيب من الله للمشركون القائلين للذين آمنوا ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَأَنَّا لَمَبِينٌ أَلَيْسَ لِمَنْ أَثَقَلَتْهُمُ أَثْقَالُهُمْ وَوَعَدْنَا لِمَنْ أَثَقَلَتْهُمُ أَثْقَالُهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ شَاءُؤُاْ إِلَّا أَن يَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمَ كَمَا كَانُوا يَحْمِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولتحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وأثامها، وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل، وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبية محمد ﷺ: لا يحزنك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلو والظفر بهم، والنجاة مما يحل بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدتهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارا. وذكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة. كما جاء عن أبي شداد، قال: إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة، فأخذهم الطوفان، يقول تعالى ذكره: فأهلكهم الماء الكثير، وكل ماء كثير فاش طام؛ فهو عند العرب طوفان، سيلا كان أو غيره، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا، فهو أيضا عندهم طوفان؛ وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ يقول: وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأُنْجِيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم. وقد بينا ذلك فيما مضى قبل، وذكرنا الروايات فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول: وجعلنا السفينة التي أنجيناها وأصحابها فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ولو قيل: معنى ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين، وجعل الهاء والألف في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ كناية عن العقوبة أو السخط، ونحو ذلك، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ كان وجهها من التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، ﴿واتقوه﴾ يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا، يعني مثلاً. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتصنعون كذباً. وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذباً وباطلاً. وإنما في قوله: ﴿إِفْكًا﴾ مردود على إنما، كقول القائل: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يقول جل ثناؤه: إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئاً ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ يقول: فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدرخوا ما تبتغون من ذلك ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ يقول: وذلوا له ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم، يقال: شكرته وشكرت له، أفصح من شكرته. وقوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: إلى الله تُردون من بعد مماتكم، فيسألکم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقبلون، ورزقه تأكلون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمداً ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه الرسل من الحق، فحل بها من الله سخطه، ونزل بها من عاجل عقوبته، فسيبلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وما على محمد إلا أن

يبلغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربّه. ويعني بالبلغ المبين: الذي يبين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلاً صغيراً، ثم غلاماً يافعاً، ثم رجلاً مجتمعاً، ثم كهلاً يقال منه: أبدأ وأعاد وبدأ وعاد، لغتان بمعنى واحد. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: ثم هو يعيده من بعد فناءه وبلاه، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً، لا يتعدّر عليه ذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل كما كان يسيراً عليه إبدأؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ﴾ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداءً، فلم يتعدّر عليه إحداثها مبدئاً، فكذلك لا يتعدّر عليه إنشاؤها معيها ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأ الآخرة بعد الفناء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فناءه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ خلقه من بعد فناءهم، ف ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحاً ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ يقول: وإليه ترجعون وتردون. وأما قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فإن ابن زيد قال في قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ قال: لا يعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السموات في السموات إن عصوه، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلي أموركم، ولا نصير ينصركم منه الله إن أراد بكم سوء ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ يقول تعالى ذكره: أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عابنوا ما أعد لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مٌوجع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤) يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلا أن قال بعضهم لبعض: ﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم

يسلطها عليه، بل جعلها عليه برداً وسلاماً. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ﴾ قوم إبراهيم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ قال: قال كعب: ما حرق منه إلا وثاقه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إنجائنا لإبراهيم من النار، وقد ألقى فيها وهي تسعر، وتصييرها عليه برداً وسلاماً، لأدلة وحججاً لقوم يصدقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لقومه: ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه: يا قوم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾. بمعنى: اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها، وتتوآدون على خدمتها، فتواصلون عليها، كالذي جاء عن قتادة ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ قال: صارت كل خلعة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خلعة المتقين. وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يوم القيامة أيها المتوآدون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم، ومعابيتكم ما أعد الله لكم على التواصل، والتوآد في الدنيا من أليم العذاب، ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يقول: يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً. وقوله: ﴿وَمَا أَوَاكُمُ النَّارُ﴾ يقول جل ثناؤه: ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون، النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول: وما لكم أيها القوم المتخذون الآلهة، من دون الله ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: فصدق إبراهيم خليل الله لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ يقول: وقال إبراهيم: إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وجاء عن قتادة، قوله: ﴿فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ﴾ أي فصدقه لوط ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ قال: هاجراً جميعاً من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى الشام. قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "إنها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويقيم في الأرض شراً أهلها، حتى تلفظهم وتغدرهم، وتحشروهم النار مع القردة والخنازير". وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: إن ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ورزقناه من لدنا إسحاق ولداً، ويعقوب من بعده ولد ولد. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى الجمع، يراد به الكتب، ولكنه خرج مخرج قولهم: كثر الدرهم والدينار عند فلان. وقوله:

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا ﴿وَأَنَّهُ﴾ مع ذلك ﴿فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ فله هناك أيضا جزاء الصالحين، غير منتقص حظّه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة. وقيل: إن الأجر الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ أنه آتاه إبراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن، والولد الصالح. كما جاء عن ليث قال: أرسل مجاهد رجلا يقال له: قاسم، إلى عكرمة يسأله عن قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ قال: قال: أجره في الدنيا، أن كل ملة تتولاه، وهو عند الله من الصالحين، قال: فرجع إلى مجاهد، فقال: أصاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر لوطا إذ قال لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها، وهي إتيان الذكران ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عمرو بن دينار

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَبَيْتُكُمْ لَأَأْتِئَنَّ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه ﴿أَبَيْتُكُمْ﴾ أيها القوم، ﴿لَأَتَأْتُونَ الرَّجَالَ﴾ في أدبارهم ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ يقول: وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديتهم وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتحذفون في مجالسكم المارة بكم، وتسخرون منهم؛ لما ذكر من الرواية بذلك عن رسول ﷺ. كالذي جاء عن أم هانئ، قالت: سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قال: "كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم" فهو المنكر الذي كانوا يأتون. وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله إلا قيلهم: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الذي تعدنا، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما تقول، والمنجزين لما تعد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سدوم، وهي قرية قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله ﷺ. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى...﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ قال: فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا، قال: فقال رأيتم إن كان فيها عشرة آيات من المسلمين أتركوهم؟ فقالت

الملائكة: ليس فيها عشرة آيات، ولا خمسة، ولا أربعة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، قال: فحزن على لوط وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ فذلك قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ فقالت الملائكة: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ فبعث الله إليهم جبرائيل ﷺ، فانسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه، فجعل عاليها سافلها، وتبعهم بالحجارة بكل أرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للرسول من الملائكة إذ قالوا له: ﴿إِنَّا مَهْلِكُو أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فلم يستثوا منهم أحدا، إذ وصفوهم بالظلم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقالت الرسل له: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، ﴿لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتناولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ من الملائكة ﴿سِئَاءَ بِهِمْ﴾ يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تضيفوه، فسأوه بذلك، فقوله: ﴿سِئَاءَ بِهِمْ﴾: فعل بهم من ساءه بذلك. وذكر عن قتادة أنه كان يقول في قوله: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه. وقوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أنّا مهلكوهم، وذلك أن الرسل قالت له: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، ﴿إِنَّا مُنْجِيُكَ﴾ من العذاب الذي هو نازل بقومك ﴿وَأَهْلِكَ﴾ يقول: ومنجو أهلك معك ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها، كانت من الباقيين الذين طالت أعمارهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ يا لوط ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سُدُوم ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني عذابا. كما جاء عن قتادة وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله، ويركبون من الفاحشة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حُجَجَه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عفو آثارهم، ودروس معالمهم. وذكر عن قتادة في قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال: هي الحجارة التي أمطرت عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: وأرسلت إلى مدين أخاهم شعيبا، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثرُوا في الأرض معصية الله، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم رجفة العذاب ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ جثوما، بعضهم على بعض موتى. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادا وثمود، ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾ خرابها وخلأؤها منهم بوقائعا بهم، وحلول سطوتنا بجمعهم ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبهم رسله الإيمان به ورسله، وما جاءوهم به من عند ربهم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ يقول: وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجِبِينَ بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد، قارون وفرعون وهامان، ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات، يعني بالواضحات من الآيات، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عن التصديق من الآيات، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كانوا سابقينا بأنفسهم، فيفوتونا، بل كنا مقتدرين عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعدابنا ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا، كما جاء عن ابن عباس وغيره اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بذلك، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع، ثم قال جَلْ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، فلم يخص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الأمم دون بعض، وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة. وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني بذلك قارون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل التأويل في

ذلك والصواب من القول في ذلك، أن يُقال: عُنِيَ به قوم نوح وفرعون وقومه؛ لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما، فهما معنيتان به. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم، بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم، وكثرة أياديه عندهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتصرفهم في نعم ربهم، وتقلبهم في الآلهة وعبادتهم غيره، ومعصيتهم من أنعم عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كما يُكِنُّها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكَذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ يقول: إن أضعف البيوت ﴿لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة غنائهم عنهم، كغناء بيت العنكبوت عنها، لكنهم يجهلون ذلك، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١٤﴾ وتأويل الكلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أيها القوم، حال ما تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم، إن أراد الله بكم سوءاً، ولا يغني عنكم شيئاً، وإن مثله في قلة غناؤه عنكم، مثلاً بيت العنكبوت في غناؤه عنها. وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به، وأشرك في عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به، عقابه بالإيمان به قبل نزوله بكم، كما نزل بالأمم الذين قصَّ الله قصصهم في هذه السورة عليكم، فإنه إن نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء، كما لم يُغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه، الحكيم في تدييره خلقه فمهلك من استوجب الهلاك في الحال التي هلاكه صلاح، والمؤخر من آخر هلاكه من كفره خلقه به إلى الحين الذي في هلاكه الصلاح. وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول: نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ بالله وآياته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥١) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: خلق الله يا محمد، السموات والأرض وحده منفردا بخلقها، لا يشركه في خلقها شريك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن في خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها، والآيات إذا رآها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٥٢) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿أَتْلُ﴾ يعني: اقرأ ﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: ما أنزل إليك من هذا القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ يعني: وأد الصلاة التي فرضها الله عليك بحدودها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ يختلف أهل التأويل في معنى الصلاة التي ذكرت في هذا الموضع، والصواب من القول في ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال ابن عباس وابن مسعود، فإن قال قائل: وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر إن لم يكن معناها ما يتلى فيها؟ قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله بها ما يتلى فيها؟ قيل: تنهى من كان فيها، فتحول بينه وبين صلاته لم يزد من الله إلا بعدا. وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر. حدثنا أبو حميد الحمصي، قال: ثنا يحيى بن سعيد العطار، قال: ثنا أروطة، عن ابن عون، في قول الله ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ قال: إذا كنت في صلاة، فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر، و﴿الْفَحْشَاءِ﴾: هو الزنا، و﴿الْمُنْكَرِ﴾: معاصي الله، ومن أتى فاحشة أو عصى الله في صلاته بما يفسد صلاته، فلا شك أنه لا صلاة له. وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يختلف أهل التأويل في تأويله، قال أبو جعفر: وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ يقول: والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم، من إقامة حدودها، وترك ذلك وغيره من أموركم، وهو مجازيكم على ذلك، يقول: فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها، والله أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَنَا وَالْهَكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥٣) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يختلف أهل التأويل في تأويله وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: عني بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب. فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب إلا من لم يؤد الجزية؟ قيل: إن جميعهم، وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمدا ﷺ، ظلمة، فإنه لم يعن بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. ظلم أنفسهم. وإنما عني به: إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلهم بالقتال. وقوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَنَا وَالْهَكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي

هي أحسن: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك، فقولوا لهم ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ مما في التوراة والإنجيل، ﴿وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ﴾ يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحد ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ يقول: ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء، عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْدِبُونَهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَؤُلَاءِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ". وكان مجاهد يقول في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. قال: قالوا: مع الله إله، أو له ولد، أو له شريك، أو يد الله مغلوله، أو الله فقير، أو أذوا محمدا، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧) يقول تعالى ذكر: كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل ﴿كَذَلِكَ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا ﴿الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ من قبلك من بني إسرائيل ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرائك اليوم، من يؤمن به، كعبد الله بن سلام، ومن آمن برسوله من بني إسرائيل. وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادنا لنا. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨) يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿تَتْلُو﴾ يعني: تقرأ ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ﴾ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أمياً ﴿إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، ﴿إِذَا لَا رَتَابَ﴾ يقول: إذن لشك -بسبب ذلك في أمرك، وما جتته به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم- المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأولين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب. وقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يجحد نبوة محمد ﷺ وأدلته، ويُنكر العلم الذي يعلم من كتب الله، التي أنزلها على أنبيائه، ببعث محمد ﷺ ونبوته ومبعثه إلا الظالمون، يعني: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عزَّ وجلَّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة الله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى، قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥١﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، من الآيات والحجج ﴿أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ هذا ﴿الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: يُقرأ عليهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً﴾ يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة. وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله ﷺ انتسخوا شيئاً من بعض كتب أهل الكتاب. كما جاء عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتب، قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: "كفى بها حماقة قوم - أو ضلالة قوم - أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم، إلى قوم غيرهم"، فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٥٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بأياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم، شاهداً لي وعليّ؛ لأنه يعلم المحق منا من المبطل، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحق على ثباته على الحق، والمبطل على باطله بما هو أهله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ يقول: صدقوا بالشرك، فأقروا به وكفروا به، يقول: وجحدوا الله ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون في صفقتهم. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: يستعجلوك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلاً. وقوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وليأتينهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم، والنار بهم محيطة، لم يبق إلا أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر. كما جاء عن عكرمة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يوم يعشى الكافرين العذاب، من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ يَعْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: أي في النار. وقوله: ﴿وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحّدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد ﷺ، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بسعة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب. وقوله: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه: هاجروا من أرض الشرك، من مكة إلى أرض الإسلام المدينة، فإن أرضي واسعة، فاصبروا على عبادتي، وأخلصوا طاعتي، فإنكم ميتون وصائرون إليّ؛ لأن كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا بعد الموت تُردّون، ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده، فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ يقول: لننزلنهم من الجنة علالي. وقوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية، ﴿نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التي يُثَوِّبُهُمُوهَا الله في جنّاته، تجري من تحتها الأنهار، الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا، وما كانوا يلقون منهم، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه، وجهاد أعدائه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا يتكلمون عنهم، ثقة منهم بأن الله مُعَلِّي كلمته، ومُوهِن كيد الكافرين، وأن ما قَسِمَ لهم من الرزق فلن يُفوتهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَكَايَيْنَ مِنْ ذَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم

ومشرب ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ يوماً بيوم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم: نخشى بفراننا أوطاننا العيلة ﴿الْعَلِيمُ﴾ ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوكم، من إذلال الله إياهم، ونصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله، من خلق السموات والأرض فسؤاهن، وسخر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائنين لمصالح خلق الله، ليقولن: الذي خلق ذلك وفعله الله. ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: فأنى يصرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره: الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيقتّر لمن يشاء منهم، يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي، دون كل أحد سواي، أبسط لمن شئت منها، وأقتّر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلح له إلا البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلا التقتير عليه، وهو عالم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحيائها: إنباته النبات فيها ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ من بعد جدوها وقحوطها. وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يقول: ليقولن الذي فعل ذلك الله، الذي له عبادة كل شيء. وقوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: وإذا قالوا ذلك، فقل: الحمد لله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضرر، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زلفة وقربة، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون، مستوجبون الخلود في النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ يقول: إلا لتعليل النفوس بما تلتذ به، ثم هو مُنْقَضٌ عن قريب، لا بقاء له ولا دوام ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء

المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لَقَصَّروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول: أخلصوا الله عند الشدة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأدعوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم، فصاروا إلى البر، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: فلما نجي الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر، من الخوف والحذر من الغرق إلى البر، إذا هم بعد أن صاروا إلى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم. ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بكسر اللام، بمعنى: وكي يتمتعوا آتيانهم ذلك. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ: أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به. وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه بسكون اللام، على وجه التهديد والوعيد، وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام، زعموا أنهم إنما اختاروا كسرهما عطفًا بها على اللام التي في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، وأن قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ لما كان معناه: كي يكفروا، كان الصواب في قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ أن يكون: وكي يتمتعوا، إذ كان عطفًا على قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ عندهم، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب؛ وذلك لأن لام قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ صلحت أن تكون بمعنى كي؛ لأنها شرط، لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيانهم من النعم، وليس ذلك كذلك في قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ لأن إشراكهم بالله كان كفرا بنعمته، وليس إشراكهم به تمتعا بالدنيا، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها، فإذا كان ذلك كذلك فتوجيهه إلي معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا، وبعد فقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ﴿وَتَمَتَّعُوا﴾ وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ يقول تعالى ذكره، مذكرا هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه، نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمُ التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم، مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أَوَلَمْ يَرَوْا هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم، دون سائر عبادنا، فيشكرونا على ذلك، وينزجروا عن كفرهم بنا، وإشراكهم ما لا ينفعنا، ولا يضرهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدكم حرما، حرما على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمنا يأمن فيه من سكنه، فأوى إليه من السباء، والخوف، والحرمان الذي لا يأمنه

غيرهم من الناس، ﴿وَيَتَخَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يقول: وتُسَلِّب الناس من حولهم قتلا وسباء. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفعالشرك بالله يَقْرُونَ بِالْوَهَةِ الْأَوْثَانِ بَأَن يَصَدَّقُوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرما آمنا يكفرون، يعني بقوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ يقول: أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ يقول: أليس في النار مَثْوًى وَمَسْكَنَ لمن كفر بالله، ووجد توحيده وكذب رسوله ﷺ، وهذا تقرير، وليس باستفهام، إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَنًا في النار، ومنزلا يَتَوَوَّنَ فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا، مُبْتَغِينَ بقتالهم علو كلمتنا، ونُصْرَةَ دِيننا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمدا ﷺ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدِّقًا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

آخر تفسير سورة العنكبوت والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْم غَلَبَتِ الرُّومُ ١﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٢ في بضع سنين ٣ لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ٤ ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ٥ قال أبو جعفر: قد بينا فيما مضى قبل معنى قوله: ﴿الْم﴾ وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ في أدنى الأرض﴾ تأويل الكلام: غلبت فارس الروم ﴿في أدنى الأرض﴾ من أرض الشام إلى أرض فارس ﴿وهم من بعد غلبهم﴾ يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس ﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ غلبتهم فارس ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهاره عليه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ينصر الله ينصر من يشاء وهو بدير، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء يحيى بن يعمر، أن قيصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلكبت فارس الروم، فغلبتهم فارس، وفرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأنزل الله ﴿الْم غَلَبَتِ الرُّومُ في أدنى الأرض...﴾ الآيات، ثم ذكر مثل حديث عكرمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطوهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال عكرمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلي شهربراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان. فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وضرباً في العدو، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل إليّ برأسه، فراجعته، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس، إني قد نزعته عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرخان، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرخان الملك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه؛ فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: اتوني بشهربراز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردّ الملك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها

البريد، ولا تبلغها الصحف، فالفني، ولا تلقني إلا في خمسين روميا، فإني ألك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أنه عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقى في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سكين، فدعيا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعهنا جميعا، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل، فقتلا ترجمان جميعا بسكينيهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ففرح ومن معه. وقوله: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل، وأذكر قول من لم يذكر قوله. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ مصدر من قول القائل: غلبته غلبة، فحذفت الهاء من الغلبة. وقيل: من بعد غلبهم، ولم يقل: من بعد غلبتهم للإضافة، كما حذفت من قوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ للإضافة. وإنما الكلام: وإقامة الصلاة. وأما قوله: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها، والواجب على قراءة من قرأ: ﴿الْمَ غَلَبَتْ الرُّومُ﴾ بفتح الغين، أن يقرأ قوله: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بضم الياء، فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر. وقوله: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى، وأتينا على الصحيح من أقوالهم، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. كما جاء عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت له: ما البضع؟ قال: زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع. وأما قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾ فإن القاسم حدثنا، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ دولة فارس على الروم، ﴿وَمِنْ بَعْدِ﴾ دولة الروم على فارس. وأما قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل، وبينا معناه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) يقول تعالى ذكره: وعد الله جل ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم، ونصب ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ على المصدر من قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون، فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعدا، ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعد المؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك؛ لأنه ليس في مواعيده خلف ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٧) يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معاشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن

ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (٨) يقول تعالى ذكره: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً، ثم صرفهم أحوالاً وقارات حتى صاروا رجالاً فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقاً جديداً، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته لا يظلم أحداً منهم، فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحداً منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحق، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار، وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم جاحدون منكرون؛ جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٩) يقول تعالى ذكره: أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسكنونها تجراً، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوة، ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدرُوا على الانتفاع، مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من الآيات، فكذبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعصيتهم ربهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم. ﴿السُّوَى﴾: يعني الخلّة التي هي أسوأ من فعلهم؛ أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يقول: كانت لهم السوأة، لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله، ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾. يقول: وكانوا بحجج الله وهم أنبياءه ورسله يسخرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفرداً بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عزّ وجلّ، ثم يعيد خلقاً جديداً بعد إفنائهم وإعدامهم، كما بدأه خلقاً سوياً، ولم يك شيئاً ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقاً جديداً يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ١٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يقول: يئأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كل شر، ويكتبون ويتدعون كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ﴿مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، ﴿شُفَعَاءٌ﴾ يشفعون لهم عند الله، فيستقذوهم من عذابه، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله ﴿كَافِرِينَ﴾، يجحدون ولايتهم، ويتبرءون منهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ ١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ، يقول في ذلك اليوم ﴿يُنْفَخُونَ﴾ يعني: يتفرق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهناك يميز الله الخبيث من الطيب. وقوله ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون، ويلذذون بالسمع وطيب العيش الهنيء، وإنما خصَّ جل ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض، كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليدوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٨﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، وذلك صلاة المغرب، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، وذلك صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ من سكانها من الملائكة، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، ﴿وَعَشِيًّا﴾ يقول: وسبحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يقول: وحين تدخلون في وقت الظهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي رزين

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: صلوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها

الناس، الله الذي يخرج الحي من الميت، وهو الإنسان الحي من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحي ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فينبتها، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب. وقد بينا فيما مضى قبل تأويل قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢٠) يقول تعالى ذكره: ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه خلقه أبيضكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا. وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ يقول: ثم إذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب ﴿بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، يقول: تتصرفون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢١) يقول تعالى ذكره: ومن حُججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون بها، وتتواصلون من أجلها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حُجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢٢) يقول تعالى ذكره: ومن حُججه وأدلته أيضا على أنه لا يُعجزه شيء، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾ وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يقول: واختلاف منطوق ألسنتكم ولغاتها ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ يقول: واختلاف ألوان أجسامكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقته الذين يعقلون أنه لا يعيبه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم، وقد بينا معنى ﴿الْعَالَمِينَ﴾ فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾^(٢٣) يقول تعالى ذكره: ومن حُججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معاشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنْ فِي فِعْلِ اللَّهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَعِبْرًا وَذِكْرًا وَأَدْلَةً عَلَى أَنْ فَاعِلَ ذَلِكَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ مواظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حججه ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لكم إذا كنتم سفراء، أن تمطروا فتتأدوا به ﴿وَطَمَعًا﴾ لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يقول: وينزل من السما مطرا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حججه وأدلته. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض، إذا دعاكم دعوة مستجيبن لدعوته إياكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ﴾ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: من في السموات والأرض من ملك وجن وإنس عبيد وملك ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ﴾ يقول: كل له مطيعون، فيقول قائل: وكيف قيل ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِثُونَ﴾ وقد علم أن أكثر الإنس والجن له عاصون؟ فنقول: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس، وهو أن كل من في السموات والأرض من خلق الله مطيع في تصرفه فيما أراد تعالى ذكره، من حياة وموت، وما أشبه ذلك، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه. وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي فيه عاص هو ما وصفت، والذي هو له قانت ما بينت. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئا، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فناءه، وهو أهون عليه. اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فقال بعضهم: معناه: وهو هين عليه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: معناه: وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم. كما جاء عن مجاهد وغيره وقد يحتمل هذا الكلام وجهين، غير القولين اللذين ذكرت، وهو أن يكون معناه: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون على الخلق؛ أي إعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه. والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد قول أيضا له وجه. كالذي جاء عن ابن عباس قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ يقول: كل شيء عليه هين. وقوله: ﴿وَلَهُ

المثل الأعلى﴾ يقول: والله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول: من ممالئكم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي وممالئكي، وأنا مالك جميعكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، القول الثاني قول أبو مجلز: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما يقاسم بعضكم بعضاً. لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جل ثناؤه ويخ هؤلاء المشركين، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده، وغيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضاً أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة، فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه؛ لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة. وقوله: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما بينا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحب، وإعادة ما نريد إعادته بعد فناءه، ودلنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كل شيء كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما ذلك كذلك، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان؛ لأن لهم شركاء فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم، فهم وعبيدهم فيه سواء، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه، فرضوا الله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم، فأشركوهم في عبادته، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتبعوا أهواءهم، جهلا منهم لحق الله عليهم، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ يقول: فمن يسدّد للصواب من الطرق، يعني بذلك من يوفق للإسلام من أضل الله عن الاستقامة والرشاد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول: وما لمن أضل الله من ناصرين ينصرونه، فينقذونه من الضلال الذي يبتليه به تعالى ذكره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره: فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مستقيما لدينه وطاعته ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصبت "فطرة" على المصدر من معنى قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يقول: لا تغيير لدين الله؛ أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل. وجاء عن بريدة ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ قال: الحساب القيم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ تائبين راجعين إلى الله مقبلين. كما قال ابن زيد في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال: المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك، كان القوم كفارا، فزعموا ورجعوا إلى الإسلام. وتأويل الكلام: فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا، منيبين إليه، إلى الله، فالمنيبون حال من الكاف التي في وجهك. فإن قال قائل: وكيف يكون حالا منها، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة لجماعة؟ قيل: لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع أمر منه له ولأتمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله، منيبين إليه. وقوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ يقول جل ثناؤه: وخافوا الله وراقبوه، أن تفرطوا في طاعته، وتركوا معصيته ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه. وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ إلى آخر الآية، قال: هؤلاء يهود، فلو وجّه قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وأن معناه: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أحزابا، ﴿كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كان وجهها يحتمله الكلام. وقوله: ﴿كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضر، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾ يقول: أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه، واستغاثوا به ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ﴿ثُمَّ إِذَا

أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً ۖ يَقُولُ: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برحاء وخصب وسعة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يقول: إذا جماعة منهم ﴿بِرِّيهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: يعبدون معه الآلهة والأوثان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به: ليكفروا بما أعطيناهم، يقول: إذا هم برهم يشركون، كي يكفروا: أي يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم، بكشفي عنهم الضرّ الذي كانوا فيه، وإبدالي ذلك لهم بالرّحاء والخصب والعافية، وذلك الرّحاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره: الذي قال: ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يقول: فتمتعوا أيها القوم، بالذي آتيناكم من الرّحاء والسعة في هذه الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا. وقد قرأ بعضهم: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء، بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم، فقد تمتعوا، على وجه الخبر، فسوف يعلمون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق ما يقولون، وبحقيقة ما يفعلون ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم، وإنما يعني جلّ شأنه بذلك: أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا، ولا أرسل به رسولا وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه؛ اتباعا منهم لأهوائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إذا أصاب الناس منا خصب ورّحاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدد وقحط وبلاء في الأموال والأبدان ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإيأس، وقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ هو جواب الجزاء؛ لأن "إذا" نابت عن الفعل بدلالته عليه، فكأنه قيل: وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم وجدتهم يقنطون، أو تجدهم، أو رأيتهم، أو تراهم. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: إذا كانت "إذا" جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرّحاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم، بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الشدّة والرّحاء بيد الله، وأن الله يسّط الرّزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه، وقدره على من قدره عليه، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر، لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّها إذا عاينها ورآها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فَاسْمِعُوا بَنِيكُمْ وَالْقُرْآنَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. فأتى تعالى ذكره لنبههم على ما فرض الله لهم في ذلك. كما جاء عن الحسن **﴿فَاتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فَاسْمِعُوا بَنِيكُمْ وَالْقُرْآنَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** قال: هو أن توفيههم حقهم إن كان عند يسر، وإن لم يكن عندك؛ فقل لهم قولاً ميسوراً، قل لهم الخير. وقوله: **﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** يقول: ومن يفعل ذلك مبتغياً وجه الله به، فأولئك هم المنجحون، المدركون طلباتهم عند الله، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإتيانهم إياهم ما أتوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: وما أعطيتهم أيها الناس، بعضكم بعضاً من عطية؛ لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، **﴿فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ﴾** يقول: فلا يزداد ذلك عند الله، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغياً به وجهه **﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾** يقول: وما أعطيتهم من صدقة تريدون بها وجه الله، **﴿فَأُولَئِكَ﴾** يعني الذين يتصدقون بأموالهم، ملتجئين بذلك وجه الله **﴿هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾** يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب. من قول العرب: أصبح القوم مسومنين معطشين، إذا سمنت إبلهم وعطشت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وأما قوله: **﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾** فهذا للنبي خاصة، لم يكن له أن يعطي إلا الله، ولم يكن يعطي ليعطي أكثر منه. وقال آخرون: إنما عنى بهذا الرجل: يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه، ويخدمه، ويعود عليه نفعه، لا لطلب أجر من الله. كما جاء عن عامر وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك، لا لطلب ثواب الله. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: ذلك للنبي **﴿سُبْحَانَكَ﴾** خاصة، وأما لغيره فحلال. كما جاء عن الضحاک

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. يقول تعالى ذكره للمشركون به، معرفهم قبح فعلهم، وخبث صنيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً، ثم رزقكم وخولكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة. كما جاء عن قتادة وقوله: **﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً﴾** يقول تعالى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق، أو يرزق، أو يميت، أو ينشر، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئاً من ذلك، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئاً من ذلك، ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جل ثناؤه **﴿سُبْحَانَهُ﴾** أي تنزيهاً لله وتبرئة **﴿وَتَعَالَى﴾** يقول: وعلوا له **﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ قال: هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا ﷺ، امتلأت ضلالة وظلما، فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس. قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أما البر فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف. وقال آخرون: بل عنى بالبر: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، والبحر: البحر المعروف. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعا عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا. إذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار. فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما. وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ يقول جل ثناؤه: لبصيصهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عصوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي ينيبوا إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم، ﴿كان أكثرهم مشركين﴾، يقول: فعلنا ذلك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: فوجه وجهك يا محمد، نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك ﴿لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ لطاعة ربك، والملة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ يقول: يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس، يقول: يتفرق الناس فرقتين من قولهم: صدعت الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه أوزار كفره، وأثام جحوده نعم ربه، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمر به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ﴾ يقول: فلا أنفسهم يستعدون، ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله، إنه لا يحب أهل الكفر به. واستأنف الخبر بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ وفيه المعنى الذي وصفت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن آياته على أنه إله كل شيء ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالغيث والرحمة ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يقول: ولينزل عليكم من رحمته، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعاشكم التي قسمها بينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك، أرسل هذه الرياح مبشرات، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقالوا في قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ مثل الذي قلنا فيه. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مسلينا نبيه ﷺ، فيما يلقي من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم، وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم، كما كذبك قومك، وردوا عليهم ما جاءهم به من عند الله، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، ﴿فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ يقول: فانتقمنا من الذين أجمعوا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك، ومظفروك

٣٣

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرْجِي مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا، وهي جمع سحابة، فيبسطه في السماء كيف يشاء يقول: فيشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، وقال: فيبسطه فوحد الهاء، وأخرج مخرج كناية المذكر، والسحاب جمع كما وصفت، رداً على لفظ السحاب، لا على معناه، كما يقال: هذا تمر جيد. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا يقول: ويجعل السحاب قطعاً. متفرقة. كما جاء

عن قتادة وقوله: فَتَرَى الْوَدْقَ يَعْنِي: الْمَطَرُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ يَعْنِي: مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ. كما جاء عن عبيد بن عمير يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا قَالَ: الرِّيحُ أَرْبَعٌ: يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فَتَقَمُّ الْأَرْضَ قَمًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الرِّيحَ الثَّانِيَةَ فَتُشِيرُ سَحَابًا، فَيَجْعَلُهُ فِي السَّمَاءِ كِسْفًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الرِّيحَ الثَّلَاثَةَ فَتَوَلِّفُ بَيْنَهُ، فَيَجْعَلُهُ رَكَامًا، ثُمَّ يَبْعَثُ الرِّيحَ الرَّابِعَةَ فَتَمُطِرُ. وقوله: فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ يَقُولُ: إِذَا صَرَفَ ذَلِكَ الْوَدْقَ إِلَى أَرْضٍ مِنْ أَرَادَ صَرْفَهُ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ رَأَيْتَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ؛ بِأَنَّهُ صَرَفَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَيَفْرَحُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ ٥١ يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده، من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث، من قبل هذا الغيث ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ يقول: لمكتئبين حزينين؛ باحتباسه عنهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥٢ فانظر يا محمد، إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب، كيف يحيي بها الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موتها ودثورها، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾. يقول جل ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث، لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعجز عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ٥٣ يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبتة الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتة أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا، قد فسد بتلك الرياح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرا، لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون برهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٤ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُغْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٥٥ يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِنَّكَ يَا مُحَمَّد، لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ يقول: لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم، وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين، الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواضع تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم، بأن تجعل لهم أسماعا. وقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع - الدعاء، إذا هم ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه، لسماع ذلك وفهمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع. وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُغْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة،

ومحجة الحق، فلم يوفقه لإصابة الرشد، فصارفه عن ضلالتة التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق إلى سبيل الرشاد، يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري؛ لأنني القادر على كل شيء. وقيل: ﴿بهادى العمى عن ضلاتهم﴾ ولم يقل: من ضلاتهم، لأن معنى الكلام ما وصفت، من أنه: وما أنت بصارفهم عنه، فحمل على المعنى. ولو قيل: من ضلاتهم، كان صواباً. وكان معناه: ما أنت بمانعهم من ضلاتهم. وقوله: ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي يتفجع به سامعه فيعقله، إلا من يؤمن بآياتنا، لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله الذي حد فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع. وقوله: ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يقول: فهم خاضعون لله بطاعته، متذللون لمواظ كتابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث من مشركي قريش، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك، وعلى ما يشاء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشراً سوياً، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يقول: ثم جعل لكم قُوَّةً على التصرف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ يقول: ثم أحدث لكم الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء في شبابكم، وشيبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكر: يخلق ما يشاء من ضعف وقُوَّة وشباب وشيب ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة، يقول الله جل ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يؤفكون: يقول: كذبوا في قيلهم وقسمهم ما لبثوا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كان قتادة يقول: قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ قال: هذا من مقادير الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله. وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه. وقوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَلَكِنَّكُمْ

كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فيوم يبعثون من قبورهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذَرَتُهُمْ﴾ يعني: المكذبين بالبعث في الدنيا ﴿مَعْذَرَتُهُمْ﴾، وهو قولهم: ما علمنا أنه يكون، ولا أنا نُبعث ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم، وتنبيه لهم عن وحدانية الله. وقوله: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ يقول: ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية، يقول: بدلالة على صدق ما تقول ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ يقول: ليقولن الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوتك، إن أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات، والآيات البينات، فلا يفقهون عن الله حجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من أي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يترددون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعدك في الأرض حق ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: ولا يستخفن حليمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات، فيشطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته. عن علي بن ربيعة، أن رجلا من الخوارج، قرأ خلف علي رضي الله عنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فقال علي: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

آخر تفسير سورة الروم. والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾ وقد تقدم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿الْم﴾. وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا. وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ يقول: هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه وقوله: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يقول: الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ من جعلها الله له المفروضة في أموالهم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يقول: وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رَجَوْا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦﴾ اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء، الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيه. فإن قال قائل: وكيف يشتري لهو الحديث؟ قيل: يشتري ذات لهو الحديث، أو ذا لهو الحديث، فيكون مشتريا لهو الحديث. وأما الحديث، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله أو رسوله عن استماعه؛ لأن الله تعالى عم بقوله: ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ولم يخص بعضا دون بعض، فذلك على عمومته حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك. وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ليصد ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته، وما يقرب إليه من قراءة قرآن وذكر الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه. وجاء عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ قال: سبيل الله. وقال آخرون: بل ذلك من ذكر آيات الكتاب. كما جاء عن قتادة، قال: يحسب المرء من

الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع، ويتخذها هزوا يستهزئ بها ويكذب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب، واتخاذ ذلك هزوا هو استهزاؤه به. وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشتركون لهو الحديث ليزلوا عن سبيل الله. لهم يوم القيامة عذاب مُدَلٍّ مخزٍ في نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله آيات كتاب الله، فقرئت عليه ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ يقول: أدبر عنها، واستكبر استكبارا، وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ يقول: ثقلا فلا يطيق من أجله سماعه. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجِع، وذلك عذاب النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ٨ خالدين فيها وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله فوحدوه، وصدقوا رسوله واتبعوه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ يقول: لهؤلاء بساتين النعيم ﴿خالدين فيها﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ يقول: وعدهم الله وعدا حقا، لا شك فيه ولا خلف له ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادقين عن سبيله ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ١٠ يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾، وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾ وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال ابن عباس ﴿بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾ قال: لها عمد لا ترونها. وقوله: ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم. يقول: أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرك يمنة ولا يسرة، ولكن تستقر بكم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ يقول: وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب. وقيل: الدواب اسم لكل ما أكل وشرب، وهو عندي لكل ما دب على الأرض. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء مطرا، فأنبطنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج، يعني: من كل نوع من النبات ﴿كريم﴾، وهو الحسن النبتة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ١١ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أي خلقته في هذه الآية

خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحققت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه؟ كما استحق ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عدتها عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئاً، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وزهأهم عن سبيل الحق، فهم في ضلال: يقول: فهم في جور عن الحق، وزهأب عن الاستقامة مبين: يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وكما جاء عن خالد الربيعي، قال: كان لقمان عبدا حبشيا نجارا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال له لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. وقال آخرون: كان نبيا. كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، أن أحمد الله على ما آتاك من فضله، وجعل قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ﴾ ترجمة عن الحكمة؛ لأن من الحكمة التي كان أوتيها، كان شكره الله على ما آتاه، وقوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه، لأن الله يجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمة الله عليه إلى نفسه أساء؛ لأن الله معاقبه على كفرانه إياه، والله غني عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه. ويعني بقوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها، وهو مصروف من مفعول إلى فاعل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: لخطأ من القول عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببر والديه ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في المعنى بذلك، فقال بعضهم: عنى به الحمل. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل عنى به: وهن الولد وضعفه على ضعف الأم. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ يقول: وفطامه في انقضاء عامين. وقيل: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كما قيل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

فِيهَا ﴿يَرَادُ بِهِ أَهْلُ الْقَرِيَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ يَقُولُ: وَعَهْدُنَا إِلَيْهِ أَنْ أَشْكُرَ لِي عَلَى نِعْمِي عَلَيْكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ تَرَبَّيْتُمَا إِلَيْكَ، وَعَلَّاهُمَا فِيكَ مَا عَلَّاهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ حَتَّى اسْتَحْكَمَ قَوَاكُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ يَقُولُ: إِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَهُوَ سَائِلُكَ عَمَّا كَانَ مِنْ شُكْرِكَ لَهُ عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْهِ، وَعَمَّا كَانَ مِنْ شُكْرِكَ لَوْلَا ذَلِكَ، وَبَرَّكَ بِهِمَا عَلَى مَا لَقِيََا مِنْكَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْمَشَقَّةِ فِي حَالِ طِفُولَيْتِكَ وَصَبَابِكَ، وَمَا اصْطَنَعَا إِلَيْكَ فِي بَرِّهِمَا بِكَ، وَتَحَنُّنُهُمَا عَلَيْكَ. وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَأُمِّهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ: نَزَلَتْ فِي ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمْتُ، حَلَفْتُ أُمِّي لَا تَأْكُلُ طَعَامًا وَلَا تَشْرَبُ شَرَابًا، قَالَ: فَنَاشَدْتُهَا أَوَّلَ يَوْمٍ، فَأَبَتْ وَصَبَرْتُ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي نَاشَدْتُهَا، فَأَبَتْ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ نَاشَدْتُهَا فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةُ نَفْسٍ لَخَرَجْتَ قَبْلَ أَنْ أَدْعَ دِينِي هَذَا، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، وَعَرَفَتْ أَنِّي لَسْتُ فَاعِلًا أَكَلْتُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: وَإِنْ جَاهِدَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَالذَّاكَّ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي فِي عِبَادَتِكَ إِيَّايَ مَعِيَ غَيْرِي، مِمَّا لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لِي شَرِيكَ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَلَوًّا كَبِيرًا، فَلَا تَطْعُمُهُمَا فِيمَا أَرَادَاكَ عَلَيْهِ مِنْ الشَّرِكِ بِي، ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ يَقُولُ: وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ لِهَمَّا فِيمَا لَا تَبْعَةَ عَلَيْكَ فِيهِ، فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ وَلَا إِثْمَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يَقُولُ: وَاسْلُكْ طَرِيقَ مَنْ تَابَ مِنْ شَرِكِهِ، وَرَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاتَّبَعَ مُحَمَّدًا ﷺ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَإِنَّ إِلَيَّ مَصِيرَكُمْ وَمَعَادَكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، فَأَخْبِرَكُمْ بِجَمِيعِ مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ثُمَّ أَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِثْنَاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) عَنِ بَقُولِهِ: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾: زَنَةَ حَبَّةٍ. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْنُ: إِنْ الْأَمْرُ إِنْ تَكُ زَنَةَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ عَمَلْتَهُ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ، أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ، أَوْ فِي الْأَرْضِ، يَأْتِ بِهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُوَفِّكَ جَزَاءَهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِ بَهَا الصَّخْرَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْأَرْضُ كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَالَ آخَرُونَ: عَنِ بَهَا الْجِبَالِ، قَالُوا: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: فَتَكُنْ فِي جَبَلٍ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ كَانَ بَعْضُهُمْ يُوجِّهُ مَعْنَاهُ إِلَى: يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَلَا أَعْرِفُ يَأْتِي بِهِ بِمَعْنَى: يَعْلَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلُ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ لَقِمَانُ إِنَّمَا وَصَفَ اللَّهَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَمَاكُنَّهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانُ شَيْءٍ مِنْهُ فَيَكُونُ وَجْهًا. كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِاسْتِخْرَاجِ الْحَبَّةِ مِنْ مَوْضِعِهَا حَيْثُ كَانَتْ خَبِيرٌ بِمَوْضِعِهَا. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلٍ لَقِمَانُ لَابَنَهُ ﴿يَا بَنِي أَقِمِ

الصَّلَاةُ ﴿بحدودها﴾ وأمر بالمعروف ﴿يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره﴾ وإنه عن المنكر ﴿يقول: وإنه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه﴾ وأصبر على ما أصابك ﴿يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم﴾ إن ذلك من عزم الأمور ﴿يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨): قال أبو جعفر: تأويل الكلام: ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه، وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تلفت أعناقها عن رءوسها، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس، ومنه قول عمرو بن حنبل التغلبي: وكنا إذا الجبار صعر خده... أقمنا له من ميله فتقومًا وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يقول: ولا تمش في الأرض مختالا. كما جاء عن الضحاك وغيره قوله: ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال: متكبر. وقوله: ﴿فَخُورٍ﴾ قال: يعدد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩): يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه، ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه. كما جاء عن قتادة واختلف أهل التأويل قوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إن أقيح أو أشر الأصوات، وذلك نظير قولهم: إذا رأوا وجهًا قبيحا، أو منظرا شنيعا، ما أنكر وجه فلان، وما أنكر منظره. وأما قوله: ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ فأضيف الصوت، وهو واحد، إلى الحمير وهي جماعة، فإن ذلك لوجهين: إن شئت، قلت: الصوت بمعنى الجمع، كما قيل: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ وإن شئت قلت: معنى الحمير: معنى الواحد، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدي عما يؤدي عنه الجمع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٢٠): يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجم وسحاب ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملادكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتتفنون بجميعة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾. وقال ابن عباس: ﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: لا إله إلا الله. وقوله: ﴿ظَاهِرَةً﴾ يقول: ظاهرة على الألسن قولًا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا. وقوله: ﴿وَبَاطِنَةً﴾ يقول: وباطنة في القلوب، اعتقادًا ومعرفة. وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله، وإخلاص الطاعة والعبادة له ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عنده بما يخاصم، ﴿وَلَا هُدًى﴾ يقول: ولا بيان يبين به صحة ما يقول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ يقول: ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعي، يبين حقية دعواه. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدقوا به، فإنه يفرق بين المحق منا والمبطل، ويفصل بين الضال والمهتدي، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حق، قال الله تعالى ذكره ﴿أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعبد وجهه متذلا بالعبودية، مقرا له بالألوهة وهو مُحْسِنٌ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل، وإنما يعني بذلك: أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كل أمر خيره وشره، وهو المسائل أهله عنه، ومجازيهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہُ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٥﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تكتنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان. وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرب منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٧﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ الله قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ يقول تعالى ذكره لنبية محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ثم قال تعالى ذكره: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر، وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: لله كل ما في السموات والأرض من شيء ملكا كائنا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول: إن الله هو الغني عن عباده هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه؛ لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد: يعني: المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧) يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها برئت أقلاما ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله: ﴿يَمُدُّهُ﴾ عائدة على البحر. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفذ كلمات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلاما، وجعل البحور مدادا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور، وتكسرت الأقلام. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب مجادلة كانت من اليهود له. كما جاء عن ابن عباس: أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد، أرايت قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: "كُلا"، فقالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنها في علم الله قليل وعندهم من ذلك ما يكفيكم"، فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٨) يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعدر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٩) يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بعينك ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يقول: يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يقول: يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم، ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾ يقول: كل ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم، وأجل محدود إذا بلغه كورت الشمس والقمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك، وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله ﷺ، والمعني به المشركون، وذلك أنه تعالى ذكره: نبه بقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ على موضع حجته من جهل عظمته، وأشرك في عبادته معه غيره، يدل على ذلك قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكر: هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قدرته، إنما فعله بأنه الله حقاً، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواء، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته. وقوله. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحل، فيسود ويفنى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الله هو العليُّ، يقول: ذو العلو على كل شيء، وكل ما دونه فله متذلل منقاد، الكبير الذي كل شيء دونه، فله متصاغر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ يقول: ليرىكم من عبره وحججه عليكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: لكل من صبر نفسه عن محارم الله، وشكره على نعمه فلم يكفره. كما جاء عن قتادة عن مغيرة، قال: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين: الإيمان كله، ألم تر إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. كما جاء عن الشعبي إن قال قائل: وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصَّابِر الشَّكُور دون سائر الخلق؟ قيل: لأن الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكل ذي عقل؛ لأن الآيات جعلها الله عبراً لذوي العقول والتمييز.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر - إذا ركبوا في الفلك - موج كالظلل، وهي جمع ظلة، شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء، وشبه الموج وهو واحد بالظل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضاً كهيئة الظل. وقوله: دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعدوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئاً، ولا يدعون معه أحداً سواه، ولا يستغيثون بغيره. قوله: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البر. فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمِر الكفر به. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ يقول تعالى ذكره: وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدار بعده، والختر عند العرب: أقبح الغدر وقوله: كَفُورٍ يعني: جحوداً للنعم، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة. وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ

﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وخافوا أن يحلّ بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً؛ لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول: اعلّموا أن مجيء هذا اليوم حقّ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده ﴿فَلَا تَعْرَتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يقول: فلا تخذعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم. وقوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يقول: ولا يخذعنكم بالله خادع. والغرور بضم الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررت غرورا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وكان بعضهم يتأول الغرور بما جاء عن سعيد بن جبّير قوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ قال: إن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ هو آتيكم؛ علم إتيانه إياكم عند ربكم، لا يعلم أحد متى هو جائكم، لا يأتيكم إلا بغتة، فاتقوه أن يفجأكم بغتة، وأنتم على ضلال لتكم لم تنبئوا منها، فصبّروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبل لكم به. وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة. والمعنى: ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ من السماء، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أرحام الإناث ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يقول: وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ يقول: وما تعلم نفس حيّ بأيّ أرض تكون منيتها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان. كما جاء عن قتادة ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل، أو نهار ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً ينزل؟ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ خير أم شرّ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدا، لعلك المصاب غدا؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو برّ أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك. وجاء عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".

آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ قال أبو جعفر: قد مضى البيان عن تأويل قوله: ﴿الْم﴾ بما فيه الكفاية. وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، لا شك فيه ﴿من رب العالمين﴾: يقول: من رب الثقلين: الجن والإنس. كما جاء عن قتادة وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرّصه محمد ﷺ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين: ﴿وَقَالُوا أَأُطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَها فِيهِ ثُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأُصِيلًا﴾ وقول الذين قالو: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾. وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذبه، و ﴿أَمْ﴾ هذه تقرير، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما ترعمون وتقولون من أن محمداً افتراه، بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك؛ لتنذر قوماً بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به ﴿ما أتاهم من نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول: ليتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من خلق ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرراً، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: إياها فاتخذوا ولياً، وبه ويطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو عالم الغيب، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، والشهادة يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعانيتته وما هو موجود العزیز يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذب رسله الرحيم بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذبه بعد التوبة. وقوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحسن، فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحه وسماجته، علم أنه لم يُعْن به أنه أحسن كل ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صناعته، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك: أعلم وألهم كل شيء خلقه، هو أحسنهم، كما قال: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾؛ لأن ذلك أظهر معانيه. وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى: الذي أحسن خلق كل شيء، فإنه جعل الخلق نصيبا بمعنى التفسير، كأنه قال: الذي أحسن كل شيء خلقا منه. وقد كان بعضهم يقول: هو من المقدم الذي معناه التأخير، وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ يعني: ذريته من سلالته، يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه وقوله: ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم سوى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ونفخ فيه من روحه فصار حيا ناطقا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما

أنعم عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَيَّدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيَّنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المكدِّبون بالبعث: ﴿أَيَّدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض وفيها لغتان: صَلَّلْنَا، وَصَلَّلْنَا. بفتح اللام وكسرهما، والقراءة على فتحها وهي الجوداء، وبها نقراً. وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿أَيَّدَا صَلَّلْنَا﴾ بالصاد، بمعنى: أُنْتِنَا، من قولنا: صَلَّ اللحم وأصل إذا أُنْتِن. وإنما عني هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿أَيَّدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض؛ لأن كل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضل فيه، تقول العرب: قد ضل الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون؛ حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: ﴿أَيَّدَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيَّنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إذ هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم حياء من ربهم. للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا ﴿فارجعنا﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون رب سواك، وأنت تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء. وبنحو ما قلنا في قوله: ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ يا محمد ﴿لَآتَيْنَا﴾ هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ﴿هَذَاهَا﴾ يعني: رشدناها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: من أهل المعاصي والكفر بالله منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار. وقوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ يقول: يقال لهم أيضا: ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية ﴿بِمَا

كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ» من معاصي الله. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا **﴿خَرُّوا﴾** لله **﴿سَجَدًا﴾** لوجوههم، تذللوا له، واستكانة لعظمته، وإقرارا له بالعبودية **﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد **﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾** يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستكفون عن التذلل له والاستكانة. وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ؛ لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة، ذكر ذلك عن حجاج، عن ابن جريج.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لنامتهم، ولا ينامون **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** في عفوه عنهم، وتفصله عليهم برحمته ومغفرته **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء، والجفاء: النبو، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع؛ لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة. واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جل ثناؤه، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا، وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا ووقتا دون حال ووقت، كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله، أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: "ألا أدلك على أبواب الخير: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكْفِرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ" وتلا هذه الآية **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** "وأما قوله: **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾** الآية، فإن بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة **﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** قال: خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمة

الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله، وفي سبيله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧) يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفسٌ ذي نفسٍ ما أخفي الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وجاء في الخبر أن المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ: "إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَذْنَى مَنَزَلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلْ. فَيَقُولُ: كَيْفَ ادْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: بَنَحْ أَيُّ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيُّ رَبِّ رَضِيتُ، فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةُ أَثْنَالِهِ مَعَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيُّ رَبِّ، فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، قَالَ: فَقَالَ مُوسَى: أَيُّ رَبِّ، وَأَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنَزَلَةً، قَالَ: إِيَّاهَا أَرَدْتُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ: وَمِمِّصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نَزَلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ^(١٠) يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدق بوعد الله ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه، كلا لا يستوون عند الله يقول: لا يعتدل الكفار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا وفاسقا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفساق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت لهما العرب مذهب الجمع. وذكر أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، والوليد بن عتبة. كما جاء عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عتبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عتبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحد منك سنانا، وأرد منك للكتيبة، فقال علي: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بِهِ تُكَذِّبُونَ وقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: أما الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: ﴿نَزَلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: نزلًا بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار ﴿كَلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ أن الله أعدّها لأهل الشرك به. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١١) اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الأدنى الذي وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره، إذ وعدم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. وقوله: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ يقول: قيل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي العالية وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾^(١٢) يقول تعالى ذكره: وأي الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وأي كتابه، ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها. وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون. وكان بعضهم يقول: عني بالمجرمين في هذا الموضع: أهل القدر. كما جاء عن يزيد بن رفيع، قال: إن قول الله في القرآن ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هم أصحاب القدر، ثم قرأ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ...﴾ إلى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أَجْرَمَ: مَنْ اعْتَقَدَ لَوَاءً فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أَجْرَمَ. يَقُولُ اللَّهُ ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ^(١٤) يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ يقول: فلا تكن في شك من لقائه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شك من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعني: رشادا لهم يرشدون باتباعه، ويصيرون الحق بالافتداء به، والائتمام بقوله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتم به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم، ويهتدى بهديهم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ قال أبو جعفر وتأويل ذلك: وجعلنا منهم أمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها. وقوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسولنا، وآيات كتابنا وتزيلنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٥٨) يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحق الجنة، ولأهل الباطل النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(٥٩) كما جاء عن ابن عباس أولم يهد لهم يقول: أولم يبين لهم، وقال ابن زيد في قوله: أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: صعيداً جرزاً قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يسرها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعاً خضراً، تأكل منه مواشيهم، وتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به أفلا يُصرون يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذر علي أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦٠) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ^(٦١) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ^(٦٢) يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هؤلاء المشركون بالله يا محمد، لك: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ واختلف في معنى ذلك، والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل، وفساد ما خالفه. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني: إن كنتم صادقين في الذي تقولون، من أنا معاقبون على تكذيبنا محمداً ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان. وقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته وإيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت. كالذي جاء عن مجاهد: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القيامة، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. وقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح المستعجل لك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة. كما جاء عن قتادة

تفسير سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاه عن محارمه، وانتهاك حدوده ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ الذين يقولون لك: اطرده عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألوونك وأصحابك ودينك خبالا فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وأي كتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أي: ذا خبرة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره: وفوض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝﴾ اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: رأيت قول الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوما فصلى، فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأنزل الله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾. وجائز أن يكون ذلك تكديبا من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكديبا لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيته، عن ابن عباس ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال: كان رجل من قريش يسمى من دهيته ذا القلبين، فأنزل الله هذا في شأنه. وأي الأمرين كان فهو نفي من

الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللاتي تقولون لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قبلكم كذبا، وألزمكم عقوبة لكم كفارة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ يقول: ولم يجعل الله من ادّعت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك. وذكر أن ذلك نزل على رسول الله ﷺ من أجل تبنيه زيد بن حارثة. كما جاء قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قال: كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه، يقال له: زيد بن محمد، كان تبناه، فقال الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال: وهو يذكر الأزواج والأخت، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم، ولا أَدْعِيَاءَكُمْ أبناءكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠﴾ يقول الله تعالى ذكره: انسبوا أَدْعِيَاءَكُمْ الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبه محمد ﷺ: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيدا بن محمد. وقوله: ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادّعاهم وليسوا له بنين. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ يقول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يقول: ولكن الإثم والحرَج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذم من ادّعى ولد غيره ابنا له، إذا تابا وراجعا أمر الله، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ٥١﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿الَّتِي﴾ محمد ﴿أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: أحق بالمؤمنين به ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم. كما جاء عن ابن زيد وكما جاء عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وأيّما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصيته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فلأيتني وأنا مولاه". وقوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأولوا الأرحام الذين ورثت بعضهم من بعض، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين

أن يرث بعضهم بعضاً، بالهجرة والإيمان دون الرحم. كما قال ابن زيد في قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ قال: كان النبي ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار أول ما كانت الهجرة، وكانوا يتوارثون على ذلك، وقال الله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم، قال: فكان هذا أولاً فقال الله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يقول: إلا أن توصوا لهم ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولى رحم، حتى يهاجروا إلى المدينة، وقرأ قال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا...﴾ إلى قوله: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ فكانوا لا يتوارثون، حتى إذا كان عام الفتح، انقطعت الهجرة، وكثر الإسلام، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبي ومن معه إلا أن يهاجر؛ قال: وقال رسول الله ﷺ لمن بعث: "اغْدُوا عَلَيَّ اسْمُ اللَّهِ لَا تَغْلُوا وَلَا تُؤَلُّوا، اذْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكُمْ فَاقْبَلُوا وَاذْعُوهُمْ إِلَى الْهَجْرَةِ، فَإِنْ هَاجَرُوا مَعَكُمْ، فَلَهُمْ مَا لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ، فَإِنْ أَبَوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَقْرُوهُمْ فِيهَا، فَهُمْ كَالْأَعْرَابِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الْفِيءِ نَصِيبٌ". قال: فلما جاء الفتح، وانقطعت الهجرة، قال رسول الله ﷺ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ" وكثر الإسلام، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين، وكان لهم في الفيء نصيب، وإن أقاموا وأبوا، وكان حقهم في الإسلام واحداً، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكل أحد، حين جاء الفتح. فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، أولى بالميراث، ممن لم يؤمن، ولم يهاجر. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفًا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده. وقوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يقول: كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، أي في اللوح المحفوظ مسطوراً أي مكتوباً، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يقول تعالى ذكره: كان ذلك في الكتاب مسطوراً، إذ كتبنا كل ما هو كائن في الكتاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ كان ذلك أيضاً في الكتاب مسطوراً، ويعني بالميثاق: العهد، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ يقول: وأخذنا من جميعهم عهداً مؤكداً أن يصدق بعضهم بعضاً. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْنَاهُ عَنِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أمهم، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: وأعد للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوَصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق إذ جاءكم جنود: جنود الأحزاب: قريش، وعطفان، ويهود بني النضير فأرسلنا عليهم ريحا وهي فيما ذكر: ريح الصبا. كما جاء عن عكرمة وقوله: فأرسلنا عليهم ريحا قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعتهم. وقوله: وجنودا لم تروها قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ. كما جاء عن قتادة قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال: يعني الملائكة، قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله ﷺ شهرا فخنق رسول الله ﷺ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة رسول الله ﷺ، وأقبل عبيدة بن حصن، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله ﷺ، وكاتبته اليهود أبا سفيان وظاهره، فقال حيث يقول الله تعالى: إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم فبعث الله عليهم الرعب والريح، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال: النجاء النجاء، أنتم لما بعث الله عليهم من الرعب. وقوله: وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم يومئذ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة، وثباتهم لعدوهم، وغير ذلك من أعمالهم، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء، يحصيه عليهم، ليجزيهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءكم جنود الأحزاب من فوقكم، ومن أسفل منكم. وقيل: إن الذين أتوهم من أسفل منهم، أبو سفيان في قريش ومن معه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن محمد بن كعب القرظي، وعن غيره من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحبي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهودة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه قال: فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحُبِيبِ وَالْطَّاعُونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والهارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن ربيعة بن خيلة بن نؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع؛ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذي نقيم إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراي والنساء فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشثوم، إني قد عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيتك أن أكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: يا كعب جئتكم بعز الدهر، وببحر طم، جئتكم بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذي نقيم إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماء، يرعد ويرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء؛ فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله ﷺ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلعثر بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: "انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعصاب الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس" فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من

رسول الله ﷺ وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة: أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيثي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك عن ملا من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار. وقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرها، وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر. كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿وَتَطَّلُنَا بِالْإِلَهِ الظُّنُونَا﴾ يقول: وتظنون بالله الظنون الكاذبة، وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله ﷺ يُغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنّها من ظنّ ممن كان مع رسول الله ﷺ في عسكره. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿هَئِلَكَ ابْتِلىَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومُحَصَّصَ القوم وعرف المؤمن من المنافق. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ يقول: وحركوا بالفتنة تحريكا شديدا، وابتلوا وفتنوا. وقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وجاء كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، قال: ثني أبي، عن أبيه، قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام ذكيت الأحزاب، من أحمر الشيخين طرف بني حارثة، حتى بلغ المذاذ، ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلا قويا، فقال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال النبي ﷺ: "سَلْمَانٌ مِّنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ". قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني، وستة من الأنصار، في أربعين ذراعا، فحفرنا تحت دويار حتى بلغنا الصرى، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا، وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله ﷺ، فأخبره خبر هذه الصخرة، فإذا أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه. فرقي سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأما خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة، فكسرت حديدنا، وشقت علينا حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق، ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ

المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعني لايتي المدينة - حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية، فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، ثم أخذ بيد سلمان فرقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيته قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم، فقال: "هل رأيتم ما يقول سلمان؟" قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمننا، وقد رأيناك تضرب، فيخرج برق كال موج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال: "صَدَقْتُمْ صَرَبْتُ ضَرْبِي الْأَوَّلِي، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءً لِي مِنْهُ قُصُورُ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنُ كَسْرِي، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ صَرَبْتُ ضَرْبِي الثَّانِي، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءً لِي مِنْهُ قُصُورُ الْحُمْرِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ صَرَبْتُ ضَرْبِي الثَّلَاثَةَ، وَبَرَقَ مِنْهَا الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، فَأَبْشُرُوا" يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرَ، "وَأَبْشُرُوا" يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرَ، فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعود صدق، بأن وعدنا النصر بعد الحصر، فطبقت الأحزاب، فقال المسلمون ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿٣٧﴾ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿٣٨﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ وإذ قال بعضهم: يا أهل يثرب، ويثرب: اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب. وقوله: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ بفتح الميم من مقام. يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، قوله: ﴿فَارْجِعُوا﴾ يقول: فارجعوا إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك من قيل أوس بن قيطي ومن وافقه على رأيه كما جاء عن يزيد بن رمان وقوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿لَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها، واحدها: قطر، وفيها لغة أخرى: قتر، وأقنار وقوله: ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾

يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا قليلا ولا أسرعوا إلى ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه. وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون: إن بيوتنا عورة ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم ﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وأجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره قوله: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾. يقول تعالى ذكره: قل يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون: ﴿إِنْ بَيُوتُنَا عَوْرَةٌ﴾ هربا من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبله؟. كما جاء عن يزيد بن رمان وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا في أنفسهم وأموالهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يليهم بالكفاية ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشْحَهَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْطَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتحذيرا عن الإسلام وأهله ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرا، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن

قتادة وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه. كما جاء عن ابن زيد وغيره كما قال ابن زيد في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ...﴾ إلى آخر الآية، قال: هذا يوم الأحزاب، انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد أخاه بين يديه سواء ورغيف ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا في السواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلى هذا، فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا، فقال: كذبت والذي يحلف به؛ قال -وكان أخاه من أبيه وأمه-: أما والله لأخبرن النبي ﷺ أمرك؛ قال: وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وقوله: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾: اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين في هذا الموضع من الشح، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصص وصفهم من معاني الشح، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحّة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله: ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحّة، وهم هكذا أشحّة. ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن. وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ...﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأس، وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لوإذا بك، تدور أعينهم خوفا من القتل، وفرارا منه ﴿كَأَنَّهُ يَنْفَسِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ يقول: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ﴾ يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأننا ﴿سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به في القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده. وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: ﴿سَلَفُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْحَيِّرِ﴾ فأخبر أن سلقهم المسلمين شحا منهم على الغنيمة والخير، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى. وقوله: ﴿أَشْحَةً عَلَى الْحَيِّرِ﴾ يقول: أشحّة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون. وقوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر ونفاق، ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطالها. وذكر أن الذي وصف بهذه الصفة كان بدريا، فأحبط الله عمله. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٠١ يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وخطفان. كما جاء عن يزيد بن رمان وقوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جينا وهلعا منهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحد منهم حزب ﴿يَوَدُّوا﴾ يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفا من القتل. وذلك أن قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد؛ وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابي، وواحد العرب عريبي، وإنما قيل: أعرابي لأهل البدو، فرقا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر. وقوله: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنباءكم، يعني: عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم، ألا يشهدوا معكم مشاهدكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا يقول: إلا تعذيرا، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ١٠٢ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ١٠٣ وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به، يقول لهم جل ثناؤه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن يزيد بن رمان وقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ يقول: ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا -تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: ﴿أُمَّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ - هذا ما وعدنا الله ورسوله وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ١٠٤ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٥ يقول تعالى ذكره ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه،

فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوه. والنحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت كما جاء عن عيسى بن طلحة: أن أعرابيا أتى النبي ﷺ، فسأله: من الذين قضوا نحبهم؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران، فقال: "هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ". وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا، فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نحبهم، ومنهم من بدل، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبهم، وكان منتظرا، على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية. كما جاء عن أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمضى بسيفه، فلقبه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع ثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه، قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ نزلت فيه، وفي أصحابه. وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾: وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرا، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم: هلم إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: يقول: ليشيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ بكفرهم بالله ونفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ من نفاقهم، فيهديهم للإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقد بين ما قلنا في ذلك قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فمعنى الكلام إذن: ويعذب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة، فيوفقهم لها، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيمًا بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به وبرسوله من قریش وغطفان ﴿بَغَيْظِهِمْ﴾ يقول: بكرههم وغمهم، بفوتهم ما أملوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ يقول: لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وكالذي جاء عن أبي سعيد الخدري قال: حبسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصل الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهوي كفيينا، وأنزل الله ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالا فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ يقول: وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب؛ ﴿عزیزاً﴾: يقول: هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۖ﴾ (٣١) وَأَوْزَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٣٧) يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: من أهل التوراة، وكانوا يهود: وقوله: ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد كالذي جاء عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جاهدوا الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم؛ قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني عارض عليكم خلا لا ثلاثا، فخذوا أيها؛ قالوا: وما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه عليّ، فهلمّ فلنقتل أبنائنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيف، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه، وإن ظهر فلعمري لتتخذن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؛ قال: فإذا أبيتم هذه عليّ، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفس سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، - وكانوا من حلفاء الأوس - نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ؛ فلما رآوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يكون في وجهه، فرّق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح؛ قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله؛ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه. ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت وعاهد الله لا يطيأ بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: "أما إنّه لو كان جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، أَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ؟" ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو

عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمرّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة؛ فلما رآه قال: مَنْ هَذَا؟ قال: عمرو بن سعدى؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا؛ فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: "ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ". قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته مُلقاة، ولا يُدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة، فإله أعلم. فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثب الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأوس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، فوهبهم له؛ فلما كلمته الأوس، قال رسول الله ﷺ: "أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكَمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟" قالوا: بلى، قال: "فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق "اجْعَلُوهُ فِي خِيَمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُوذَ مِنْ قَرِيبٍ" فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلا جسيما، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ؛ من كلمته التي سمع منه؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال: "قوموا إلى سيدكم" فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت؟ قال: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ؛ إجلالا له. فقال رسول الله ﷺ: "نَعَمْ"، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء. وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يقول: وألقى في قلوبهم الخوف منكم ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يقول: تقتلون منهم جماعة، وهم الذين قتل رسول الله ﷺ منهم حين ظهر عليهم ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يقول: وتأسرون منهم جماعة، وهم نساؤهم وذريتهم الذين سبوا. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾ اختلف أهل التأويل فيها، أي أرض هي؟ والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطئوه يومئذ، ثم وطئوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾ لأنه تعالى ذكره لم يخص من ذلك

بعضاً دون بعض. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾. يقول تعالى ذكره: وكان الله على أن أورش المؤمنين ذلك، وعلى نصره إياهم، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة، لا يتعدّر عليه شيء أرادته، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٣٨) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٩) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد، ﴿لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يقول: فإني أمتعنكم ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله ﴿وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول: وإن كنتم تردون رضا الله ورضاه ورسوله وطاعتهما فأطعنهما. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ وَهْنَ الْعَامَلَاتِ مِنْهُنَّ بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ﴾ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهنّ. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها. ذكر الرواية بقول من قال: كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها. كالذي جاء عن أبي الزبير، أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمنّ لكم شأنه، فأتى النبي ﷺ، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلّم به رسول الله ﷺ لعله يضحك، أو كلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلك حبسني عنكم. قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألني رسول الله ﷺ شيئاً ما كانت لك من حاجة فإليّ، ثم تتبع نساء النبي ﷺ، فجعل يكلمهنّ، فقال لعائشة: أيعرّك أنك امرأة حسنة، وأن زوجك يحبك؟ لتتھين، أو لينزلنّ فيك القرآن، قال: فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب، أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله ﷺ وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها؟ قال: ونزل القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ إلى قوله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال: "لا". قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهنّ بذلك. قال: ثم تتبعهنّ. فجعل يخيرهنّ ويقرأ عليهنّ القرآن، ويخبرهنّ بما صنعت عائشة، فتابعن على ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج النبي ﷺ: يا نساء النبي ﷺ من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يقول: من يزن منكنّ الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحدّ، يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ على فجورها في الآخرة ضِعْفَيْنِ على فجور أزواج الناس غيرهم. ويعني بيضاعف أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبي ﷺ، وذلك في الآخرة وقوله: وكان

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَانَتْ مِضَاعِفَةُ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله منك، وتعمل بما أمر الله به؛ ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يقول: يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يقول: وأعدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢) وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله ﷺ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ من نساء هذه الأمة ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فأطعته في ما أمرن ونهاكن. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ يقول: فلا تلتن بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: إنما وصفه بأن في قلبه مرضا، لأنه منافق. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش. كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يقول: وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قيل: إن التبرج في هذا الموضع: التبختر والتكسر. وأما قوله ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى؛ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائر أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام. فإن قال قائل: أوفي الإسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية. ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس، قال: تلا هذه الآية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحا، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة، فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتي أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. وقال ابن زيد في قوله ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال: يقول: التي كانت قبل الإسلام، قال: وفي الإسلام جاهلية؟ قال: قال النبي ﷺ لأبي الدرداء، وقال لرجل وهو ينازعه: يا ابن فلانة: لأم كان يعيرها في الجاهلية، فقال رسول الله

﴿يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ فِيكَ جَاهِلِيَّةً﴾، قال: أجاهلية كفر أو إسلام؟ قال: بل جاهلية كفر، قال: فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامي يومئذ. قال: وقال النبي ﷺ: "ثَلَاثٌ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُهُنَّ النَّاسُ: الطَّعْنُ بِالْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِمْطَارُ بِالْكَوَاكِبِ، وَالنِّيَاحَةُ". قال أبو جعفر: وجائر أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح. وجائر أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الآخرة، ما بين عيسى ومحمد، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله: إنه نهي عن تبرج الجاهلية الأولى. وقوله ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ يقول: وأقم الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمركن ونهياكن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً. وبنحنو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم. كالذي جاء عن أبي سعيد، عن أم سلمة؛ زوج النبي ﷺ أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله أأست من أهل البيت؟ قال: "إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، أَنْتَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ". قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ. وقال آخرون: بل عني بذلك أزواج النبي ﷺ. كما جاء عن علقمة، قال: كان عكرمة ينادي في السوق ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، وعني بقوله ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحى إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة. وبنحنو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن المتذللين لله بالطاعة والتمتدلات، والمصدقين والمصدقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجلالته ومن عقباه والخاشعات، والمتصدقين والمصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم

والمؤديات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك، والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر أو من ملكهن إن كن إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألستهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجرًا عظيمًا: يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة قال: دخل نساء على نساء النبي ﷺ، فقلن: قد ذكركن الله في القرآن، ولم نذكر بشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾: أي: المطيعين والمطيعات، ﴿وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ﴾ أي: الخائفين والخائفات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الجنة. وجاء عن ابن عباس قال: قال نساء النبي ﷺ: ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخلفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعضوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد. وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله ﷺ على فتاه زيد بن حارثة، فامتنعت من إنكاحه نفسها. كالذي جاء عن ابن عباس قوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أوامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾ إلى قوله ﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾ قالت: قد رضىته لي يا رسول الله منكحًا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي. وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فزوجها زيد بن حارثة. كما قال ابن زيد في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...﴾ إلى آخر الآية، قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أول من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده. قال: فنزل القرآن ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾ إلى آخر الآية. قال: وجاء أمر أجمع من هذا ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: فذاك خاص، وهذا إجماع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتابا من الله له ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِ بِالْهَدَايَةِ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيد كراحتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أعتقه رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال: وكان يخفي في نفسه ود أنه طلقها. قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها؛ قوله ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ولو كان نبي الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتبتها ﴿وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ قال: خشي نبي الله ﷺ مقالة الناس. وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه؛ ﴿لِيَكُنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ يعني: في نكاح نساء من تبنا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهن وبن منهن ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ يقول: إذا قضوا منهن حاجاتهم وآراهم، وفارقوهن وحللن لغيرهم، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي: كائنا كان لا محالة. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيا مفعولا كائنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن الشعبي، قال: كانت زينب زوج النبي ﷺ تقول للنبي ﷺ: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن؛ إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما كان على النبي من حرج: من إثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه إياها. وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له، ونصب قوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ على معنى: حقا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا. وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيا. وكان ابن زيد يقول في قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾: إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتته في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوبا لأهل طاعته، وعقبا لأهل معصيته، فلما ائتمر ذلك الأمر قدره، فلما قدره كتب وغاب عليه؛ فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وأجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم، وقرأ ﴿أُولَئِكَ يَنْتَهِمُ

نَصِيهِهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا ﴿١٠٠﴾ نَفَذَ ذَلِكَ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرًا، فلا يكون إلا ما في ذلك، وما في ذلك الكتاب، وفي ذلك التقدير، ائتمر أمرا ثم قدره، ثم خلق عليه فقال: كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه، وخلق عليه الخلق ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ شاء أمرا ليمضي به أمره وقدره، وشاء أمرا يرصاه من عباده في طاعته، فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم، ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدييره وقدره، وقرأ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار، فقال ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ وقال ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ هذه أعمال أهل النار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ قال ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَبَاطِينَ...﴾ إلى قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وقرأ ﴿وَأَقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾ إلى ﴿كُلُّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يؤمنوا بذلك، قال: فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به، قال: هو الفعال لما يريد، فرعموا أنه ما أراد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿١٠١﴾ يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصرُوا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول لنبية محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن، ولا تخش أحدا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءًا، والذين من قوله ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ خُفِضَ رَدًّا على الذين التي في قوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾. وقوله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه، ومحاسبا لهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿١٠٢﴾ يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبًا زيد بن حارثة، ولا أبًا أحد من رجالكم الذين لم يولد له محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة قوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: آخرهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝١٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝١٤﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيًا صلاة العصر. وقوله ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه

الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويشني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾: يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يقول: تدعو ملائكة الله لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس في قوله ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الضلالات إلى الهدى. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، وأمره متبعون ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا. وقوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يقول: وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوبا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا، كريما، وذلك هو الجنة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۖ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۖ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ وَدَعَا أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ﴾ يقول تعالى ذكره نبيه محمد ﷺ: يا محمد إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوا وعملوا بما جنتهم به من عند ربك، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جنتهم به من عند الله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وداعيا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿بِأَذْنِهِ﴾ يقول: بأمره إياك بذلك ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده ﴿مُنِيرًا﴾ يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته. وقوله ﴿وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا: بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضييفا كثيرا، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم، وقوله ﴿وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق؛ فتسمع منه دعاء إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه ﴿وَدَعَا أَذَاهُمْ﴾ يقول: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلفك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يقول: وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى

يَأْتِيكَ بِأَمْرِهِ وَقَضَاؤُهُ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يقول: وحسبك بالله فيما بأمرك، وحافظا لك وكالنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِيعَتُهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ يعني: من قبل أن تجامعوها ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ يعني من إحصاء أقراء، ولا أشهر تحصونها عليهن؛ ﴿فَمِيعَتُهُنَّ﴾ يقول: أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال. وقوله ﴿وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: واخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف، وهو التسريح الجميل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء، عن ابن عباس قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ فهذا في الرجل يتزوج المرأة، ثم يطلقها من قبل أن يمسه، فإذا طلقها واحدة بانت منه، ولا عدة عليها تتزوج من شاءت، ثم قرأ ﴿فَمِيعَتُهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: إن كان سمي لها صداقا، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمي لها صداقا، متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل. وقال بعضهم: المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ جَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره لنبينا محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني: اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سييتهن، فملكتهن بالسبأ، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء ﴿وَبَنَاتِ عِمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فأحل الله له ﷺ من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه. كما جاء عن أم هانئ، قالت: خطبني النبي ﷺ فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ...﴾ إلى قوله ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت: فلم أحل له؛ لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء. وقوله ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ يقول: وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﷺ. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ يقول: إن أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها وإذا وهبت نفسها له بغير مهر ﴿خَالِصَةً لَكَ﴾ يقول: لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك. كما جاء عن قتادة وغيره وأما قوله ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس ذلك للمؤمنين، وذكر أن لرسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أي النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يعدن، وقصر سائر أمته على مثني وثلاث ورباع. كما جاء عن أبي بن كعب واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله ﷺ امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله ﷺ

امراً إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهم أحد. كالذي جاء عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها. وقال بعضهم: هي أم شريك. وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة. كما جاء عن ابن عباس، قال: «وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ» قال: هي ميمونة بنت الحارث. وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. كما جاء عن الشعبي وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار. وقوله: «قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ» يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة إلا بولي عصبة وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كتابيات، لهم حلال بالسبأ والتسري وغير ذلك من أسباب الملك. وقوله «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» يقول تعالى ذكره: إنا أحلنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها؛ لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحث لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية، وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك، رحيمًا بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه.

القول في تأويل قوله تعالى: «تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١»
 تختلف أهل التأويل في تأويل قوله «تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» وتؤوى إليك من تشاء. وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها، فأمره الله أن يخيرهن بين الدار الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزيتها، ويمسك من اختار الله ورسوله. فلما اخترن الله ورسوله قيل لهن: اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله؛ قسم لكن رسول الله ﷺ أو لم يقسم، أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن، وفضل بعضكن على بعض في النفقة أو لم يفضل، سوى بينكن أو لم يسو، فإن الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ، ليس لكم من ذلك شيء، وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم، إلا امرأة منهن أراد طلاقها فرضيت بترك القسم لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عائشة أنها كانت تعبر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وقالت: أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق، فزلت، أو فأنزل الله «تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ» فقلت: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: «تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ...» الآية. قال: كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ فهجرهن شهرًا، ثم نزل التخيير من الله له فيهن، فقرأ حتى بلغ «وَلَا تَرْجَحْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ» فخيرهن وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي

من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدثن إيواؤها أو إرجاؤها منهن. إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجتمعها إذا شئت وتركها إذا شئت بغير قسم. وقوله ﴿وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن ذلك منهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ لدلالة قوله ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ على صحة ذلك، لأنه لا معنى لأن تقر أعينهن إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهن، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحه منهن، وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد. وقوله ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهن، وتؤوي من تشاء منهن، ووضعك عنك الحرج في ابتغاءك إصابته من ابتغيت إصابته من نسائك، وعزلك عن ذلك من عزلت منهن، أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن، ويرضين بما آتتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من أثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك، وإذني لك به، وإطلاق مني لا من قبلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة، يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ يقول: وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَلِيمًا﴾ يقول: ذا حلم على عباده، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد، وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ... إلى قوله وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ. كما جاء عن ابن عباس وقوله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجًا. وبالجملة فتأويل الكلام: لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل، ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن، إلا ما ملكت يمينك. وأن في قوله أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ رُفْعٌ، لأن معناها: لا يحل لك النساء من بعد، ولا الاستبدال بأزواجك، وإلا في قوله: إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء. ومعنى

ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فإن لك أن تملك من أى أجناس الناس شئت من الإماء. وقوله وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا يقول: وكان الله على كل شيء؛ ما أحل لك، وحرّم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظاً لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يؤوده حفظ ذلك كله. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله ﷺ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه؛ يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه، وهو مصدر من قولهم: قد أنى هذا الشيء يأتي إني وأنيا وإناء وقوله ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا، يعني: فتفرقوا واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَأْذِينَ لِحَدِيثٍ﴾ فقلوه ﴿وَلَا مُسْتَأْذِينَ لِحَدِيثٍ﴾ في موضع خفض عطفًا به على ناظرين واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم: نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله ﷺ في وليمة زينب بنت جحش، ثم جلسوا يتحدثون في منزل رسول الله ﷺ، وبرز رسول الله ﷺ إلى أهله حاجة فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله. كما جاء عن أنس بن مالك قال: بنى رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش، فبعثت داعيًا إلى الطعام، فدعوت، فيجيء القوم يأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله ﷺ قد دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فقال: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ" فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فأتى حجر نسائه فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبي ﷺ، فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج النبي ﷺ منطلقًا نحو حجرة عائشة، فلا أدري أخبرته، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب. وقال آخرون: كان ذلك في بيت أم سلمة. كما جاء عن قتادة قوله ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال: كان هذا في بيت أم سلمة، قال: أكلوا، ثم أطالوا الحديث، فجعل النبي ﷺ يدخل ويخرج ويستحي منهم، والله لا يستحي من الحق. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ﴾ يقول: إن دخولكم بيوت النبي ﷺ من غير أن يؤذن لكم وجلسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له كان يؤذي النبي ﷺ فيستحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن تبين لكم، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقول: وإذا سألتن أزواج رسول

الله ﷻ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعاً ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقول: من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأخرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل. وقد قيل: إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلاً كان يأكل مع رسول الله ﷺ وعائشة معهما، فأصابته يدها يد الرجل، فكره ذلك رسول الله ﷺ. كما جاء عن مجاهد وقيل: نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله ﷺ. كما جاء عن عائشة، قالت: إن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناسك، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول: يا رسول الله احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة؛ حرصاً أن ينزل الحجاب، قال: فأنزل الله الحجاب. وقوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه. وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب، قال: لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾. كما جاء عن ابن زيد في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ قال: ربما بلغ النبي ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبي ﷺ توفي تزوجت فلانة من بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ؛ فتزل القرآن ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...﴾ الآية. وقوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ يقول: إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ يقول: لا تزوجن زوجته بعد وفاته، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره: لا حرج على أزواج رسول الله ﷺ في آبائهن ولا إثم. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسلمين أن لا يحتجبن منهم؛ وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فلا يكون قوله ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب إذا سألهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى. فتأويل الكلام إذن: لا إثم

على نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين في إذهبن لآبائهن وترك الحجاب منهن، ولا لآبائهن ولا لإخوانهن ولا لأبناء إخوانهن. وعنى بإخوانهن وأبناء إخوانهن إخوتهن وأبناء إخوتهن. وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتیان، فكذاك جمع أخ إذا جمع إخوان. وأما إذا جمع إخوة، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية، ولا أبناء إخوانهن، ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذرًا من أن يصفهن لآبائهن. وقوله ﴿وَلَا يَسَابِهْنَ﴾ يقول: ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين. كما قال ابن زيد في قوله ﴿وَلَا يَسَابِهْنَ﴾ قال: نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة، قال: وإنما هذا كله في الزينة، قال: ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة. قال: ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل لم أر به بأسا، قال: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل، قال: وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به، قال: والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل، قال: والآخرون يتفاضلون، قال: وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة، قال: وكان أزواج النبي ﷺ لا يحتجبن من المماليك. وقوله ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الرجال والنساء، وقال آخرون: من النساء. وقوله: ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ يقول: وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن، فتبدين من زيتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه، إلا فيما أباح لكن تركه، والزمن طاعته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن، وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركن، يقول: فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله، وهو شاهد عليكم، بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلكن، فإنه شاهد على كل شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبركون على النبي محمد ﷺ. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول: يباركون على النبي. وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعوه ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ يقول: وحيوه تحية الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: أتى رجل النبي ﷺ، فقال: سمعت الله يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: "قل: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه، وركوبهم ما حرم عليهم، وقد قيل: إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير؛ وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله. كما جاء عن عكرمة وغيره وجاء عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٠﴾ قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حبي بن أخطب. وقوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذاباً يهينهم فيه بالخلود فيه. وقوله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كان مجاهد يوجه معنى قوله ﴿يُؤْذُونَ﴾ إلى يقفون. كما جاء عن مجاهد فمعنى الكلام على ما قال مجاهد: والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات. ويعيبونهم طلباً لشينهم ﴿يَغْيِرُ مَا اكْتَسَبُوا﴾ يقول: بغير ما عملوا. وقوله ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ يقول: فقد احتملوا زوراً وكذباً وافية شنيعة، وبهتان: أفحش الكذب، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ يقول: وإثماً يبين لسامعه أنه إثم وزور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠١﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن وجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن؛ لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورءوسهن فلا يبدن منهن إلا عينا واحدة. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلايب ويبدن عينا واحدة. وقال آخرون: بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن. كما جاء أيضا عن ابن عباس، قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ قال: كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يبدن عليهن من جلابيبهن. وإدناء الجلاب: أن تقنع وتشد على جبينها. وقوله ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إدناؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به، ويعلموا أنهن لسن بإماء فيتكبنوا عن أذهن بقول مكروه، أو تعرض برية ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن ﴿رَحِيمًا﴾ بهن أن يعاقبن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب عليهن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٠٢﴾ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴿١٠٣﴾ يقول تعالى ذكره: لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون بالكفر ويظهرون الإيمان ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن عكرمة وقوله ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يقول: وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل. وكان إرجافهم فيما ذكر كالذي جاء عن قتادة قوله ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ الآية، الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه. وقوله ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرقنك بهم. وبنحو الذي

قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: ثم لنفنيهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا من المدة والأجل، حتى تنفيهم عنها فنخرجهم منها. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا ثَقْتِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: مطرودين منفين ﴿أَيْنَمَا ثُقُفُوا﴾ يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله ﷺ معه من ضرباء هؤلاء المنافقين، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سننها في خلقه تغييرا، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ يا محمد ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى هي قائمة؟ قل لهم: إنما علم الساعة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا. قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٣٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ يقول: وأعد لهم في الآخرة نارا تنقد وتسعر ليصليهموها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين في السعير أبدا إلى غير نهاية ﴿لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا﴾ يتولاهم، فيستقدمهم من السعير التي أصلاهموها الله ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ﴿٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا في يوم تقلب وجوههم في النار حالا بعد حال ﴿يَقُولُونَ﴾ وتلك حالهم في النار ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ﴾ في الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ يقول: فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا ﴿وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ يقول: واخزهم خزيا كبيرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقلوبكم ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبًا وباطلاً ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ يقول: وكان موسى عند الله مشفعًا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه. ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أؤذي به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته. وقوله ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولًا قاصدًا غير جائز، حقا غير باطل. وقوله ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيعمل بما أمره به وينتهي عما نهاه ويقل السديد ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُني بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا. وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال: ظلومًا لها يعني الأمانة جهولًا عن حقها. وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. كما جاء عن السدي وغيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستترون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان ﴿وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها ﴿رَحِيمًا﴾ أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة آخر سورة الأحزاب، والله الحمد والمنة.

تفسير سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وأجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء. من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه، يعني بقوله ﴿يَتَلَجَّنَ مَوَالِجًا﴾: يدخلن مداخل ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول: وما يخرج من الأرض ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، وهو الرحيم الغفور، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذبا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيتكم وربِّي، قسما به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها فقال ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾. وعنى بقوله ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ علام ما يغيب عن أبصار الخلق فلا يراه أحد، إما ما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحدا غيره، وإنما وصف جل ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه، وإن كانت جائية فقال لنبه محمد ﷺ: قل للذين كفروا برهم: بلى وربكم لتأتينكم الساعة، ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة. يعني جل ثناؤه بقوله ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له. وبنحو الذي قلنا في ذلك

قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره وقد بينّا ذلك بشواهد في ما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ يعني: زنة ذرة في السماوات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾ منه ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للنظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبت وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١) يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول جل ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة. كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾^(٢) يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب ليعجز المؤمنون ما وصف وليجزى الذين سعوا في آياتنا معاجزين، يقول: وكى يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم، ويعني بالأليم: المومع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ قال: جاهدين ليهبطوها أو يطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣) يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ليعجز الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، فيرى في موضع نصب عطفًا به على قوله: يعجز في قوله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان، فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق. وقيل: عنى بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله ﷺ. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ يقول: ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٤) يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض

بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتاً، عائدون كهيتكم قبل الممات خلقاً جديداً. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجيين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم ذلك: أفتري هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبا، فتخلق عليه بذلك باطلا من القول وتخصر عليه قول الزور ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد ﷺ وظنوا به من أنه افتري على الله كذبا، أو أن به جنه، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ خَشِيفَ بِهِمُ الْأَرْضِ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد ﷺ ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطه بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذراً أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعاً، فإننا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله آية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منا فضلاً وقلنا للجبال ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾: سبحي معه إذا سبح. والتأويل عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن يعمل سابغات: وهي التواء الكوامل من الدروع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: يختلف أهل التأويل في السرد والصواب كما جاء عن قتادة ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: كانت صفائح فأمر أن يسردها حلقاً، وعنى بقوله ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: وقدر المسامير في حلق الدروع حتى

يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضييق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدفقها فتسلسل في الحلقة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد في قوله ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: قدر المسامير والحلق؛ لا تدق المسامير فتسلسل ولا تجلها، قال محمد بن عمرو وقال الحارث: فتفصم. وقوله ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وألك بطاعة الله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول جل ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى عليّ منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحُ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِفْهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وقوله ﴿غَدُوَهَا شَهْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وجاء عن ابن زيد في قوله ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحُ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود. وقوله ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ يقول: وأذنا له عين النحاس، وأجريناها له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره ويتبهي لئله؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان ﴿نَذِفْهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محارِب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد: كُدُمِي العاج في المحارِبِ أو كال... بيض في الروض زهره مُسْتَنِيرٌ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج. كما جاء عن الضحاك وغيره قوله ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب، وهي جمع جابية والجابية: الحوض الذي يجبي فيه الماء كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ يقول: وقُدُورٌ ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمتهن. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه، وترك ذكر: "وقلنا لهم" اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه، وأخرج قوله ﴿شُكْرًا﴾ مصدرًا من قوله ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ﴾ لأن معنى قوله

﴿اعْمَلُوا﴾ اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدى والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾ يقول: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئا عليها فأكلتها، فذلك قول الله عز وجل ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ يقول عز وجل: فلما خر سليمان ساقطاً بانكسار منسأته تبينت الجن ﴿أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ الذي يدعون علمه ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ المذل حولا كاملا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حي. كما جاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيَّ اللَّهِ إِذَا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَهَا مَا اسْمُكَ؟ فَيَقُولُ كَذَا، فَيَقُولُ لَأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَإِنْ كَانَتْ تَغْرُسُ غَرْسًا، وَإِنْ كَانَ لدَوَاءٍ كَتَبْتُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَصْلِي ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكَ؟ قَالَتْ: الْخُرُوبُ، قَالَ: لَأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لَخِرَابِ هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجَنِّ مَوْتِي؛ حَتَّى يَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجَنِّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَفَنَحَّهَا عَصَا فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا حَوْلًا مَيْتًا، وَالْجَنُّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، فَسَقَطَتْ، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجَنِّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ". قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتينا بالماء. وأن في قوله ﴿أَن لَوْ كَانُوا﴾ في موضع رفع بـ"تَبَيَّنَ"، لأن معنى الكلام: فلما خر تبين وانكشف، أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها. وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن. كاذي جاء فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان؟ رجلا كان أو امرأة، أو جبلا أو دواب؟ فقال: "لا كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد؛ فثيمين منهم ستة وتشام منهم أربعة، فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والأزد والأشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبُجيلة، وأما الذين تشاءموا؛ فعاملة وجُذام ولخم وغسان". وقوله ﴿آيَةٌ﴾ قد بينا معناها قبل. وأما قوله ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ فإنه يعني: بستانان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاها وشماله. وكان من صنفهما فيما ذكر لنا ما جاء عن قتادة في قوله ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قال: كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشي بين جبلين، فيمتلىء مكتلها، وما مست يدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها "جُرَذٌ" فنقبت عليهم فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل. وبنحو

الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها. كما جاء عن وهب بن منبه اليماني قال: لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيًا فكذبوهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول. والعرم المسناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة، وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس. كما جاء عن المغيرة بن حكيمة قال: لما ملكت بلقيس، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم، قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها وتركتهم، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، ولا تطيعوني، قالوا: فإننا نطيعك، وإننا لم نجد فينا خيرًا بعدك، فجاءت فأمرت بواديهم، فسد بالعرم. وجاء عن مجاهد في قول الله: ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ قال: شديد، وقيل: إن العرم اسم وادٍ كان لهؤلاء القوم. وقال آخرون: العرم صفة للمسناة التي كانت لهم وليس باسم لها. كما جاء عن ابن عباس قوله ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ يقول: الشديد، وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جُرْدًا ابتعثه الله على سدهم، فثقب فيه ثقبًا. ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم. والذي هو أشبه بالصواب قول من قال: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرب أرضهم وديارهم. كما جاء عن وهب بن منبه وقوله ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والشمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وأما الأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل: إنها السممر. وقوله ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ يقول: ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قال: بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم. وقوله ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا هؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا، و"ذَلِكَ" من قوله ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ﴾ في موضع نصب بموقع جزيناهم عليه، ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا. وقوله ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ معنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله. فإن قال قائل: أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخص أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال: وهل يجازى إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، والمكافأة لأهل

الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جل ثناؤه في هذا الموضع ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ ؟ كأنه قال جل ثناؤه: لا يجازى: لا يكافأ على عمله إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئاً، ولا يمحص شيء منها في الدنيا. وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وجاء عن قتادة ﴿ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ إن الله تعالى إذا أراد بعبد كرامة تقبل حسناته، وإذا أراد بعبد هواناً أمسك عليه ذنوبه حتى يُؤاَفَى به يوم القيامة. قال: وذكر لنا أن رجلاً بينما هو في طريق من طريق المدينة، إذ مرت به امرأة، فأتبعها بصره، حتى أتى على حائط، فشج وجهه، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دمًا، فقال: يا نبي الله فعلت كذا وكذا، فقال له نبي الله: "إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد هواناً أمسك عليه ذنبه حتى يُؤاَفَى به يوم القيامة، كأنه غير أبتَر".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشام، قرى ظاهرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقيل: عُنِيَ بالقرى التي بورك فيها بيت المقدس. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ يعني: قرى متصلة، وهي قرى عَرَبِيَّةٌ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا في قرية ولا يغدون إلا من قرية. وقوله ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياماً آمنين لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا من أحد ظمأً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا يخافون ظمأً ولا جوعاً، وإنما يغدون فيقيلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئاً، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زاداً ولا سقاء مما يُسَطُّ للقوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٩) قال أبو جعفر: تأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشام فلولاً ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطل القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين ﴿إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَرًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي مالك وغيره وقوله ﴿فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وكان ظلمهم إياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السبِّ، فيقال: تفرق القوم أيادي

سبًا، وأيدي سبا إذا تفرقوا وتقطعوا. وقوله ﴿وَمَرَقْنَاَهُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ﴾ يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع. وجاء عن ابن إسحاق، قال: يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنًا، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون؛ فقال لهم: إني قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود، قال: فكانت وادعة بن عمرو، ومن كان منكم ذا هم مدني وأمرد عن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم بارق، ومن كان منكم يريد عيشًا آينًا وحرماً آمناً فليلحق بالأرزين فكانت خزاعة، ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق ببشر ذات النخل فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار، ومن كان يريد خمراً وخميراً وذهباً وحريراً وملكاً وتأميراً فليلحق بكوسى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق، قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانته ذلك، والله أعلم أي ذلك كان، قال: فلما تفرقوا، نزلوا على كهانة عمران بن عامر. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قال أبو جعفر: وذلك أن إبليس قد صدق على كفره بني آدم في ظنه، وصدق عليهم ظنه الذي ظن حين قال: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. وحين قال ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَتِّبَتَهُمْ...﴾ الآية، قال ذلك عدو الله ظناً منه أنه يفعل ذلك لا علماً، فصار ذلك حقاً باتباعهم إياه. فبأي القراءتين قرأ القارىء فمصيب. فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال: ولقد ظن إبليس هؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منّا لهم، ظناً غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ لنعلم حزبنا وأوليائنا ﴿مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾ يقول: من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَفِيظٌ﴾ لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا بأدينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتهم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدرُوا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشراكة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلهاً من كان كذلك. وقوله ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشراكة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوماً، وإما مشاعاً، يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعاً ولا مقسوماً، فكيف يكون من كان هكذا شريكاً لمن له ملك جميع ذلك. وقوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعاً ولا مقسوماً، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعته شافع كائن من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعه، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحداً إلا لمن أذن الله في الشفاعه له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعه لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعماء منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم. فـ "مَنْ" إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾: المشفوع له. وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: حتى إذا جُلِيَ عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي جاء عن الثَّوَالِيسِ بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله أن يُوحِيَ بالأمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً أَوْ قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً خَوْفَ أَمْرِ اللَّهِ فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سَجْدًا فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَائِيلُ فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرَائِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلِّهَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَائِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ: قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ كلهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله". بتأنيده. وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع

فرع لسماعه إذنه، حتى إذا فَرَّعَ عن قلوبهم فجَلَّى عنها، وكشف الفرع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي لا شيء دونه. والعرب تستعمل "فَرَّعَ" في معنيين فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفرع منها: هو مفرَّع، وتقول للجبان الذي يفرع من كل شيء: إنه لمفرَّع، وكذلك تقول للرجل الذي يقضي له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها: هو مغلب، وإذا أريد به هذا المعنى كان غالباً، وتقول للرجل أيضاً الذي هو مغلوب أبداً: مغلب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٠١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصالحاً لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجها منها أقواتكم وأقوات أنعامكم، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله وإنا أَوْ إِيَّاكُمْ أيها القوم لعلى هدى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أَوْ فِي ضَلَالٍ، أَوْ إِيَّاكُمْ على ضلال أَوْ هدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى وإنيكم لفي ضلال مبين. كما جاء عن عكرمة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٠٢﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ١٠٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم، ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل، قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي من الضال ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافيه، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه المحق من المبطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٠٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن الله شريكاً، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٥﴾ يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وذكر لنا نبي الله ﷺ قال: "أنا سابق العرب

وَصُهِبَ سَابِقُ الرُّومِ وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ وَسَلْمَانٌ سَابِقُ فَارَسَ."

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢١ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ٢٢ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ جائيًا، وفي أي وقت هو كائن ﴿إِن كُنْتُمْ﴾ فيما تعدوننا من ذلك ﴿صَادِقِينَ﴾ أنه كائن، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿لَكُمْ﴾ أيها القوم ﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ هو آتيكم ﴿لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ﴾ إذا جاءكم ﴿سَاعَةً﴾ فتنتظروا للتوبة والإجابة ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ قبله بالعذاب لأن الله جعل لكم ذلك أجلًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ٢٣ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مشركي العرب ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ الذي جاءنا به محمد ﷺ ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يتلاومون، يحاور بعضهم بعضًا؛ يقول المستضعفون، كانوا في الدنيا، للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكانا مؤمنين بالله وآياته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَخْنَصَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ ٢٤ يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ فيها فكانوا أتباعًا لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: ﴿أَخْنَصَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ﴾ ومنعناكم من اتباع الحق ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ من عند الله يبين لكم ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ فمنعكم إيثاركهم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٥ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعًا لرؤسائهم في الضلالة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ فيها، فكانوا لهم رؤساء ﴿بَلْ مَكْرُ﴾ كم لنا بـ ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ صدنا عن الهدى ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ﴾ أمثالا وأشباها في العبادة والألوهة، فأضيف إلى الليل والنهار. والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار، على اتساع العرب في الذي قد عُرِفَ معناها فيه من منطقها، من نقل صفة الشيء إلى غيره، فنقول للرجل: يا فلان نهارك صائم وليلك قائم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقد ذكر في تأويله عن سعيد بن جبير ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال: مَرُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وقوله ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ يقول: حين تأمروننا أن نكفر بالله. وقوله ﴿وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ يقول: شركاء كما جاء عن قتادة قوله ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ يقول: وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذي أعده لهم. كما جاء عن قتادة قوله ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وغلّت أيدي الكافرين بالله في

جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، يقول جل ثناؤه: ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثواباً لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما بعثنا إلى أهل قرية نذيراً يندبرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلا قال كبارؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ مِنَ النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيراً لأنبيائنا ورسلاً: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن في الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضياً ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أفعالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ من المعاش والرياش في الدنيا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من خلقه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختباراً لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منا قربة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله كما جاء عن ابن زيد، في قول الله ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين، فمن حمل على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه، وقد يحتمل أن يكون "من" في موضع رفع، فيكون كأنه قيل: وما هو إلا من آمن وعمل صالحاً. وقوله ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ٣٨ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٣٩ يقول تعالى ذكره: والذين يعملون في آياتنا، يعني: في حججنا وإي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفتوتونا بأنفسهم ويعجزوننا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد إن ربي يسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختباراً ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وقوله ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ٤١ يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعاً، ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ ربنا؛ تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ لا نتخذ ولياً دونك ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء ن قتادة وقوله ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ٤٢ يقول تعالى ذكره: فاليوم لا يملك بعضهم لبعض نفعاً ولا ضرراً يبالونكم به، ولا ضرراً ينالونكم به أو تنالونهم به ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ فقد وردتموها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ٤٣ يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات، يقول: واضحات أنهم حق من عندنا ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾ يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمداً، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آبواكم من الأوثان، وبغير دينكم ودين آبائكم ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا إفك، يقول: إلا كذب مفترى: يقول: مخلق متخرص ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يقول جل ثناؤه: وقال الكفار للحق، يعني محمداً ﷺ، لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبياً: هذا سحر مبين،

يقول: ما هذا إلا سحر مبين، بين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد ﷺ لما جاءهم بأياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتباً يدرسونها، يقول: بقرءونها. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، وفُرَادَى فرادى ١ فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى. مَثْنَى يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر قيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد ﷺ جنوناً قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فرداً هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم. وقوله ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ يقول: لأنه ليس بمجنون. وقوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها، وقوله: هو كناية اسم محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعَلٍ على إنذاركم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلاً فتهمونني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لما أخذ منكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَفْذِقُ بِالْحَقِّ عِلَامَ الْغُيُوبِ ۝﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿إِنْ رَبِّي يَفْذِقُ بِالْحَقِّ﴾ وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد ﷺ ﴿عِلَامَ الْغُيُوبِ﴾ يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت

إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وصفت، والنصب فيه جائز؛ لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحى الله ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ يقول: وما ينشئ الباطل خلقاً، والباطل هو فيما فسرهُ أهل التأويل: إبليس ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ يقول: ولا يعيده حياً بعد فناءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره، ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ يقول: وإن استقيت على الحق ﴿فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ يقول: فبوحى الله الذي يوحى إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى. وقوله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد إذ فرغوا. واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية؛ والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغيبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلا يكون ذلك خبراً عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعابنهم حين فرغوا من معابنتهم عذاب الله ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ يقول: فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هرباً، وينجوا من عذابنا. كما جاء عن الضحاك في قوله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: لا هرب. وقوله ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عابنوا عذاب الله: آمناً به، يعني: آمناً بالله وبكتابه ورسوله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره ومعنى ذلك: وقالوا آمنا بالله، في حين لا ينفعهم قيل ذلك، فقال الله ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ أي: وأين لهم التوبة والرجعة، أي: قد بعدت عنهم، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنهم قالوا: ذلك في القيامة فقال الله: أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهب الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة، فبأي القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك. كالذي جاء عن أبي إسحاق عن التميمي قال: قلت لابن عباس: رأيت قول الله ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ قال: يسألون الرد وليس بحين رد. وجاء عن مجاهد قوله ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من

الآخرة إلى الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربه عند نزول العذاب بهم، ومعانيتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: وهم اليوم يقدفون بالغيب محمداً من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمناً به ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ حيثئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فعلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعانيتهم بأسه، كما فعلنا بأشْيَاعِهِمْ على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم. والأشْيَاعُ: جمع شَيْعٍ، وشَيْعٍ: جمع شِيعَةٍ؛ فأشْيَاعُ جمع الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاینوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وأجل الآخرة قبل نزوله بهم، مرِيب يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة.

آخر سورة سبأ والله الحمد والمنة



تفسير سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض، ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. وقوله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أرادته سبحانه وتعالى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلاق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يسطه عليهم ولا يفتحهم لهم، فلا ففتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في نعمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ التي أنعمها ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بفتحها لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فتعبدوه دونه ﴿إِلَّا إِلَهُ الْإِلَهِ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتيح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئًا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضرركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالآلوهة ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ يقول: فأَيُّ

وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضرركم تصرفون. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^٢ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزنك ذلك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفره الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُجَلِّبهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللتنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد ﷺ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك، حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تتراأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيعكم الأمان، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^٣ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه إنما يدعوحزبه، ينعي شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^٤ يقول تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ من الله ﴿شَدِيدٌ﴾ وذلك عذاب النار. وقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الله لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وذلك الجنة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^٥ يقول تعالى ذكره: أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسناً فحسب سىء ذلك حسناً، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهب نفسك

عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ منه، وقوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث ﴿فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجذب الأهل، محل الأرض، دأثر لا نيت فيه ولا زرع ﴿فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبأنا فيها الزرع بعد المحل ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِرُ الله الموتى بعد بلأتهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عبد الله قال: يكون بين النفتختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم إلا وفي الأرض منه شيء، قال: فيرسل الله ماءً من تحت العرش؛ منياً كمني الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ...﴾ إلى قوله ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه فتنتقل كل نفس إلى جسدها فتدخل فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فله العزة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيدة لهم عليها، فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها. وقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاه إلى ما أمر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. وقوله

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَكَرُوا أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن شهر بن حوشب وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقاً ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول: أي تأويل من قال وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمراً طويلاً ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يزداد فيما كتب له ولا ينقص. كما جاء عن ابن عباس، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل. وقوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍرَ لَبَتُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحرين فيستويان؛ أحدهما عذب فرات، والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحماً طرياً، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج، وقد بينا قبل وجه ﴿تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وإنما يستخرج من الملح، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازٍرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار موازير تمخر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدها ماخرة، يقال منه: مَخَرَتْ تَمَخَّرُ وتمَخَّرَ مَخْرًا، وذلك إذا شقت الماء بصدورها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَبَتُّوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معاشكم، ولتصرفوا فيها في تجارتكم، وتشكروا الله على تسخير ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج

النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار. وقوله ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه. وقوله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قلنا أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ قوله ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوها دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولاً متيسراً له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضرركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تنبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة؛ من تبرؤها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم ﴿الْحَمِيدُ﴾ يعني: الم محمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم، لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره ويتنهون عما نهاهم عنه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك. وقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحمل أئمة إثم أخرى غيرها ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يقول تعالى: وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأهم عن الله، فهو لاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم. وقوله ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يشيها به رضا الله، والفوز بجنته، والنجاة من عقابه الذي أعد له لأهل الكفر به. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجرهم، وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمداً وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان ﴿وَلَا الظِّلُّ﴾ قيل: ولا الجنة ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن رؤبة بن العجاج، أنه كان يقول: الحرور بالليل والسموم بالنهار. وأما أبو عبيدة فإنه قال: الحرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس، وأما الفراء فإنه كان يقول: الحرور يكون بالليل والنهار، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار. والقول في ذلك عندي: أن الحرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة: أشبه مع الشمس لأن الظل إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور: الذي يوجد في حال وجود الظل. وقوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتزيله، وواضح حججه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ١١ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ١٢ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ١٣ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٤﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿بَشِيرًا﴾ يقول: مبشراً بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيرًا﴾ تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه ﷺ فيما يلقي من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات، يقول: بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييرهم بهم وحلول عقوبتي بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ١٥ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثاً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها: يقول: فسقيناه أشجاراً في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدها جدة، وقوله ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ يعني: مختلف ألوان الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير، وذلك أن العرب تقول: هو أسود غريب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب. وقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

التأويل. كما جاء عن الضحاك غيره وقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف الله فينتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: وقيموا الصلاة. وقوله ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يقول: وتصدقوا بما أعطيتهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه. وقوله ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام. وقوله ﴿تِجَارَةً﴾ جواب لأول الكلام. وقوله ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل، وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء. كما جاء عن مطرف بن عبد الله وقوله ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسانتهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ اختلاف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان. وقد روي عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك أخبار وإن كان في أسانيدنا نظر مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بينت. عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهم آنس وحشتي وارحم غريبي ويسر لي جليسا صالحا، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك، سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيُصبيه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾. وقوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: سبق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقتصراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب ﴿وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير. وقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ اختلف أهل التأويل في الحزن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم؛ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن. وقوله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن شمر وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣٥﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذين أدخلوا الجنة ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول، والميم إذا ضمت من "المقامة" فهو من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يقام فيه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ﴾ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ يعني باللغوب: العناء والإعياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ٣٧﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها. كما جاء عن قتادة كالذي جاء عن أبي سعيد قال: قال رسول

الله ﷻ: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناسًا، أو كما قال، تُصَيِّبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أو قال: بخطاياهم، فَيَمِيتُهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذْنُ فِي الشَّفَاعَةِ، فُجِّيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ، فَبُتُوا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ" فقال رجل من القوم حينئذ: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية. فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ وقد قيل في موضع آخر ﴿كُلَّمَا حَبَّثَ رِذَانَهُمْ سَعِيرًا؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب. وقوله ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافىء كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسبائتهم التي قدموها في الدنيا. وقوله ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: تعمل بطاعتك ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قبل من معاصيك. وقوله ﴿يَصْطَرِّحُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ حولت تاؤها طاءً لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت. وقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ اختلف أهل التأويل في مبلغ ذلك؛ فقال بعضهم: ذلك أربعون سنة. كما جاء عن مسروق وقال آخرون: بل ذلك ستون سنة. كما جاء عن ابن عباس وأشباه الأقوال بتأويل الآية قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين. وقوله ﴿وَجَاءَكُمُ التَّيْدِيرُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى النذير؛ فقال بعضهم: عنى به محمدًا ﷺ. كما جاء عن ابن زيد وقيل: عنى به الشيب. فتأويل الكلام إذن: أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَذُوقُوا﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستفدوهم من عقابه. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض، فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بالستكم، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفوهم في ديارهم ومسكنهم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضر كفره، لا يضر بذلك غير

نفسه، لأنه المعاقب عليه دون غيره. وقوله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدًا من رحمة الله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراف بي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ وذلك قول بعضهم لبعض ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم ألهتهم من النار، وتقصيصهم من الله ورحمته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لئلا تزولا من أماكنهما ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ يقول: ولو زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يقول: ما أمسكهما أحد سواه. ووضعت "لئن" في قوله ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ في موضع "لو" لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى، ونظير ذلك قوله ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ بمعنى: ولو أرسلنا ريحًا، وكما قال ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى: لو أتيت. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حلِيمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفورًا للذنوب من تاب منهم، وأتاب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَفْسَسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ استكبارًا في الأرض ومكر السيئ ولا يجيئ المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يقول: ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولاً لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني بالنذير محمداً ﷺ، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا. وقوله ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: نفروا

استكبارًا في الأرض وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله، يعني بالذين يمكرونه، وإنما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم. وقال قتادة في قوله ﴿لَا حِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الشرك. وقوله ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نعمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝١١٩﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشام ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلاً لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل ﴿وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وَكُنَّا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبادة الآلهة المكذبون محمداً، فيسبقونا هرباً في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض. وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليماً بخلقهم، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالتهم راجع إلى الهدى آيب، قديراً على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝١٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ يُوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسَ﴾ يقول ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشركاً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

آخر تفسير سورة فاطر والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾^(١) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله ﴿يَس﴾ قال أبو جعفر، وقد بينا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع. وقوله ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبيّنات حججه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مقسماً بوحيه وتنزيله لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام. كما جاء عن قتادة وفي قوله ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وجهان؛ أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق، فيكون حينئذ "على" من قوله ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من صلة الإرسال. والآخر أن يكون خبراً مبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝﴾ قال أبو جعفر: معنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لِئُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾^(٢) اختلف أهل التأويل في تاويل قوله ﴿لِئُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه: لتنذر قومًا بما أنذر الله من قبلهم من آبائهم. كما جاء عن عكرمة وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قومًا ما أنذر آبائهم كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾^(٣) يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تسط بشيء من الخيرات. وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ وقوله ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان والأذقان: جمع ذقن، والذقن: مجمع اللحيين. وقوله ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ والمقمح هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر،

ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد رفع رأسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدًّا، وهو الحاجز بين الشئيين؛ إذا فتح كان من فعل بني آدم، وإذا كان من فعل الله كان بالضم. وبالضم قرأ ذلك قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين. وقرأه بعض المكين وعامة قراء الكوفيين بفتح السين ﴿سَدًّا﴾ في الحرفين كلاهما؛ والضم أعجب القراءتين إليّ في ذلك، وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة. وعنى بقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يقول: فأغشيناهم أبصار هؤلاء أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا يتنبهون به. كما جاء عن قتادة وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة. كما جاء عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾.. إلى قوله ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو، أين هو؟ لا يبصره. وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بالعين بمعنى: أعشيناهم عنه، وذلك أن العشا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١٦ يقول تعالى ذكره: وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم؛ الإنذار، أو ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون؛ لأن الله قد حكم عليهم بذلك. وقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في المألا ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٧ يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿وَأَثَارَهُمْ﴾ يعني: وآثار خطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله ﷺ، ليقرب عليهم. كما جاء عن ابن عباس قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ فقالوا: ثبت في مكاننا. وقوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل ﴿مُبِينٌ﴾ لأنه يبين عن حقيقة

جميع ما أثبت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ١٣ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية، ذكر أنها أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛ فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم. كما جاء عن قتادة ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ قَالَ: ذكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾. وقال آخرون: بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم. وعن وهب بن منبه، قال: كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث، فلما دعت الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقوله ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنین يدعوهم إلى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إِنَّا إِلَيْكُم أيها القوم مرسلون، بأن تخلصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام. وبالتشديد في قوله ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأت القراء سوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف، والقراءة عندنا بالتشديد، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن معناه، إذا شدد: فقولنا، وإذا خفف: فغلبنا، وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ١٥ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُكُمُ الْمُرْسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا، ولو كنتم رسلاً كما تقولون، لكنتم ملائكة ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ﴾ يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ في قبلكم إنكم إلينا مرسلون ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُكُمُ الْمُرْسَلُونَ﴾ يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إِنَّا إِلَيْكُم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وما علينا إلا أن نبليكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغاً يبين لكم أننا أبلغناكموها، فإن قبلتموها حفظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ يعنون: إِنَّا نشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ﴾ يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل:

عني بذلك لئلا نرجعكم بالحجارة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ١١ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ١٢ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ١٣ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب بن منبه وغيره وقوله ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي: إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾. وقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصي الله وآثام، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام. وقوله ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمناً، وكان اسمه فيما ذكر "حبيب بن مري". وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار. كالذي جاء وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية، وكان اسمه "حبيباً" وكان يعمل الجري، وكان رجلاً سقيماً، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً، وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً عياله، ويتصدق بنصف، فلم يهتمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل الرسل، بلغ ذلك: "حبيباً" وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاءوا به أجراً؟ فقالت الرسل: لا فقال لقومه حينئذ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجراً

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ١٤ أَلَا تَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَرْدُنَ الرَّحْمَنَ بُضْرًا لَا تُغْنِي عَنْكَ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ ١٥ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا الرجل المؤمن ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعاً، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده. كما جاء عن وهب بن منبه قال: ناداهم -يعني نادى قومه- بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره، فقال ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَلَا تَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَرْدُنَ الرَّحْمَنَ بُضْرًا لَا تُغْنِي عَنْكَ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ. وقوله ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَرْدُنَ الرَّحْمَنَ بُضْرًا﴾ يعني معبوداً سواه ﴿إِنْ يَرْدُنَ الرَّحْمَنَ بُضْرًا﴾ يقول: إذ مسني الرحمن بضر وشدة ﴿لَا تُغْنِي عَنْكَ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ يقول: لا تغني عني شيئاً بكونها إليّ شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني ﴿وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني. وقوله ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها ﴿إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق. وقوله ﴿إِنِّي آمَنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ فاختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله. كما جاء عن ابن أسحاق وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي لشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأني قد آمنت بكم واتبعتمكم؛ فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه. ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجموه بالحجارة. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات. كما جاء عن وهب وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقية ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فلما دخلها وعين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن مسعود وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٦٩﴾﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴿٦٩﴾ يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني: من بعد مهلكه ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهم وأولى ذلك بتأويل الآية الذي جاء عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: غضب الله له، يعني لهذا المؤمن، لاستضعافهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئا، فعجل لهم النعمة بما استحلوا منه، وقال: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ يقول: ما كثرناهم بالجموع أي الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم تبق منهم باقية. وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم. وقوله ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ يقول: ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم. وقوله ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ يقول: فإذا هم هالكون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلفها في استهزائهم برسل الله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ من الله ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وذكر أن ذلك في بعض القراءات ﴿يَا حَسْرَةً الْعِبَادِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

يَرْجِعُونَ» يقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَنْ كُلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم يهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فناءه، كهيبته قبل مماته إحياءه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجها منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون. وقوله ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و"ما" التي في قوله ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في موضع خفض عطفاً على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت؛ وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْهُ﴾ بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءة مضمرة، لأن العرب تضمرها أحياناً، وتظهرها في صلوات: من، وما، والذي. ولو قيل: "ما" بمعنى المصدر كان مذهباً، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم، ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضاً مذهباً، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا، ومما لا يعلمون أيضاً من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجاً مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلِ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كل ما شاء ﴿اللَّيْلِ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى "منه" في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله ﴿وَأَنْتَ عَلَيْنَهُمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا﴾ أي: خرج منها وتركها، فكَذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل. وقال قتادة في قوله ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ اللَّيْلِ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي، من معنى سلخ النهار من الليل، بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص

من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلم من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار، ولا كل النهار في كل الليل. وقوله ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. كما جاء عن أبي ذر الغفاري، قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ في المسجد، فلما غربت الشمس، قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب فتسجد بين يدي ربها، ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مكانها وذلك مستقرها. وقوله ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقر لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفي عليه خافية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴿٥٠﴾ قال أبو جعفر: تأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتماهيه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم؛ والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيًا إذا قدم ويس، ولا يكاد أن يصاب مستويًا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراه، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارًا لا ليل فيها ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضياءه، فتكون الأوقات كلها ليلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك، إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه. كما جاء عن مجاهد وفي قوله ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ قال: يتطالبان حثيثين يسلم أحدهما من الآخر. كما جاء عن قتادة وغيره وروي عن ابن عباس، قوله ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر، وأن من قوله ﴿أَنْ تُدْرِكَ﴾ في موضع رفع بقوله: ينبغي. وقوله ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَمَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٥١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر. كما جاء عن ابن زيد، في قوله ﴿الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ﴾ قال: الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون:

الذي قد سُحِرَ، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ وربما لم يمتلأ. وقوله ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلاً منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب. ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ وأشبه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر. وقوله ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ يقول: فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يُغيثهم، فينجيهم من الغرق. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه. وقوله ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم يُنْقَذُونَ، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمداً ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نعم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحلّ مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله. وَمَا خَلْفَكُمْ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ يقول تعالى ذكره: وما تجيء هؤلاء المشركين من قریش آية، يعني حجة من حُجَجِ الله، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ. وفي قوله ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وجهان: أحدهما أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذ: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكنكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال، وهذا أولى وجهيه بتأويله. والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربه بالعباد **﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾** أي: الوعد بقيام الساعة **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون **﴿٥٠﴾** يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت الآثار. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاحِصٌ بَصَرُهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْنٌ قَالَ: وَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ، الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعَقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيُدِيمُهَا وَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعَقِ، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعَقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، ثُمَّ يُمَيِّتُ مَنْ بَقِيَ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، بَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَيَسْطُهَا وَيَسْطَحُّهَا، وَيَمْدُهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعَكَاطِي، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، ثُمَّ يَرْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ رَجْرَةً، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبْدَلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْأُولَى مَا كَانَ فِي بَطْنِهَا كَانَ فِي بَطْنِهَا، وَمَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾. وقوله **﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾** يقول تعالى ذكره: فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدا **﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾** يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع إليهم، لأنهم لا يُمهلون بذلك. ولكن يُعجلون بالهلاك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره**

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون **﴿٥١﴾** إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون **﴿٥٢﴾** يقول تعالى ذكره **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهد فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، ويُعنى بهذه النفخة، نفخة البعث. وقوله **﴿إِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾** يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحداها جدث، وفيها لغتان، فأما أهل العالية، فتقوله بالثاء: جدث، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء: جدف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله **﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾** يقول: إلى ربه يخرجون سراعا، والنسلان: الإسراع في المشي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله **﴿قَالُوا يَا وَيْلُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها **﴿يَا وَيْلُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾** وقد قيل: إن

ذلك نومة بين النفختين. كما جاء عن مجاهد وغيره ويعني بقوله ﴿مَنْ مَرَقَدِنَا هَذَا﴾ من أيقظنا من منامنا، وهو من قولهم: بعث فلان ناقته فانبعثت، إذا أثارها فثارت. وقد اختلف أهل التأويل في الذي يقول حينئذ: هذا ما وعد الرحمن، وأشبه الأقوال بالصواب: أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهلاً ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك. وقوله ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقفَ العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظُلَالٍ عَلَى الْأَرْبَابِكِ مُتَكَبِّرُونَ﴾ ٥٦ لَّهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ٥٨ يعني تعالى بقوله ﴿هُمْ﴾ أصحاب الجنة ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ من أهل الجنة في الجنة. وقوله ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكِ مُتَكَبِّرُونَ﴾ والأرباب: هي الجبال فيها السرر والفرش: واحداً أربكة كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَّهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ يقول: ولهم فيها ما يَتَمَنُونَ. وقوله ﴿مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جُرم في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ وَإِنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ يعني بقوله ﴿وَأَمَّا تَزُوا﴾: تميزوا؛ وهي افعلوا، من ماز يميز، فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازاً. كالذي جاء عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا عَنُقٌ مُظْلِمٌ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾.. الآية، إلى قوله ﴿هَذِهِ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فَيَتَمَيَّزُ النَّاسُ وَيَجُتُونَ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ...﴾ الآية". فتأويل الكلام إذن: وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله، فإنكم واردون غير موردكم، داخلون غير مدخلهم. وقول ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه، وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وأمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود، لأبيكم آدم، حسداً منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه، حتى أخرجه وزوجته من الجنة. وقوله ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٢ هَذِهِ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾: ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى

عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: أفلم تكونوا تعلمون تعقلون أيها المشركون، إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله. وقوله ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار. وقوله ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ يعني باليوم: يوم القيامة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: يقول: بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملوا في الدنيا من معاصي الله ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفضاذهم من الرجل اليسرى ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من الآثام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي موسى قال: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربُّه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول أي: رب، وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى، ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتِبِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة. كما جاء عن ابن عباس وجاء عن قتادة، قوله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقاتدة أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له؛ والطمس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غرٌّ، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس. وقوله ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ يقول: فابتدروا الطريق. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ يقول: فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتِبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأفعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم. كما جاء عن الحسن

قوله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم، والمكانة والمكان بمعنى واحد. وقد بينا ذلك فيما مضى قبل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ فتمد له في العمر ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ويعني تعالى ذكره بقوله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أفلا يعقل هؤلاء المشركون قُدرة الله على ما يشاء بمعايتهم ما يعاينون من تصرفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم. وقوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما علمنا محمدا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرا. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي". وقوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر، يعني بقوله ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين، يقول: يبين لمن تدبره بعقل ولب، أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد. كما جاء عن الضحاك قوله ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، الموليين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ يقول: مما خلقنا من الخلق ﴿أَنْعَامًا﴾ وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ يقول: فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضغط. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة ركوب، والركوب بالضم: هو الفعل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ لحومها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨١﴾ يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا، ومن جلودها أكنانا، ومشارب يشربون ألبانها. كما جاء عن قتادة. وقوله ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم

بطاعتي، وإفراد الألوهية والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام. قوله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يقول: طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ۖ فَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا، ولا تدفع عنهم ضرا. وقوله ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ وأين حضورهم إياهم وهذا الذي قاله قتادة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الآلهة ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ﴾ والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرا، ولا تدفع عنهم سوءا، إنما هي أصنام. ﴿أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندا حينئذ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم. وقوله تعالى ﴿فَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئت به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك. وقوله ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوههم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئت به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوههم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بالستهم علانية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۖ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ واختلف في الإنسان الذي عني بقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ فقال بعضهم: عني به أبي بن خلف. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل عني به: العاص بن وائل السهمي. كما جاء عن سعيد وقال آخرون: بل عني به: عبد الله بن أبي. كما جاء عن ابن عباس فتأويل الكلام إذن: أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سويا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار الله إياه أنه مُحْيِي خلقه بعد مماتهم، فيقول: مَنْ يُحْيِي هذه العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقدرة الله على إحيائها. وقوله ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه. وقوله ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ يقول: ومثل لنا شها بقوله ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقا سويا ناطقا، يقول: فلم يفكر في خلقناه، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشرا كهيتهم التي كانوا بها قبل الفناء، يقول الله لنبى محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهذا المشرك القائل لك: من يُحْيِي العظام وهي رميم ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة

ولم تكن شيئاً ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يمت، وكيف يحيي، وكيف يبدىء، وكيف يعيد، لا يخفي عليه شيء من أمر خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(٨٦) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾ يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تُحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رَمَتْ، وإعادتها بشراً سوياً، وخلقاً جديداً، كما بدأها أول مرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ يقول: فإذا أنتم من هذا الشجر توقدون النار؛ وقال ﴿مِنْهُ﴾ والهاء من ذكر الشجر، ولم يقل: منها، والشجر جمع شجرة، لأنه خرج مخرج الثمر والحصى، ولو قيل: منها كان صواباً أيضاً، لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه. ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذي قال ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ على خطأ قوله، وعظيم جهله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ﴾ مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض. يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رَمَتْ وبلّيت؟ وقوله ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعّال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفي عليه خافية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨٨) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٩﴾ يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وكان قتادة يقول في قوله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ قال: هذا مثل إنما أمر. إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، قال: ليس من كلام العرب شيء هو أخف من ذلك، ولا أهون، فأمر الله كذلك. وقوله ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فتنزيه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه. وقوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تردون وتصيرون بعد مماتكم.

آخر تفسير سورة يس والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝۱ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝۲ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝۳﴾ قال أبو جعفر: أَسْم الله تعالى ذكره بالصافات، والزاجرات، والتاليات ذكرًا؛ فأما الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافّة، فالصافات: جَمْعُ جَمْع، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. كما جاء عن مسروق واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿فالزاجرات زجرا﴾ والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتداء القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه. وقوله ﴿فالتاليات ذكرا﴾ يقول: فالقارئات كتابا. واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، فقال بعضهم: هم الملائكة. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون ما جاء عن قتادة ﴿فالتاليات ذكرا﴾ قال: ما يُتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأُمم قبلكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝۴ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝۵ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝۶ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝۷ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝۸ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝۹ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝۱۰﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ والصافات صفا إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العباد، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا. وقوله ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيّم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئا ولا يُعْنِيه. وقوله ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيّم على ذلك ومصّلحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغني بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلوما أن معها المغارب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وحفظا﴾ للسماء الدنيا زينها بزينة الكواكب. والمعنى وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زينها. وقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ قال أبو جعفر وتأويل ذلك كالذي جاء عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمي، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعا؛ قال: فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يُخْطِطْ حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر

حدث ؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال أبو كريب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث. فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع. فإن ظن ظان أنه لما كان في الكلام "إلى"، كان التسمع أولى بالكلام من السمع، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن العرب تقول: سمعت فلانا يقول كذا، وسمعت إلى فلان يقول كذا، وسمعت من فلان. وتأويل الكلام: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملائكة الأعلى، فحذفت "إن" اكتفاء بدلالة الكلام عليها، كما قيل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمَجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بمعنى: أن لا يؤمنوا به؛ ولو كان مكان "لا" أن، لكان فصيحاً، كما قيل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ بمعنى: أن لا تضلوا، وكما قال: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع "لا" في مثل هذا الموضع من الكلام، فتقول: ربطت الفرس لا تَيْقَلِتْ، كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دُحُوراً والدحور: مصدر من قولك: دَحَرْتَهُ أَذَحَرَهُ دَحْرًا ودُحُورًا، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه: اذَحَرَّ عَنْكَ الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة واختلف أهل التأويل في معنى الواصب وأولى التأويلين في ذلك بالصبوب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلاج، وإنما وصفه بالثبات والخلوص كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ يقول: إلا من استرق السمع منهم ﴿فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ يعني: مضيء متوقد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسألهم: أهما أشد خلقاً؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟ وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: "أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ عَدَدْنَا؟". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا، والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميمًا، فتقول: طين لازم وقوله ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا ذُكِّر هؤلاء المشركون حُجَّجَ الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينبوا إلى طاعة الله ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيذكروا. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يقول: وإذا رأوا حُجَّةً من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥) أَيَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد ﷺ: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحرٌ مبين. يقول: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر ﴿أُنْذِرْنَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أَنِنَا لَمَبْعُوثُونَ أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابًا وعظامًا، قد ذهب عنها اللحوم ﴿أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا. وقوله ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ (١٨) يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء: نعم أَنْتُمْ مَبْعُوثُونَ بعد مصيركم ترابًا وعظامًا أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ أَشدَّ الصَّغَرِ؛ من قولهم: صاغر داخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله ﴿فَأِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فَإِنَّمَا هِيَ صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ، وذلك هو النفخ في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يقول: فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المكذبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يقولون: هذا يوم الجزاء والمحاسبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتكرونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وهو: فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عمر بن الخطاب وغيره وقوله ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين والآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجههم إلى طريق الجحيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾: احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه، فقال

بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار. كما جاء عن عبد الله وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم. كما جاء عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أَيُّمَا رَجُلٍ دَعَا رَجُلًا إِلَى شَيْءٍ كَانَ مَوْقُوفًا لَزِمًا بِهِ، لَا يُغَادِرُهُ، وَلَا يُفَارِقُهُ" ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله. وقوله ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن، يتساءلون. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ ٥٨ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٥٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ٦٠ يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الجن للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقرين، وكنتم للأصنام عابدين ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حُجَّة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ٦١ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ٦٢ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٦٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ٦٤ يقول تعالى ذكره: فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدما من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والإنس، قال الله ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أغووا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعا في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٦٥ وَيَقُولُونَ آيُنَا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ٦٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ٦٧﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول: يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون؛ وترك من الكلام قولوا، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره. كما جاء عن السدي وقوله ﴿وَيَقُولُونَ آيُنَا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش، أترك عبادة آلِهتنا لشاعر مجنون يقول: لا اتباع شاعر مجنون، يعنون بذلك نبي الله ﷺ، ونقول: لا إله إلا الله. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ وهذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: شاعر مجنون، كذبوا، ما محمد كما

وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو الله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُحْزَرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾^(١٤) إلا عباد الله المخلصين^(١٥) أولئك لهم رزق معلوم^(١٦) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ الموجه في الآخرة ﴿وَمَا تُحْزَرُونَ﴾ يقول: وما تثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها ﴿إِلَّا﴾ ثواب ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، معاصي الله. وقوله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَاكِهَ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۝ بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۝﴾^(١٧) قوله ﴿فَوَاكِهَ﴾ ردا على الرزق المعلوم تفسيرا له، ولذلك رفعت وقوله ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يعني: في بساتين النعيم ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ يعني: أن بعضهم يقابل بعضا، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقوله ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله ﴿بَيِّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ يعني بالبيضاء: الكأس، ولتأنيث الكأس أثنت البيضاء، ولم يقل أبيض، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: صفراء. كما جاء عن السدي وقوله ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها. وقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يقول: لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال عقولهم: يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربوها كما تذهب بها خمر أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها، وقوله ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ معناه: لا تذهب عقولهم من السكر كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۝ فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝﴾^(١٨) يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، لا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿عِينٌ﴾ يعني بالعين: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيبتها، وهي أحسن ما تكون من العيون. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وجاء عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ قال: "العين: الصَّحَامُ العيون؛ شُفْرُ الحُورَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ". وقوله ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، وأولى الأقوال في ذلك

بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان بياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلد الملبسة الموح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. كما جاء عن أم سلمة "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ﴾ قال: "رَقَّتْهُنَّ كَرَقَّةِ الْجِلْدَةِ الَّتِي رَأَيْتُهَا فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الَّتِي تَلِي الْقَشْرَ وَهِيَ الْغَرْفُ" وقوله ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ ^(٥٤) أَيَدًا مِثْلًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَدِينُونَ ^(٥٣) يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطانا، وهو الذي كان يقول له: ﴿أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث بعد الممات. كما جاء عن مجاهد وجاء عن ابن عباس، قوله ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ قال: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سواء الجحيم ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لَتُرْدِينَ﴾ وقوله ﴿أَنَّا لَمَدِينُونَ﴾ يقول: أنا لمحاسبون ومجزئون بعد مصيرنا عظاما ولحومنا ترابا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ ^(٥٥) فَاطْلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ^(٥٦) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لَتُرْدِينَ ^(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ^(٥٧) يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصدقين بأننا مبعوثون بعد الممات. وقوله ﴿فَاطْلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ يقول: فاطلع في النار فرأه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿فَاطْلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وابن عباس وقوله ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لَتُرْدِينَ﴾ يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ يقول: ولولا أن الله أنعم علي بهديته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ ^(٥٨) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ^(٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(٦٠) لِيُثْلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ^(٦١) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورا منه بما أعطاه فيها أفما نحن بمبتلين إلا مَوْتَنَا

الأولى يقول: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمُعَدَّين يقول: وما نحن بمعدين بعد دخولنا الجنة إن هذا كهو القور العظيم يقول: إن هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا. كما جاء عن قتادة وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نَزَلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٢٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٤) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٢٥) ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالُوتَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٢٦) يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم. وعني بالنزل: الفضل، وفيه لغتان: نزل ونزل؛ يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نزل ونزل. وقوله ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قبحة وسماجته رءوس الشياطين في قبحها. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَالُوتَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لا يكون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالوتون من زقومها بطونهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٢٧) ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ﴾ (٢٨) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ (٢٩) ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبًا، وهو الخلط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيابًا ﴿من حميم﴾ والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أسخن فانتهى حره، وأصله مفعول صرف إلى فاعل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إن مآبهم ومصيرهم إلى الجحيم. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضاللا عن قصد السبيل، غير سالكين مَحَجَّةَ الحق. ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يقول: فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم، ليقنفوا آثارهم وستهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالردة. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٣٢) ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٣٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره: ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومَحَجَّةَ الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرههم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ يقول: فتأمل وتبين كيف كان غيب أمر الذين أنذرتهم أنبيائنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟ وقوله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله؛ واستثنى عباد الله من المنذرين، لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناءهم منهم. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٧٧﴾ يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا... إِلَى قَوْلِهِ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ وقوله ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى، وبيننا اختلاف العلماء في عددهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ يقول: وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء. كالذي جاء عن سمره، عن النبي ﷺ، في قوله ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: "سام وحام ويافث".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَرَّكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٧٨ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ٨٢ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَوَرَّكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ وأبقينا عليه، يعني على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين، يعني: فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ يقول: أمانة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء؛ وقوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا ونجينا وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذرية هُمُ الْبَاقِينَ وأبقينا عليه ثناء في الآخرين ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي﴾ الذين يحسنون فيطيعوننا، ويتتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا. وقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة. وقوله ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أعرفنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٦) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٧﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٨﴾ أَفَبِكُلِّ إِلَهَةٍ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٩﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَإِنْ مِنْ أَشْيَاعِ نُوحٍ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَمِلَّتِهِ وَاللَّهُ لِبَرَاهِيمَ خَلِيلٍ الرَّحْمَنُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إِذْ جَاءَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشَّرِّ، مخلص له التوحيد. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون. وقوله ﴿أَفَبِكُلِّ إِلَهَةٍ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ يقول: أكذباً معبوداً غير الله تريدون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْرَجاً عَنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ يقول: فأَيُّ شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجماً قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مَطْعُونٌ، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾: أي طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه، ليلبغ من أصنامهم الذي يريد. واختلف في وجه قيل إبراهيم لقومه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهو صحيح والصواب في ذلك ما جاء عن أبي هريرة، أن رسول الله قال: "وَلَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثُنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وَقَوْلُهُ فِي سَارَةٍ: هِيَ أُخْتِي". وقوله ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فمال إلى آلتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا؛ وأرى أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلتهم أما أهل التأويل فإنهم فسروه بمعنى فمال. كالذي جاء عن قتادة ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾: أي فمال إلى آلتهم، قال: ذهب. وقوله ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة؛ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو: فقرَّب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما لم يرها تأكل قال لها: ما لكم لا تأكلون، فلم يرها تنطق، فقال لها: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ مستهزئاً بها، وكذلك ذكر أنه فعل بها، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل. وقال قتادة في قوله ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يستنطقهم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فمال على آلهة قومه ضرباً باليمين بفأس في يده يكسرها. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُونَ. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: أقبلوا إليه يَمْشُونَ. كما جاء عن السدي وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون. كما جاء عن ابن زيد عن أبيه وقوله ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه:

تَعْبُدُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ مَا تَنْحَتُونَ بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ. وَقَوْلُهُ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ وَمَا تَعْمَلُونَ. وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ "مَا" بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ حَيْثُذ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ. وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى "الَّذِي"، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ: أَيْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَ مِنْهُ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ الْخَشَبُ وَالنَّحَاسُ وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانُوا يَنْحَتُونَ مِنْهَا أَصْنَامَهُمْ. وَهَذَا الْمَعْنَى الثَّانِي قَصْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قِتَادَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: بِأَيْدِيكُمْ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ١٧ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ١٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ ١٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٠ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ابْنُوا لِإِبْرَاهِيمَ بُيُوتًا؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ بَنَوْا لَهُ بُيُوتًا يَشْبَهُ التَّنُورَ، ثُمَّ نَقَلُوا إِلَيْهِ الْحَطْبَ، وَأَوْقَدُوا عَلَيْهِ ﴿فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ وَالْجَحِيمُ عِنْدَ الْعَرَبِ: جَمْرُ النَّارِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالنَّارُ عَلَى النَّارِ. وَقَوْلُهُ ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ كَيْدًا، وَذَلِكَ مَا كَانُوا أَرَادُوا مِنْ إِحْرَاقِهِ بِالنَّارِ. يَقُولُ اللَّهُ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أَيْ فَجَعَلْنَا قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ يَعْنِي الْأَذْلِينَ حِجَّةً، وَغَلَبْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِم بِالْحِجَّةِ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِمَّا أَرَادُوا بِهِ مِنَ الْكَيْدِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قِتَادَةِ وَقَوْلِهِ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ﴾ يَقُولُ: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا أَفْلَجَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ وَنَجَّاهُ مِنْ كَيْدِهِمْ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ يَقُولُ: إِنِّي مُهَاجِرٌ مِنْ بِلَدَةِ قَوْمِي إِلَى اللَّهِ: أَيْ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِفَارِقِهِمْ، فَمَعْتَزَلُهُمْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَقَوْلُهُ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَهَذَا مَسْأَلَةُ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صَالِحًا؛ يَقُولُ: قَالَ: يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ وَلَدًا يَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَطِيعُونَكَ، وَلَا يَعُصُونَكَ، وَيُصَلِّحُونَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَفْسُدُونَ. كَمَا جَاءَ عَنِ السُّدِّيِّ وَقَالَ: مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَمْ يَقُلْ: صَالِحًا مِنَ الصَّالِحِينَ، اجْتِرَاءً بِمَنْ ذَكَرَ الْمَتْرُوكَ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُنُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ بِمَعْنَى زَاهِدِينَ مِنَ الزَّاهِدِينَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ٢١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ٢٢ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَبَشِّرْنَا إِبْرَاهِيمَ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، يَعْنِي بِغُلَامٍ ذِي حِلْمٍ إِذَا هُوَ كَبِيرٌ، فَمَا فِي طُفُولَتِهِ فِي الْمَهْدِ، فَلَا يُوَصَفُ بِذَلِكَ. وَذَكَرَ أَنَّ الْغُلَامَ الَّذِي بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ. كَمَا جَاءَ عَنْ عِكْرَمَةَ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يَقُولُ: فَلَمَّا بَلَغَ الْغُلَامَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْعَمَلَ، وَهُوَ السَّعْيُ، وَذَلِكَ حِينَ أَطَاقَ مَعُونَتَهُ عَلَى عَمَلِهِ. وَقَوْلُهُ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ لَابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ وَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ نَذَرَ حِينَ بَشَّرْتَهُ الْمَلَائِكَةُ بِإِسْحَاقَ وَلَدًا أَنْ يَجْعَلَهُ إِذَا وَلَدَتْهُ سَارَةَ اللَّهُ ذَبِيحًا؛ فَلَمَّا بَلَغَ إِسْحَاقَ مَعَ أَبِيهِ السَّعْيَ أَرَى إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهُ: أَوْفِ لِلَّهِ بِنَذْرِكَ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ يَقِينٌ، فَلِذَلِكَ مَضَى لَمَّا رَأَى فِي الْمَنَامِ، وَقَالَ لَهُ ابْنُهُ إِسْحَاقَ مَا قَالَ. كَالَّذِي جَاءَ عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: قَالَ جِبْرَائِيلُ لِسَارَةَ: أَبْشِرِي بِوَلَدٍ اسْمُهُ إِسْحَاقُ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، فَضَرَبَتْ جَبْهَتَهَا عَجَبًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ وَ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَلَيْدُ وَآنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ

﴿حَمِيدٌ مُّجِيدٌ﴾ قالت سارة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عودا يابسا، فلواه بين أصابعه، فاهتز أخضر، فقال إبراهيم: هو الله إذن ذبيح؛ فلما كبر إسحاق أتى إبراهيم في النوم، فقيل له: أوف بنذكرك الذي نذرت، إن الله رزقك غلاما من سارة أن تذبحه، فقال لإسحاق: انطلق نقرب قربانا إلى الله، وأخذ سكيننا وجيلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ فقال له إسحاق: يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا يتضح عليها من دمي شيء، فتراه سارة فتحزن، وأسرع مر السكين على حلقه؛ ليكون أهون للموت علي، فإذا أتيت سارة فاقرا عليها مني السلام؛ فأقبل عليه إبراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق، ثم إنه جر السكين على حلقه، فلم تحك السكين، وضرب الله صفيحة من النحاس على حلق إسحاق؛ فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه، وحز من فقاه، فذلك قوله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ يقول: سلما لله الأمر ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ فنودي يا إبراهيم ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بالحق فالتفت فإذا بكيش، فأخذه وخلى عن ابنه، فأكب على ابنه يقبله، وهو يقول: اليوم يا بُنَيَّ وَهَبْتُ لِي؛ فلذلك يقول الله: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر، فجزعرت سارة وقالت: يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني! وقوله ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبيحي. ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ يقول: ستجديني إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: ﴿افعل ما تُؤْمَرُ﴾، ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: افعل الأمر الذي تؤمره، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: "إني أرى في المنام: افعل ما أُمِرْتُ به".

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٣١ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ١٣٢ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٣٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما الله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن أبي صالح وغيره وقوله ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ يقول: وصرعه للجبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. عن مجاهد، في قوله ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ قال: وضع وجهه للأرض، قال: لا تذبحنى وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، ولا تجهز علي، اربط يدي إلى رقبتى ثم ضع وجهي للأرض. وقوله ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وهذا جواب قوله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ ومعنى الكلام: فلما أسلما وتلاه للجبين، ونادينا أن يا إبراهيم؛ وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقيها. ويعني بقوله ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك. وقوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزي الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا. وقوله ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾: يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وقوله ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح. واختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق. كما جاء عن أبي هريرة وابن عباس وطائفة من أهل العلم. وقال آخرون: الذي فدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل. كالذي جاء عن الصنابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخير سقطتم: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم، نذر لله لئن سَهَّلَ عليه أمرها ليزبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: اذِ ابنك بمئة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني. وجاء أنه إسماعيل عن مجاهد وعن بن عباس أيضا وغيرهم. قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بُشِّرَ به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فإذا كان المفدي بالذبح من ابنه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّرَ به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن. وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به. وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلِدَ لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تركة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عن ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى الكعبة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه. اختلف أهل العلم في الذبح الذي فدي به إسحاق، فقال بعضهم: كان كبشا. كما جاء

عن علي بن عباس وغيرهما وقال آخرون: كان الذبح وعلا. كما جاء عن ابن عباس والحسن واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للذبح الذي فدي قال أبو جعفر: ولا قول في ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه، وهو أن يقال: فداه الله بذبح عظيم، وذلك أن الله عم وصفه إياه بالعظم دون تخصيصه، فهو كما عمه به. وقوله ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناء حسنا. وقوله ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون. وقوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا بالإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٥﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَحِظُورُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: وإن إلياس، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران فيما جاء عن ابن إسحاق. وقيل: إنه إدريس كما جاء، عن قتادة، قال: كان يقال: إلياس هو إدريس. وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل. وقوله ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: لمرسل من المرسلين ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ يقول حين قال لقومه في بني إسرائيل: أَلَا تَتَّقُونَ الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله، وإلهًا سواه ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق. وقد اختلف في معنى بَعْلٌ وللعل في كلام العرب أوجه. يقولون لرب الشيء هو بَعْلُهُ، يقال: هذا بَعْلُ هذه الدار، يعني ربُّها؛ ويقولون لزوج المرأة بعلها؛ ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء، ولم يكن سقيا بل هو بعل، وهو العَدْي. وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن يوزا. وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا، ما جاء عن ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ﴿ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله؛ يقول الله لمحمد: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما: يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا، يعدد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله - إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويعمون مملكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل؛ فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه: عبد الأوثان، وصنع ما يصنعون، فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك ﴿أَوْ كَمَا قَالَ﴾ قال محمد بن إسحاق، قال: فذكر لي أنه أوحى إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك، فقال إلياس: اللهم فأمسك عليهم المطر؛ فحبس عنهم ثلاث سنين، حتى

هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر، وجهد الناس جهدا شديدا. وكان إيلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى، شققا على نفسه منهم، وكان حيثما كان وضع له رزق، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت، قالوا: لقد دخل إيلياس هذا المكان فطلبوه، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا. ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضرر، فأوته وأخفت أمره، فدعا إيلياس لابنها، فعُوفِي من الضر الذي كان به، واتبع اليسع غلاما شابا، فيزعمون - والله أعلم - أن أوحى إلى إيلياس: إنك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل، فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال: أي رب دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، قيل له: نعم؛ فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد هلكتم جهدا، وهلك البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، أو كما قال لهم، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحق، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وترعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم، فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فزعمتم، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت؛ فخرجوا بأوثانهم، وما يتقربون به إلى الله من إحداثهم الذي لا يرضى، فدعوها فلم تستجب لهم، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل، ثم قالوا لإيلياس: يا إيلياس إنا قد هلكنا فداع الله لنا، فدعا لهم إيلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب، ثم أدحست ثم أرسل المطر، فأغاثهم، فحيت بلادهم، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا، وأقاموا على أحبب ما كانوا عليه؛ فلما رأى ذلك إيلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريحه منهم، فقبل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركه ولا تهيه؛ فخرج إيلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان في البلد الذي ذكر له في المكان الذي أمر به، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناده اليسع: يا إيلياس، يا إيلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا. وقوله ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يقول: فكذب إيلياس قومه، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا وقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن إيلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحدونا، وأطاعونا، ولم يشركوا بنا شيئا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٦) **إِذْ خَبَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ** (١٣٧) **إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ** (١٣٨) **ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ** (١٣٩) **يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِنْ لَوْطَا الْمُرْسَلِينَ** (١٤٠) **إِذْ خَبَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ** يقول: إذ نجينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحلناه بقومه، فأهلكناهم به.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ يقول: إلا عجوزا في الباقيين، وهي امرأة لوط، وقد ذكرنا خبرها فيما مضى، واختلاف المختلفين في معنى قوله ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾، والصواب من القول في ذلك عندنا. وقد حدثت عن الضحاك ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ يقول: إلا امرأته تخلفت فمسخت حجرا، وكانت تسمى هيشفع. وقوله ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ۖ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ﴾^(١٣٧)
يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمررون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل. كما جاء عن قتادة ﴿وَأَنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ قالوا: نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطئا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط. وقوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أفليس لكم عقول تدبرون بها وتفتكرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۖ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۖ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۖ﴾^(١٣٨) يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ يقول: حين فر إلى الفلك، وهو السفينة، المشحون: وهو المملوء من الحمولة الموقر. كما جاء عن السدي وغيره وقوله ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدحض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذكر عنهم: دحض الله حجته، وهي قليلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ يقول: فابتلعه الحوت؛ وهو افتعل من اللقم. وقوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقول: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يَلْمَ، كما يقال: أصبحت مُحِقًا مُعْطِشًا: أي عندك الحمق والعطش كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ﴾^(١٣٩)
فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۖ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۖ﴾^(١٤٠) يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ﴾ يعني يونس ﴿كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأُنْقِذَهُ وَنَجَّاهُ. وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به، فقال ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك، وقالوا مثل قولنا في معنى قوله ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ كما جاء عن قتادة وجاء عن أبي ضحَر، أن يزيد الرقاشي، حدثه، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى النبي ﷺ: "أَنَّ يُونُسَ النَّبِيَّ حِينَ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ بِالْكَلِمَاتِ حِينَ نَادَاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ

تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ هَذَا صَوْتُ ضَعِيفٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ، قَالَ: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا يَا رَبِّ وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَبْدِي يُوسُفُ، قَالُوا: عَبْدُكَ يُوسُفُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، قَالُوا: يَا رَبِّ أَوَلَا يُرْحَمُ بِمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتُنَجِّيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ". وعن قتادة، قوله ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة. وجاء عن أبي مالك، قال: لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً. وقوله ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ يقول: فقدفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ يقول: وهو كالصبي المنفوس: لحم نبيء. كما جاء عن السدي وقوله ﴿وَأُنَبِّئُكَ عَلَيْهِمْ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبئنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كاللدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك، فهي عند العرب يَقْطِين. كما جاء عن سعيد بن جبيرة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ فَأَمْنُوا فَتَمَتَّنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٥٨﴾ فَاسْتَفْتَيْهِمْ بَرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥٩﴾ يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس، أو يزيدون على مئة ألف. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله ﴿أَوْ﴾: بل يزيدون. وجاء عن سعيد بن جبيرة، في قوله ﴿مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: يزيدون سبعين ألفاً، وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما فرقوا بين النساء وأولادهما، والبهائم وأولادهما، وعرجوا إلى الله، كشف عنهم العذاب، وأمطرت السماء دماً. وإنما عنى بقوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلمهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينوى. كما جاء عن قتادة وقيل: إن يونس أرسل إلى أهل نينوى بعد ما نبذ الحوت بالعراء. كما جاء عن شهر بن حوشب، قال: أنه جبرائيل، يعني يونس، وقال: انطلق إلى أهل نينوى فأندبرهم أن العذاب قد حضرهم؛ قال: ألتمس دابة؛ قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: ألتمس حذاء، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: فغضب فانطلق إلى السفينة فركب؛ فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تؤخر؛ قال: فتساهموا، قال: فسُهم، فجاء الحوت يصبص بذنبه، فنودي الحوت: أيا حوت إنا لم نجعل يونس لك رزقا، إنما جعلناك له حوزا ومسجدا؛ قال: فالتقمة الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيلة، ثم انطلق به حتى مر به على دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى. وقوله ﴿فَأَمْنُوا﴾ يقول: فوحدها الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله. وقوله ﴿فَمَتَّنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ يقول: فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَأَسْتَفْتَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سل يا محمد مشركي قومك من قريش. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿الْبَنَاتِ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: سلهم، وقل لهم: أربي البنات ولكم البنون؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهْمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦٢﴾ يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة

بنات الله خلقي الملائكة وأنا أخلقهم إناثا، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث. وقوله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قيلهم ذلك. كما جاء عن قتادة إن هؤلاء المشركين من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قيلهم ذلك. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٥٢ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٣ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٤ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ١٥٥ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٥٦ يقول تعالى ذكره موبخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: ﴿أَصْطَفَى﴾ الله أيها القوم ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطحوها أحيانا، كما قيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بالقصر ﴿طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ يستفهم بها، ولا يستفهم بها، والمعنى في الحالين واحد، وإذا لم يستفهم في قوله ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ ذهب ألف اصطفي في الوصل، وابتدأ بها بالكسر، وإذا استفهم فتحت وقطعت. وقوله ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يقول: بس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطاه فتنتهوا عن قيله. وقوله ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ يقول: ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون؟ كما جاء عن السدي وغيره وقوله ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ يقول: فاتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٥٨ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦٠ يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا. واختلف أهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى فقال بعضهم: هو أنهم قالوا أعداء الله: إن الله وإبليس أخوان. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله، وقالوا: الجنة: هي الملائكة. كما جاء عن مجاهد وجاء عن قتادة، في قوله ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن، فخرج منهما الملائكة، قال: سبحانه سبح نفسه. وقوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع. وقوله ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة. وقوله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يقول: ولقد علمت الجنة أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته، وخلقهم لجنته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ ١٦٣ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ١٦٤ يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون بالله ﴿وَمَا الْجَحِيمِ﴾

تَعْبُدُونَ» من الآلهة والأوثان ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَاتِنِينَ﴾ يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضللين أحداً ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ﴾ يقول: إلا أحداً سبق في علمي أنه صال الجحيم. وقد قيل: إن معنى ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَاتِنِينَ﴾ بمعنى به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن مسعود وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (٣٦) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (٣٧) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ملائكته: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ لله لعبادته ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ له، يعني بذلك المصلون له. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، وقال به أهل التأويل. كالذي جاء عن عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول قوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿كان مسروق بن الأجدع، يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبي الله ﷺ: "ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ"، فذلك قول الله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ وقوله ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد ﷺ نبياً، ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني كتاباً أنزل من السماء كالنوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ الذين أخلصهم لعبادته، واصطفاهم لجهته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٣﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب، يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا علي ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسولنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج. كما جاء عن قتادة وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة. وقوله ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ (٤٤) وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿٤٥﴾ أَفَعِذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٤٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٤٧﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾: فأعرض عنهم إلى حين. واختلف أهل التأويل في هذا الحين، والقول الذي قاله السدي ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ أي ﴿حتى يوم بدر﴾، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: ﴿أَفَعِذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، وأمر نبيه ﷺ أن يعرض

عليهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتول عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم. وقوله ﴿وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ﴾: وأنظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبي ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وقوله ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به؛ والساحة: هي فناء دار الرجل، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فبئس صباح القوم الذين أُنذِرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ ۖ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ۖ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، واخلهم وقريتهم على ربهم ﴿حَتَّىٰ جِئَ﴾ يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم ﴿وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ﴾ يقول: وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم. وقوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ يقول: رب القوة والبطش ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي عما يكذبون يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان. وقوله ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول: وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فرع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى. كما جاء عن قتادة ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصا دون ما سواه، لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبله، ومن عنده.

آخر تفسير سورة الصافات. والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ص﴾ فقال بعضهم: هو من المصاداة، من صاديت فلانا، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن: أي عارضه به، ومن قال هذا تأويله، فإنه يقرؤه بكسر الدال، لأنه أمر، وكذلك روي عن الحسن. وقال آخرون: هي حرف هجاء. كما جاء عن السدي، وقال آخرون: هو قسم أقسم الله به. كما جاء عن ابن عباس، وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به. كما جاء عن قتادة، وقال آخرون: معنى ذلك: صدق الله. كما جاء عن الضحاك. وقوله ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزل ذكرًا لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عِزَّةٍ وشقاق. واختلف في الذي وقع عليه اسم القسم، والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله ﴿بَلِ﴾ لما دلَّت على التكذيب وحلت محلَّ الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عِزَّةٍ وشقاق. وقوله ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذاب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثِّبْهُمْ﴾ ٣ يقول تعالى ذكره: كثيرا أهلكننا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا ﷺ فيما جاءهم به من عندنا من الحق ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلوكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله ﴿فَنَادَوا﴾ يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعابنوا به عذابه فرارا من عقابه، وهربا من أليم عذابه ﴿وَلَا تَحِثِّبْهُمْ﴾ يقول: وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة. وقوله ﴿مَنْعَاصٍ﴾ مفعول من النوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفر؛ كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةُ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من

قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمدا ﷺ، ساحر كذاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾: أي إن هذا لشيء عجيب. كما جاء عن قتادة وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه، من ذلك، أن رسول الله ﷺ قال لهم: أسألكم أن تجيبوني إلى واحدة تدين لكم بها العرب، وتعطيكم بها الخراج العجم فقالوا: وما هي؟ فقال: "تقولون لا إله إلا الله"، فعند ذلك قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ تعجبا منهم من ذلك. كما جاء عن ابن عباس، قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته؛ فبعث إليه، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؛ قال: فأكثروا عليه القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: "يا عم إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية"، ففرعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عسرا؛ فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: "لا إله إلا الله"؛ قال: فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله ﴿لَمَّا يَدْعُونَكَ﴾ اللفظ لأبي كريب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: أجعل الآلهة إلها واحدا بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. فأن من قوله أن امضوا في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشيا، ومضيا على دينكم. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: "وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ يَمْشُونَ أَنْ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ". وذكر أن قائل ذلك كان عتبة بن أبي معيط. كما جاء عن مجاهد وقوله إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ: أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد بطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك. وقوله مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، قالوا: وهي الملة الآخرة. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل عنوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقيل: إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش، منهم أبو جهل، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي أن أناسا من قريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فيأمره فليكشف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذي يعبد، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا شيء، فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، قال: فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمُرّه فليكشف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه؛ قال: فبعث إليه أبو طالب؛ فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم، وقد سألك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك؛ قال: فقال: "أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟" قال: "والأم تدعوهم؟" قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم؟" قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال: "تقولون لا إله إلا الله". قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، قال: "لو جئتموني بالشمس حتى تصعوها في يدي ما سألتكم غيرها"؛ قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا وأنطلق الملاء منهم أن أمشوا واصرّوا على آلهتكم إن هذا شيء يראء. إلى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه، فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم، فأقبل على عمه فدعاه، فقال: "قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة، تقول: لا إله إلا الله"، فقال: لولا أن تعيكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها، ولكن على ملة الأشياخ؛ قال: فنزلت هذه الآية إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. وقوله ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق: أي كذب اختلقه محمد وتخرّصه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْنَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ ^٨ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ^٩ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به، وليس بأشرف منا حسبا. وقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق، ولكنهم في شك من وحينا إليه، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون، حين لا ينفعهم علمهم ﴿أَمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعني مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما من الله به عليكم من الكرامة، وفصلك به من الرسالة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٥﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزة وشقاق ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإنه لا يُعَاذِنِي وَيُشَاقِنِي من كان في مُلكي وسلطاني. وقوله ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ يقول: وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن كان له مُلك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقدته وتعهدته. واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم: عني بها أبواب السماء. كما جاء عن مجاهد وجاء عن الربيع بن أنس، قال: الأسباب: أدق من الشعر، وأشد من الحديد، وهو بكل مكان، غير أنه لا يرى. وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من جبل أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة أو طريق، أو محجة وغير ذلك. وقوله ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هم ﴿جُنْدٌ﴾ يعني الذين في عزة وشقاق هنالك، يعني: بدر مهزوم. وقوله ﴿هُنَالِكَ﴾ من صلة مهزوم وقوله ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم، فأهلكهم الله بذنوبهم. و"مِنْ" من قوله ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، وما في قوله ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾ صلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٧﴾ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٨﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش، الفاتلين: أجعل الآلهة إلها واحدا، رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد وأشباه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يُلْعَبُ له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد، وتمود وقوم لوط، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا. ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني: وأصحاب الغيضة. كما جاء عن ابن عباس وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى، عن أبي عمرو يقول: الأيكة: الحَرَجة من النبع والسدر، وهو الملتف منه كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحيزة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوک بهم سبيلهم. ﴿إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾ يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ٢٠﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ المشركون بالله من قريش إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعني من فتور ولا انقطاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وجاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهَوَّ وَأَضْعَعُ عَلَى فِيهِ شَاحِصَ بَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ". قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: "قُرْنٌ"، قال: كيف هو؟ قال: "قُرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ

ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: نَفْخَةُ الْفَزَعِ الْأُولَى، وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّلَاثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيُدِيمُهَا وَيُطَوِّلُهَا، فَلَا يَفْتَرُ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ. واختلف أهل التأويل في معنى قوله مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ فقال بعضهم: يعني بذلك: ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. كما جاء عن السدي وقال آخرون: الصيحة في هذا الموضع: العذاب. ومعنى الكلام: ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذابا يهلكهم، لا إفاقة لهم منه. وقوله وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقطّ في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم تعجيل القطّ لهم، وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوهم تعجيل صكاكهم بحفظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجواز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوهم تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ فكان معلوماً بذلك أن مسألتهم ما سألوهم النبي ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله ﷺ أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله عَجِّلْ لَنَا قِطْنًا بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حفظهم من الخير والشر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عِندَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ ١٨ وَالظَّيْرُ مُحْشُورَةٌ ١٩ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ٢٠ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخُطَابَ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قليلهم لك، فإننا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك ستتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا، فاذكرو ذَا الْأَيْدِ؛ ويعني بقوله ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذَا الْقُوَّةِ والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقد ذكر لنا أن داود ﷺ كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر. وقوله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إن داود رَجَّاعٌ لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى. ذكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال. كما جاء عن ابن زيد وغيره وجاء عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: أخبرني هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ:

دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيّني وبينه، فاغتسل، ثم رَشَ ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلو سهنّ سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن ﴿يُسَبِّحَنَّ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وكنت أقول: أين صلاة الإِشْرَاق، ثم قال: بعد هنّ صلاة الإِشْرَاق. وقوله ﴿وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له؛ ذكر أنه ﷺ كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى، فكرهنا إعادته. وكان قتادة يقول في ﴿وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ﴾: مسخرة. وقوله ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ يقول: كل ذلك له مطيع رجّاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكل: كلّ الطير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقال آخرون: معنى ذلك: كل ذلك لله مسبّح. كما جاء عن السدي وقوله ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدد ملكه، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك تعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحضر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحذر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له. وقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بها النبوة. كما جاء عن السدي وقد بينا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيا، إقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذا كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ﴾ ١٥٧ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَتَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَظُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝١٥٨ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهل أتاك يا محمد نبأ الخضم وقيل: إنه عني بالخصم في هذا الموضع ملكان، وخرج في لفظ الواحد، لأنه مصدر مثل الزور والسفر، لا يثنى ولا يجمع؛ وقوله ﴿إِذْ تُسَوِّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ يقول: دخلوا عليه من غير باب المحراب؛ والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه. وقوله ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ فكرر إذ مرتين وكان بعض أهل العربية يقول

في ذلك: قد يكون معناه كالأحد، كقولك: ضربتك إذ دخلت عليّ إذ اجترأت، فيكون الدخول هو الاجترأ، ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب لما، فكأنه قال: إذ تسوّروا المحراب لما دخلوا، قال: وإن شئت جعلت لما في الأول، فإذا كان لما أولاً أو آخرًا، فهي بعد صاحبتهما، كما تقول: أعطيته لما سألني، فالسؤال قبل الإعطاء في تقدّمه وتأخره. وقوله ﴿فَفَزَعَ مِنْهُمْ﴾ يقول القائل: وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان، فإن فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه، فزعه دخولهما كذلك عليه. وقيل: إن فزعه كان منهما، لأنهما دخلا عليه ليلاً في غير وقت نظره بين الناس؛ قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ يقول تعالى ذكره: قال له الخصم: لا تخف يا داود، وذلك لما رآه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر من الكلام منه، وهو مرافع خصمان، وذلك نحن. وإنما جاز ترك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرافع، لأن قوله ﴿خَصْمَانِ﴾ فعل للمتكلم، والعرب تضمّر للمتكلم والمكلم والمخاطب ما يرفع أفعالهما، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما، فيقولون للرجل يخاطبونه: أمطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه: أحسن إليك وتجمل، وإنما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلم، لأنهما حاضران يعرف السامع مراد المتكلم إذا حذف الاسم، وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام، وإن كان جائزاً في غير الاستفهام، فيقال: أجالس راكب؟ فمن ذلك قوله خَصْمَانِ وقوله ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ يقول: وأرشدنا إلى قصد الطريق المستقيم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣﴾ وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له، وذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قُتل امرأة واحدة؛ فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته، فقال له أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ يقول: أخي على ديني. كما جاء عن وهب بن منبه وقوله ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يقول: فقال لي: انزل عنها لي وضمها إليّ. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ يقول: وصار أعز مني في مخاطبته إياي، لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشد مني فقهرني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مسروق وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: قال داود للخصم المتظلم من صاحبه: لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه؛ وهذا مما حذف منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به، ومثله قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ والمعنى: من دعائه بالخير، فلما ألقى الهاء من الدعاء أضيف إلى الخير، وألقي من الخير الباء؛ وإنما كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة، والعرب تفعل ذلك؛ ومنه قول الأعشى: قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشَاةٍ مُحَازِرٍ... حَذَرًا يُقِلُّ بَعِيْنَهُ إِغْفَالَهَا يعني بالشاة: امرأة رجل يحذر الناس عليها؛ وإنما يعني: لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه. وقوله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يقول: وإن

كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ولم يتجاوزوه ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وفي "ما" التي في قوله ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وجهان: أحدهما أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام: والآخر أن تكون اسما، و"هم" صلة لها، بمعنى: وقليل ما تجدهم، كما يقال: قد كنت أحسبك أعقل مما أنت، فتكون أنت صلة لما، والمعنى: كنت أحسب عقلك أكثر مما هو، فتكون "ما" والاسم مصدرا، ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن، لأن من التي تكون للناس وأشباههم، ومحكي عن العرب: قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك، وقد كنت أرى أنه غير ما هو، بمعنى: كنت أراه على غير ما رأيت. وروي عن ابن عباس في قوله ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يقول: وقليل الذين هم. فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس معنى الكلام: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل الذين هم كذلك، بمعنى: الذين لا يبغي بعضهم على بعض، و"ما" على هذا القول بمعنى: من. وقوله ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ﴾ يقول: وعلم داود أنما ابتليناه، كما جاء عن الحسن وغيره والعرب توجه الظن إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان. وقوله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه ﴿وَوَحَّرَ رَاغِبًا﴾ يقول: وخر ساجدا لله ﴿وَأَنَابَ﴾ يقول: ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته. واختلف في سبب البلاء الذي ابتلي به نبي الله داود ﷺ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يُبتلى كالذي ابتلوا، ويُعطى كالذي أعطوا إن هو صبر. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْمَحْرَابَ﴾ قال: إن داود قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم، قال: نعم، قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك؛ فكان ما شاء الله أن يكون، وطال ذلك عليه، فكاد أن ينساه؛ فبينما هو في محرابه، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها، فطار إلى كوة المحراب، فذهب ليأخذها، فطارت، فاطلع من الكوة، فرأى امرأة تغتسل، فنزل نبي الله ﷺ من المحراب، فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها، ففعل، فكان يُصاب أصحابه وينجو، وربما نُصروا، وإن الله عزَّجَلَّ لما رأى الذي وقع فيه داود، أراد أن يستنقذه؛ فبينما داود ذات يوم في محرابه، إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه؛ فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت، وقال: لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يستورون عليّ محرابي، قال له: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ ولم يكن لنا بد من أن تأتيك، فاسمع منا؛ قال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أنثى ﴿وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْحِطَابِ﴾ قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبتش كان أشد مني، فذلك قوله ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْحِطَابِ﴾ قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى جَانِبِهِ﴾.. إلى قوله ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ونسي نفسه ﷺ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنما فتن ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾

رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ» أربعين ليلة، حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله له ملكه. وقال آخرون: بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة، فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب. كالذي جاء عن الحسن: إن داود جَزَّ الدهر أربعة أجزاء: يوما لنسائه، ويوما لعبادته، ويوما لقضاء بني إسرائيل، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه؛ فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك؛ فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكب على التوراة؛ فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، ف وقعت غير بعيد، من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلقتها وحسنها؛ قال: فلما رأت ظله في الأرض، جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضا إعجابا بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأصيب فخطبها فتزوجها. قال: وقال قتادة: بلغنا إنها أم سليمان، قال: فبينما هو في المحراب، إذ تسور الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من بان المحراب، وفزع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.. حتى بلغ ﴿وَلَا تَشْطِطْ﴾: أي لا تمل ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: أي أعدله وخيره ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ وكان لداود تسع وتسعون امرأة ﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: ظلمي وقهرني، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نُجَاجِهِ﴾.. إلى قوله ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ فعلم داود أنما صمد له: أي عني به ذلك ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ قال: وكان في حديث مطر، أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غمرت لك، قال: رب وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحدا؟ قال: إني أقضيك له، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي، وعلمت أنك قد غفرت لي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ فغفروا عنه، وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ يقول: وإن له عندنا للقربة منا يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يقول: مرجع ومقلب ينقلب إليه يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها. كما جاء عن السدي ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ ملكه في الأرض ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ يعني: بالعدل والإنصاف ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين

بضلالك عن سبيل الله. وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ من صلة العذاب الشديد. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ٧ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ٨ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ٩ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عبثا ولهوا، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهي إلى أمرنا ونهيها. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: أي ظنُّ آتانا خلقنا ذلك باطلا ولعبا، ظنُّ الذين كفروا بالله فلم يؤخِّدوه، ولم يعرفوا عظمتهم، وأنه لا ينبغي أن يعْبَثَ، فيتقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلا. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ يعني: من نار جهنم. وقوله ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ يعني: كالكفار المستهكين حرمات الله. وقوله ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبينا محمد ﷺ: وهذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ يقول: ليتدبَّروا حُجَجَ الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به. وقوله ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحجج ما في هذا الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٠ ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِيَّاتُ الْجِيَادُ﴾ ١١ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ١٢ ﴿رَدُّوْهَا عَلَيَّ فُطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ ١٣ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ولدا ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إنه رجع إلى طاعة الله تَوَّابٌ إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُنِيَ به أنه كثير الذكر لله والطاعة. والمسبِّح قد يكون في الصلاة والذكر. وقد بينَّا معنى الأَوَّابِ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته هاهنا. وقوله ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِيَّاتُ الْجِيَادُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنه تَوَّابٌ إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافيات؛ فإذا من صلة أَوَّابِ، والصافيات: جمع الصافن من الخيل، والأثنى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويشني طرف سنبك إحدى رجله، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صَفَنَتِ الْخَيْلُ تَصْفِنُ صَفُونًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وذكر أنها كانت عشرين

فرسا ذوات أجنحة. كما جاء عن ابراهيم التيمي وقوله ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فَلَهِيَ عَنْ الصلوة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حب الخير. ويعني بقوله ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾: أي المال والخيل، أو الخير من المال. كما جاء عن السدي وقوله ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي بن أبي طالب وغيره وقوله ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيت في غميتها. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿رَدُّهَا عَلَيَّ﴾ يقول: رَدُّوا عَلَيَّ الخيل التي عرضت عليّ، فشغلتنني عن الصلاة، فكروها عليّ. كما جاء عن السدي وقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق. واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ﴿جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها﴾ أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ۖ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً شيطانياً متمثلاً بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ سليمان، فرجع إلى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك قوله ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان راجعاً إلى ربه: رَبِّ اسْتَغْفِرْ لِي الَّذِي أَذْنَبْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فلا تعاقبني به ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ لا يسلبنيه أحدكما كما سلبنيه قبل هذه الشيطان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ۚ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۚ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ يعني: رخوة لينة، وهي من الرخاوة. وجاء عن الضحاك يقول في قوله ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فإنه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح، وكل بناء وغواص من الشياطين، فدعا ربه عند توبته واستغفاره، فوهب الله له ما سأل، فتم ملكه. وقوله ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ يقول: حيث أراد. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا له الشياطين سلطانه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقيناه على كرسيه منها يستعملها فيما يشاء من أعماله من بناء وغواص؛

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وعن بقوله ﴿مُغْتَسَلٌ﴾: ما يُغْتَسَلُ به من الماء، يقال منه: هذا مُغْتَسَلٌ، وغسول للذي يُغْتَسَلُ به من الماء. وقوله ﴿وَشَرَابٌ﴾ يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأَوَّلَى الْأَنْبَاءِ ١٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١١﴾﴾^(١١) اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك والصواب من القول عندنا فيه في سورة الأنبياء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فتأويل الكلام: فاغتسل وشرب، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهبنا له أهله، من زوجة وولد ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾ له ورأفة ﴿وَذَكَرَى﴾ يقول: وتذكيرا لأولي العقول، ليعتبروا بها فيتعظوا. وقد جاء عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَيْثٌ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ بِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيُرْوَحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحِمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفْ مَا بِهِ؛ فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَذْرِي مَا تَقُولُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُمِرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعَ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرْ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يُذَكِّرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّي؛ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَاها أَمْسَكَتْ أَمْرَاتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأَوْحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَتَلَقَّتهُ تَنْظُرُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنَ مَا كَانَ؛ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيُّ بَارِكِ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُتَبَلَّى، فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَبَّهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا؟ قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ؛ قَالَ: وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ اللَّقْمَحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ اللَّقْمَحِ، أَفْرَعَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرَقَ حَتَّى فَاضَ". وقوله ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا﴾ يقول: وقلنا لأَيُّوبَ: خذ بيدك ضِعْفًا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرُّطْبَةِ، وكملء الكفِّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق؛ كالذي جاء عن قتادة ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا﴾.. الآية، قال: كانت امرأته قد عَرَضَتْ له بأمر، وأرادها إبليس على شيء، فقال: لو تكلمت بكذا وكذا، وإنما حملها عليها الجزع، فحلف نبي الله: لئن الله شفاه ليجلدنَّها مئة جلدة؛ قال: فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا، والأصل تكملة المئة، فضر بها ضربة واحدة، فأبرَّ نبي الله، وخفف الله عن أمته، والله رحيم. وقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجاع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ١٤﴾ وَأَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿١٦﴾﴾^(١٦) وقوله ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ويعني بالأيدي: القوة، يقول: أهل القوة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني به: أُولَى العقول للحق. كما جاء عن ابن عباس وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا

أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خصصناهم بخاصة: ذكر الدار. اختلف أهل التأويل، في تأويل ذلك وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتثنية أن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة، لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما علي قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة؛ فلمَّا لم تُذكر "في" أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾ وقوله ﴿بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ وقوله ﴿وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾ يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿١١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبه ﷺ: وأذكر يا محمد إسماعيل واليسع وذا الكفل، وما أبلوا في طاعة الله، فتأس بهم، واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته. وقد بينا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. والكفل في كلام العرب: الحظ والجَدَّ. وقوله ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسن مَرَجِعٍ يرجعون إليه في الآخرة، ومَصِيرٍ يصيرون إليه. ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعده من حُسن المآب ما هو، فقال: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿١٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿١٤﴾ قوله تعالى ذكره: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتين إقامة. وقد بينا معنى ذلك بشواهد، وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وجاء عن قتادة، قوله ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قال: سأل عمر كعبا ما عدن؟ قال: يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء وأئمة العدل. وقوله ﴿مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ يعني: مفتحة لهم أبوابها؛ وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلا من الإضافة، كما قيل: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ بمعنى: هي مأواه فإن قال لنا قائل: وما في قوله ﴿مَفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ يقول: متكئين في جنات عدن، على سُرر يدعون فيها بفاكهة، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ﴾ ﴿١٥﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿١٧﴾ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ﴾ يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء

المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إساكنهم جنات عدن ﴿فَاصْرَاتِ الْظَّرْفِ﴾ يعني: نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم. وقوله ﴿أَنْتَرَابٌ﴾ يعني: أسنان واحدة. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة. كما جاء عن السدي وقوله ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكناهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشتتهه فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ يقول: ليس له عنهم انقطاع ولاله فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدا، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونُفِدَ بالإنفاذ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَا بَ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْبَسُ الْمِهَادُ ۖ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۖ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا فَيَنْبَسُ الْقِرَارُ ۖ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿هَذَا﴾: الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جلّ وعزّ الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا، فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ﴾ وهم الذين تمرّدوا على ربهم، فعصوا أمره مع إحسانه إليهم ﴿لَشَرَّ مَا بَ﴾ يقول: لشرّ مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا. كما جاء عن السدي وقوله ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حرّه، وغساق فليذوقوه؛ فالحميم مرفوع بهذا، وقوله ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ معناه التأخير، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يُتبدَأ فيقال: حميم وغساق، بمعنى: منه حميم ومنه غساق. وقوله ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح. وقوله ﴿وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ قال عبد الله بن مسعود، قال: هو الزمهرير. وقال الحسن: ذكر الله العذاب، فذكر السلاسل والأغلال، وما يكون في الدنيا، ثم قال: ﴿وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ قال: وآخر لم ير في الدنيا. وأما قوله ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ فإن معناه: من ضربه، ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي، بمعنى: ما أنت من ضربتي بفتح الشين. وأما الشكّل فإنه من المرأة ما علقت مما تتحسن به، وهو الدلّ أيضا منها. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿أَزْوَاجٌ﴾ يعني: ألوان وأنواع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن الحسن وغيره وقوله ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ يعني تعالى

ذكره بقوله ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة؛ ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم، لا مرحبا بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ فاتصل قول فرعون بقول ملئه، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ ويعني بقولهم: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ لا اتسعت بهم مداخلهم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج، وقرأ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي كانت قبلها. وقوله ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ يقول: قال الفوج واردون جهنم على الطاغين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرحبا بكم: أي لا اتسعت بكم أماكنكم، ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ يعنون: أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان، وصلي النار بإضلالكم إيانا، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله، وتكذيب رسله، حتى ضللنا باتباعكم، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة ﴿فَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾ يقول: فبس المكان يُسْتَقَرُّ فيه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (١٦) وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جل ثناؤه: وقال الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي ورودها، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها. ويعنون بقولهم ﴿هَذَا﴾: العذاب الذي وردناه ﴿فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبعين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (١٧) أَلْتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (١٨) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضُّمُ أَهْلِ النَّارِ (١٩) يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذو وهما: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا﴾ يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجلا ﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ يقول: كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذكر صُهِبًا وَخَبَابًا وَبِلَالًا وَسَلْمَانَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿أَلْتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا﴾ قد بينا فيما مضى قبل، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانا، وتُخرجه على وجه الخبر أحيانا. وهو كالذي جاء عن الضحاك ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا

نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ قال: هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه، فانطلق به وبأصحابه إلى الجنة وذهب بهم إلى النار ف ﴿قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتُخَذُّنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ يقولون: أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم؟. وقوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضاً، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين، فلا تشكوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار. وقوله ﴿تَخَاصُمُ﴾ رد على قوله ﴿لَحَقٌّ﴾ ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ إلى: بل زاغت عنهم. وقال ابن زيد، في قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ قرأ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.. حتى بلغ: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال: وصل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٦١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشري قومك. ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كل شيء، ويعبده كل خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكل ما دونه بقدرته، رب السموات والأرض، يقول: مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق؛ يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئاً، ولا يضر، ولا ينفع. وقوله ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ يقول: العزيز في نعمته من أهل الكفر به، المدعين معه إلهاً غيره، الغفار للذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأنا إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٦٢﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٦٣﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٦٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذبيك فيما جنتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: هذا القرآن خبر عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته. وقوله ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾

يقول لنبیه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحى إلي ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعايته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبیه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحى الله إلي علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين؛ "فإنما" على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحى الله إلى إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى، كانت "أنما" في موضع رفع، لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى: ما يوحى إلي إلا الإنذار. قوله ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: إلا أني نذير لكم مبين لكم إلا إنذاركم. وقيل: إلا أنما أنا، ولم يقل: إلا أنما أنك، والخبر من محمد عن الله، لأن الوحي قول، فصار في معنى الحكاية، كما يقال في الكلام: أخبروني أني مسيء، وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ وقوله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ من صلة قوله ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد ﴿لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ يعني بذلك خلق آدم. وقوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا سويت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، قيل: عني بذلك: ونفخت فيه من قدرتي. كما جاء عن الضحاك وقوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما سوى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه، سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السموات والأرض. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظماً وتكبراً ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجدد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَدَىٰ اسْتَكْبَرْتَ ۖ أَتَكُنُ مِنَ الْغَالِينَ ۖ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٦٦﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾

الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ يقول: أي شيء منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يقول: لخلق يدي؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه. كما جاء عن مجاهد يحدث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان. وقوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ يقول لإبليس: تعظمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكبارا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾ يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه وكنت خيرا لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه، يقول: لم أفعل ذلك استكبارا عليك، ولا لأني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه؛ وهذا تقرير من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا: ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ و ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فقص عليهم تعالى قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطاناً رجيماً، وحقت عليه من الله لعنته، محذّره بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسداً، وتعظماً من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَخْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: ﴿فَأَخْرَجْ مِنْهَا﴾ يعني من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ يقول: فإنك مرجوم بالقوم، مشتموم ملعون. وقوله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ يقول: وإن لك طرد من الجنة ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: رب فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾ يقول: فأخرنى في الأجل، ولا تهلكني ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٢﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلاً لهلاكه. وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزتك: أي بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك لأغويَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ يقول: لأضلن بني آدم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلاله، فلم تجعل لي عليه سبيلاً فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه. كما جاء عن

قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٥) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ جاء عن مجاهد، في قوله ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ يقول الله: أنا الحق، والحق أقول. وجاء عن السدي، في قوله ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ قال: قسم أقسم الله به. وقوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ يقول لإبليس: لَأَمْلَأَنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين. وقوله ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك ﴿أُؤْزَلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجراً، يعني ثواباً وجزاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراه، فتقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ و ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين من قومك: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يقول: إلا تذكير من الله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من الجن والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة. وقوله ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ يقول: ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه، يعني: نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي، وما نهايتها؟ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حد عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه. فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت. وينحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء قال عكرمة: سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حيناً لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يدرك قوله ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ والحين الذي يدرك قوله ﴿تَوْتَى أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ وذلك من حين تُصَرَّم النخلة إلى حين تُطْلَع، وذلك ستة أشهر.

آخر تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ الذي نزلناه عليك يا محمد ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تديره خلقه، لا من غيره، فلا تكوننَّ في شكٍّ من ذلك، ورفع قوله: ﴿تَنْزِيلُ﴾ بقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ وتأويل الكلام: من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب. وجائز رفعه بإضمار هذا، كما قيل: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ غير أن الرفع في قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بما بعده، أحسن من رفع سورة بما بعدها، لأن تنزيل، وإن كان فعلا فإنه إلى المعرفة أقرب، إذ كان مضافا إلى معرفة، فحسن رفعه بما بعده، وليس ذلك بالحسن في "سُورَةٍ"، لأنه نكرة. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب، يعني بالكتاب: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني بالعدل، يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا. وكذلك قال أهل التأويل في معنى الكتاب كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا، كما فعلت عبدة الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن شمر، قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول رب العزة جل وعز: صليت يوم كذا وكذا، ليقال: صلى فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمت يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، تصدقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدق فلان! أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، فما يزال يمحو شيئا بعد شيء حتي تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، أغير الله كنت تعمل". وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا لله العباداة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكة لا من لا يملك منه شيئا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَىٰ، قرينة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجتنا، كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ يقول سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يصلحهم جميعاً جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ مفتر على الله، بتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولداً افتراء عليه، كفار لنعمه، جحوداً لربوبيته. وقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول: لا اختار من خلقه ما يشاء. وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يقول: تنزيهاً لله عن أن يكون له ولد، وعماً أضاف إليه المشركون به من شركهم ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ يقول: هو الذي يعبد كل شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبداً، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأني يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، والقهار لخلقته بقدرته، فكل شيء له متذل، ومن سطوته خاشع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره واصفاً نفسه بصفتهما: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يقول: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ﴿كُلٌّ﴾ ذلك يعني الشمس والقمر ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى أن تكور الشمس، وتتكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني من آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كما قال جل ثناؤه: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يتبدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم

خلقا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم يكسو العظام لحما، ثم يُنشئه خلقا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق. كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن عكرمة ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره وقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعا، ولا يدفع عنها ضرا، ولا يسوق إليكم خيرا، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم. وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يقول جل وعز: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقدرته ما بين لكم الملك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانها لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئا دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق فله الواحد القهار. وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأني تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضرر عنده لكم ولا نفع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ^(٧) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ والصواب من القول في ذلك ما قال الله جل وعز: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب. وقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تومنوا بربكم وتطيعوه يرضى شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يذكر، وإنما ذكر الفعل الدال عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيمانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحت من صالح وسيئ، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه، يقول عز وجل عباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم. وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه محص على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سر أمورهم وعلاقيتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا مسَّ الإنسانُ بلاءٌ في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدة في معيشتة، وجهد وضيق ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك. وقوله: ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ يقول: تائبًا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعًا إلى طاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضرره، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء. والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره: قد خَوَّلَهُ وقوله: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرر ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يعني: شركاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي ولـ "ما" التي في قوله: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي، ويكون معنى الكلام حينئذ: ترك الذي كان يدعو في حال الضر الذي كان به، يعني به الله تعالى ذكره، فتكون "ما" موضوعة عند ذلك موضع "من" كما قيل: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يعني به الله، وكما قيل: ﴿فَانْكَبُوا مَا ظَابَ لَكُمْ مِنَ التَّيْسَاءِ﴾. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر، كان في الهاء التي في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما. والآخر: من ذكر الرب. وقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ يقول: وجعل لله أمثالا وأشباهها. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادا وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فحصل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها. وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيت منيتك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أي إنك من أهل النار الماكثين فيها. وقوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾: وعيد من الله وتهديد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ قوله: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ يعني بالقنوت: الطاعة، وذلك أنه قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾... إلى ﴿كُلُّ لَه قَائِمُونَ﴾ قال: مطيعون. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿أَنْاءَ اللَّيْلِ﴾ يعني: ساعات الليل. كما جاء عن قتادة وقد مضى بياننا عن معنى الأناء بشواهد، وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يقول: يقنت ساجدا أحيانا، وأحيانا قائما، يعني: يطيع، والقنوت عندنا الطاعة، ولذلك نصب قوله: ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ لأن معناه: آمن هو يقنت أناء الليل ساجدا طورا، وقائما طورا، فهما حال من قانت. وقوله: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ يقول: يحذر عذاب الآخرة. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في

طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطون في عشاء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون بسيتها شرا؟ يقول: ما هذان بمساوين. وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهل العقول والحجى، لا أهل الجهل والنقص في العقول.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لعبادي الذين آمنوا: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله، وصدقوا رسوله ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا، وقال "في" من صلة حسنة، وجعل معنى الحسنة: الصحة والعافية. كما جاء عن السدي وقال آخرون "في" من صلة أحسنوا، ومعنى الحسنة: الجنة. وقوله: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبد مفردا له الطاعة، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: يقول: وأمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبريء من كل ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصا له الطاعة، ومفرده بالربوبية. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يعني عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۚ فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكا، ولكني أفرده بالآلوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم. يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصا، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكا، ولكني أفرده بالآلوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غبنوا

أنفسهم، وهلك بعذاب الله أهلوه مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن خسran هؤلاء المشركين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ ١٧﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٨ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ١٩﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كَهَيْئَةِ الظَّلِّ الْمَبْنِيَةِ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ يقول: ومن تحتهم من النار ما يعلمونهم، حتى يصير ما يعلمونهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لَهُمْ: ﴿مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد. وقوله: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجنبوا معاصيه، وتنبوا من كفرهم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة ﴿فَاتَّقُونَ﴾ يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصي، لتنجوا من عذابي وسخطي. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: أي اجتنبوا عبادة كل ما عبد من دون الله من شيء. وقد بينا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهد ذلك، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وذكرنا أنه في هذا الموضع: الشيطان، وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا. كما جاء عن ابن زيد وغيره والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث، ولذلك قيل: أن يعبدوها. وقيل: إنما أنثت لأنها في معنى جماعة. وقوله: ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ يقول: لهم البشري في الدنيا بالجنة في الآخرة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ يقول جل ثناؤه لنبية محمد ﷺ: فبشريا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضر، ولا ينفع. وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: أولو العقول والحجا. وذكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحدوا الله، وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يبعث نبي الله، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا...﴾ الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، نزل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ

يَعْبُدُوهَا ﴿ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ ﴾ وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ لكنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٧٨﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴾: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب، فأنت تنقذه، فاستغنى بقوله: ﴿ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ عن هذا. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: هذا مما يراد به استفهام واحد، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه، فيرد الاستفهام إلى موضعه الذي هو له. وإنما المعنى والله أعلم: أفأنت تنقذ من في النار من حقت عليه كلمة العذاب. قال: ومثله من غير الاستفهام: ﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ فردد "أنكم" مرتين. والمعنى والله أعلم: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم، ومثله قوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونُ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنْهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ وكان بعضهم يستخطي القول الذي حكيناه عن البصريين، ويقول: لا تكون في قوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ كناية عن تقديم، لا يقال: القوم ضربت من قام، يقول: المعنى: ألتجزئة أفأنت تنقذ من في النار منهم. وإنما معنى الكلمة: أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان، فتنقذه من النار بالإيمان؟ لست على ذلك بقادر. وقوله: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار. وقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾ يقول جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين ﴿ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ يقول جل ثناؤه: والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٧٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ وهو المطر ﴿ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول: فأجراه عيوناً في الأرض، وأحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الشعبي وغيره وقوله: ﴿ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ يقول: فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ والحطام: فئات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابساً فئاتاً متكسراً. وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فناءه، كهيئته قبل فناءه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من

بعد موتها الماء، فأنبث بها الزرع المختلف الألوان بقدرته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدق بما فيه. وقيل: ﴿مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت "من" مكان "عن"، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد. وقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ يعني به القرآن ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يقول: يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضاد. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿مَثَانِي﴾ يقول: تشنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن، في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ قال: ثنى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها وقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: تقشعر من سماعه إذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن أصحابه سألوه الحديث. كما جاء عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله لو حدثنا؟ قال: فنزلت: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾. وقوله ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرا جلودهم، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ يعني: توفيق الله إياهم وفقهم له ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده. وقد يتوجه معنى قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى﴾ إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء. وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فما له من هاد، يقول: فما له من موفق له، ومسدد يسدده في اتباعه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٤٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب، فقال بعضهم: هو أن يُرْمَى به في جهنم مكبوا على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفا، ثم يُرْمَى به فيها، فأول ما تمس النار وجهه وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟. وقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يقول: ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم ياكسبهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله. وقوله: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم ﴿فَاَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون: أي لا يعلمون بمجيئه منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦) يقول تعالى ذكره: فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا، لو كانوا يعلمون، يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٧) قُرْآنًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٤٨) يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفا منا لهم وتحذيرا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول: ليتذكروا فينزعروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: جعلنا قرآنا عربيا إذ كانوا عربا، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وخطوته، فينبسوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩) يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سبيء الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلا مسلما لرجل، يقول: ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أحلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية. وقال بن عباس قوله: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: الشركاء المتشاكسون: الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون إلها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة، فضرب الله هذا المثل لهم، وضرب لنفسه مثلا يقول: رجلا سلم لرجل يقول: يعبدون إلها واحدا لا يختلفون فيه. وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثل

هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازع فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفع له عن خطئه، يقول: فأَيُّ هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقلّ تعباً ونصباً؟ كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الشكر الكامل، والحمد التام لله وحده دون كلّ معبود سواه. وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضرباً مثلاً واحداً، فجرى المثل بالتوحيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً إِذْ كَانَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدًا فِي الْآيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۚ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْيُسُوفُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون عند ربكم تختصمون يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحق. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ خطاب جميع عباده، فلم يخص بذلك منهم بعضاً دون بعض، فذلك على عمومته على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلاً في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به. وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَمَنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَعْظَمُ فَرِيَةً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، فَادَّعَى أَنَّهُ وَلَدٌ وَصَاحِبَةٌ، أَوْ أَنَّهُ حَرَمٌ مَا لَمْ يَحْرَمْهُ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ يَقُولُ: وَكَذَبَ بَكِتَابِ اللَّهِ إِذْ أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَابْتَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ رَسُولًا وَأَنْكَرَ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلَيْسَ فِي النَّارِ مَأْوًى وَمَسْكَنٌ لِّمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَامْتَنَعَ مِنْ تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاتَّبَاعَهُ عَلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِمَّا أَتَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۚ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۚ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي جاء بالصدق وصدق به، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عني بقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه. وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ

الْمُتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم. هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذذه أعينهم ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، واثمراً لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾ يقول تعالى ذكره: وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجتروا من السيئات فيها ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول: ويشيهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مما يرضى الله عنهم دون أسوأها. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ﴿١٨٤﴾ قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ قال: بلى، والله ليكفينه الله ويعزه وينصره كما وعده. وقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الآلهة، قال: "بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسقام ليكسر العزى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذر كها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها". وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يضلله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشd، فما له سواه من مرشد ومسدد إلى طريق الحق، وموفق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل بطاعته ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ يقول: ومن يوفقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضل، يقول: فما له من مزيج يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزير في انتقامه من كفره خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقه الله، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفأرىتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يقول: إن أرادني برحمة أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا فقل: حسبي الله

مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي، ويده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٢٥﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكينكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ يقول تعالى ذكره: من يأتيه عذاب يخزيه، ما أتاه من ذلك العذاب، يعني: يذله ويهينه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبياناً للناس بالحق ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليه واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برفيق ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه، فجعل ذلك خبراً نبههم به على عظيم قدرته، فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضاً التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ ذكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحسبها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد بن جبير وغيره وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحسبه لغيرها عن جسمها لعة وعظة لمن تفكر وتدبر، وبياناً له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ٢٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: ﴿قُلْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: ألتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً، ولا يعقلون شيئاً، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالآلوهة، فإن الشفاعة جميعاً له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولاً وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، وشفعكم ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: له سلطان السموات والأرض ومملكها، وما تعبدون أيها المشركون من دونه له، يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئاً. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم. ومعنى الكلام: لله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض، فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والأرض، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضرركم فيها، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم، فإنكم إليه ترجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل لا إله إلا الله، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات. وعنى بقوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت من توحيد الله. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يقول: وإذا ذكر الآلهة التي يدعوها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّحْمُ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٢٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهد أبصار خلقه، وتراه أعينهم ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ﴾ في الدنيا ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم، إذا ذكر من دونك استبشروا بالحق. كما جاء عن السدي قوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ قال: ما غاب عن العباد فهو يعلمه، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: ما عرف العباد وشهدوا، فهو يعلمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا من أموالها وزينتها ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ مضاعفاً، فقبل ذلك منهم عوضاً من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضاً منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذبهم به يومئذ ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحسبون أنه أعدّه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ووجب عليهم حيثنذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله ﷺ في الدنيا يعدهم على كفرهم برهم، فكانوا به يسخرون، إنكارا أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيبا منهم به، وأحاط ذلك بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضر، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا﴾ يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر، بأن أبدلناه بالضرّ رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي يعني على علم من الله بأنني له أهل لشرفي ورضاه بعملتي ﴿عندي﴾ يعني: فيما عندي، كما يقال: أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظنّ وأحسب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي على شرف أعطانيه. وقوله: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنة لهم، يعني بلاء ابتليناهم به، واختبارا اختبرناهم به ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَٰجِهْلِهِمْ﴾، وسوء رأيهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأي سبب أعطوا ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢١) يقول تعالى ذكره: قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناها على علم عندنا ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: الذي من قبل مشركي قريش من الأمم الخالية لرسولها، تكذيبا منهم لهم، واستهزاء بهم. وقوله: ﴿فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حيثنذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم. وقوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ يقول: فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ فخسف الله به وبداره الأرض ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ يقول الله عز وجل ثاؤه: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ كما أصاب الذين من قبلهم بقبلهموها ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ففعل ذلك بهم، فأحل بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) يقول تعالى ذكره: أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كل من سواه، يسبط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجب الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرغبة دون الآلهة والأنداد. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقتيره على من أراد لآيات، يعني: دلالات وعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: يصدقون بالحق، فيقرّون به إذا تبينوه وعلموا حقيقتها أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ جميع المسرفين، فلم يخص به مسرفاً دون مسرف. وأما قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ فإنه يعني: لا تيأسوا من رحمة الله. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٥٤) وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥) يقول تعالى ذكره: وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة، وارجعوا إليه بالطاعة له، واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده، وإفراد الألوهة له، وإخلاص العبادة له. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ من عنده على كفركم به. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ يقول: ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم. وقوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَبِينَ السَّائِرِينَ﴾ (٥٦) يقول تعالى ذكره: وأنبيوا إلى ربكم، وأسلموا له ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ بمعنى لئلا تقول نفس ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، وهو نظير قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ بمعنى: أن لا تميد بكم، فأن، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب. وقوله ﴿يَا حَسْرَتَا﴾ يعني أن تقول: يا ندما. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ لَبِينَ السَّائِرِينَ﴾ يقول: وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما

جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ يقول تعالى ذكره: وأنبؤا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، في أمر الله، وأن لا يقول نفس أخرى: لو أن الله هداني للحق، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعابه ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ تقول لو أن لي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٩ يقول تعالى ذكره مكذبا للقاتل: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وللقاتل: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ما القول كما تقولون ﴿بَلْ قَدْ جَاءَتْكَ﴾ أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين ﴿آيَاتِي﴾ يقول: قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير ﴿فَكَذَّبْتَ﴾ بآياتي ﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عن قبولها واتباعها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بستهم، ويتبع منهاجهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٦٠ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى﴾ يا محمد هؤلاء ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ من قومك فزعموا أن له ولدا، وأن له شريكا، وعبدوا آلهة من دونه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يقول: أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتفاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦١ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ يقول تعالى ذكره: وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، بمفازتهم: يعني بفوزهم، وهي مفعلة منه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التي قلناها في ذلك. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم، ولا هم يحزنون، يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان. وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل، يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٦٣ يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه، واحدا: مقلید. وأما الإقليد: فواحد الأقاليد. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عزَّجَلَّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ١٦ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ١٧ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: ﴿أَفَعَبَّرَ اللَّهُ﴾ أيها الجاهلون بالله ﴿تَأْمُرُوَنِي﴾ أن ﴿أَعْبُدُ﴾ ولا تصلح العبادة لشيء سواه. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد، ليطلنَّ عملك، ولا تنال به ثواباً، ولا تدرِك جزءاً إلا جزءاً من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك، ولتكوننَّ من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحى إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك. ومعنى قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٨ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٩ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان. ونصب اسم الله بقوله ﴿فَاعْبُدْ﴾ وهو بعده، لأنه رد الكلام، ولو نصب بمضمر قبله، إذا كانت العرب تقول: زيد فليقم. وزيدا فليقم. رفعاً ونصباً، الرفع على فلينظر زيد، فليقم، والنصب على انظروا زيداً فليقم. كان صحيحاً جائزاً. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حقَّ عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ كلها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فالخبر عن الأرض مُتَنَاهٍ عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله ﴿قَبْضَتُهُ﴾، ثم استأنف الخبر عن السموات، فقال: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وهي مرفوعة بمطويات. ورؤي عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون: الأرض والسموات جميعاً في يمينه يوم القيامة. وجاء عن عبد الله بن عمر، أنه رأى رسول الله ﷺ، على المنبر يخاطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: "يَأْخُذُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ فَيَجْعَلُهَا فِي كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِمَا كَمَا يَقُولُ الْغُلَامُ بِالْكُرَّةِ: أُنَا اللَّهُ الْوَاحِدُ، أُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ" حتى لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به. وقال آخرون: بل السموات في يمينه، والأرضون في شماله. كما جاء عن ابن عمر وقيل: إن هذه الآية نزلت من أجل يهودي سأل رسول الله ﷺ عن صفة الرب. كما جاء عن سعيد، قال: "أتى رهط من

اليهود نبي الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه، قال: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلما تلاها عليهم النبي ﷺ قالوا: صف لنا ربك، كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول، ثم ساورهم، فأتاه جبريل فقال مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه عنه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله، وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ونفخ إسرافيل في القرن، وقد بينا معنى الصور فيما مضى بشواهد، وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه، والصواب من القول فيه بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: مات، وذلك في النفخة الأولى وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عني الله بالاستثناء في هذه الآية فجاء عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعَقِ، وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَنْفِخْ نَفْخَةَ الْفَرْعِ، فَتَفْرَعُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَسْنَى حِينَ يَقُولُ: ﴿فَتَفْرَعُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قَالَ: "أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمْ اللَّهُ فَرْعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمْنَهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعَقِ، فَيَقُولُ: أَنْفِخْ نَفْخَةَ الصَّعَقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا هُمْ حَامِدُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اسْكُتْ إِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيْتُ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: فَلِمَ مَاتَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَيَمُوتُونَ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَبَقِيْتُ أَنَا، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: أَنْتَ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ، فَمَتَّ لَا تَحْيَ، فَيَمُوتُ". وهذا القول الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ أولى بالصحة، لأن الصعقة في هذا الموضع: الموت. والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك. وإنما عني جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك، وذاق الموت قبل

وقت نفخة الصعق، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك، فذاق الموت من قبل ذلك، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدد له موت آخر في تلك الحال. وقال آخرون في ذلك بالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قال الحسن: يستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت؟ قال قتادة: قد استثنى الله، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته، قال: ذكر لنا أن نبي الله قال: "أتاني ملكٌ فقال: يا مُحَمَّدُ اخترَ نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، فأومأ إليّ أن تَوَاضَعَ، قال: نبياً عبداً، قال فَأُعْطِيتَ خَصْلَتَيْنِ: أَنْ جُعِلْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلَ شَافِعٍ، فَأَرَفَعَ رَأْسِي فَأَجَدُ مُوسَى آخِذاً بِالْعَرْشِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَصْعَقَ بَعْدَ الصَّعْقَةِ الْأُولَى أَمْ لَا؟". وقوله: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم نفخ في الصور نفخة أخرى، والهاء التي في "فيه" من ذكر الصور. كما جاء عن السدي وذكر أن بين النخفتين أربعين سنة. كما جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: "ما بين النَفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أُبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أُبَيْتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أُبَيْتُ، "ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُبَيِّنُونَ كَمَا يَبَيِّنُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنبُلَى، إِلَّا عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". وذكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتر، وتنبت أجساد الناس نبات البقل، ثم ينفخ فيه الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ قال: ذكر لنا أن معاذ بن جبل، سأل نبي الله ﷺ: كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة؟ قال: "يُيَعَّثُونَ جُرْداً مُرداً مُكْحَلِينَ بني ثلاثين سنة". وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتاً قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، يقال: أشرقت الشمس. إذا صفت وأضاءت، وأشرقت: إذا طلعت، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني: كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ يقول: وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله، والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد ﷺ، ويستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله، والشهداء: جمع شهيد، وهذا نظير قول الله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وقيل: عنى بقوله: ﴿الشُّهَدَاءُ﴾: الذين قتلوا في سبيل الله، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأن عقيب قوله: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾، وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَقُضِيَ

بَيِّنُهُم بِالْحَقِّ ﴿٧٥﴾ يقول تعالى ذكره: وقضي بين النبيين وأممها بالحق، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ يقول تعالى ذكره: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمشيب المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء. وقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدّها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزبا حزبا. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ السبعة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ قوامها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يقول: وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا، وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. قالوا: بلى. يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى ذكره: فقول لخزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة على قدر منازلكم فيها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها لا يتقلون عنها إلى غيرها. ﴿فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحده ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ يعني جماعات، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدا على ما قد بينا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دغا ووردا، كما قال الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكر ذلك في أماكنه من هذا الكتاب. كما جاء عن السدي وغيره وجاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قدر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضؤوا منها كأنما أمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعت رءوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، فيقولون: أبشر،

أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلأأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان بن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته! فيستخفها الفرح حتى تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكى على سريره، ويقرأ هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾... الآية. فمعنى الكلام: حتى إذا جاءوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وعنى بقوله ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى. وقوله ﴿طِبْتُمْ﴾ يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم وكان مجاهد يقول في ﴿طِبْتُمْ﴾ قال: كنتم طبيين في طاعة الله. وقوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ يقول وقال الذين سبقوا زمرا ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثا لنا عنهم. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿تَنْبَوُا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ يقول: تتخذ من الجنة بيتا، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن، ويعني بالعرش: السرير. وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يصلون حول عرش الله شكرا له، والعرب تدخل الباء أحيانا في التسيب، وتحذفها أحيانا، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حمد الله، كما قال جل ثناؤه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وقال في موضع آخر: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾. وقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي له الألوهية، وملك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجن وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق. وكان قتادة يقول في ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾... الآية، كلها قال: فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

آخر تفسير سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالبَّاطِلِ لِيُذْجِبُوا بِهِ الْحَقَّ فَآخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيدده. وقوله: ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ يقول جل ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم برهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فنصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنما لم نمهلهم لذلك، ولكن ليلبغ الكتاب أجله، ولتحقق عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك. ثم قَصَّ عَزَّجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قصص الأمم المكذبة

رسَلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وإنه أحلَّ بهم من نعمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعدار رسله إليهم، وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه إعلاماً منه بذلك نبيه، أن سنته في قومه الذين سلخوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نعمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولاً المجادلِكَ بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسَلهم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مَدْيَنَ وأشباههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهمت كل أمة من هذه الأمم المكذبة رسَلها، المتحزبة على أنبيائها، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ يقول: وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل. وقوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي، فكيف كان عقابي إياهم، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومسكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء. كما جاء قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٦) يقول تعالى ذكره: وكما حق على الأمم التي كذبت رسَلها التي قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحل بها عقابي بتكذيبهم رسَلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحق، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٧) يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحفَّ به من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يصلون لرَبهم بحمده وشكره ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يقول: ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقروا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون؛ ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. ويعني بقوله: ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾: وسعت رحمتك وعلمتك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمتك خلقك، ووسعتهم برحمتك. وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يقول: وسلخوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه، وذلك الدخول في الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨) يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده، تقول: يا رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يعني: بساتين إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه. كما جاء عن سعيد، قال: يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة؛ ثم قرأ ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩) يعني تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قيل ملائكته: وقِهِم: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أنوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾ يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم. وبنحو الذي قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال مطرف: وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠) قالوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل بكم من سخط الله عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قد أتينا عليه في سورة البقرة، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، ولكننا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه. كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان. وقال آخرون فيه ما جاء عن السدي، قوله: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في قبورهم، فسلوا أو خوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أحيوا في الآخرة. وقال آخرون في قوله ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ قال: فساهم الفعل، وأخذ عليهم الميثاق، قال: وانترع ضلعا من أضلاع آدم القصرى، فخلق منه حواء، ذكره عن النبي ﷺ، قال: وذلك قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ قال: بث منهما بعد ذلك في الأرحام خلقا كثيرا، وقرأ: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: خلقا بعد ذلك، قال: فلما أخذ عليهم الميثاق، أماتهم ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة، فذلك قول الله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾، وقرأ قول الله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال: يومئذ، وقرأ قول الله: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ وَمِثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّفَقُكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. وقوله: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ يقول: فأقرنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يقول: فهل إلى خروج من النار لنا سبيل، لنرجع إلى الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿٢﴾ وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه؛ وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾، فأفكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾. ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ يقول: وإن يجعل الله شريك تصدقوا من جعل ذلك له ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ يقول: فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ ﴿٣﴾ فأدعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴿٤﴾ يقول تعالى ذكره: الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ﴿وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئا مما دونه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٦﴾ يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات؛ ورفع قوله: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ على الابتداء؛ ولو جاء نصبا على الرد على قوله: فادعوا الله، كان صوابا. ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ يقول: ذو السرير المحيط بما دونه. وقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يقول: ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده. وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع فقال بعضهم: عني به الوحي. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: عني به القرآن والكتاب. كما جاء عن ابن زيد وقال آخرون: عني به النبوة. كما جاء عن السدي وهذه الأقوال متقاربات المعاني، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها. وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يقول: لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله

بإذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم التلاق، وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ يعني بقوله ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعني للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض سائر، ولكنهم بقاع صنف لا أمت فيه ولا عوج. و"هم" من قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ في موضع رفع بما بعده، كقول القائل: فعلت ذلك يوم الحجاج أمير. وقوله: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ أي ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿شَيْءٌ﴾. وكان قتادة يقول في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بحبل ولا مدر. وقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ يعني بذلك: يقول الرب: لمن الملك اليوم؛ وترك ذكر "يقول" استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل. ومعنى الكلام: يقول الرب: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيحيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾ الذي لا مثل له ولا شبيهه ﴿الْقَهَّارِ﴾ لكل شيء سواه بقدرته، الغالب بعزته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٧) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يقول: اليوم يثاب كل عامل بعمله، فيوفي أجر عمله، فعامل الخير يجزي الخير، وعامل الشر يجزي جزاءه. وقوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسنا، ولا حويل على مسيء إثم ذنب لم يعمل به فيعاقب عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول: إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ ذكر أن ذلك اليوم لا يَنْتَصِفُ حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^(٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(١٠) يقول تعالى ذكره لنبه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعني يوم القيامة، أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ يقول تعالى ذكره: إِذِ قُلُوبُ الْعِبَادِ مِنْ مَخَافَةِ عِقَابِ اللَّهِ لَدَى حَنَاجِرِهِمْ قَدْ شَخَصَتْ مِنْ صُدُورِهِمْ، فتعلقت بحلقهم كاطمئنيها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم ١ لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرت قلوبهم؛ يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم

حتى ما يحدث به نفسه، ويضمّره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه والله يَقْضِي بِالْحَقِّ يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خائته الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزّي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحسنى، والذين ردّدوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواجهة الفواحش إذا قدّرت، جزاءها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا يَقول: والأوثان والآلهة التي يعبدونها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئاً، ولا تقدر على شيء، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزّي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئاً، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء. وقوله: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝١٦﴾ يقول تعالى ذكره: أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذبون رسوله من قريش، في البلاد، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً﴾ يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله، وأخذهم بما أجمعوا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واق يقيهم، فيدفعه عنهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٧﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت هؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتفاء إلى طاعته ﴿فَكَفَرُوا﴾ يقول: فانكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يقول: إن الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أرادته، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذّبين رسوله محمداً ﷺ يقول لهم جل ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد ﷺ وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝١٨ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝١٩﴾ يقول تعالى ذكره مُسْلِيًا نبيه محمد ﷺ، عما كان يلقي من مشركي

قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخيرته أنه عليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حادّه وشاقّه، كستته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه، وأهلك عدوه فرعون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: يعني بأدلته. ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي عذر مبين، يقول: وحججه المينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى. ﴿كَذَّابٌ﴾ يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿مَعَهُ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ يقول: واستبقوا نساءهم للخدمة. فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبياً؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمراً من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جوز عن سبيل الحق، وصدّ عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لمثله: ذروني أقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا إني أخاف أن يبدل دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٥٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٥٩﴾ يقول تعالى ذكره: وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء؛ وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة، وقيح ما يأتي

من الأفعال خائفاً، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة. وقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله. وقيله ما قاله. وقال له: ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيلاً لكان حرياً أن يعاجل هذا القاتل له، ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستصح بني إسرائيل، لا اعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً؟ ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكف عما كان هم به في موسى. وقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ يقول: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فإن في موضع نصب لما وصفت. ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك. وتلك البينات من الآيات يده وعصاه. وقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ يقول: وإن يك موسى كاذباً في قيله: إن الله أرسله إليك يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يقول: وإن يك صادقاً في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ يقول: إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحق. وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حق من الإسراف، وقد كان مجتمعاً في فرعون الأمران كلاهما، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله، أنه عم القول بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته أن جاءتنا، قال فرعون ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ يقول: قال فرعون مجيباً لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما رأيكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقلته، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مثل دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٦٦﴾ يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: يا قوم إنني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرّثهم عليه، فيهلككم

كما أهلكهم. وقوله: ﴿مِثْلُ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ﴾ يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم. وقد بينا معنى الداب في ما مضى بشواهد، المغنية عن إعادته، مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملائته: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٣١﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٢﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ بقتلكم موسى إن قتلتموه عقاب الله ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾. وهو كما جاء عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفِرْعَوْنِ، فَفَرَعَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يَدِيمَهَا وَيُطَوِّلَهَا فَلَا يَمُتُّ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوْاقٍ﴾ فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ فَتَكُونُ سَرَابًا، فَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ﴾ فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُرْتَعَةِ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تَكْفًا بِأَهْلِهَا، أَوْ كَالْقَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تَرْجُهُ الْأَرْوَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهَرِهَا، فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حَتَّى تَأْتِيَ الْأَفْطَارَ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ وَيُولِي النَّاسُ مُدْبِرِينَ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾. فعلى هذا التأويل معنى الكلام: يا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضا، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفطاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضا بإنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه. وقوله: ﴿يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ﴾ فتأويله على التأويل الذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله ﷺ: "يَوْمَ يُولُونَ هَارِبِينَ فِي الْأَرْضِ حَذَارَ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ عِنْدَ مُعَايِنَتِهِمْ جَهَنَّمَ". كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يقول: ما لكم من الله مانع يمنعكم، وناصر ينصركم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يقول: ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده، فما له من موفق يوفقه له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ يقول: حتى إذا مات يوسف قلتُم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شك في حقيقة أخبار رسله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ فقلوه "الذين" مردود على "من" في قوله ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾. وتأويل الكلام: كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم باقله، واجترأهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجَجِ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحُجَجِ التي أتتهم بها الرسل؛ و"الذين" إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب رداً على "مَنْ". وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: كبر ذلك الجدل الذي يجادلونه في آيات الله مقتاً عند الله، ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله؛ وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ يقول: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده، ويصدق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ يعني بناء. وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع وقد بينا فيما مضى قبل، أن السبب: هو كل ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك. فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقات كانت تلك الأسباب منها، أو أبواباً، أو منازل، أو غير ذلك. وقوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ رداً على قوله: ﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ وعطفاً به عليه. وقوله: ﴿وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا﴾ يقول: وإنني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد، قبيح عمله، حتى سَوَّلَتْ له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى. وقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسران وذهاب مال وغبن، لأنه ذهب نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيئاً مما أراد، فذلك هو الخسران والتباب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل

فرعون ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ من قوم فرعون لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى. يقول: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرّون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها؛ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾ يقول: ومن عمل بطاعة الله في الدنيا، واستمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقول: يرزقهم الله في الجنة من ثمارها، وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۚ تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ يقول: وتدعونني إلى عمل أهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿تَدْعُونَنِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ يقول: وأشرك بالله في عبادته أو ثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل. وقوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدو له شيء، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضره شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضرر عنده ولا نفع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يقول: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يقول: وإن المشركين بالله المتعدين حدوده، القتل النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع وقد بينا معنى الإسراف فيما مضى قبل بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع. وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا، لأن قائل هذا القول

لفرعون وقومه، إنما قصد فرعون به لكفره، وما كان همّ به من قتل موسى، وكان فرعون عالياً عاتياً في كفر. سفاكاً للدماء التي كان محرّماً عليه سفكها، وكلّ ذلك من الإسراف، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار. وقوله: ﴿وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعل له وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بيايمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ يقول: وحل بآل فرعون ووجب عليهم؛ وعني بآل فرعون في هذا الموضع تبعاه وأهل طاعته من قومه. كما جاء عن السدي وعني بقوله: ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره مبيناً عن سوء العذاب الذي حل بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ إلى أن تقوم الساعة. كما جاء عن السدي وغيره وجاء عن حماد بن محمد الفزاري البلخي، قال: سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال: رحمتك الله، رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا، فوجاً فوحاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً، قال: وفطنتم إلى ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها، وصارت سوداء، فتنبت عليها من الليل رياض بيض، وتنتثر السود، ثم تغدو، ويعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبها في الدنيا؛ فإذا كان يوم القيامة، قال الله ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ستّ مئة ألف مقاتل. وقيل: عني بذلك: أنهم يعرضون على النار تعذيباً لهم غدوًّا وعشيًّا. كما جاء عن قتادة وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا. وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله، وأن يكون كما قال قتادة، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعني به، فلا في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن، وهم أنهم يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتها. وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ معنى الكلام إذن: ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب، فهذا على قراءة من وصل الألف

من ادخلوا ولم يقطع، ومعناه على القراءة الأخرى، ويوم تقوم الساعة يقول الله لملائكته ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ﴾، ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ يقول: وإذ يتخاصمون في النار. وعن ذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعاً على الكفر بالله ﷻ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ اليوم ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ يعنون حظاً فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا، لولا أنتم لكانا في الدنيا مؤمنين، فلم يصيبنا اليوم هذا البلاء؛

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ﴾

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجاً ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ لنا ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ واحداً، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ الذي نحن فيه. وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: خفف عنهم يوماً واحداً. وقوله: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيتكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتبرءوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك. وقوله: ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ يقول جل ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به. وقوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ﴿اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ﴾ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ﴾ يقول القائل: وما معنى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كشعيا ويحيى بن زكريا وأشباههما. ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقه ناجياً بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا وظفارنا بهم، حتى يقهرهم غلبة، ويدلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان

ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتله يحيى، من تسليطنا بختصر عليهم حتى انتصرنا به من قتله له وكننا نصرنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه. وجاء عن السدي قول الله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم. والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حيثئذ: إنا لننصر رسولنا محمدا ﷺ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخير بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه. وعني بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتدرون إن اعتدروا إلا باطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. وقوله: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ يقول: ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۚ هُدًى وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِكْبَارِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾ البيان للحق الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه، كما كذبت قريش محمدا ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلمناهموها، وأنزلنا إليهم ﴿هُدًى﴾ يعني بيانا لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، ﴿وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ يقول: وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها. وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدقك وآمن بك، على من كذبك، وأنكر ما جئته به من عند ربك، وإن وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصل بالشكر منك لربك ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وذلك من زوال الشمس

إلى الليل ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأول.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ يقول: بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذي أتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانى؛ وقد قيل: إن معناه: إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا عِظْمَةٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ تلك العظمة لأن الله مذلهم. كما جاء عن مجاهد وقوله: فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: لا ابتداء السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدق. والبصير الذي يرى بعينه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينه حجج الله، فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء؛ يقول جل ثناؤه: كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يستوي أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون؛ يقول: لو تذكركم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقیمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شك

في مجيئها؛ يقول: فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها. وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ يقول: أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما جاء عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهة لي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ﴾ بمعنى: صاغرين. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وقد قيل: إن معنى قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: إن الذين يستكبرون عن دعائي. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه، فتهدوا من التصرف والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يقول: وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ يقول: إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفة له من الفضل ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُؤَفَّكُونَ﴾ كذلك يُؤَفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴿يُؤَفَّكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالكم ومصالح أموركم، وهو خالقكم وخالق كل شيء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، ﴿فَاتَى تُؤَفَّكُونَ﴾ يقول: فأى وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟. وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُؤَفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ﴾ يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرفكم عن الحق إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون؛ يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محججتهم في الضلال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ الذي له الألوهة خالصة أيها الناس ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ التي أنتم على ظهرها سكان ﴿قَرَارًا﴾ تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم ﴿وَرَزَقَكُمْ

مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴿١٧﴾ يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب. وقوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمفتقطع الحياة غير دائمها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئاً سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندا ولا عدلاً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: الشعر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من ملك وجن وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئاً، ولا تقدر على ضرر ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعاً. وكان جماعة من أهل العلم يأمر من قال: لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تأولوا منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بقيل ذلك. كما جاء عن ابن عباس وغيره العالمين ﴿يقول: وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء، ومالك كل خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء.﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره أمراً نبيه محمداً ﷺ بتنبية مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات. وهي أنه خلق أباكم آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقكم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ بعد أن كنتم نطفة ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ من بطون أمهاتكم صغاراً، ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾، فتتكمّل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم شيوخاً ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ﴾ أن يبلغ الشيخوخة ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى﴾ يقول: ولتبلغوا ميقاتاً مؤقناً لحياتكم، وأجلاً محدوداً لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك، وتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٨﴾ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يقول قل لهم: ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته و ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ يعني للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجوداً بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة. وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرِفُونَ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته ﴿أَنَّىٰ يَصْرِفُونَ﴾ يقول: أي وجه يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ إذ

الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسَجَّوْنَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرِفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ؟ وَالَّذِينَ "الذين" الثانية في موضع خفض ردًا لها على "الذين" الأولى على وجه النعت وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا يَقُولُ: وَكَذَّبُوا أَيْضًا مَعَ تَكْذِيبِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَالْبِرَاءَةِ مِمَّا يَعْبُدُ دُونَهُ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَقَوْلُهُ: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: فَسَوْفَ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ، الْمَكْذِبُونَ بِالْكِتَابِ حَقِيقَةً مَا تَخْبِرُهُمْ بِهِ يَا مُحَمَّدٌ، وَصَحَّةَ مَا هُمْ بِهِ الْيَوْمَ مَكْذِبُونَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، حِينَ تَجْعَلُ الْأَعْلَالِ وَالسَّلَاسِلَ فِي أَعْنَاقِهِمْ فِي جَهَنَّمَ. وَقَوْلُهُ: يُسَجَّوْنَ يَقُولُ: يَسْحَبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْكِتَابِ زَبَانِيَةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحَمِيمِ، وَهُوَ مَا قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ، وَبَلَغَ غَايَتُهُ. وَقَوْلُهُ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ يَقُولُ: ثُمَّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَحْرَقُونَ، يَقُولُ: تَسْجَرُ بِهَا جَهَنَّمَ: أَيْ تَوْقِدُ بِهِمْ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَوْلُهُ: ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ: ثُمَّ قِيلَ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِكُمْ إِيَّاهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَوْثَانِكُمْ حَتَّى يَغِيثُكُمْ فَيَنْقِذُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْعَذَابِ، فَإِنَّ الْمَعْبُودَ يَغِيثُ مَنْ عَبَدَ وَخَدَمَهُ؛ وَإِنَّمَا يُقَالُ هَذَا لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَقْرِيعًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ، فَأُجَابَ الْمَسَاكِينِ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالُوا: ضَلُّوا عَنَّا؛ يَقُولُ: عَدَلُوا عَنَّا، فَأَخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِنَا، وَتَرَكُونَا فِي هَذَا الْبَلَاءِ، بَلْ مَا ضَلُّوا عَنَّا، وَلَكِنَّا لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا: أَيْ لَمْ نَكُنْ نَعْبُدُ شَيْئًا؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ يَقُولُ: كَمَا أَضَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ضَلَّ عَنْهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَوْثَانِ آلِهَتِهِمْ وَأَوْثَانِهِمْ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ عَنْهُ، وَعَنْ رَحْمَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَلَا يَرْحَمُهُمْ فَيَنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، وَلَا يَغِيثُهُمْ فَيَخَفُّ عَنْهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبناكم العذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأشر والبطر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم ﴿فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحده، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يجادلُك به هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْكَ، وَعَلَى تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مَنْجِزٌ لَكَ فِيهِمْ مَا وَعَدَكَ مِنَ الظُّفْرِ عَلَيْهِمْ، وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِمْ، وَإِحْلَالِ الْعِقَابِ بِهِمْ، كَسْتَنَّا فِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَمَنْ كَذَّبَهُ ﴿فَإِمَّا

نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» يقول جل ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم ﴿أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨) يقول تعالى ذكره لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يا محمد ﴿رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى أممها ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ نبأهم. وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن الله له بذلك، فيأتيهم بها؛ يقول جل ثناؤه لنبينا: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ يعني بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٨٠) وَرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ﴾ الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ من الإبل والبقر والغنم والخيول، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني: الخيل والحمير ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم. وقال: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ ومعناه: لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف. وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين. وقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشق أنفسكم، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) يقول تعالى ذكره: أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشام واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبي

تكذيبهم ﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا، وأقوى قوة، وأبقى في الأرض آثارا، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع. وكان مجاهد يقول في ﴿وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ المشي بأرجلهم. ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا، لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت في الجبال، ولم يدفع عنهم ذلك شيئا. ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ فأى شيء أغني عنهم؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات، يعني: بالواضحات من حجج عز وجل ﴿فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نبعث، ولن يعذبنا الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: وحق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما رأت هذه الأمم المكذبة رسلها بأسنا، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم. كما جاء عن السدي وقوله ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ يقول: قالوا: أقرنا بتوحيد الله، وصدقنا أنه لا إله غيره ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معارضة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاربتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون برهبهم الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم

آخر تفسير سورة حم المؤمن والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٣﴾ قال أبو جعفر: قد تقدم القول منا فيما مضى قبل في معنى ﴿حَمْدٌ﴾ والقول في هذا الموضع كالقول في ذلك. وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزل على نبيه محمد ﷺ ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ يقول: كتاب بينت آياته. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فُصِّلَتْ آيَاتُهُ هكذا. وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: فُصِّلَتْ آيَاتُ هذا الكتاب قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون اللسان العربي. بشيرا لهم يشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ يقول ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في أجل الآخرة. وقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا، وهم قوم رسول الله ﷺ. يقول: فهم لا يصغون له فيسمعه إعراضا عنه واستكبارا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ٤﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبي الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ﴾ يقول: في أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا﴾ يا محمد ﴿إِلَيْهِ﴾ من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ وهو الثقل، لا نسمع ما تدعوننا إليه استقئالا لما يدعو إليه وكرهه له. وقد مضى البيان قبل عن معاني هذه الأحرف بشواهد، وذكر ما قال أهل التأويل فيه، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع. وقد جاء عن مجاهد، في قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ﴾ قال: عليها أغطية كالجعبة للنبيل. وقوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، ف يرى بعضنا بعضا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد ﷺ عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبي الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين. وأدخلت "من" في قوله ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ والمعنى: وبيننا وبينك حجاب، تأكيد للكلام.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ٥﴾ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧﴾ يقول تعالى

ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بملك ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ يوحى الله إلى أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد. ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان. يقول: وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم. وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة. اختلف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ دليلا على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي اتباع الله قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال. وقوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد ثلاثهم وفنائهم منكرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٨ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهاوا عما نهاهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه. وقد اختلف في تأويل ذلك أهل التأويل، وقد بيناه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد جاء عن السدي ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال بعضهم: غير منقوص. وقال بعضهم: غير ممنون عليهم. وقوله: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين؛ وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ وقالته العلماء، وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل، ونذكر بعض ما لم نذكره قبل إن شاء الله. كما جاء عن ابن عباس، قال هناد: قرأت سائر الحديث على أبي بكر "أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض، قال: "خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة، ثم قال: أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِمَنْ سَأَلَ. قَالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَميسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمَلَائِكَةَ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَجَالِ حِينَ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَى الْأَفْءَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ أَدَمَ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بالسُّجُودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ" قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ"، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح؛ فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا، فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴿١٠﴾. وقد قيل غير ذلك. وذلك ما جاء عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: "خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْإِحْدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ خَلْقٍ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ". وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذا، وهم الأكفء من الرجال طيعونهم في معاصي الله، وقد بينا معنى الندّ بشواهد فيما مضى قبل. وقوله: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له ند؟! هل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء ندًا لمالكة القادر عليه؟.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ۖ ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اإِثْنَيْنِ ظُوعًا أَوْ كَرِهًا قَالْتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض من فوقها، يعني: من فوق الأرض على ظهرها. وقوله: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها. وقد ذكر عن السدي: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ قال: أنبت شجرها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخص جُلَّ ثنائه بقوله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أنه قدر فيها قوتا دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرف في البلاد لما خص به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن البحر من المأكَل والحلي، ولا قول في ذلك أصح مما قال جُلَّ ثنائه: قدر في الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة. وقال جُلَّ ثنائه: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ لما ذكرنا قبل من الخبر الذي روي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها من الأشجار والماء والمداين والعمران والخراب في أربعة أيام، أولهنَّ يوم الأحد، وآخرهنَّ يوم الأربعاء. وقوله: ﴿سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ۖ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، والصواب قدر فيها أقواتها سواء لسانليها على ما بهم إليه الحاجة، وعلى ما يصلحهم. وعن ابن عباس، في قوله ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اإِثْنَيْنِ ظُوعًا أَوْ كَرِهًا قَالْتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ قال: قال الله للسموات: أطلعي شمسي وقمري، وأطلعي نجمي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، فقالتا: أعطينا طائعين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ففرغ من خلقهنَّ سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة. كما جاء عن السدي وقوله: وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا يقول

تعالى ذكره: وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا لِيَكُمُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ وَهِيَ الْمَصَابِيحُ. كما جاء عن السدي وقوله: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نعمته من أعدائه، العليم بسرائر عبادهم وعلائقهم، وتديرهم على ما فيه صلاحهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ. وقوله: وَأَنْذَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ صَاعِقَةً تَهْلِكُكُمْ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ. وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة: كُلُّ مَا أَفْسَدَ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ عَنْ هَيْئَتِهِ. وقيل في هذا الموضع عنى بها وقعة من الله وعذاب. كما جاء عن قتادة، في قوله: ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ قال: يقول: أَنْذَرْتُكُمْ وَاقِعَةً عَادٍ وَثَمُودَ، قال: عذاب مثل عذاب عاد وثمود. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقول: فَقُلْ: أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ الَّتِي أَهْلَكْتَهُمْ، إِذْ جَاءَتْ عَادًا وَثَمُودَ الرُّسُلَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ؛ فَقَوْلُهُ "إِذْ" مِنْ صِلَةِ صَاعِقَةٍ. وعنى بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الرُّسُلَ الَّتِي أَتَتْ آبَاءَ الَّذِينَ هَلَكُوا بِالصَّاعِقَةِ مِنْ هَاتَيْنِ الْأُمَمِينَ. وعنى بقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مَنْ خَلَفَ الرُّسُلَ الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَى آبَائِهِمْ رُسُلًا إِلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَى عَادٍ هُودًا، فَكَذَّبُوهُ مِنْ بَعْدِ رُسُلٍ قَدْ كَانَتْ تَقْدِمُهُ إِلَى آبَائِهِمْ أَيْضًا، فَكَذَّبُوهُمْ، فَأَهْلَكُوا. وَبَنُو الَّذِينَ قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ بِأَنَّ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالُوا: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً يَقُولُ جَل ثناؤه: فَقَالُوا لِرُسُلِهِمْ إِذْ دَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا أَنْ نُوْحِدَهُ، وَلَا نَعْبُدَ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ، لَأَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ رُسُلًا بِمَا تَدْعُونَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَرْسَلْكُمْ وَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِثْلِنَا، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ عِبَادَتَنَا مَا نَعْبُدُ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَرْسَلْ إِلَيْنَا بِالْغَيْبِ عَنْ ذَلِكَ مَلَائِكَةً. وقوله: ﴿فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول: قَالَ لِرُسُلِهِمْ: فَإِنَّا بِالَّذِي أَرْسَلَكُمْ بِهِ رَبِّكُمْ إِلَيْنَا جَاحِدُونَ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ بِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ قوم هود ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَلَى رَبِّهِمْ وَتَجَبَرُوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ تَكَبَّرُوا وَغَتَوْا بِغَيْرِ مَا أَدْنَى اللَّهُ لَهُمْ بِهِ ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ وَأَعْطَاهُمْ مَا عَظَّمَ الْخَلْقَ، وَشَدَّةَ الْبَطْشِ ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فَيَحْذَرُوا عِقَابَهُ، وَيَتَّقُوا سَطْوَتَهُ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ. يقول: وَكَانُوا بِأَدْلَتِنَا وَحُجَّتِنَا عَلَيْهِمْ يَجْحَدُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فَأَرْسَلْنَا عَلَى عَادٍ رِيحًا صَرْصَرًا. واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد: تعني شديدة وذلك أن قوله: صَرْصَرًا إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها كقول القائل:

صرر وقوله: فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بها: أيام مشائيم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب. وقوله: لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول جل ثناؤه: ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالاً. يقول: وهم يعني عاداً لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٧٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: فينا لهم سبيل الحق وطريق الرشd. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بينه لهم، من توحيد الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فأهلكتهم من العذاب المنزل المهيمن لهم مهلكة أذلّتهم وأخزتهم؛ والهون: هو الهوان. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسله. وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذهم بكفرهم بالله، الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله. يقول: وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٧٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم، فهم يحبس أولهم على آخرهم. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: حتى إذا ما جاءوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له، وأبصارهم بما كانوا ينظرون إليه في الدنيا ﴿وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما سخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن أنس، قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: "أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ ضُحِكْتُ؟" قالوا: "مِمَّ ضُحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قال: "عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! قال: يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: فَإِنَّ لَكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِدًا

إِلَّا مِنْ نَفْسِي، قَالَ: أَوَلَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، عَنْكَ كُنْتُ أَجَادِلُ". وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئا. يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ في الدنيا ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تستخفون، فتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم. وجاء عن قتادة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ يقول: وما كنتم تظنون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله. فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بينا أن معنى ذلك إنما هو الأمان، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه. وقوله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتركوا ركوب ما حرم الله عليكم. وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارعوا بينهم في علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرا. ذكر الخبر بذلك. كما جاء عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فدخل ثلاثة نفر، ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي، كثير شحوم بطونهما، قليل فقه قلوبهما، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الرجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع لم يسمع، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾... إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَاكُمْ فَاصْبِحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساوئها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا: إذا أهلكه، وردي هو: إذا هلك، فهو يردى ردى كما جاء عن قتادة، قال: الظن ظنان، فظن منج، وظن مرد قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ قال ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾، وهذا الظن المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَاكُمْ﴾ هذا ظن مرد. وقوله: وقال الكافرون ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا ظَنٌّ وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾ وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول ويروي ذلك عن ربه: "عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّ بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي". وموضع قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ رفع بقوله ظنكم. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿أَرَأَاكُمْ﴾ في موضع نصب بمعنى: مرديا لكم. وقد يحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى: مرد لكم، كما قال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ في قراءة من قرأه بالرفع. فمعنى الكلام: هذا الظن الذي ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم، لأنكم من أجل هذا الظن اجترأتم

على محارم الله فقدمتم عليها، وركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك وأرداكم. يقول: فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار، فالنار مسكن لهم ومنزل. يقول: وإن يسألوا العُتْبَى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم. يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا...﴾ إلى قوله ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ وكقولهم لخزنة جهنم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ وبعثنا لهم نظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحببوه إليهم حتى أثروه على أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: وحسنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه، وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين. كما جاء عن السدي ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول: إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من مشركي قريش: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا. قال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولنثيبهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أََعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله؛ ثم ابتداءً جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالرد عليه؛ ثم قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد؛ والدار التي أخبر جل ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة دار كريمة، والدار: هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: "ذَلِكَ جَزَاءُ أََعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ" ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار. وقوله: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا هؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتجنا بها عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمُا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أَرْنَا للذين أضلنا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجن إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه. كما جاء عن علي وقوله ﴿نَجْعَلُهُمُا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلنا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلهم ليجعلوهم أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، ويرثوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، و انتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم، في معنى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ذكر الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ. فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: "قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام". وقال بعضهم: معناه: ولم يشركوا به شيئاً. ولكن تموا على التوحيد. كما جاء عن أبي بكر الصديق وقال آخرون: معنى ذلك: ثم استقاموا على طاعته. كما جاء عن الزهري، قال: تلا عمر رضي الله عنه على المنبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: استقاموا والله بطاعته، ولم يروغوا وروغان الثعلب. وقوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يقول: تنهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ يقول: تنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا؛ فإن في موضع نصب إذا كان ذلك معناه. وعنى بقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ما تقدمون عليه من بعد مماتكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما تخلفونه وراءكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

التأويل. كما جاء عن السدي وقيل: إن ذلك في الآخرة. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يقول: وسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته. كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَخَنَّ أُولَئِئَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ نزلا من غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: ﴿لَخَنَّ أُولَئَاؤُكُمْ﴾ أيها القوم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كنا نتولاكم فيها؛ وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يقول: وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء، يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات. وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ يقول: ولكم في الآخرة ما تدعون. وقوله: ﴿نَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم؛ ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما يشتهون من النعيم نزلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولًا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاه إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما تلا الحسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله. واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس فقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: هذا رسول الله ﷺ. وقال آخرون: عني به المؤذن. وقوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذل له بالعبودة، وخشع له بالإيمان بوحدانته. وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم وبهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فكذا لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم، ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما، وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ ففكر لا والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة، لأن كل ما كان غير مساو شيئا، فالشيء الذي هو له غير مساو غير مساويه، كما أن كل ما كان مساويا لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساو له، فيقال: فلان مساو فلانا، وفلان له مساو، فكذا فلان ليس مساويا لفلان، لا فلان مساويا له، فلذلك كررت لا مع السيئة، ولو لم تكن مكررة معها كان

الكلام صحيحا. وإنما عنى يقوله. ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته. وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، ويعفوك عن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في تأويله. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم. وقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فبصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إليك. وبرّه لك، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعطى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، والأمر الشاقة؛ وقال: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ ولم يقل: وما يلقيه، لأن معنى الكلام: وما يلقي هذه الفعلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن. وقوله: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. يقول: وما يلقي هذه إلا ذو نصيب وجدله سابق في المبرات عظيم. كما جاء عن السدي وقيل: إن ذلك الحظ الذي أخبر الله جل ثناؤه في هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة. كما جاء عن قتادة ذكر لنا أن أبا بكر رضي الله عنه شتمه رجل ونبي الله ﷺ شاهد، فعفا عنه ساعة، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب، فردّ عليه، فقام النبي ﷺ فاتبعه أبو بكر، فقال يا رسول الله شتمني الرجل، ف عفوت و صفحت وأنت قاعد، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبي الله، فقال نبي الله ﷺ: "إِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا قَرُبْتَ تَنَصَّرُ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَجَالِسَ الشَّيْطَانَ يَا أبا بَكْرٍ". وقوله: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره: وإما يلقي الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمر خلقه. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاينة كل واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا، وإنما الله مسخرهما لكم

لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونها، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيئا. وقيل: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنت كناية، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولوا: كلمني، لأن من شأنهم أن يؤثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع، فيقولوا: رأيت مع عمرو أثوبا فأخذت منهن. وأعجبني خواتيم لزيد قبضتهن منه. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة؛ وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلا ونهارا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ يقول وهم لا يفترتون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراد، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها. وقد بينت فيما مضى معنى اللحد بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وقوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ يقول تعالى ذكره: نحن بهم عالمون لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا. ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة

عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقي في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله لإيمانه بالله جل جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، آمنه يوم القيامة مما حذرته منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافراً. وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ وهذا أيضاً وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، وكذلك كان مجاهد يقول وقوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول جل ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفي عليه منها، ولا من غيرها شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً، أو تغييراً، من إنسي وجني وشيطان مارد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه. وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصر فهم فيما فيه مصالحهم، ﴿حَمِيدٌ﴾ يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذبون ما جتتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول: وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجمياً لقال لقولك قومك من قريش: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه، أأعجمي، يعني أنهم كانوا يقولون إنكاراً له: أأعجمي هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هو، ويعني بقوله ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم ﴿هُدًى﴾ يعني بيان للحق ﴿وَشِفَاءٌ﴾ يعني أنه شفاء من الجهل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ يقول تعالى ذكره: والذين لا يؤمنون بالله

ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يسمعونه ولكنهم يعرضون عنه، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواعظه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معنى ذلك: تشبيه من الله جل ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم كما مع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من بعيد، وكقولهم للفهم: إنك لتأخذ الأمور من قريب. كما جاء عن ابن زيد وغيره كما جاء عن الضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه آخر عذابهم إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفى شك مما قالوا فيه ﴿مُرِيبٍ﴾ يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا، لأنهم قالوا بغير ثبوت، وإنما قالوه ظناً. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار. ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها، فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحدا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحققه به منه، والله أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاؤُا۟ قَالُوا أَذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد علم الساعة، فإنه لا يعلم ما قيامها غيره. ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا﴾ يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبه فيها، فتخرج منها بارزة. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾ يقول: وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمامِهَا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاؤُا۟﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟ ﴿قَالُوا أَذْنَاكَ﴾ يقول: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ يقول: قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ: ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ لا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَكْثُرُ قُنُوطٌ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: وصل عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي حل بهم. وقوله: ﴿وَضَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يقول: وأيقنوا حيثئذ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمل الكافر بالله من دعاء الخير، يعني من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربه. والخير في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يمل من طلب ذلك. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يقول: وإن ناله ضرر في نفسه من سقم أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه ﴿فَيَكْثُرُ قُنُوطٌ﴾ يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْخُسْفَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرر، وشدة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه ما لا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضرر. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم. كما جاء عن السدي وغيره وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرر، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصد عنه ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ يقول: وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه بناحيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ يعني بالعريض: الكثير. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمكذبين بما جتتهم به من عند ربك من هذا القرآن ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿إِنْ كَانَ﴾ هذا الذي تكذبون به ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أَلَسْتُمْ فِي فِرَاقٍ وَبَعْدٍ مِنَ الصَّوَابِ، فجعل مكان التفريق الخبر، فقال: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ إذا كان مفهوماً معناه. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: قل لهم من

أشد ذهابا عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراق لأمر الله وخوف له، بعيد من الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الأفاق. واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يرهم فقال بعضهم: عني بالآيات في الأفاق وقائع النبي ﷺ بناوحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها، ويقولون: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فتح مكة. كما جاء عن السدي وقال آخرون: عني بذلك أنه يرهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يرهم في الأفاق. وقالوا: عني بالأفاق: آفاق السماء، ويقولون: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ سبيل الغائط والبول كما جاء عن ابن زيد وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله السدي، وذلك أن الله عز وجل وعد نبيه ﷺ أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات في الأفاق، وغير معقول أن يكون تهددهم بأن يرهم ما هم راءوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يرهم ما لم يكونوا راءوه قبل من ظهور نبي الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يرهم ذلك. وقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يقول جل ثناؤه: أري هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأننا مظهره ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن بالإحسان، والمسيء جزاءه. وفي قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون في موضع خفض على وجه تكرير الباء، فيكون معنى الكلام حينئذ: أولم يكف بربك بأنه على كل شيء شهيد؟ والآخر: أن يكون في موضع رفع رفعا، بقوله: يكف، فيكون معنى الكلام: أولم يكف بربك شهادته على كل شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله في شك من لقاء ربهم، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا أن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعة، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أرادته فيفوته، ولكن المقنن عليه العالم بمكانه.

تفسير سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ عَسَىٰ ۚ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معاني حروف الهجاء التي افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن، وبيننا الصواب من قولهم في ذلك عندنا بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع إذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها. وقد ذكرنا عن حذيفة في معنى هذه خاصة قولاً وهو جاء عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان، أخبرني عن تفسير قول الله: ﴿حَمْدٌ عَسَىٰ﴾ قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرّر مقالته فأعرض فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كرّرها الثالثة فلم يجبه شيئاً، فقال له حذيفة: أنا أنبتك بها، قد عرفت بم كرهها؛ نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق، بنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقاً، فإذا أذن الله في زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتهما متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً، فذلك قوله: ﴿حَمْدٌ عَسَىٰ﴾ يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم، عين: يعني عدلاً منه، سين: يعني سيكون، وقاف: يعني واقع بهاتين المدينتين. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يوحى إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه. وقيل: إن حم عين سين قد أوحيت إلى كل نبي بعث، كما أوحيت إلى نبينا ﷺ، ولذلك قيل: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٠﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الأشياء كلها ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ يقول: وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي له العظمة والكبرياء والجبرية. وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين، من عظمة الرحمن وجلاله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هبة جلاله وعظمته. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به. كما جاء عن

السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يا محمد من مشركي قومك ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ آلهة يتولونها ويعبدونها ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ٧ يقول تعالى ذكره: وهكذا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب، لأن الذين أرسلتكم إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بالسنتهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأننا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه، ليسين لهم ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول: ومن حول أم القرى من سائر الناس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ يقول عَزَّوَجَلَّ: وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع، والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع، كما قيل: يخوف أوليائه، والمعنى: يخوفكم أوليائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شك فيه. وقوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله. كالذي جاء عن ابن حجرية أنه بلغه أن موسى قال: يا ربّ خلقت الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقا في الجنة، وفريقا في السعير، لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال: يا موسى ارفع زرعك، ارفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئا، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه. وقيل: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ارفع. وقد تقدم الكلام قبل ذلك بقوله: ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ بالنصب، لأنه أريد به الابتداء، كما يقال: رأيت العسكر مقتول أو منهزم، بمعنى: منهم مقتول، ومنهم منهزم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٨ يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و ﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد. يقول: لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء، من عباده في رحمته، يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ. يقول: والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله ﷺ تسلياً له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمره له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدار من أدبر

عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاما له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكُّهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١١﴾ يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم. ﴿قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ يَقُول: فالله هو ولي أوليائه، وإياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا. ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء. وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكُّهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يقول لنبيه ﷺ: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١٢﴾ يقول تعالى ذكره: فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، خالق السموات السبع والأرض. كما جاء عن السدي وقوله: جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا يقول تعالى ذكره: زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا. وإنما قال جل ثناؤه: مِنْ أَنْفُسِكُمْ لأنه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال. وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يقول جل ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكورا وإناثا، ومن كل جنس من ذلك. يَذَرُوكُمْ فِيهِ يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: يَذَرُوكُمْ فِيهِ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه. كما جاء عن مجاهد وغيره وقال آخرون: بل معناه: يعيشكم فيه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وهذا القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائلهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم يعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا. وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادته. وقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام وقوله: وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محص صغيره وكبيره لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ من خير أو شر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٢) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له مفاتيح خزائن السموات والأرض ويده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقرر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقديره على من يقرر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقدير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقدير وغيره، من صلاح تدبير خلقه. يقول تعالى ذكره: فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا، وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التي لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ ربكم أيها الناس ﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ أن يعمل به ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يقول لنبى محمد ﷺ: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يقول: شرع لكم من الدين، أن أقيموا الدين "فإن" إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن "ما" التي في قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾. ويجوز أن تكون في موضع خفض رداً على الهاء التي في قوله: ﴿بِهِ﴾، وتفسيراً عنها، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين. وإذ كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وعنى بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض، كما قد بينا فيما مضى قبل في قوله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالآلوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ يقول: الله يصطفى إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾^(١٤) يقول تعالى ذكره: وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابا، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحا، هو إقامة الدين الحق، وأن لا تتفرقوا فيه. وقوله: ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحق عليهم. وقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحق كتابه التوراة والإنجيل. ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ يقول: لفى شك من الدين الذين وصى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعِ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١٥) يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تنزع عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فإلى ذلك، فوضعت اللام موضع إلی، كما قيل: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا. يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبوراً أو صحف إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض. وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه. كما جاء عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كن فيه أعجبني جدا: القصد في الفاقة والغنى، والعدل في الرضا والغضب، والخشية في السر والعلانية؛ وثلاث من كن فيه أهلكه: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاکر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة. وقوله: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يقول: الله مالكننا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل. يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها. وقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ يقول: لا خصومة بيننا وبينكم. وقوله: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه. ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(١٦) يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار. وذكر أن هذه الآية

نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم، وطمعوا أن يصدوهم عنه، ويردوهم عن الإسلام إلى الكفر. كالذي جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝٣٧ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ هذا ﴿الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإلصاف، ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأي شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: يقول: يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها، ظنا منهم أنها غير جائية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: والذين صدقوا بمجيئها، ووعد الله إياهم الحشر فيها، ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: وجلون من مجيئها، خائفون من قيامها، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحق اليقين، لا يمترون في مجيئها ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: لفي جور عن طريق الهدى، وزيع عن سبيل الحق والرشاد، بعيد من الصواب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝٣٩ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته ﴿الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرضه: يقول: نزل له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرة، إلى ما شاء ربنا من الزيادة ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قسمنا له منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ قال: للكافر عذاب أليم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤١﴾ يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول: ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبيح الله لهم ابتداعه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، وأنه مضى من قبله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة، لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيله العذاب لهم في الدنيا، ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ يقول: وجِلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة، وهي المكان الذي يكثر نبتة، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض وإنما عنى جل ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم. وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيهم أنفسهم، وتلذه أعينهم، ذلك هو الفوز الكبير، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كل نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبركم أيها الناس أني أعددت له للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها. ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثوابا جزاء، وعوضا من موالكم تعطوني به. ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشرة إلى ما شئنا من الجزاء والثواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحساناتهم وطاعتهم إياه. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: ﴿افْتَرَى﴾ محمد ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلافا من قبل نفسه. وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾ يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ التي أنزلها إليك يا محمد فيشبهه. وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ

الْبَاطِلَ ﴿١٠﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَلَكِنَّهُ حُذِفَتْ مِنْهُ الْوَاوُ فِي الْمَصْحَفِ، كَمَا حُذِفَتْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿سَنَدُّعُ الرَّبَّانِيَّةِ﴾ وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ وَلَيْسَ بِجَزْمٍ عَلَى الْعُطْفِ عَلَى يَخْتَمُ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ ذُو عِلْمٍ بِمَا فِي صُدُورِ خَلْقِهِ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: لَوْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَقْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، لَطَبَعْتَ عَلَى قَلْبِكَ، وَأَذْهَبْتَ الَّذِي أَتَيْتَكَ مِنْ وَحْيِي، لِأَنِّي أَمْحُو الْبَاطِلَ فَأَذْهَبُهُ، وَأَحَقُّ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ الْكَافِرِينَ بِهِ، الزَّاعِمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَى هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ لَفَعَلَ بِهِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ الَّذِي يَقْبَلُ مَرَاجِعَةَ الْعَبْدِ إِذَا رَجَعَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ يَقُولُ: وَيَعْفُو لَهُ أَنْ يَعَاقِبَهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ مَعَاصِيهِ الَّتِي تَابَ مِنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وَيَعْلَمُ رَبِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ جَزَاءً، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَرْكَبُوا مَا تَسْتَحِقُونَ بِهِ مِنْهُ الْعُقُوبَةَ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٢﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ لِبَعْضِهِمْ دَعَاءُ بَعْضٍ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَزِيدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَعَ إِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ دَعَاءَهُمْ، وَإِعْطَائِهِ إِيَّاهُمْ مَسْأَلَتَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَسْأَلَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِأَنْ يَعْطِيَهُمْ مَا لَمْ يَسْأَلُوهُ. وَقِيلَ: إِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ الَّذِي ضَمَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَزِيدَهُمُوهُ، هُوَ أَنْ يَشْفَعَهُمْ فِي إِخْوَانِ إِخْوَانِهِمْ إِذَا هُمْ شَفَعُوا فِي إِخْوَانِهِمْ، فَشَفَعُوا فِيهِمْ. كَالَّذِي جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قَالَ: يُشَفِّعُونَ فِي إِخْوَانِهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، قَالَ: يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِ إِخْوَانِهِمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَالْكَافِرُونَ بِاللَّهِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْبَادُهُ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَنَّوْا سَعَةَ الدُّنْيَا وَالْغِنَى، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ، فَوَسَّعَهُ وَكَثَّرَهُ عِنْدَهُمْ لَبَغَوْا، فَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ الَّذِي حَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ إِلَى غَيْرِ الَّذِي حَدَّهُ لَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ بِرُكُوبِهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُمْ بِقَدَرِ لِكْفَايَتِهِمْ الَّذِي يَشَاءُ مِنْهُ. وَكَانَ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ وَغَيْرُهُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ أَنَّ لَنَا، فَتَمَنَّوْا. وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَكَثْرَتُهَا". فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ كَرِبَ لَذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ، حَتَّى إِذَا سَرَى عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "هَلْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ" يَقُولُهَا ثَلَاثًا: "إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ"، يَقُولُهَا

ثلاثاً. وكان ﷺ وتر الكلام: ولكنه والله ما كان ربيع قط إلا أحبط أو ألم فأمّا عبد أعطاه الله مالا فوضعه في سبيل الله التي افترض وارتضى، فذلك عبد أريد به خير، وعزم له على الخير، وأمّا عبد أعطاه الله مالا فوضعه في شهواته ولذاته، وعدل عن حق الله عليه، فذلك عبد أريد به شرّ، وعزم له على شرّ". وقوله: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرّفهم فيما فيه صلاحهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يقول: من بعد ما يئس من نزوله ومعجئته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول: وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأبأديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، خلقه السموات والأرض. وما بَثَّ فيهما من دابة، يعني وما فرّق في السموات والأرض من دابة. كما جاء عن مجاهد يقول: وهو على جمع ما بَثَّ فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكَذَلِكَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى جَمْعِ خَلْقِهِ بِحُشْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ تَفَرُّقِ أَوْصَالِهِمْ فِي الْقُبُورِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهلكم وأموالكم ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.... الآية "ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "لَا يُصِيبُ ابْنُ آدَمَ خَدَشٌ عَوْدٌ، وَلَا عَثْرَةٌ قَدَمٌ، وَلَا اخْتِلَاجٌ عِرْقٍ إِلَّا بَذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو عَنْهُ أَكْثَرُ". وقال آخرون: بل عنى بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدّ حدّتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يمол: فيما عملتم من معصية الله ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يوجب عليكم فيها حدّاً. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: وما أنتم أيها الناس بمفوتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أنتمتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هرباً في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عن أهلها به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِى فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٢﴾ إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني كالجبال: واحدا علم كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الرياح التي تجري بها فيه، فثبتت في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول: إن في جري هذه الجوارى في البحر بقدره الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء، لكل ذي صبر على طاعة الله، شكور لنعمه وأياديه عنده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ٢٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ خِصٍ ٢٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره: أو يوبق هذه الجوارى في البحر بما كسبت ركبائها من الذنوب، واجترموا من الآثام، وجزم يوبقهن، عطفاً على ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ ومعنى الكلام إن يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره، ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ﴾ ويعني بقوله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ﴾ أو يهلكهن بالغرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها. وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمداً ﷺ من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: فما أعطيتهم أيها الناس من شيء من رياس الدنيا من المال والبنين، فمتاع الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى، لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافذ، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باق غير نافذ. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٢٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: وما عند الله للذين آمنوا ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، وكبائر فواحش الإثم، قدينا اختلاف أهل التأويل فيها وبيننا الصواب من القول عندنا فيها في سورة النساء، فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ قيل: إنها الزنى. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرماً، هم يغفرون لمن أجرم إليهم ذنبه،

ويفصحون عنه عقوبة ذنبه. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين أجابوا لرَبِّهم حين دعاهم إلى توحيدِهِ، والإقرار بوحِدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة بحدودها في أوقاتها. وكان ابن زيد يقول: عنى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾... الآية الأنصار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ٢٣٦ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٢٣٧ يقول تعالى ذكره: والذين إذا بغى عليهم باغ، واعتدى عليهم هم ينتصرون. ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد تعالى ذكره، المنتصر منه بعد بغيه عليه وأولى بالصواب الذي جاء عن السدي، في قوله: وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ قال: ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا. ، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كل منتصر بحق ممن بغى عليه. وتأويل الكلام: وجزاء سيئة من المشركين إليك، سيئة مثلها منكم إليهم، وإن عفوتهم وأصلحتهم في العفو، فأجركم في عفوكم عنهم إلى الله، إنه لا يحب الكافرين؛ وهذا على قوله كقول الله عَزَّجَلَّ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلِلَّهِ قَال من ذلك وجه. غير أن الصواب عندنا: أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله إلى الباطن ما يجب التسليم لها، ولم يثبت حجة في قوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أنه مراد به المشركون دون المسلمين، ولا بأن هذه الآية منسوخة، فنسلم لها بأن ذلك كذلك. وقوله: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ يقول جل ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوهِ ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ٢٣٨ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٣٩ يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه ممن بعد ظلمه إياه ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة لا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحق، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعد، لم يظلم، فيكون عليه سبيل. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك والصواب من القول أن يقال: إنه معني به كل منتصر من ظالمه، وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها. وقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلماً وعدواناً، بأن يعاقبهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه. وقوله: ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق. يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٢٤٠ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ٢٤١ يقول تعالى ذكره:

ولمن صبر على إساءة إليه، وغفر للمسيء إليه جرمة إليه، فلم يتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه. ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَائِلٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وت ترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: ﴿هَلْ لَنَا يَا رَبِّ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ وذلك كقوله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا... الآية، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: وت ترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ﴾ يقول: خاضعين متذللين. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يقول: ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يعرضون عليها من طرف خفي. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ والصواب من القول في ذلك، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد، وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبته، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب. وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إن المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم، ثابت لا يزول عنهم، ولا يبيد، ولا يخف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَتَصَرُّونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١٦) استجيبوا لربكم من قبل أن ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير (١٧) يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا يتصرفون لهم من ربه ما نالهم به من العذاب من دون الله. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ يقول: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه، لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه. وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: لا شيء يرد مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة. ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مِنْ نَكِيرٍ﴾

قال: ناصر ينصركم. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَمْتُ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨) يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإننا لن نرسلك إليهم رقيباً عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك. يقول تعالى ذكره: فإننا إذا أغنيانا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه، فرح بها: يقول: سر بما أعطينا من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال. ﴿وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش. ﴿يَمَا قَدَمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب ويجحد النعم. وإنما قال: ﴿وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد، لأنه بمعنى الجمع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِائًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِائًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكراً لا أنثى فيهم. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۖ﴾ (٥١) يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحى الله إليه كيف شاء، أو إلهاماً وإما غيره ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ يقول: فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحى إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جل ثناؤه: ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو حكمة في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴿٥٣﴾ يعني تعالى ذكره بقوله:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ وكما كنا نوحى في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، روحاً من أمرنا: يقول: وحياً ورحمة من أمرنا. واختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يقول جل ثناؤه لنبى محمد ﷺ: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما. ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نوراً، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيان الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله "به" من ذكر الكتاب. ويعني بقوله: ﴿نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾: نسدّد إلى سبيل الصواب، وذلك الإيمان بالله ﴿مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقال جل ثناؤه ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ فوجد الهاء، وقد ذكر قبل الكتاب والإيمان، لأنه قصد به الخبر عن الكتاب. وقال بعضهم: عنى به الإيمان والكتاب، ولكن وجد الهاء، لأن أسماء الأفعال يجمع جميعها الفعل، كما يقال: إقبالك وإدبارك يعجبني، فيوحدهما وهما اثنان. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم. كما جاء عن قتادة يقول جل ثناؤه: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، وهو الإسلام، طريق الله الذي دعا إليه عباده، الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. والصراط الثاني: ترجمة عن الصراط الأول. وقوله جل ثناؤه: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ يقول جل ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل. فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكماً وولاً ينظرون بينهم، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه ويده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.

آخر تفسير سورة حم عسق والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ قد بينا فيما مضى قوله ﴿حَمْدٌ﴾ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداة ورشده وأدله على حقيقته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد ﷺ ولا افتراء من أحد ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب، إذا كنتم أيها المندرون به من رهط محمد ﷺ عربا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجميا، فتقولوا نحن: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝٤﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلي: يقول: لذو علو ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس يقول: أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، قال: والكتاب عنده، قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾. يعني القرآن في أم الكتاب الذي عند الله منه نسخ. وقوله: ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ وقد ذكرنا معناه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ يخبر عن منزلته وفضله وشرفه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدا بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلک الماضين قبلهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ﴾ يا محمد في القرون الأولين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش. ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبي

يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقن عليك، فإنهم إنما سلكوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوة أخرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلت بهم. يقول جل ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلنا لهم في أمثالهم من مكذبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٩﴾ الذي جعل لكم الأرض مهذا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟ ليقولن: خلقهن العزيز. فخلقهن في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وسهل لكم فيها طرقا تتطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعني: ما نزل جل ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر: يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا، حيا للأرض الميتة محييا. ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ يقول جل ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا هذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيتكم التي بها قبل مماتكم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقيل: أنشَرْنَا بِهِ، لأن معناه: أحيينا به، ولو وصفت الأرض بأنها أحييت، قيل: نشرت الأرض وقوله: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والذي خلق كل شيء فزوجه، أي خلق الذكور من الإناث أزواجا، الإناث من الذكور أزواجا ﴿لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ﴾ وهي السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ وهي البهائم ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ يقول: جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث

قصدم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونه في البر إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيل والبغال والحمير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كي تستوا على ظهور ما تركبون. قوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ وما كنا له مطيقين ولا ضابطين، من قولهم: قد أقرنت لهذا: إذا صرت له قرنا وأطقته، وفلان مقرن لفلان: أي ضابط له مطيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وليقولوا أيضا: وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا، وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه، لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله. وقوله: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ يقول جل ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم، وأصفاكم بالبنين. يقول: وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده حزا بما ضرب للرحمن مثلا يقول: بما مثل لله، فشبّهه شبيها، وذلك ما وصفه به من أن له بنات. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ظل وجه هذا الذي بشر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات مسودّا من سوء ما بشر به. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يقول: وهو حزين. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما

لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجزله ذكر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سُبُكَّتَبْ شَهِادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن. وقوله: ﴿سُبُكَّتَبْ شَهِادَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢٠) أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون (٢١) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتنا لها قوله: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ للأوثان يقول الله عز وجل: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقول: ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تخرصا وتكذبا، لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا برهان. وإنما يقولونه ظنا وحسبانا. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يقول: ما هم إلا متخرصون هذا القول الذي قالوه، وذلك قولهم ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾. وكان مجاهد يقول في تأويل قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ما يعلمون قدرة الله على ذلك. وقوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد. ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آبائنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها؛ وعن جلد ثناؤه بقوله: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾. بل وجدنا آبائنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، وهم رؤسائهم وكبرائهم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ يقول: قالوا: إنا وجدنا آبائنا على ملة ودين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون؛ يقول جلد ثناؤه لمحمد ﷺ: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم

إياك بما أجابوك به، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴿أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ﴾ أيها القوم من عند ربكم ﴿بِأَهْدَى﴾ إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ﴾ أنتم عليه آبائكم من الدين والملة. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة برها، بإحلالنا العقوبة بهم، فانظر يا محمد كيف كان عقبي أمرهم، إذ كذبوا بآيات الله. ويعني بقوله: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آخر أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟ كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٣) إلا الذي فطرني فإنه سيهدين (٢٤) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (٢٥) يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ الذين كانوا يعبدون ما يعبد مشركو قومك يا محمد ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ من دون الله، فكذبوه، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها. وقيل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فوضع البراء وهو مصدر موضع النعت، والعرب لا تشي البراء ولا تجمع ولا تؤنث، فتقول: نحن البراء والخلاء: لما ذكرت أنه مصدر، وإذا قالوا: هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا، فقالوا: هما بريئان منك، وهم بريئون منك. وذكر أنها في قراءة عبد الله: "إِنِّي بَرِيءٌ" بالياء، وقد يجمع برئ: براء وأبراء. ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يقول: إني بريء مما تعبدون من شيء إلا من الذي فطرني، يعني الذي خلقتني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يقول: فإنه سيقومني للدين الحق، ويوفقني لاتباع سبيل الرشاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك. كما جاء عن مجاهد ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ قال: لا إله إلا الله. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، ويثوبوا إلى عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٦) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٢٧) يقول تعالى ذكره: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ يا محمد ﴿هَؤُلَاءِ﴾ المشركين من قومك ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني جل ثناؤه بالحق: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب، وبعثت فيهم رسولا مبينا. يعني بقوله: ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: محمدا ﷺ، والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتاج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يقول جل ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه ﴿قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ يَقُولُ: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحي من الله ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ^(٣١) أَهْمُ يَفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ^(٣٢) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر، فإن كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف. واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم فقال بعضهم: هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف؟. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل عني به عتبة بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل، من أهل الطائف. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المغيرة، ومن أهل الطائف: ابن مسعود. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المغيرة، ومن أهل الطائف: كنانة بن عبد بن عمرو. كما جاء عن السدي وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه، مخبرا عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، والاختلاف فيه موجود على ما بينت. وقوله: ﴿أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء القائلون: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحب، ويحرمه من شاء؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عِجَابًا أَنْ أُوحِيََ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني: أهل الكتب الماضية، أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم، وإن كانوا بشرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولا قال: ثم قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم؛ قال: فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا، وإذا كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة ف ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يقولون: أشرف من محمد ﷺ، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى ربحانة قريش، هذا من مكة، ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف، قال: يقول الله عز وجل ردا عليهم ﴿أَهُمْ يَفْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أنا أفعل ما شئت. وقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا، ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيا، وهذا فقيرا، وهذا ملكا، وهذا مملوكا

﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش، في الدنيا. وقد اختلف أهل التأويل فيما عني بقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ فقال بعضهم: معناه ما قلنا فيه. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً﴾ جماعة واحدة. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي لم يؤمن اجتماعهم عليه، لو فعل ما قال جل ثناؤه، وما به لم يفعله من أجله فقال بعضهم: ذلك اجتماعهم على الكفر. وقال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر، فيصير جميعهم كفارا ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ﴾. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة. وقال: معنى الكلام: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن في الدنيا سقفا، يعني أعالي بيوتهم، وهي السطوح فضة كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يقول: ومراقي ودرجا عليها يصعدون، فيظهرون على السقف والمعارج: هي الدرج نفسها، كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٣٣) وَزُخْرُفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٤) يقول تعالى ذكره: وجعلنا لبیوتهم أبوابا من فضة، وسُرُرًا من فضة. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ يقول: ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا، وهو الذهب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا. ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خصوصا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ عِثْرًا غَيْرَ نَفِيسٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٥) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٦) يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه ﴿نُفِيسٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ يقول: نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعله في العين، يقال منه: عشا فلان يعيشو عشوا وعشوا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة، وإنما معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظرا ضعيفا، كنظر من قد عشي

بصره ﴿نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقد تأوله بعضهم بمعنى. ومن يعم، ومن تأول ذلك كذلك، فيحب أن تكون قراءته ﴿وَمَنْ يَعُشْ﴾ بفتح الشين على ما بينت قيل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدّون هؤلاء الذين يعيشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شك وعلى غير بصيرة. وقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع، وإنما ذكر قبل واحدا، فقال: ﴿نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدا، ففي معنى جمع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۚ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٦٨﴾ جاء عن قتادة: حتى إذا جاءنا هو وقربه جميعا. وقوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر: وددت أن بيني وبينك بعد المشرقين: أى بعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما قيل: شبه القمرين، وقد قيل: عنى بقوله ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق، وفي الصيف من مشرق غيره؛ وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين، كما قال جل ثناؤه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾. وذكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم. كالذي جاء عن سعيد الجريري، قال: بلغني أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره، سفح بيده الشيطان، فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار، فذلك حين يقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، فبئس القرين. وأما المؤمن فيوكل به ملك فهو معه حتى قال: إما يفصل بين الناس، أو نصير إلى ما شاء الله. وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه، و"أَنْ" من قوله ﴿أَنَّكُمْ﴾ في موضع رفع لما ذكرت أن معناه: لن ينفعكم اشتراككم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٦٩﴾ فإما نَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۝٧٠﴾ أو نُرِيَّتَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ۝٧١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصممه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبطاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحق، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جل ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة. وقوله: ﴿فَإِنَّا نَذَهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد، فقال بعضهم: عني به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام. كالذي جاء عن معمر، قال:

تلا قتادة ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ فقال: ذهب النبي ﷺ وبقيت النعمة، ولم ير الله نبيه ﷺ في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبي قط إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم ﷺ. قال: وذكر لنا أن النبي ﷺ أرى ما يصيب أمته بعده، فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله. وقال آخرون: بل عني به أهل الشرك من قريش، وقالوا: قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم. كما جاء عن السدي، في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ كما انتقمنا من الأمم الماضية. ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه. وهذا القول الثاني أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها. ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ يا محمد من الظفر بهم، وإعلانك عليهم ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمر بك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحى إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ومن الذين أمر رسول الله ﷺ بمسألتهم ذلك، وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني به: سل مؤمني أهل الكتابين. وقوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ يقول: أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاءوهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش. إني رسول الله إليكم. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ يقول: فلما جاء موسى فرعون وملاؤه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جئتكم به من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عز وجل نبيه ﷺ عما كان يلقي من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل

الشرك لن يعدو أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه ﷺ إلى الاستئان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبي مردتهم إلى البوار والهلاك كستته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما نرى فرعون وملأه آية، يعني: حجتنا لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى ﷺ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله. وقوله: ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ يقول: وأنزلنا بهم العذاب، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وبالجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون، أو يذكرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿٥١﴾ قَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال فرعون وملؤه لموسى: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ وعنوا بقولهم "بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ": بعهد الذي عهد إليك أنا إن آمنّا بك واتبعناك، كشف عنا الرجز. إن قال لنا قائل: وما وجه قبلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك، وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذما، وإنما دعوه بهذا الاسم، لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم. وقوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدقوك فيما جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿قَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرون على ضلالهم، ويتمادون في غيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بقوله: ﴿مِنْ تَحْتِي﴾: من بين يدي في الجنان. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر عدو الله، وما قد مكن له من الدنيا استدراجا من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتججا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محققا فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحرا، لأكسب

نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارًا منه بإملائه إياه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ٥٢ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ٥٣ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ بَعْدَ احْتِجَاجِهِ عَلَيْهِمْ بِمُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَبَيَانِ لِسَانِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ، وَفَضْلِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى بِالْصِفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَمُوسَى: أَنَا خَيْرٌ أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَصِفَتِي هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي وَصَفْتَ لَكُمْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ لَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْأَمْوَالِ مَعَ الْعِلَّةِ الَّتِي فِي جَسَدِهِ، وَالْآفَةِ الَّتِي بِلِسَانِهِ، فَلَا يَكَادُ مِنْ أَجْلِهَا يَبِينُ كَلَامَهُ؟. وَعَنِي يَقُولُهُ: ﴿مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ ضَعِيفٌ لِقَلَّةِ مَالِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ مَالُهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يَقُولُ: وَلَا يَكَادُ يَبِينُ الْكَلَامَ مِنْ عَيِّ لِسَانِهِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنِ السَّيِّدِ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ يَقُولُ: فَهَلَا أُلْقِيَ عَلَى مُوسَى إِنْ كَانَ صَادِقًا أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَهُوَ جَمْعُ سَوَارٍ، وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي يَجْعَلُ فِي الْيَدِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يَقُولُ: أَوْ هَلَا إِنْ كَانَ صَادِقًا جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ قَدْ اقْتَرَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَتَبَايَعُوا يَشْهَدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي الْعِبَارَةِ عَلَى تَأْوِيلِهِ، كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٥٤ ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٥ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَاسْتَخَفَّ فِرْعَوْنَ خَلْقًا مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْقِبْطِ، يَقُولُهُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ، قَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ فَاطَاعُوهُ، وَكَذَّبُوا مُوسَى، قَالَ اللَّهُ: وَإِنَّمَا أَطَاعُوا فَاسْتَجَابُوا لِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَدُوُّ اللَّهِ مِنْ تَصَدِيقِهِ، وَتَكْذِيبِ مُوسَى، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ خَارِجِينَ بِخَذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ، وَطَبَعَهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا﴾ يَعْنِي يَقُولُهُ: أَسْفُونَا: أَغْضَبُونَا. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ ٥٦ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون﴾ ٥٧ ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ يَقُولُ: وَعِبْرَةٌ وَعِظَةٌ يَتَعَطَّ بِهَمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، فَيَسْتَهْوُوا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ. وَبِمَثَلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَلَمَّا شَبَّ اللَّهُ عِيسَى فِي إِحْدَاثِهِ وَإِنْشَائِهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحُلِّ بِأَدَمَ، فَمَثَلُهُ بِهِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ مِنْ غَيْرِ فَحُلٍّ، إِذَا قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ ذَلِكَ يَضْجُونَ وَيَقُولُونَ: مَا يَرِيدُ مُحَمَّدٌ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَتَّخِذَهُ إِلَهًا نَعْبُدُهُ، كَمَا عَبَدَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ بَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِيهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آلَإِلهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ٥٨ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٥٩ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ٦٠ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَقَالَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ: آلَإِلهُنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا خَيْرٌ أَمْ

محمد فنعبد محمدا؟ وترك آلهتنا؟ وقال آخرون: بل عنى بذلك: آلهتنا خير أم عيسى؟. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.... إلى ﴿فِي الْأَرْضِ يُخْلَفُونَ﴾. وقوله تعالى ذكره: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يلتمسون الخصومة بالباطل. وذكر عن النبي ﷺ أنه قال: "ما ضل قوم عن الحق إلا أوتوا الجدل". كما جاء عن أبي أمامة وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبنى إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم، فأفئنا جميعكم، وجعلنا بدلا منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني وذلك نحو قوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ وكما قال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: معناه: يخلف بعضهم بعضا. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ الْسَّاعَةَ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ولا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾. اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ وما المعني بها، ومن ذكر ما هي، فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ من ذكر القرآن، وقالوا: معنى الكلام: وإن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها، ويخبركم عنها وعن أهوالها. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾ يقول: فلا تشكن فيها وفي مجيئها أيها الناس. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَاتَّبِعُونْ﴾ يقول تعالى ذكره: وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به، واتهوا عما نهيتكم عنه، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: اتباعكم إياي أيها الناس في أمري ونهي صراط مستقيم، يقول: طريق لا اعوجاج فيه، بل هو قويم. وقوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما أمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فضلوا ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يقول: إن الشيطان لكم عدو يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسداً وبغياً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١٧﴾. إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: ولم جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل:

عُنِيَ بِالْبَيِّنَاتِ: الإنجيل. كما جاء عن قتادة وقد بَيَّنَّتْ معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد، وذكرت اختلاف المختلفين في تأويله، فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: ﴿وَلَا بَيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعوا فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالالوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعا، فاعبدوه وحده، لا تشكروا معه في عبادته شيئا، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه. وقوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالالوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾
بالأحزاب، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى بذلك: الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه. وقال قتادة، في قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال: هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى. وقال آخرون: بل هم اليهود والنصارى. وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القيقح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾ يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون بمجيئها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ٦٧ يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾
الذين، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي إسحاق، أن عليا عليه السلام قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر ويخبرني أي ملائكتك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليشن أحكما على صاحبه فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أي ملائكتك، فيقول: نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب؛ قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أي غير ملائكتك، فيقول: بشن الأخ، وبشن الخليل، وبشن الصاحب. وقوله: يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه.

ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمتكتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها. وذكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة، فيقطع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله: الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ فيأبى عنها عند ذلك. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٦﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءهم به رسلهم، وكانوا مسلمين، يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، حنفاء لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان. وقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾ وقد ذكرنا ما قد قيل في ذلك فيما مضى، وبيننا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى ذكره: يُطَافُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ، وهي جمع للكثير من الصَّحْفة، والصَّحْفة: القصعة. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن شعبة، قال: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ، مِنْ لَهُ قَصْرٌ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، فِي يَدِ كُلِّ خَادِمٍ صَحْفَةٌ سَوَى مَا فِي يَدِ صَاحِبِهَا، لَوْ فَتَحَ بَابَهُ فَضَافَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا لِأَوْسَعِهِمْ". قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ولهم ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾. "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو، قال: "مَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْفُ غَلَامٍ، كُلُّ غَلَامٍ عَلَى عَمَلٍ مَا عَلَيْهِ صَاحِبُهُ". وقوله: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وهي جمع كوب، والكوب: الإبريق المستدير الرأس، الذي لا أذن له ولا خرطوم ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صحاف من ذهب، وبالشرب في أكواب من ذهب، فاستغنى بذكر الصحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه "وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ" يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذذ أعينكم ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقول: وأنتم فيها ماكنون، لا تخرجون منها أبدا. فعن سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: "إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيَشْتَهِيَ الطَّائِرَ وَهُوَ يَطِيرُ، فَيَقَعُ مُتَفَلِّقًا نَضِيجًا فِي كَفِّهِ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ نَفْسُهُ، ثُمَّ يَطِيرُ، وَيَشْتَهِيَ الشَّرَابَ، فَيَقَعُ الْإِبْرِيْقَ فِي يَدِهِ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ مَا يَرِيدُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ."

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات. ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ يقول: لكم في

الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧١) لا يُقَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله، فاجترموا به في الآخرة ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ يقول: هم فيه ماكثون. لا يفترون عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: "وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ" والمعنى: وهم في جهنم مبلسون، والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال آخرون بما جاء عن السدي ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متغير حالهم. وقد بينا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهد، وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ﴾ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فقالهم فيها من البلاء ما نالهم، مالكا خازن جهنم ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: ليمتنا ربك، فيفرغ من إمتاننا، فذكر أن مالكا لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك، ثم يجيبهم، فيقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ﴾. كما جاء عن السدي، في قوله: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: مالك خازن النار، قال: فمكثوا ألف سنة مما تعدون، قال: فأجابهم بعد ألف عام: إنكم ماكثون. وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يقول: لقد أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرْبُؤُمْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ يقول تعالى ذكره: أَمْ أربم هؤلاء المشركون من قريش أمراً فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جئناهم به، فإننا محكمون لهم ما يخزيهم، ويدلهم من النكال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ يقول: أَمْ يظن هؤلاء المشركون بالله أننا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقتهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا. وقوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وحفظنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطوق، وتكلموا به من كلامهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارعوا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده. كما جاء عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلتتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٢٥٦﴾. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ ﴿٢٥٦﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٥٧﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى: ﴿إِنْ﴾ الشرط الذي يقتضي الجزاء على ما ذكرناه عن السدي من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبد به أنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له. وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف من الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه ﴿قُلْ اللَّهُ وَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفه في الضلال المبين. وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَاهُمْ يُحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ ﴿٢٥٨﴾ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم ﴿٢٥٩﴾ يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفة بأن له ولدا يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ وذلك يوم يصلهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئا غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٦٠﴾ يقول تعالى ذكره، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جار على جميع ذلك حكمه، ماض فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريكا من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ. ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦١﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من

شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعوا قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحداية، على علم منهم ويقين بذلك، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فأثبت جلّ ثناؤه للملائكة وعيسى وعُزَيْر ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولنّ: الله خلقنا. ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فأَي وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحقّ في عبادته. وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تأويل الكلام: وقال محمد قيله شاكيا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما يلقي منهم: يا ربّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، جوابا له عن دعائه إياه إذ قال: "يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون" ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد، وأعرض عن أذاهم ﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَامٌ﴾ عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم. فتأويل الكلام: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾. ثم ابتداء تعالى ذكره الوعيد لهم، فقال ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم، ثم نسخ الله جلّ ثناؤه هذه الآية، وأمر نبيه ﷺ بقتالهم. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة الزخرف
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَمِّمٌ ۝۱ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝۲ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ۝۳ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝۴ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝۵ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝۶ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝۷﴾
 قد تقدم بياننا في معنى قوله ﴿حَمِّمٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ أقسم جل ثناؤه بهذا الكتاب، أنه أنزل في ليلة مباركة. واختلف أهل التأويل في تلك الليلة، أي ليلة من ليالي السنة هي؟ والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ خلقنا هذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل بمن كفر منهم، فلم ينب إلى توحيدنا، وإفراد الألوهة لنا. وقوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ اختلف أهل التأويل في هذه الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، نحو اختلافهم في الليلة المباركة، وذلك أن الهاء التي في قوله ﴿فِيهَا﴾ عائدة على الليلة المباركة، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر لما قد تقدم من بياننا عن أن المعنى بقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ ليلة القدر، والهاء في قوله ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الليلة المباركة. وعن بقوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في هذه الليلة المباركة يُفْضَى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثله من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: ﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: المحكم. وقوله ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: في هذه الليلة المباركة يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا. وقوله ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلين رسولنا محمد ﷺ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا، وأرسلنا من رسلنا إليهم، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم، وغير ذلك من أمورهم وأموالهم غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝۸ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝۹ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝۱۰ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝۱۱﴾ ويعني بقوله ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها. وقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمد ﷺ رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره. وقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، يحيي ويميت، يقول: هو الذي يحيي ما يشاء ويميت

ما يشاء مما كان حيا. وقوله ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: هو مالكم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع. وقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شك يلعبون، وإنما هو افتعل، من رقبته: إذا انتظرتة وحرصته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يرقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، وأولى الأقوال بالصواب في ذلك: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجه، وترك من الكلام ﴿يقولون﴾ استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها. وقوله ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته أمانا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك، كما أخبر عنهم جل ثناؤه ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ١٣﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يُتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون علم هذا الكلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحال بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا إن كاشفوا العذاب: يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يقول: إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تفوا بما تعدون وتعهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالنكم وغيككم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدْأَا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِيَّا لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضر الحال بكم، ثم عدتم في كفركم،

ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمتم منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلاً بالسيف. وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، وقد بينا الصواب في ذلك فيما مضى، والعلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه. وقوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني تعالى ذكره: ولقد اخترنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا إليّ، ومعنى "أدوا": ادفعوا إليّ فأرسلوا معي واتبعون، وهو نحو قوله ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فأن في قوله ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ نصب، وعباد الله نصب بقوله ﴿أَدُّوا﴾ وقد تأوله قوم: أن أدوا إليّ يا عباد الله، فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء. وبنحو الذي قلنا في تأويل ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قوله ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ قال: أرسلوا معي بني إسرائيل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ يقول: إني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني إليكم لا يدرككم بأسه على كفركم به، ﴿أَمِينٌ﴾ يقول: أمين على وحيه ورسالته التي أوعدنيها إليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وجاءهم رسول كريم، أن أدوا إلي عباد الله، وبأن لا تعلوا على الله. وعنى بقوله وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا تَطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالقوا أمره إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ يقول: إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ٢٠ ذلك أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولاً باللسان، وفعلاً باليد. وقوله وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتكم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَ إِنْهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذّبوه ولم يؤمنوا به، ولم يؤد إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن هؤلاء، يعني فرعون وقومه ﴿قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ يعني: أنهم مشركون بالله كافرون. وقوله ﴿فَأَسْرِبِعَادِي﴾ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأجابه ربه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صدقوك وآمنوا بك، واتبعوك دون الذين كذبوك منهم، وأبوا قبول ما جئتكم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بني إسرائيل. وقال: ﴿فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا﴾ لأن معنى ذلك: سر بهم ليل قبل الصباح. وقوله ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدكم وأرضهم في آثاركم. وقوله ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَ﴾ يقول:

وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذا كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادي ليلا وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد رد البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركه رهوا. كما جاء عن قتادة واختلف أهل التأويل في معنى الرهو، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: اتركه على هيئته كما هو على الحال التي كان عليها حين سلكته، وذلك أن الرهو في كلام العرب: السكون وقوله ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه جند، الله مغرقهم في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۖ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم. ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم فقال بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين. وقوله ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا هؤلاء الذي ذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى ﷺ. وقوله ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عني بالقوم الآخرين بنو إسرائيل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۖ وَلَقَدْ خَجَيْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۖ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فما بكيت على هؤلاء الذين غرقهم الله في البحر، وهم فرعون وقومه، السماء والأرض، وقيل: إن بكاء السماء حمرة أطرافها. كما جاء عن السدي وقيل: إنما قيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ لأن المؤمن إذا مات، بكيت عليه السماء والأرض أربعين صباحا، ولم تبكي على فرعون وقومه، لأنه لم يكن لهم عمل يصعد إلى الله صالح، فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض، فتبكي عليهم الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد بن جبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرايت قول الله تبارك وتعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقد مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكيت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض. وقوله ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ يقول: وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم، ولكنهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربهم

عَزَّجَلَّ عَلَيْهِمْ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعدُّونَهُمْ به، المهين يعني المذل لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ مكررة على قوله ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ مبدلة من الأولى. ويعني بقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ إنه كان جبارا مستعليًا مستكبراً على ربه، ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جل ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٣٢ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ ٣٣ يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره قوله ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به. واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرءاء ويكون بالشدّة، ولم يضع لنا دليلاً من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعاً. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ﴾ ٣٤ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ ٣٥ فأتوا بآياتنا إن كنتم صادقين﴾ ٣٦ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مشركي قريش لنبي الله ﷺ: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ٣٤ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ التي نموتها، وهي الموتة الأولى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا للمحمد ﷺ: فأتوا بآياتنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا، وخوطب ﷺ هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وكما قال ﴿رَبِّ ارْجِعُون﴾ وقد بينت ذلك في غير موضع من كتابنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ٣٧ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير، أم قوم تبع، يعني تبع الحميري. كالذي جاء عن قتادة ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر لنا أن تبعاً كان رجلاً من حمير، سار بالجيوش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذكر لنا أنه كان إذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك براً وبحراً وصحاً وريحاً. وذكر لنا أن كعباً كان يقول: نُعْتُ نَعْتَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ذَمَّ الله قَوْمَهُ ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تبعاً، فإنه كان رجلاً صالحاً. وقوله ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الكافرة برهبا، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون،

كما كان الذين أهلكتناهم من الأمم من قبلهم كفارا. وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَجْزَاءً مِّنَ الْكَلَامِ﴾ يقول: إن قوم تبع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكتناهم إنما أهلكتناهم لأجرامهم، وكفرهم بربهم. وقيل: إنهم كانوا مجرمين، فكسرت ألف "إن" على وجه الابتداء، وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لعبا. وقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحيهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوبا لتكذيبهم بالمعاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) يقول تعالى ذكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: مِيقَاتِ اجتماعهم أجمعين. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ يقول: لا يدفع ابن عم عن ابن عم، ولا صاحب عن صاحبه شيئا من عقوبة الله التي حلت بهم من الله ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضا، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ بمعنى: يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه. وقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يقول جل ثناؤه واصفا نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاما لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الأثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعني به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ قال: أبو جهل. وقوله ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يُذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد. وقد بينا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع من الشواهد، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه، غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ما لم نذكره هناك. وقد جاء عن قتادة، قوله ﴿إِنَّ شَجَرَةَ

الرَّزْقِ طَعَامَ الْأَثِيمِ... الآية، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أَهْدَيْتَ لَهُ سَقَايَةَ مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ، فَأَمَرَ بِأَخْذِهِمْ فَخَدَّتْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قُدِفَ فِيهَا مِنْ جِزْلِ الْحَطَبِ، ثُمَّ قَذِفَتْ فِيهَا تِلْكَ السَقَايَةَ، حَتَّى إِذَا أَزِيدَتْ وَانْمَاعَتْ قَالَ لِعَلَامِهِ: ادْعُ مِنْ بَحْضَرَتِنَا مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ، فِدْعَا رَهْطًا، فَلَمَّا دَخَلُوا قَالَ: أَتَرُونَ هَذَا؟ قَالُوا نَعَمْ، قَالَ: مَا رَأَيْنَا فِي الدُّنْيَا شَيْبَةً لِلْمَهْلِ أَدْنَى مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ حِينَ أَزِيدَ وَانْمَاعَ. وَقَوْلُهُ ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ يَقُولُ: يَغْلِي ذَلِكَ فِي بَطُونِ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ كَغَلِي الْمَاءِ الْمَحْمُومِ، وَهُوَ الْمَسْخَنُ الَّذِي قَدْ أَوْقَدَ عَلَيْهِ حَتَّى تَنَاهَتْ شِدَّةُ حَرِّهِ، وَقِيلَ: حَمِيمٌ وَهُوَ مَحْمُومٌ، لِأَنَّهُ مَصْرُوفٌ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَى فَعِيلٍ، كَمَا يَقَالُ: قَتِلَ مَنْ مَقْتُولٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۖ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝١٨﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿خُذُوهُ﴾ يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جل ثناؤه أَنَّ لَهُ شَجَرَةَ الرِّزْقِ طَعَامَ ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ عِتَالًا إِذَا سَاَقَهُ بِالْدَفْعِ وَالْجَذْبِ وَقَوْلُهُ ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خَذُوا هَذَا الْأَثِيمَ فَسُوقُوهُ دَفْعًا فِي ظَهْرِهِ، وَسَحَبًا إِلَى وَسْطِ النَّارِ. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝١٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: يُقَالُ لِهَذَا الْأَثِيمِ الشَّقِيُّ: ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي تَعَذَّبُ بِهِ الْيَوْمَ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ عَلَيْهِمْ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ بَنِ هِشَامٍ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَهَزَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْلَى لَكَ يَا أَبَا جَهْلٍ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّوعَدُنِي مُحَمَّدٌ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا. وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَتَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ بَدْرٍ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾. وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يُقَالُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ الَّذِي تَعَذَّبُ بِهِ الْيَوْمَ، هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَشْكُونَ، فَتَخْتَصِمُونَ فِيهِ، وَلَا تَتَوَقَّعُونَ بِهِ فَقَدْ لَقِيتُمُوهُ، فَذُوقُوهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي مَوْضِعٍ إِقَامَةٍ، أَمِينٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِمَّا كَانَ يَخَافُ مِنْهُ فِي مَقَامَاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْعُلَلِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَحْزَانِ. وَقَوْلُهُ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الْجَنَاتُ وَالْعُيُونُ تَرْجُمَةٌ عَنِ الْمَقَامِ الْأَمِينِ، وَالْمَقَامُ الْأَمِينُ: هُوَ الْجَنَاتُ وَالْعُيُونُ، وَالْجَنَاتُ: الْبَسَاتِينُ، وَالْعُيُونُ: عُيُونُ الْمَاءِ الْمَطْرَدِ فِي أَصُولِ أَشْجَارِ الْجَنَاتِ. وَقَوْلُهُ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ﴾ يَقُولُ: يَلْبَسُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ فِي هَذِهِ الْجَنَاتِ مِنْ سُنْدُسٍ، وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ وَإِسْتَبْرَقٍ: وَهُوَ مَا غَلِظَ مِنَ الدِّيْبَاجِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عِكْرَمَةَ وَقِيلَ: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وَلَمْ يَقُلْ لِبَاسًا، اسْتَغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ. وَقَوْلُهُ ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ يَعْنِي أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْوُجُوهِ، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ. وَقَدْ

ذكرنا الرواية بذلك فما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۖ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ ۖ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء، وهن النقيات البيضاء، واحدتهم: حوراء. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال سائر أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾... الآية، يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتبهوه، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفناؤه، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروهه عاقبتها، وغب أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات. وكان قتادة يوجه تأويل قوله: ﴿آمْنِينَ﴾ إلى ما حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ آمنوا من الموت والأوصاب والشیطان. وقوله: ﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا. وقوله ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربه يومئذ عذاب النار تفضلا يا محمد من ربك عليهم، وإحسانا منه عليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يقهم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه. وقوله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربه، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاكَ لِعَلِّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ ۖ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبه وحُججه، ويتعظوا بعظاته، ويتفكروا في آياته إذا أنت تتلوهم عليهم، فينبوا إلى طاعة ربه، ويدعوا للحق عند تبينهموه. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبيتك بصدّهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة الدخان

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ② ﴿٢﴾ قد تقدم بياننا في معنى قوله ﴿حَمْدٌ﴾. وأما قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تدبيره أمر خلقه. وقوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في السموات السبع اللاتي منهنّ نزول الغيث، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأدلة وحجج للمصدقين بالحجج إذا تبينوا ورأوها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ③ يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس، وخلق ما تفرّق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعني: حجج وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرّون بها، ويعلمون صحتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ④ يقول تبارك وتعالى ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضياؤه ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهترت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع. وقوله ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالاً مرةً، وجنوباً أخرى، وصباً أحياناً، ودبوراً أخرى لمنافعكم. وقد قيل: عني بتصرفها بالرحمة مرةً، وبالعذاب أخرى. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ⑤ يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحقّ: يقول: نخبرك عنها بالحقّ لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقرّبهم إلى الله رُفْلَى، فبأيّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشرّكين به: فبأيّ حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حجه عليكم وأدلته التي دلّكم بها على وحدانيته من أنه لا ربّ لكم سواه، تصدّقون، إن كنتم كذّبتُم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشرّكين، وذلك قراءة

عامة قراء الكوفيين. وأما على قراءة من قرأه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها، وذكرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة، ولكلتا القراءتين وجه صحيح، وتأويل مفهوم، فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر، وذلك قوله: ﴿لَقَوْمٍ يُوقَتُونَ﴾ و﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۖ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا ۚ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: الْوَادِي السَّائِلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ، لِكُلِّ كَذَّابٍ ذِي إِثْمٍ بِرَبِّهِ، مَفْتَرٍ عَلَيْهِ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ يَقُولُ: يَسْمَعُ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تُقْرَأُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ عَلَيَّ كُفْرَهُ وَإِثْمَهُ فَيَقِيمُ عَلَيْهِ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهُ، وَلَا رَاجِعٍ عَنْهُ مُسْتَكْبِرًا عَلَىٰ رَبِّهِ أَنْ يَذْعَنَ لِأَمْرِهِ وَنَبِيِّهِ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا يَقُولُ: كَأَن لَّمْ يَسْمَعْ مَا تَلِيَّ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ بِإِصْرَارِهِ عَلَىٰ كُفْرِهِ فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَقُولُ: فِشْرٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْأَفَّاكُ الْأَثِيمُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ. أَلِيمٌ: يَعْنِي مُوجِعٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ هذا الأفَّاكُ الْأَثِيمُ ﴿مِنْ﴾ آيَاتِ اللَّهِ ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: يَقُولُ: اتَّخَذَ تِلْكَ الْآيَاتِ الَّتِي عَلِمَهَا هُزُوًا، يَسْخَرُ مِنْهَا، وَذَلِكَ كَفَعَلَ أَبِي جَهْلٍ حِينَ نَزَلَتْ ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ إِذْ دَعَا بَتْمَرَ وَزَبْدَ فَقَالَ: تَرْقُمُوا مِنْ هَذَا، مَا يَعِدُكُمْ مُحَمَّدٌ إِلَّا شَهَادًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ. وَقَوْلُهُ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ هَذَا الْفِعْلَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَصِرُّونَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ اسْتِكْبَارًا، وَيَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي عَلِمُوهَا هُزُوًا، لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ مُّهِينٌ يَهِينُهُمْ وَيَذْلُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، بِمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ آيَاتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ فَجَمَعَ. وَقَدْ جَرَى الْكَلَامُ قَبْلَ ذَلِكَ رَدًّا لِلْكَلَامِ إِلَىٰ مَعْنَى الْكَلِّ فِي قَوْلِهِ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ وَرَاهِمُ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَنْ وَرَاءَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، يَعْنِي مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ. وَقَدْ بَيَّنَّا الْعِلَّةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لَهَا أَمَامُكَ، هُوَ وَرَاءُكَ، فِيمَا مَضَىٰ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ؛ يَقُولُ: مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ نَارُ جَهَنَّمَ هُمْ وَارِدُوهَا، وَلَا يَغْنِيهِمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا: يَقُولُ: وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ إِذَا هُمْ عَذَّبُوا بِهِ مَا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ شَيْئًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يَقُولُ: وَلَا آلَهُتَهُمُ الَّتِي عَبْدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَرُؤْسَاؤُهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَاتَّخَذُوهُمْ نُصْرَاءَ فِي الدُّنْيَا، تَغْنِي عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ شَيْئًا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَقُولُ: وَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ فِي جَهَنَّمَ عَظِيمٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ۖ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ هُدًى: يَقُولُ: بَيَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَى الْحَقِّ، يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يَقُولُ: وَالَّذِينَ جَحَدُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ، وَلَمْ يَصْدُقُوا بِهَا، وَيَعْمَلُوا بِهَا، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

موجع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: الله أيها القوم، الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بينها لكم في هذه الآيات، وهو أنه ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ﴾ السفن ﴿فيه بأمره﴾ لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾. يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين ﴿لَآيَاتٍ﴾ يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر علي تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكروا فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٤) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين صدقوا الله وأتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالآذى والمكروه ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: كان نبي الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به، ويكذبونه، فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة، فكان هذا من المنسوخ. وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين. وإنما قلنا: هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٥) يقول تعالى ذكره: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهييه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهييه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضّر أحدا سوى نفسه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون

من بعد مماتكم، فيجازى المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحا، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة والإنجيل، ﴿وَالْحُكْمَ﴾ يعني الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، ﴿وَالْثُبَّةَ﴾ يقول: وجعلنا منهم أنبياء ورسلًا إلى الخلق، ﴿وَزَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْغًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْغًا بَيْنَهُمْ﴾ طلبا للرياسات، وتركنا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله. وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحق حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فهلك إن عملت به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين برهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئا، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذك منه. وقوله ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفائته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أم حسب الذين اجترأوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ يُبَيِّنُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَيَعْرِفُونَ بِهِ سَبِيلَ الرِّشَادِ، وَالْبَصَائِرُ: جمع بصيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول: وَقَوْلُهُ: وَهُدًى يَقُولُ: وَرِشَادٌ وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بِحَقِيقَةِ صَحَّةِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. وَخَصَّ جُلَّ ثَنَاؤِهِ الْمُوقِنِينَ بِأَنَّهُ لَهُمْ بَصَائِرٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ انْتَفَعُوا بِهِ دُونَ مَنْ كَذَبَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، فَكَانَ عَلَيْهِ عَمًى وَلَهُ حُزْنًا. وَقَوْلُهُ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَمْ ظَنَّ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَّبُوا بِرِسْلِ اللَّهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، أَنَّنَجْعَلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا بِرِسْلِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأَطَاعُوا اللَّهَ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَلْهَةِ، كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ، لَقَدْ مِيزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَجَعَلَ حِزْبَ الْإِيمَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَحِزْبَ الْكُفْرِ فِي السَّعِيرِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُؤْمِنٌ، وَالْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَافِرٌ. وَقَوْلُهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بِشَسِّ الْحُكْمِ الَّذِي حَسِبُوا أَنَا نَجْعَلُ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ للعدل والحق، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جل ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكننا خلقناها للحق والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل. وَقَوْلُهُ ﴿وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وليشيب الله كلَّ عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزى كلا بما كسبت يده، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوى من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره. وَقَوْلُهُ ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى. وَقَوْلُهُ ﴿وَقَلْبِهِ﴾ يقول: وطبع أيضًا على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، ولا يعي به حقًا. وَقَوْلُهُ ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ يقول: وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره. وَقَوْلُهُ

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن يوفقّه لإصابة الحقّ، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نموت نحن ونحيا وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعّلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم، لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنا مثل فلان، لأنه بحياة ذكره به، كأنه حيّ غير ميت، وقد يحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت وقمت؛ والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتأخر حدوثاً على المتقدم حدوثه منهما أحياناً، فهذا من ذلك، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرّة أحياء وأخرى أمواتاً. وقوله ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنيها إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا دَهْرٌ يَمُرُّ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون: الذي يهلكنا ويفنيها الدهر والزمان، ثم يسبون ما يفنيهم ويهلكهم، وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان، فقال الله عزّ وجلّ لهم: أنا الذي أفنيكم وأهلككم، لا الدهر والزمان، ولا علم لكم بذلك. كما روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "كان أهل الجاهليّة يقولون: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينَا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قال: فَيَسُبُّونَ الدَّهْرَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّخِذُوا بآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للشواب والعقاب ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: واضحات جليات، تنفي الشكّ عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّخِذُوا بآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: اتّخذنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقاً فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدّق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، القائلين لك اتّخذنا بآبائنا إن كنت صادقاً: الله أيها المشركون يحييكم ما

شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميّتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أولكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم ﴿إلى يوم القيامة﴾ يقول: ليوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعاً أحياء ليوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شك فيه، يقول: فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعون له شريكاً، وتعبّدونه من دونه، والذي تدعون من دونه من الآلهة والأنناد في ملكه وسلطانه، جار عليه حكمه، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكاً، أم كيف تعبّدونه، وتتركون عبادة مالكم، ومالك ما تعبّدونه من دونه ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يُنْشِرُ الله فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض ﴿يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكاً، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقّقون، ويبدّلوا بها منازل من النار كانت للمحقّقين. فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية: يقول: مجمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ يقول: كل أهل ملة ودين تدعى إلى كتابها الذي أمّلت على حفظها. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة، وقوم قبل قوم، ورجل قبل رجل. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "يُمَثَّلُ لِكُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ وَثَنٍ أَوْ خَسَنَةٍ، أَوْ دَابَّةٍ، ثُمَّ يُقَالُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَتَكُونُ، أَوْ تُجْعَلَ تِلْكَ الْأَوْثَانُ قَادَةً إِلَى النَّارِ حَتَّى تَقْذِفَهُمْ فِيهَا، فَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَيَقُولُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَعَزِيزاً إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَيَقَالُ لَهَا: أَمَّا عَزِيزٌ فَلَيْسَ مِنْكُمْ وَلَكُنْتُمْ مِنْهُ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، فَيَنْطَلِقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ مَكُونًا، ثُمَّ يُدْعَى بِالنَّصَارَى، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَالْمَسِيحَ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَيَقَالُ: أَمَّا عِيسَى فَلَيْسَ مِنْكُمْ وَلَكُنْتُمْ مِنْهُ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، فَيَنْطَلِقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ مَكُونًا، وَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا فَرَقْنَا هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا مَخَافَةَ يَوْمِنَا هَذَا، فَيُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَبَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُنَاقِقٌ، فَيَقْسُو ظَهْرَ الْمُنَاقِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سُجُودَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ تَوْبِيحاً وَصَغَاراً وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً". حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، قال: "قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هَلْ تَصَامُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هَلْ تَصَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرُ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسُ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ،

وَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ رَبُّهُمْ فِي صُورَةٍ، وَيَضْرِبُ جِسْرًا عَلَى جَهَنَّمَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَبِهَا كَلَالِيْبُ كَشَوِكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ وَيَخْطَفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدِلُ ثُمَّ يَجُوبُ"، ثم ذكر الحديث بطوله. وقوله ﴿الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كل أمة تدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسان، وبالإساءة جزاءها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنِطُّ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: لكل أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظها في الدنيا ﴿الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فافروه ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فثبتها في الكتب وتكتبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قال: "إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول، بر أو فجور، أو رزق مقسوم، حلال أو حرام، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم، وخروجه منه كيف، ثم جعل على العباد حفظة، وعلى الكتاب خزان، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا، فترجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا، قال: فقال ابن عباس: ألتستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل يكون الاستساخ إلا من أصل". وقال آخرون بما جاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم. وقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئا، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يعني في جنته برحمته. وقوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا وحدانية الله، وأبوا إفراده في الدنيا بالآلوهة، فيقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم. وقوله ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول: فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ يقول: وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله، ولا تصدقون بمعاد، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذ: ﴿وَإِذَا قِيلَ

لَكُمْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ عِبَادَهُ، أَنَّهُ مَحْيِيهِمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، وَبَاعْتِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ الَّتِي أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَقِيمُهَا لِحَشْرِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ لِلْحِسَابِ وَالثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْعِقَابِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، آتِيَةٌ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يَقُولُ: لَا شَكَّ فِيهَا، يَعْنِي فِي السَّاعَةِ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ ﴿فِيهَا﴾ مِنْ ذِكْرِ السَّاعَةِ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِي قِيَامِهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا يَنْجِيكُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ فِيهَا ﴿فَلْتُمْ مَا نَذَرِي مَا السَّاعَةُ﴾ تَكْذِيبًا مِنْكُمْ بَوَعْدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَرَدًّا لَخَبَرِهِ، وَإِنْكَارًا لِقُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَائِكُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ. وَقَوْلُهُ ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ يَقُولُ: وَقَلْتُمْ مَا نَظُنُّ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ إِلَّا ظَنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ أَنَّمَا جَائِيَةٌ، وَلَا أَنَّمَا كَائِنَةٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: وحق بهم من عذاب الله حيثئذ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إِنَّ اللَّهَ مُجِلُّهُ بِمَنْ كَذَبَ بِهِ عَلَى سَيِّئَاتِ مَا فِي الدُّنْيَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَمَاوَاكُمُ النَّارُ﴾ يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم، ﴿وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا متصير يتصير لكم ممن يعذبكم، فيستنقذ لكم منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حل بكم من عذاب الله اليوم ﴿بِأَنكُمُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا﴾، وَهِيَ حُجْجُهُ وَأَدْلَتُهُ وَآيَ كِتَابِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ﴿هُزُوءًا﴾ يَعْنِي سَخِرِيَّةً تَسْخَرُونَ مِنْهَا ﴿وَوَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يَقُولُ: وَخَدَعَتْكُمْ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَاتَّرْتَمَوْهَا عَلَى الْعَمَلِ لِمَا يَنْجِيكُمْ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا مِنَ النَّارِ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يَقُولُ: وَلَا هُمْ يَرُدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَوْبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى الْإِنَابَةِ مِمَّا عَوْقَبُوا عَلَيْهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره ﴿قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ عَلَى نِعْمِهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَ خَلْقِهِ، فَإِيَّاهُ فَاحْمَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنْ كُلُّ مَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ دُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلِهَةٍ وَوُثْنٍ، وَدُونَ مَا تَتَخَذُونَهُ مِنْ دُونِهِ رَبًّا، وَتَشْرِكُونَ بِهِ مَعَهُ ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ يَقُولُ: مَالِكُ السَّمَاوَاتِ السَّعِ، وَمَالِكُ الْأَرْضِينَ السَّعِ وَ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ: مَالِكُ جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ مِنْ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ: وَلَهُ الْعِظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأُنْدَادِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي نَقْمَتِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، الْقَاهِرُ كُلِّ مَا دُونَهُ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ وَتَصْرِيفِهِ إِيَّاهُمْ فِيمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخر تفسير سورة الجاثية والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝﴾ قد تقدم بياننا في معنى قوله ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقا مصنوعا، وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحق، يعني: إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق. وقوله ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجودا بإيجاده إياه. وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحادانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْنِسُوا بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرايتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتي على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل. وقوله ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لآلهتكم التي تعبدونها أيها الناس، شرك مع الله في السموات السبع، فيكون لكم أيضا بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتي على إفرادي العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كل ما سواه. وقوله ﴿إِنْ تُؤْنِسُوا بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أنزل عليّ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا، أو أن لهم مع الله شركا في السموات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها، لأنها إذا صح لها ذلك صحت لها الشركة في النعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر، واستحققت منكم الخدمة، لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله. وقوله ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويلها، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثرية: البقية من علم، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وهي مصدر من قول القائل: أثر الشيء أثارة، مثل سمج سماجة، وقبح قباحة وقد روي عن رسول الله ﷺ في ذلك خبر بأنه تأوله أنه بمعنى الخط، سنذكره إن شاء الله تعالى، فتأويل الكلام إذن: اتئوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب، بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم لها ما تدعون، فإن

الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغن عن المدعي شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك. وقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وألهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عني بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب. وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتميز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جارياً فيه عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرءون منهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا. وقوله ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا، يعني حججنا التي احتججناها عليهم، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد ﷺ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يعني واضحات نيرات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله للحق لما جاءهم من عند الله، فأنزل على رسوله ﷺ ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: يبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش، افترى محمد هذا القرآن، فاختلقه وتخرّصه كذبا، قل لهم يا محمد إن افتريته وتخرّصته على الله كذبا ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي﴾ يقول: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخرّصي عليه شيئاً، ولا تقدرون أن تدفعوا عني سوءاً إن أصابني به. وقوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقول: ربي أعلم من كل شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن والهاء من قوله ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ من ذكر القرآن. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يقول: كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم، بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش ﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ يعني: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم؛ يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه، إذا كان فيه أول. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهذلي قال: أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم، أممي المكذبة، أم أممي المصدقة، أم أممي المرمية بالحجارة من السماء كذفا، أم مخسوف بها خسفا، ثم أوحى إليه: ﴿وَأَذِّنْ لِقُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ يقول أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يقتل. ثم أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان، ثم قال له في أمته: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فأخبره الله ما يصنع به، وما يصنع بأمته. وقوله ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهم ما أتبع فيما أمركم به، وفيما أفعله من فعل إلا وحي الله الذي يوحيه إلي، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: وما أنا لكم إلا نذير، أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين: يقول: قد أبان لكم إنذاره، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم، يقول: فذلك أنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أنزله عليّ ﴿وَكَفَرْتُمْ﴾ أنتم ﴿بِهِ﴾ يقول: وكذبتم أنتم به. وقوله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجا عليهم لنبية ﷺ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجز لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ الآية، قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد ﷺ، فقال: إنا نجده في التوراة، وكان أفضل رجل منهم، وأعلمهم بالكتاب، فخاصمت اليهود النبي ﷺ، فقال: "أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام؟" "أتؤمنون؟" قالوا: نعم، فأرسل إلى عبد الله بن سلام، فقال: "أشهد

أني رسول الله مكتوبا في التوراة والإنجيل"، قال: نعم، فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام، فهو الذي قال الله جل ثناؤه عنه ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول: فأمن عبد الله بن سلام. فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي. وقوله ﴿فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول: فأمن عبد الله بن سلام، وصدق بمحمد ﷺ، وبما جاء به من عند الله، واستكبرتم أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: إن الله لا يوفق لإصابة الحق، وهدى الطريق المستقيم، القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به، لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا، ما سبقتمونا إلى التصديق به، وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ أنه معني به عبد الله بن سلام، فأما على تأويل من تأول أنه عني به مشركو قريش، فإنه ينبغي أن يوجه تأويل قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أنه عني به مشركو قريش وكذلك كان يتأوله قتادة، وفي تأويله إياه كذلك ترك منه تأويله، قوله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ أنه معني به عبد الله بن سلام. وقوله ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذ لم يصبروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى، فیرشدوا به الطريق المستقيم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ يقول: فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ أكاذيب من أخبار الأولين قديمة، كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم، ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن قبل هذا الكتاب، كتاب موسى، وهو التوراة، إماما لبني إسرائيل يأتون به، ورحمة لهم أنزلناه عليهم. وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه؛ وتماه: ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أنزلناه عليه، وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا. يعني بذلك وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبي مرسل لسانا عربيا. وقوله ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره. وقوله ﴿وَيُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الذي لا إله غيره ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من فزع يوم القيامة وأهواله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا

وراءهم بعد مماتهم. وقوله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها أبدا ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾

يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما أيام حياتهما، والبر بهما في حياتهما وبعد مماتهما. وقوله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا برّاهما، لما كان منهما إليه حملا ووليدا وناشئا، ثم وصف جل ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حملها ووضعها، ونبهه على الواجب لها عليه من البر، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ يعني في بطنها كرها، يعني مشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ يقول: وولدتها كرها يعني مشقة. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وحمل أمه إياه جنينا في بطنها، وفصالها إياه من الرضاع، وفطمها إياه، شرب اللبن ثلاثون شهرا. وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ اختلف أهل التأويل في مبلغ حد ذلك من السنين، وقد بينا فيما مضى الأشد جمع شد، وأنه تناهي قوته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حلمه كمال قواه، ونهاية شدته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعتفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلا من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكَذلك ذلك في قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لا شك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة. وقوله ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق في بر والديه. وقوله ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده، وعرف حق الله عليه فيما ألزمه من بر والديه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ يقول: أغرني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ من قبلي، وغير ذلك من نعمتك علينا، وألهمني ذلك. وأصله من وزعت الرجل على كذا: إذا دفعته عليه. وقوله ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: أوزعني أن أعمل صالحا من الأعمال التي ترضاها، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ. وقوله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ يقول: وأصلح لي أموري في ذريتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه جل ثناؤه بالبرّ بالأباء والأمهات والبنين والبنات. وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقوله ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الإنسان. ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك ﴿وَإِنِّي مِنَ

المُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ يقول: وإني من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، هم الذين يُتَقَبَّلُ عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال، فيجازيهم به، ويشبههم عليه ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ يقول: نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك في أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها. كما جاء عن ابن عباس. عن النبي ﷺ عن الروح الأمين، قال: "يُؤْتَى بحسنات العبد وسيئاته، فيقتصر بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة - قال: فدخلت على يزداد، فحدث بمثل هذا الحديث، قال: قلت: فإن ذهبت الحسنة؟ قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾... الآية. كما جاء عن مجاهد، قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنه، فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها: إن الله في الليل حقا لا يقبله بالنهار، وبالنهار حقا لا يقبله بالليل، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدي الفريضة، إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل، وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة، لاتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف. ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء، وذلك أن الله عزَّجَلَّ تجاوز عن أسوأ أعمالهم فلم يبد، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملا من هؤلاء، وذلك بأن الله ردَّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله عزَّجَلَّ أنزل آية الشدة عند آية الرخاء، وآية الرخاء عند آية الشدة، ليكون المؤمن راغبا راهبا، لئلا يُلقَى بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحق. وقوله ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يقول: وعدهم الله هذا الوعد، وعد الحق لا شك فيه أنه موفٍ لهم به، الذي كانوا إياه في الدنيا يعدهم الله تعالى، ونصب قوله ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ﴾ لأنه مصدر خارج من قوله ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، وإنما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدا، لأن قوله ﴿يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ - وَنَتَجَاوَزُ﴾ وعد من الله لهم، فقال: وعد الصدق، على ذلك المعنى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي أَفْ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالَّ به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتوا وتمردا على الله، وتماديا في جهله، يقول الله جلَّ ثناؤه ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي﴾ أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم ﴿أَفْ لَكُمَا﴾ يقول: فذرا لكما وتنا ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ يقول: أتعداني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حيا. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ يقول: أتعداني أن أبعث، وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا، فلم

يبعث منهم أحدا، ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان، لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله، ويقر بالبعث ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ آمِينَ﴾، أي صدق بوعد الله، وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حتى لا شك فيه، فيقول عدو الله محببا لوالديه، وردا عليهما نصيحتهما، وتكذيبا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأولون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتما أنتما فصدقتما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٨) ولكل درجاة مما عملوا وليؤفقيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴿٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حل به عذاب الله على مثل الذي حل هؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجن والإنس، الذين كذبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم. وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ يقول تعالى ذكره: ولكل هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر، والبر بالوالدين، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر، وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عز وجل في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، مما عملوا، يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيء يجازيهم الله به. كما جاء عن ابن زيد ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وليعطى جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا، المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة، والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وجميعهم لا يظلمون: لا يجازى المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه، لا على ما لم يعمل، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحسانه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَيْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يقال لهم ﴿أَلْهَيْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ فيها. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ قرأ يزيد حتى بلغ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تعلمون والله أن أقواما يشترطون حسناتهم استبقوا رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله. ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبيكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي. وذكر لنا أنه لما قدم الشام، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشعرون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام، وذهبوا - قال أبو جعفر فيما أرى أنا - بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدا. وذكر لنا "أن نبي الله ﷺ دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع - فيه فقراء المسلمين، وهم يرقعون ثيابهم بالأدم، ما يجدون لها رقاعا، قال: أنتم اليوم خير، أو يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أخرى، ويغدى عليه بحفنة،

وَيُرَاحَ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، وَيَسْتَرِ بَيْتَهُ كَمَا تَسْتَرِ الكَعْبَةُ. قالوا: نحن يومئذ خير، قال: "بل أنتم اليوم خير". وقوله ﴿فَالْيَوْمَ نَجْزِيكَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طبيباتهم في حياتهم الدنيا تجزون: أي تثابون عذاب الهون، يعني عذاب الهوان، وذلك عذاب النار الذي يهينهم كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واذكر يا محمد لقومك الرادين عليك ما جئتهم به من الحق هودا أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فخوفهم أن يحل بهم من نقمة الله على كفرهم ما حل بهم إذ كذبوا رسولنا هودا إليهم، إذ أنذر قومه عادا بالأحقاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلا واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة على البحر كما جاء عن ابن زيد وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم. وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشجر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعالية المستطيلة. وقوله ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقد مضت الرسل بإنذار أممها ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ يعني: من قبل هود ومن خلفه، يعني: ومن بعد هود. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول: لا تشركوا مع الله شيئا في عبادتكم إياه، ولكن أخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة، إنه لا إله غيره، وكانوا فيما ذكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود، إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلِهتنا إلى عبادة ما تدعوننا إليه، وإلى اتباعك على قولك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه عاد: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بوقت مجيء ما أعدكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطَرٌّ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ والعرب تسمي السحاب الذي

يُرَى فِي بَعْضِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ عَشِيَاءَ، ثُمَّ يَصْبَحُ مِنَ الْغَدِ قَدْ اسْتَوَى، وَحَبَا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ عَارِضًا، وَذَلِكَ لِعَرْضِهِ فِي بَعْضِ أَرْجَاءِ السَّمَاءِ حِينَ نَشَأَ كَالَّذِي جَاءَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: سَأَقُ اللَّهُ السَّحَابَةَ السُّودَاءَ الَّتِي اخْتَارَ قَيْلُ ابْنِ عَنَزٍ بِمَا فِيهَا مِنَ النِّقْمَةِ إِلَى عَادٍ، حَتَّى تَخْرُجَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَادٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمَغِيثُ، فَلَمَّا رَأَوْهَا اسْتَبْشَرُوا ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا﴾: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وَقَوْلُهُ ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مُخْبِرًا عَنْ قَيْلِ نَبِيِّهِ ﷺ هُوْدَ لِقَوْمِهِ لَمَّا قَالُوا لَهُ عِنْدَ رُؤْيَيْهِمْ عَارِضَ الْعَذَابِ، قَدْ عَرَضَ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ هَذَا عَارِضٌ مِمِطِرُنَا نَحِيًا بِهِ، مَا هُوَ بِعَارِضٍ غَيْثٍ، وَلَكِنَّهُ عَارِضٌ عَذَابٍ لَكُمْ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ: أَيُّهُ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ، فَقُلْتُمْ: ﴿فَاتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وَالرِّيحُ مَكْرَرَةٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ ﴿هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: بَلْ هُوَ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: كَانَ هُوْدٌ جَلْدًا فِي قَوْمِهِ، وَإِنَّهُ كَانَ قَاعِدًا فِي قَوْمِهِ، فَجَاءَ سَحَابٌ مَكْفَهَرٌ، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا فَقَالَ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ: فَجَاءَتْ رِيحٌ فَجَعَلَتْ تَلْقِي الْفُسْطَاطَ، وَتَجِيءُ بِالرَّجُلِ الْغَائِبَ فَتَلْقِيهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تُذْمِرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿تُذْمِرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: تَخْرُبُ كُلُّ شَيْءٍ، وَتَرْمِي بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَتَهْلِكُهُ وَإِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ ﴿تُذْمِرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ مِمَّا أَرْسَلَتْ بِهِلَاكِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ تَدْمَرْ هُوْدًا وَمَنْ كَانَ آمِنَ بِهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَوْلُهُ ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾ يَقُولُ: فَأَصْبَحَ قَوْمُ هُوْدٍ وَقَدْ هَلَكُوا وَفَنُوا، فَلَا يُرَى فِي بِلَادِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا مَسَاكِينُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَسْكُنُونَهَا. وَقَوْلُهُ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: كَمَا جَزَيْنَا عَادًا بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ مِنَ الْعِقَابِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابِنَا، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِنَا، إِذْ تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ وَطَغَوْا عَلَى رَبِّهِمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَنًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: وَلَقَدْ مَكَّنَّا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَادًا الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ فِيمَا لَمْ نَمَكِّنْكُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا الَّذِي لَمْ نَعْطِكُمْ مِنْهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْأَمْوَالِ، وَبَسْطَةِ الْأَجْسَامِ، وَشِدَّةِ الْأَبْدَانِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يَسْمَعُونَ بِهِ مَوَاعِظَ رَبِّهِمْ، وَأَبْصَارًا يَبْصُرُونَ بِهَا حُجُجَ اللَّهِ، وَأَفْئِدَةً يَعْقِلُونَ بِهَا مَا يَسْرَهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يَقُولُ: فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا أَعْطَاهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوها فِيمَا أَعْطَوْها لَهُ، وَلَمْ يَعْمَلُوها فِيمَا يَنْجِيهِمْ مِنَ عِقَابِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوها فِيمَا يَقْرِّبُهُمْ مِنْ سَخَطِهِ ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يَقُولُ: إِذْ كَانُوا يَكْذِبُونَ بِحُجُجِ اللَّهِ وَهُمْ رُسُلُهُ، وَيَنْكُرُونَ نُبُوَّتَهُمْ ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يَقُولُ: وَعَادَ عَلَيْهِمْ مَا اسْتَهْزَءُوا بِهِ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَا سَخَرُوا بِهِ، فَاسْتَعْجَلُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَهَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِقُرَيْشٍ، يَقُولُ لَهُمْ: فَاحْذَرُوا أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ، مَا حَلَّ بِعَادٍ، وَبَادَرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النِّقْمَةِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧) ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّره بأسه وسطوته، أن يحل بهم على كفرهم ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ أيها القوم من القرى ما حول قريبتكم، كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمثلات، وخربنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها. وقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذّكر والحجج، وبينّا لهم ذلك. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ قال بينّاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم، والتمادي في غيهم، فأهلكناهم، فلن ينصرهم منا ناصر؛ يقول جل ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكتناهم من الأمم الخالية قبلهم أو ثأنهم وألهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقربون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا، فتنفذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون. وهذا احتجاج من الله لنبية محمد ﷺ على مُشركي قومه، يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئا، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها، لتقربكم إلى الله زلفى، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها، فدفعت عنها العذاب إذا نزل، أو لشفعت لهم عند ربهم، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم، ولكنها ضررتهم ولم تنفعهم. يقول تعالى ذكره: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ يقول: بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها، فأخذت غير طريقهم، لأن عبدتها هلكت، وكانت هي حجارة أو نحاسا، فلم يصبها ما أصابهم ودعوها، فلم تجبهم، ولم تغنهم، وذلك ضلالها عنهم، وذلك إفكهم، يقول عز وجل هذه الآلهة التي ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم، وفي حال طمعهم فيها أن تغيبهم، فخذلتهم، هو إفكهم: يقول: هو كذبهم الذي كانوا يكذبون، ويقولون به هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون، يقول: وهو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي تقربنا إلى الله زلفى، وهي شفعاؤنا عند الله. وأخرج الكلام مخرج الفعل، والمعنى المفعول به، فقيل: وذلك إفكهم، والمعنى فيه: المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الأفك، والآلهة مأفوك بها. وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل، قال: وكذلك قوله ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره مفرّعا كفار قريش بكفرهم بما أمنت به الجن ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله ﷺ بالحادث الذي حدث من رجّهم بالشهب. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾... إلى آخر الآية، قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع؛ فلما بعث الله محمدا ﷺ حرس السماء حرسا شديدا، ورُجمت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجن، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين، وهي

أشرف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة بطن نخلة، فاستمعوا؛ فلما سمعوه يتلو القرآن، قالوا: أنصتوا، ولم يكن نبيّ الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن؛ فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين. واختلف أهل التأويل في مبلغ عدد نفر الذين قال الله ﷻ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل كانوا تسعة نفر. كما جاء عن زر بن حبیش وقوله ﷻ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ يقول: فلما حضر هؤلاء نفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله ﷺ. واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: حضروا رسول الله ﷺ، يتعرفون الأمر الذي حدث من قبله ما حدث في السماء، ورسول الله ﷺ لا يشعر بمكانهم، كما قد ذكرنا عن ابن عباس قيل. كما جاء عن الحسن وغيره وقال آخرون: بل أمر نبيّ الله ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم. كالذي جاء عن قتادة، قوله ﷻ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: "ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى، قال: فإن نبيّ الله ﷺ، قال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ، فأيكّم يتبعني؟" فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه، فاتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل رسول الله ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون. قال: وخطّ نبي الله ﷺ على عبد الله خطا ليثبت به، قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النور تمشي في دوفها، وسمعت لغطا شديدا، حتى خفت على نبيّ الله ﷺ، ثم تلا القرآن؛ فلما رجع نبيّ الله ﷺ قلت: يا نبيّ الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم، فقضي بينهم بالحق. وذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شُمطا من الرُط، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما أريت للذين قرأ عليهم النبيّ ﷺ الإسلام من الجنّ شيئا أدنى من هؤلاء. كما جاء عن قتادة، أن نبيّ الله ﷺ ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ، فخطّ النبيّ ﷺ على ابن مسعود خطا، ثم قال له: لا تخرج منه ثم ذهب النبيّ ﷺ إلى الجنّ، فقرأ عليهم القرآن، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: وهل رأيت شيئا؟ قال: سمعت لغطا شديدا، قال: إن الجنّ تدارأت في قتيل قُتل بينها، فقضي بينهم بالحق، وسألوه الزاد، فقال: وكل عظم لكم عرق، وكلّ روث لكم خضرة. قالوا: يا رسول الله تقدّرنا الناس علينا، فنهى النبيّ ﷺ أن يستنجي بأحدهما؛ فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الرُط، وهم قوم طوال سود، فأفزعوه، فقال: أظْهَرُوا؟ فقليل له: إن هؤلاء قوم من الرُط، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرفوا إلى النبيّ ﷺ. واختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله ﷺ فيه القرآن، فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحجون، وقال آخرون: قرأ عليهم بنخلة، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك، كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﷻ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ يقول: فلما فرغ رسول الله ﷺ من القراءة وتلاوة القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ يقول: فلما فرغ من الصلاة. ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾. وقوله ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ يقول: انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به. وذكر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعلهم رسلا إلى قومهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله ﷺ: ﴿يَا قَوْمَنَا مِنَ الْجِنِّ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ كِتَابِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رُسُلِهِ. وقوله ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يقول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه الله رضا ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام. وكان قتادة يقول في ذلك أنه قرأ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقال: ما أسرع ما عقل القوم، ذكر لنا أنهم صُرفوا إليه من نينوى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجن ﴿يَا قَوْمَنَا مِنَ الْجِنِّ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ قالوا: أجبوا رسول الله محمداً إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾ يقول: وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾ يقول: يتغمّد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول: وينقذكم من عذاب موحج إذا أنتم تبتن من ذنوبكم، وأنبتن من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه. وقوله ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أيها القوم رسول الله ﷺ محمداً، وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه من توحيده، والعمل بطاعته ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: فليس بمُعْجِز ربه بهربه، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه، وتركه تصديقه وإن ذهب في الأرض هارباً، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ يقول: وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه. وقوله ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدقوا به، وبما دعاهم إليه من توحيد الله، والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير استقامة، ﴿مُبِينٍ﴾: يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال، وأخذ على غير قصد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: أولم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم، القائلون لأبائهم وأمهاتهم ﴿أَفَ لَكُمَا أَعْدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم، فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهن من غير شيء، ولم يعي يانشأتهن، فيعجز عن اختراعهن وإحداثهن ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى﴾ فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيتهم قبل وفاتهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ قَدْؤُفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذبون

بالبعث، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة، على النار، نار جهنم، يقال لهم حيثنذ: أليس هذا العذاب الذي تعذبونه اليوم، وقد كنتم تكذبون به في الدنيا بالحق، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به، كان في الدنيا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ يقول: فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا بلى هو الحق والله قال: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: فقال لهم المقرر بذلك: فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا، وتكفرونه، وتأبون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ يَلَاغُ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ، مثبته على المضي لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة ﷺ، وأمره بالانتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزددهم المحن إلا جدًا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عطاء الخرساني وغيره وكان ابن زيد يقول، في قوله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ قال: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم، فاصبر كما صبروا. وقوله ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ يقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب، يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ يقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، لأنه ينسبهم شدة ما ينزل بهم من عذابه، قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور، كما قال جل ثناؤه. ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ﴾. وقوله ﴿بَلَاغٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ، بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذفت ذلك لبث، وهي مرادة في الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها. والآخر: أن يكون معناه: هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكروا واعتبروا فتذكروا. وقوله ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا. وَأَيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ كَانَ يَتَّبِعُهَا، وَيَمْحُوهَا اللَّهُ وَلَا يَهْلِكُ إِلَّا هَالِكٌ".

آخر تفسير سورة الأحقاف

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته، وتصديق نبيه محمد ﷺ عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد، لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ يقول: وصدقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يقول: يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه. وذكر أنه عنى بقوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... الآية أهل مكة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾... الآية، أهل المدينة. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكل فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل. كما جاء عن ابن جريج وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِأَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝﴾ يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من أهل الحرب، فاضربوا رقابهم. وقوله ﴿حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم، فصاروا في أيديكم أسرى ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ يقول: فشدهم في الوثاق كيلا يقتلوكم، فيهربوا منكم. وقوله ﴿فِأَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل. واختلف أهل العلم في قوله ﴿حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِأَمَّا مَتَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية

محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينّا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول ﷺ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل المذكور في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾... الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله ﷺ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضا، ويفادي ببعض، ويمنّ على بعض، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي معيط وقد أتى به أسيرا، وقتل بني قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلما، وهو على فدائهم، والمنّ عليهم قادر، وفادي بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفي، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحرهم، إلى أن قبضه إليه ﷺ دائما ذلك فيهم، وإنما ذكر جل ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى، فخصّ ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلهم والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكررا، فأعلم نبيه ﷺ بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ما له فيهم مع القتل. وقوله ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم، حتى تضع الحرب أثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها، وقيل: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن مجاهد، قوله ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة، وتأمين الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جرابا، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما إذا وضعها. وقوله ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب، وشدهم وثاقا بعد قهرهم، وأسرهم، والمنّ والفداء ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ هو الحق الذي ألزمتكم ربكم ولو يشاء ربكم، ويريد الانتصار من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلا إلا بأيديكم أيها المؤمنون ﴿لَيَبْلُوَنَّ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقول: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينب إلى الحق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وتأويل الكلام: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرته ما بعث به رسوله محمدا ﷺ من الهدى، فجاهدوهم في ذلك ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين. وذكر أن هذه الآية عني بها أهل أحد. كما جاء عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: **أَعْلُ هُبْلُ**، فنادى المسلمون: الله أعلى وأجل،

فنادى المشركون: يوم بيوم، إن الحرب سجال، إن لنا عِزِّي، ولا عِزِّي لكم، قال رسول الله ﷺ: "الله مولانا ولا مولى لكم. إن القتلَى مُخْتَلِفَةٌ، أَمَا قَتَلْنَا فَأَحْيَاءَ يَرْزُقُونَ، وَأَمَا قَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ يُعَذِّبُونَ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ٦ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٨ يقول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحب، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ يقول: ويدخلهم الله جنته عرفها، يقول: عرفها وبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشكل عليه ذلك. كما جاء عن أبي سعيد الخدري، قال: "إذا نجى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتَصَبَ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا، ثم يُؤذَنُ لهم بالدخول في الجنة، قال: فما كان المؤمن بأدَلْ بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها". وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا ﷺ على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأوليائه. وقوله ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يقول: ويقوّمك عليهم، ويجرّئك، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقل عددكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَالُهُمْ﴾ ٩ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ١٠ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله، فجحدا توحيده ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ يقول: فحزيا لهم وشقاء وبلاء. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَأَصْلٌ أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة، لأنها عملت في طاعة الشيطان، لا في طاعة الرحمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿وَأَصْلٌ أَعْمَالُهُمْ﴾ قال: الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هدى الآخرين، فإن الضلالة التي أخبرك الله: يضل من يشاء، ويهدي من يشاء؛ قال: وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالا وردّ قوله ﴿وَأَصْلٌ أَعْمَالُهُمْ﴾ على قوله ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ وهو فعل ماض، والتعس اسم، لأن التعس وإن كان اسما ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء، فهو بمعنى: أتعسهم الله، فلذلك صلح ردّ أضلّ عليه، لأن الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي، وكذلك قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ مردودة على أمر مضمّر ناصب لضرب. وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ يقول يعالي ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإنعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ وسخطوه، فكذبوا به، وقالوا: هو سحر مبین. وقوله ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أوبقهم بها، فأصلاهم سعيرا، وهذا حكم الله جلّ جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم، كما قال قتادة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ ١١ يقول تعالى ذكره: أفلم يسر هؤلاء المكذبون محمدا ﷺ المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفرا، وإنما هذا توبيخ من الله لهم، لأنهم قد كانوا

يسافرون إلى الشام، فيرون نقمة الله التي أحلّها بأهل حجر ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسبّاً، فقال لنييه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسر هؤلاء المشركون سفراً في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها الرّادة نصائحها ألم نهلكها فندمر عليها منازلها ونخرّبها، فيتعظوا بذلك، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه، فينبوا إلى طاعة الله في تصديقك، ثم توعدّهم جل ثناؤه، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله، أنه مُحَلّ بهم من العذاب ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم، فقال: وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا يقول: وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله ﷺ من العذاب العاجل، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ١١ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ١٢ ﴿ يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نصرتنا فريق الإيمان بالله، وتشيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: من أجل أن الله وليّ من آمن به، وأطاع رسوله. وقوله ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يقول: وبأن الكافرين بالله لا وليّ لهم، ولا ناصر. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرامة على إيمانهم به وبرسوله. وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسوله ﷺ يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقهم من الحجج المؤدّية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ ١٣ ﴿ يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشد قوة من قريتك، يقول أهلها أشدّ بأساً، وأكثر جمعا، وأعدّ عديدا من أهل قريتك، وهي مكة، وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس "أن نبي الله ﷺ، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: أَنْتَ أَحَبُّ بِلَادٍ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ أَحَبُّ بِلَادٍ إِلَى اللَّهِ إِلَيَّ، فَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ، فَأَعْتَى الْأَعْدَاءُ مِنْ عَنَا عَلَى اللَّهِ فِي حَرَمِهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ"، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ وقال جل ثناؤه: أخرجتك، فأخرج الخبر عن القرية، فلذلك أنث، ثم قال: أهلكناهم، لأن المعنى في قوله أخرجتك، ما وصفت من أنه أريد به أهل

القرية، فأخرج الخبر مرة على اللفظ، ومرة على المعنى. وقوله ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ فيه وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون معناه، وإن كان قد نصب الناصر بالتبرئة، فلم يكن لهم ناصر، وذلك أن العرب قد تضمّر كان أحيانا في مثل هذا. والآخر أن يكون معناه: فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ على برهان وحجة وبيان ﴿مِنْ﴾ أمر ﴿رَبِّهِ﴾ والعلم بوحديثه، فهو يعبد على بصيرة منه، بأن له ربًّا يجازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار، ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ يقول: كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلا فهو على العمل به مقيم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يقول: واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة. وقيل: إن الذي عني بقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ نبينا عليه الصلاة والسلام، وإن الذي عني بقوله: ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ هم المشركون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْحَيَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعدوا المتقون، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي: ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح، يقال منه: قد أسن ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت، فهو يأسن أسنا، وكذلك يقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة: قد أسن فهو يأسن. وأما إذا أجن الماء وتغير، فإنه يقال له: أسن فهو يأسن، ويأسن أسونا، وماء أسن. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن سعد بن طريف، قال: سألت أبا إسحاق عن ﴿مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قال: سألت عنها الحارث، فحدثني أن الماء الذي غير آسن تسنيم، قال: بلغني أنه لا تمسه يد، وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل في فيه. وقوله ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه. وقوله ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها. كما جاء عن سعد بن طريف، قال: سألت عنها الحارث، فقال: لم تدسه المجوس، ولم ينفخ فيه الشيطان، ولم تؤذها شمس، ولكنها فوحاء قال: قلت لعكرمة: ما الفوحاء؟ قال: الصفراء. وقوله ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ يقول: وفيها أنهار من عسل قد صُفي من القذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية، إنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفى، قد صفاه الله من الأقداء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقداء إلا بعد التصفية، لأنه كان في شمع فُصفي منه. وقوله ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون

على الأشجار ﴿وَمَغْفِرَةً مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يقول: وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا، ثم تابوا منها، وصَفَحَ منه لهم عن العقوبة عليها. وقوله ﴿كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره: أَمَّن هو في هذه الجنة التي صفتها ما وصفنا، كمن هو خالد في النار. وابتدئ الكلام بصفة الجنة، فقيل: مثل الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: أَمَّن هو في الجنة. ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها ﴿كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾. وإنما قيل ذلك كذلك، استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام، ولدلالة قوله ﴿كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ على معنى قوله ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾. وقوله ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسُقِي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حره فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاءهم. كما جاء عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ، وقوله ﴿يُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ، فإذا أَدْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوُهُ رَأْسَهُ، فإذا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ. قال: يقول الله ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ بِشْسِ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاونا منه بما تلو عليه من كتاب ربك، تغافلا عما تقول، وتدعو إليه من الإيمان، ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله، وتلاوتك عليهم ما تلوت، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يُصْغُوا أَسْمَاعَهُمْ لِقَوْلِكَ وتلاوتك ﴿مَاذَا قَالَ﴾ لنا محمد ﴿آنِفًا﴾؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم، فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يقول: ورفضوا أمر الله، واتبعوا ما دعاهم إليه أنفسهم، فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان، وسوى جل ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين، في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله، الذي اتبع به محمدا ﷺ أهواءهم، فقال في هؤلاء المنافقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك، ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿٧٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفقهم الله لاتباع الحق، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد، فإن ما تلوته عليهم، وسمعوه منك ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ يقول: زادهم الله بذلك إيماناً إلى إيمانهم، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم. وقد ذكر أن الذي تلا عليهم رسول الله ﷺ من القرآن، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان، ماذا قال آنفا، وزاد الله أهل الهدى منهم هدى، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضي به قبل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين

تقواهم، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه. وقوله ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثتهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها. والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة. وقوله ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها، وواحد الأشرار: شرط كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿فَأَتَى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أي وجه لهؤلاء المكذبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيعوا وفرطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة، يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم، لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ١١ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ يقول: فإن الله يعلم متصرفكم فيما تتصرفون فيه في يقظتكم من الأعمال، ومثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلا لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على جميع ذلك. كالذي جاء عن عبد الله بن سرجس، قال: "أكلت مع رسول الله ﷺ، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال رجل من القوم: أستغفر لك يا رسول الله، قال: نَعَمْ وَلَكَ، ثم قرأ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ١٢ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار فإذا أُنزلت سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله فإذا أُنزلت سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وقوله وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ يقول: وذكر فيها الأمر بقتال المشركين. وكان قتادة يقول في قوله وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزلت سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ قال: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. وقوله رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقول: رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ يا محمد، نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، خوفا أن تعزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفا من ذلك وتجنبنا عن لقاء العدو ينظرون إليك نظر المغشي عليه الذي قد صرع. وإنما عني بقوله مِنَ الْمَوْتِ من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق. كما جاء عن ابن زيد وقوله فَأُولَئِكَ لَهُمْ يقول تعالى ذكره: فَأُولَئِكَ لَهُمْ الذين في قلوبهم مرض. وقوله فَأُولَئِكَ لَهُمْ وعيد توعد الله به هؤلاء المنافقين. كما جاء عن قتادة وقوله طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة، ويذكر فيها القتال، وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد، قالوا:

سمع وطاعة، فقال الله عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً وَفَرَضَ الْقِتَالُ فِيهَا عَلَيْهِمْ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَرِهُوا طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ قَبْلَ وَجوب الفرض عليكم، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشقَّ عليكم. وقوله طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ مرفوع بمضمر، وهو قولكم قبل نزول فرض القتال طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ. وكان مجاهد يقول في طَاعَةَ وَقَوْلَ مَعْرُوفٍ قال: أمر الله بذلك المنافقين. وقوله فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ يقول: فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم: إذ قيل لهم: إن الله سيأمركم بالقتال طاعة، فَوَقَّوْا لَهُ بِذَلِكَ، لكان خيرا لهم في عاجل دنياهم، وأجل معادهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ^(٢٣) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة، وذكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشي عليه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها القوم، يقول: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جل ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد ﷺ وعما جاءكم به ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء ﴿وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وتعودوا لما كتتم عليه في جاهليتكم من النشت والتفرق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألف به بين قلوبكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُمْ تَعَلَّقَتْ الرَّحِمُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ مَهْ: فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْفُطَيْعَةِ، قَالَ: أَفَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعْتُ، وَأَصِلَ مَنْ وَصَلْتُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ". قال سليمان في حديثه: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وقد تأوله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية، وقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمهم، يقول: فسلبهم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حُجَجَ الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ^(٢٥) يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن خالد بن معدان، قال: ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لديناه، وما يصلحه من معيشتة، وعينان في قلبه لدينه، وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. عن أبيه قال: "تلا رسول الله ﷺ يوما ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى

قُلُوبِ أَقْفَالُهَا ﴿١٠﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله عزَّجَل يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى ولي فاستعان به " . وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ يقول الله عزَّجَل إن الذين رجعوا القهقري على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحق وقصد السبيل، فعرفوا واضح الحجة، ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: عنى بذلك أهل النفاق. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾... إلى ﴿إِسْرَارُهُمْ﴾ هم أهل النفاق. وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا، أشبه منها بصفة أهل الكتاب، وذلك أن الله عزَّجَل أخبر أن ردَّتهم كانت بقليلهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾ ولو كانت من صفة أهل الكتاب، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدوا من أجل قليلهم ما قالوا. وقوله ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم، من بعد ما تبين لهم الهدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ يقول: ومدَّ الله لهم في آجالهم ملاءة من الدهر، ومعنى الكلام: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ، والله أَمْلَى لَهُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركههم، والشيطان سول لهم، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾ الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى، وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين، فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم، يقول: فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بالأدبار: الأعجاز، وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل. وقوله ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَطَ اللَّهُ يقول تعالى ذكره: تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم. وقوله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهب، لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَانَهُمْ﴾ ﴿١٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَعرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١٥﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَعرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم، وضعف في يقينهم، فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يُخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيبيده لهم ويظهره، حتى يعرفوا نفاقهم، وحيرتهم في دينهم ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ

يقول تعالى: ولو نشاء يا محمد لعرفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل: سأريك ما أصنع، بمعنى سأعلمك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله: ﴿فلعرفهم بسيماهم﴾ يقول: فلتعرفهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم ثم إن الله تعالى ذكره عرفه إياهم. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾... إلى آخر الآية، قال: هم أهل النفاق، وقد عرفه إياهم في براءة، فقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، وقال: ﴿فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ يقول: ولتعرفن هؤلاء المنافقين في معنى قولهم نحوه. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ﴾ أيها المؤمنون بالقتل، وجهاد أعداء الله ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم، وأهل الصبر على قتال أعدائه، فيظهر ذلك لهم، ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشكِّ والحيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم، فنعرف الصادق منكم من الكاذب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله، وصدوا الناس عن دينه الذي ابتهت به رسله ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ يقول: وخالفوا رسوله محمدا ﷺ، فحاربوه وآذوه من بعد ما علموا أنه نبي مبعوث، ورسول مرسل، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته، وأنه لله رسول. وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ لأن الله بالغ أمره، وناصر رسوله، ومُظهره على من عاداه وخالفه ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة، ويطلها إلا مما يضرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في أمرهما ونهيهما ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين أنكروا توحيد الله، وصدوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك، ففتنوه عنده، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك، ثم ماتوا وهم كفار. يقول: ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ يقول: فلن يعفو الله عما صنع من ذلك، ولكنه يعاقبه عليه، ويفضحه به على رءوس الأشهاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجنبوا عن

قتالهم. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في معنى قوله ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ فقال بعضهم: معناه: وأنتم أولى بالله منهم. وقال بعضهم: مثل الذي قلنا فيه. كما جاء عن قتادة وقال ابن زيد، في قوله ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال: هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد، يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى، قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال، يقول: لا تهن فتضعف، فيرى أنك تدعو إلى السلم وأنت فوقه، وأعز منه ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أنتم أعز منهم، ثم جاء القتال بعد ففسخ هذا أجمع، فأمره بجهادهم والغلبة عليهم. وقد قيل: عنى بقوله ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ وأنتم الغالبون آخر الأمر، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وقهروكم في بعض الحروب. وقوله ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ جزم بالنهي، وفي قوله ﴿وَتَدْعُوا﴾ وجهان: أحدهما الجزم على العطف على تهنوا، فيكون معنى الكلام: فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم، والآخر النصب على الصرف. وقوله ﴿وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها، من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا فأخذت له مالا غصبا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ ٣١. **إِنْ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** فيحْفَظُكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجُ أَضْعَانَكُمْ ٣٢. يقول تعالى ذكره: حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائهم، والنفقة في سبيله، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله، وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو، يضمحل فيذهب ويندرس فيمِرُّ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ يقول: وإن تعملوا في هذه الدنيا التي ما كان فيها مما هو لها، فلعب ولهو، فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وهو الذي يبقى لكم منها، ولا يبطل بطول اللهو واللعب، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم، فيعوضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم، وحاجتكم إلى أعمالكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ يقول: ولا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يكلفكم توحيدَه، وخلع ما سواه من الأنداد، وإفراد الألوهية والطاعة له ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: إن يسألكم ربكم أموالكم ﴿فيحفظكم﴾ يقول: فيجهدكم بالمسألة، ويلج عليكم بطلبها منكم فيلحف، تبخلوا: يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه، ضنا منكم بها، ولكنه علم ذلك منكم، ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها. وقوله ﴿وَيُخْرِجُ أَضْعَانَكُمْ﴾ يقول: ويخرج جل ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال: قد علم الله أن في مسألته المال خروج الأضغان. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا

أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشِفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ بالنفقة فيه، وأدخلت "ها" في موضعين، لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكتى بين "ها" وبين "ذا"، فقالت: ها أنت ذا قائما، لأن التقريب جواب الكلام، وربما أعادت "ها" مع "ذا"، وربما اجترأت بالأولى، وقد حذفت الثانية، ولا يقدمون أنتم قبل "ها"، لأن ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة. وقوله ﴿وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يبخل بالنفقة في سبيل الله، فإنما يبخل عن بخل نفسه، لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة في سبيل الله، ولكن كانت تجود بها ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم، لأنه الغني عن خلقه والخلق الفقراء إليه، وأنتم من خلقه، فأنتم الفقراء إليه، وإنما حضكم على النفقة في سبيله، ليكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم. به محمد ﷺ، فترتدوا راجعين عنه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقول: يهلككم ثم يجيء يقوم آخرين غيركم بدلا منكم يصدقون به، ويعملون بشرائعه ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ يقول: ثم لا يخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وذكر أنه عنى بقوله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: العجم من عجم فارس. كما جاء عن أبي هريرة، قال: "لما نزلت ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استبدلوا بنا، قال: فضرِب النبي ﷺ على منكب سلمان، فقال: من هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو أن الدين تعلق بالثرى لَنَالَتْهُ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ". وقال: مجاهد في قوله عز وجل ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ من شاء. وقال آخرون: هم أهل اليمن.

آخر تفسير سورة محمد ﷺ

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝﴾ يعني بقوله تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ يقول: إنا حكمنا لك يا محمد حكما لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر، لشكر ربك، وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم، وفتحه ما فتح لك، ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعلك ذلك ربك، ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته. وبعد ففي صحة الخبر عنه ﷺ " أنه كان يقوم حتى ترم قدماه، فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ "، الدلالة الواضحة على أن الذي قلنا من ذلك هو الصحيح من القول، وأن الله تبارك وتعالى، إنما وعد نبيه محمداً ﷺ غفران ذنوبه المتقدمة، فتح ما فتح عليه، وبعده على شكره له، على نعمه التي أنعمها عليه. وكذلك كان يقول ﷺ: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مئة مرة" ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على غير الوجه الذي ذكرنا، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية، ولا لاستغفار نبي الله ﷺ ربه جل جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل، إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عز وجل غفران ذنوبه، فإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى، لأنه من المحال أن يقال: اللهم اغفر لي ذنبا لم أعمله. وذكر أن هذه السورة أنزلت على رسول الله ﷺ منصرفة عن الحديبية بعد الهدنة التي جرت بينه وبين قومه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وجاء عن أبي وائل، قال: تكلم سهل بن حنيف يوم صفين، فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ أليس قتالنا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولكن يضيّعني أبداً، قال: فرجع وهو متغيظ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ أليس قتالنا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله، لن يضيعه الله أبداً، قال: فنزلت سورة الفتح، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر، فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: نعم. وقوله تعالى ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بإظهاره إياك على عدوك، ورفع ذكرك في الدنيا، وغفرانه ذنوبك في الآخرة

﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يقول: ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربك ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ يقول: وينصرك على سائر أعدائك، ومن ناوأك نصرا، لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، للباس الذي يؤيدك الله به، وبالظفر الذي يمدك به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يعني جل ذكره بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الله أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان، والحق الذي بعثك الله به يا محمد. وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل في معنى السكينة قبل، والصحيح من القول في ذلك بالشواهد المغنية، عن إعادتها في هذا الموضع. ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ يقول: ليزدادوا بتصديقهم بما جدد الله من الفرائض التي ألزمهموها، التي لم تكن لهم لازمة ﴿إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ يقول: ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، في قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: السكينة: الرحمة ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ قال: إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم، فقال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ قال ابن عباس: فأوتق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكملة شهادة أن لا إله إلا الله. وقوله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله جنود السموات والأرض أنصار ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه، وما خلقه عاملوه، حكيما في تدبيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا فتحنا لك فتحا مبينا، لنشكر ربك، وتحمده على ذلك، فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وليحمد ربهم المؤمنون بالله، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذي فتحه، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين، بإظهاره إياهم عليهم، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها إلى غير نهاية وليكفر عنهم سيئ أعمالهم بالحسنات التي يعملونها شكرا منهم لربهم على ما قضى لهم، وأنعم عليهم به ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان ما وعدهم الله به من هذه العدة، وذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التي يعملونها عند الله لهم ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يقول: ظفروا منهم بما كانوا تأملوه ويسعون له، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما. قد تقدم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله ﷺ، أو تلا عليهم قول الله عز وجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ تبينا من الله لهم ما هو فاعل بهم. قوله ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ على اللام من قوله ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ بتأويل تكرير الكلام ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ﴾، إنا فتحنا لك ليدخل

المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف، فلم يقل: وليدخل المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وليعذب المنافقين والمنافقات، يفتح الله لك يا محمد، ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش، فيكتبوا لذلك ويحزنوا، ويخيب رجائهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا، وصلي النار والخلود فيها في أجل الآخرة ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ يقول: وليعذب كذلك أيضا المشركين والمشركات ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ﴾ أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به. وقوله ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ونالهم الله بغضب منه، ولعنهم: يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وأعدَّ لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ يقول: وساءت جهنم منزلا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات. وقوله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول جل ثناؤه: والله جنود السماوات والأرض أنصارا على أعدائه، إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا عزة، لا يغلبه غالب، ولا يمتنع عليه مما أَرَادَهُ به ممتنع، لعظم سلطانه وقدرته، حكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، ومبشرا لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيم، ونذيرا لهم عذاب الله إن هم تولوا عما جئتكم به من عند ربك. وقوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله ومعنى التعزيز في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال. وقد بينا معنى ذلك بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم. وقوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يقول: وتصلوا له يعني الله بالغدوات والعشيات. والهاء في قوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من ذكر الله وحده دون الرسول. وقد ذكر أن ذلك في بعض القراءات: ﴿وَيُسَبِّحُوا اللَّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا

يُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وفي قوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ؛ والآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو. وقوله ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن نكث بيعته إياك يا محمد، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يقول: فإنما ينقض بيعته، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الحنة بوفائه بالبيعة، فلم يضرب بنكته غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وفي بيعته. وقوله ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ...﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: ومن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العدو في سبيل الله ونصرة نبيه ﷺ على أعدائه ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقول: فسيعطيه الله ثوابا عظيما، وذلك أن يدخله الجنة جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس بالمؤكدة من الأيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول لك يا محمد الذين خلفهم الله في أهلهم عن صحبتك، والخروج معك في سفرك الذي سافرت، ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمرا، زائرا بيت الله الحرام إذا انصرفت إليهم، فعانتهم على التخلف عنك، شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا، وإصلاح معاشنا وأهلونا، فاستغفر لنا ربنا لتخلفنا عنك، قال الله جل ثناؤه مكذبهم في قلوبهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلفون عنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلك مسألتهم رسول الله ﷺ الاستغفار لهم، يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على ما سلف منهم من معصية الله في تخلفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير معه ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك: إن أنا استغفرت لكم أيها القوم، ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهلكم، أو أراد بكم نفعا بشميره أموالكم وإصلاحكم أهليكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شر، والله لا يعاذه أحد، ولا يغالبه غالب. وقوله ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لا يعلم ما هم عليها منطوون من النفاق، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشر خبيرا، لا تخفى عليه شيء من أعمال خلقه، سرها وعلايتها، وهو محصيها عليهم حتى يجازيهم بها، وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر عنه حين أراد المسير إلى مكة عام الحُدَيْبِيَّةِ معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعمرة، وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حربا، فتناقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا خلافا فهم الذين عنى الله تبارك وتعالى بقوله ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا...﴾ الآية.

وكالذي قلنا في ذلك قال أهل العلم بسير رسول الله ﷺ ومغازيه، منهم ابن إسحاق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله ﷺ عند منصرفه من سفره إليهم بقولهم ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ما تخلفتم خلاف رسول الله ﷺ حين شخص عنكم، وقعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهلكم، بل تخلفتم بعده في منازلكم، ظنا منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سيهلكون، فلا يرجعون إليكم أبدا باستئصال العدو إياهم وزين ذلك في قلوبكم، وحسن الشيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسن عندكم التخلف عنه، فقعدتم عن صحبته ﴿وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ﴾ يقول: وظننتم أن الله لن ينصر محمدا ﷺ وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأن العدو سيقهر ونهم ويغلبونهم فيقتلونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ يقول: وكنتم قوما هلكى لا يصلحون لشيء من خير. وقيل: إن البور في لغة أذرعات: الفاسد؛ فأما عند العرب فإنه لا شيء. ومنه قول أبي الدرداء: فأصبح ما جمعوا بُورًا أي ذاهبا قد صار باطلا لا شيء منه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب، ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم، فيصدقه على ما أخبر به، ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه، فإنا أعددنا لهم جميعا سعيرا من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة؛ يقال من ذلك: سمرت النار: إذا أوقدتها، فأنا أسعرها سعرا؛ ويقال: سمرت أيضا إذا حركتها. وإنما قيل للمُسعر مُسْعِر، لأنه يحرك به النار، ومنه قولهم: إنه لمُسعر حرب: يراد به موقدها ومهيجه. وقوله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله سلطان السموات والأرض، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصرتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا، إن أنتم تبتن من نفاقكم وكفركم، وهذا من الله جل ثناؤه حث لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله ﷺ، يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله ﷺ، فإن الله يغفر للتائبين ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده، وذرا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَاثِبُونَ لَا يَقْفَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: سيقول يا محمد المخلفون في أهلهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام، إذا انطلقت أنت ومن صحبتك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنمة ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يقول: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم

ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وجاء عن قتادة ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾.... الآية، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ من الحديبية. ذكر لنا أن المشركين لما صدّوا رسول الله ﷺ من الحديبية عن المسجد الحرام والهدي، قال المقداد: يا نبي الله، إنا والله لا نقول كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ فلما سمع ذلك أصحاب نبي الله ﷺ تابعوا على ما قال؛ فلما رأى ذلك نبي الله ﷺ صالح قريشاً، ورجع من عامه ذلك". وقال آخرون: بل عنى بقوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ إرادتهم الخروج مع نبي الله ﷺ في غزوه، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. وقوله ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خير إذا أردنا السير إليهم لقتالهم ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مَرَجِعْنَا إِلَيْكُمْ، إن غنيمه خير لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها، فليس لكم أن تتبعونا إلى خير، لأن غنيمتها لغيركم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ خَيْرُ مَنْتَ﴾ أن نصيب معكم مغنماً إن نحن شهدنا معكم، فلذلك تمنعونا من الخروج معكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ وأصحابه: ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسداً منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدو مغنماً، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلاً يسيراً، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرّمهم غنائم خير، إنما تمنعونا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدونا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن المسير معكم، ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى﴾ قتال ﴿قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ﴾ في القتال ﴿شَدِيدٍ﴾. واختلف أهل التأويل في هؤلاء الذين أخبر الله عَزَّجَلَّ عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يُدْعَوْنَ إلى قتالهم وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عني بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يُقال كما قال الله جل ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد. وقوله ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمخلفين من الأعراب تقاتلون هؤلاء الذين تدعون إلى قتالهم، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال. وقوله ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ يقول تعالى ذكره إن تطيعوا الله في إجابته إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولي البأس الشديد، فتجيبوا إلى

قتالهم والجهاد مع المؤمنين ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ يقول: يعطكم الله على إجابتك إياه إلى حربهم الجنة، وهي الأجر الحسن ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: وإن تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالقوا أمره، فتتركوا قتال الأولي البأس الشديد إذا دُعيتهم إلى قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: كما عصيتموه في أمره إياكم بالمسير مع رسول الله ﷺ إلى مكة، من قبل أن تدعوا إلى قتال أولي البأس الشديد ﴿يُعَذِّبُكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني: وجيعا، وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه، وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك، وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعي إلى ذلك، يُدْخِلْهُ الله يوم القيامة جَنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يقول: ومن يعص الله ورسوله، فيتخلف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعي إليه، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذِّبه عذابا موجعا، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ وسول الله بالحدبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفرّوا، ولا يولّوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة. وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله ﷺ كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملا من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفا وأربع مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وخمس مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وثلاث مئة. ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة: كالذي جاء عن عكرمة مولى ابن عباس: "أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة، فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليهم، ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرا لهذا البيت، معظما لحرمة، فخرج عثمان إلى مكة، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته، فحملة بين يديه، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم

عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل". وقوله ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فأنزله الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم، وإنزاله السكينة عليهم، وإثابته إياهم فتحا قريبا، معه مغنم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان دون غيرهم. وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يقول: وكان الله ذا عزة في انتقامه ممن انتقم من أعدائه، حكيما في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُم وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٥﴾ وأخرى لم تُقدِّروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ﴿٥﴾ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ﴾ أيها القوم ﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾. اختلف أهل التأويل في هذه المغنم التي ذكر الله أنه وعدوها هؤلاء القوم أي المغنم هي؟ وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغنم الكثيرة من مغنم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنمة، ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها. وأما قوله ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ فهي سائر المغنم التي غنمها الله بعد خيبر، كغنائم هوازن، وغطفان، وفارس، والروم. وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر، لأن الله أخبر أنه عجل لهم هذه التي أثابهم من مسيرهم الذي ساروه مع رسول الله ﷺ إلى مكة، ولما علم من صحة نيتهم في قتال أهلها، إذ بايعوا رسول الله ﷺ، على أن لا يفروا عنه، ولا شك أن التي عجلت لهم غير التي لم تُعجل لهم. وقوله ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُم﴾ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: وكف الله أيدي المشركين عنكم. ثم اختلف أهل التأويل في الذين كفَّت أيديهم عنهم من هم؟ والذي قاله قتادة في ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُم﴾ قال: كف أيدي الناس عن عيالهم بالمدينة. ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُم وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فعلم بذلك أن الكف الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُم﴾ غير الكف الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُم وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾. وقوله ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياتهم وكلاءهم في مشاهدتهم ومغيبهم، ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهلهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته، منتهين إلى أمره ونهيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾

قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ وَوَعَدَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رَبِّكُمْ فَتَحَ بِلَدَةِ أُخْرَى لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى فَتْحِهَا، قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا لَكُمْ حَتَّى يَفْتَحَهَا لَكُمْ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْأُخْرَى، وَالْقَرْيَةِ الْأُخْرَى الَّتِي وَعَدَهُمْ فَتَحَهَا، الَّتِي أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مُحِيطُ بِهَا وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ قِتَادَةُ ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهَا مَكَّةُ ﴿أَشْبَهَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، أَنَّهُ مُحِيطُ بِقَرْيَةٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، وَمَعْقُولٌ أَنَّهُ لَا يَقَالُ لِقَوْمٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ رَامُوا فَتَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ، فَأَمَّا وَهُمْ لَمْ يَرَوْا مَوَاهِجَ فَتَعَدَّرَ عَلَيْهِمْ فَلَا يَقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَقْصِدْ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهِ خَيْبَرَ لِحَرْبٍ، وَلَا وَجْهَ إِلَيْهَا لِقِتَالِ أَهْلِهَا جَيْشًا وَلَا سِرِّيَّةً، عَلِمَ أَنَّ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ غَيْرُهَا، وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي قَدْ عَالَجَهَا وَرَامَهَا، فَتَعَدَّتْ فَكَانَتْ مَكَّةُ وَأَهْلُهَا كَذَلِكَ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ أَحَاطَ بِهَا وَبِأَهْلِهَا، وَأَنَّهُ فَاتَحَهَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ ذَا قُدْرَةٍ، لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَاءَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمَكَّةَ ﴿لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ﴾ يَقُولُ: لَا نَهْزِمُوا عَنْكُمْ، فَوَلَوْكُمْ أَعْجَازَهُمْ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ الْمَنْهَزِمُ مِنْ قَرْنِهِ فِي الْحَرْبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ يَقُولُ: ثُمَّ لَا يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ الْمَنْهَزِمُونَ عَنْكُمْ، الْمَوْلُوكُمُ الْأُدْبَارَ، وَلِيًّا يُوَالِيهِمْ عَلَى حَرْبِكُمْ، وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَغْلِبَ حِزْبُ اللَّهِ نَاصِرَهُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قِتَادَةَ وَقَوْلِهِ ﴿سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لَوْ قَاتَلَكُمُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ مِنْ قَرِيشٍ، لَخَذَلَهُمُ اللَّهُ حَتَّى يَهْزِمَهُمْ عَنْكُمْ خَذْلَانَهُ أَمْثَالَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، الَّذِينَ قَاتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ. وَأَخْرَجَ قَوْلَهُ ﴿سُنَّةُ اللَّهِ﴾ نَصْبًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿لَوَلَّوْا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ مَعْنَى سَنَنْتُ فِيهِمُ الْهَزِيمَةَ وَالْخَذْلَانَ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ﴾ مُصَدِّرًا مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ لَا مِنْ لَفْظِهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تَفْسِيرًا لِمَا قَبْلُهَا مِنَ الْكَلَامِ. وَقَوْلُهُ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَلَنْ تَجِدَ يَا مُحَمَّدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ الَّتِي سَنَهَا فِي خَلْقِهِ تَغْيِيرًا، بَلْ ذَلِكَ دَائِمٌ لِلْإِحْسَانِ جَزَاءَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَلِلْإِسَاءَةِ وَالْكَفْرِ الْعِقَابُ وَالنَّكَالُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ: وَالَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ كَفَّ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا عَلَى عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِالْحَدِيدِيَّةِ يَلْتَمِسُونَ غَرَّتَهُمْ لِيَصِيبُوا مِنْهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَى بِهِمْ أَسْرَى، فَخَلَّى عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقْتُلْهُمْ فَقَالَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكُمْ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكَمُ عَلَيْهِمْ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتِ الْآثَارُ كَالَّذِي جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَغْفَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ بِالْحَدِيدِيَّةِ، وَعَلَى ظَهْرِهِ غَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ فَرَفَعَتْهَا عَنْ ظَهْرِهِ، وَعَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

بين يديه وسهيل بن عمرو، وهو صاحب المشركين، فقال رسول الله ﷺ لعلّي: اكتب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فأمسك سهيل بيده، فقال: ما نعرف الرحمن، اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال رسول الله: اكتب بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فكتب، فقال: هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة، فأمسك سهيل بيده، فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولا اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله، فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: هَلْ خَرَجْتُمْ فِي أَمَانٍ أَحَدٍ، قال: فخلّى عنهم، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وقال آخرون في ذلك: ما جاء عن ابن أبرى، قال: لما خرج النبي ﷺ بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له عمر: يا نبي الله، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا إلا حملة؛ فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل ببنى، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمس مئة، فقال لخالد بن الوليد: يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله، فيومئذ سمي سيف الله، يا رسول الله، ارم بي حيث شئت، فبعثه على خيل، فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... إلى قوله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: فكفّ الله النبي عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم. وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لا يخفى عليه منها شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ وَلَوْلَا رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيد الله، وصدوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام، وصدوا الهدي معكوفًا: يقول: محبوسًا عن أن يبلغ محله. فموضع "أن" نصب لتعلقه إن شئت بمعكوف، وإن شئت بصدوا. وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك: وصدوا الهدي معكوفًا كراهية أن يبلغ محله. وعنى بقوله تعالى ذكره: ﴿أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ﴾ أن يبلغ محل نحره، وذلك دخول الحرم، والموضع الذي إذا صار إليه حل نحره، وكان رسول الله ﷺ ساق معه حين خرج إلى مكة في سَفَرَتِهِ تلك سبعين بدنة. كما جاء عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه، قالَا خرج رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَّةِ يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا وساق الهدي معه سبعين بدنة وكان الناس سبع مئة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ﴾ قال أهل التأويل. كالذي جاء عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال: بعثت قريش سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وحفص بن فلان إلى النبي ﷺ ليصالحوه فلما رآهم رسول الله ﷺ فيهم سهيل بن

عمرو، قال: قد سهّل الله لكم من أمركم، القوم ما تون إليكم بأرحامهم وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدى، وأظهروا التلبية، لعلّ ذلك يلين قلوبهم، فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، فجاءوا فسألوه الصلح؛ قال: فبينما الناس قد توادعوا وفي المسلمين ناس من المشركين، قال: فقيل به أبو سفيان؛ قال: وإذا الوادي يسيل بالرجال؛ قال: قال إياس، قال سلمة: فجئت بسة من المشركين متسلحين أسوقهم، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فأتيته بهم النبي ﷺ، فلم يسلب ولم يقتل وعفا؛ قال: فشددنا على من في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم منا رجلا إلا استنقذناه؛ قال: وغلبنا على من في أيدينا منهم؛ ثم إن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو، وحويطبا، فولوا صلحهم، وبعث النبي ﷺ عليا في صلحه؛ فكتب عليّ بينهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ قريشا، صالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد ﷺ حاجا أو معتمرا، أو يتبغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله؛ ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام يتبغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله؛ وعلى أنه من جاء محمدا ﷺ من قريش فهو إليهم ردّ، ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم. فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ جَاءَهُمْ مِنْ أَقْبَعِهِ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَهُمْ مِنْهُمْ فَكَذَّبَهُ إِيَّاهُمْ، فَعَلِمَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ مِنْ نَفْسِهِ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا. فصالحوه على أنه يعتمر في عام قابل في هذا الشهر، لا يدخل علينا بخيل ولا سلاح، إلا ما يحمل المسافر في قربه، يثوي فينا ثلاث ليال، وعلى أن هذا الهدى حيثما حبسناه محلّه لا يقدمه علينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: نَحْنُ نَسْوَقهُ وَأَنْتُمْ تَرُدُّونَ وَجُوهَهُ، فسار رسول الله ﷺ مع الهدى وسار الناس". وقوله ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطّوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة، وقد حبسهم المشركون بها عنكم، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾... حتى بلغ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هذا حين رد محمد وأصحابه أن يدخلوا مكة، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم. واختلف أهل التأويل في المعرة التي عناها الله في هذا الموضع والصواب ما قاله ابن إسحاق ﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فتخرجوا ديتة، فأما إنهم فلم يحسبه عليهم. والمعرة: هي المفعلة من العرّ، وهو الجرب وإنما المعنى: فتصيبكم من قبلهم معرة تعرون بها، يلزمكم من أجلها كفارة قتل الخطأ، وذلك عتق رقبة مؤمنة، من أطاق ذلك، ومن لم يطق فصيام شهرين. لأن معنى الكلام: ولولا أن تطّوا رجلا مؤمنا ونساء مؤمنات لم تعلموهم، فتصيبكم منهم معرة بغير علم لأن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: ليدخل الله في الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا

العاجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع إن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ والمشركون: بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ عامه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي هريرة أخرجه أن رسول الله ﷺ قال: "أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ". وأنزل الله في كتابه، فذكر قوما استكبروا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقال الله ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحديبية، يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة. و"إِذْ" من قوله ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من صلة قوله: لعذبنا. وتأويل الكلام: لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما، حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية، والحمية فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنفه حمية ومحمية وقوله ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره أنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين، إذ حمى الذين كفروا حمية الجاهلية، ومنعهم من الطواف بالبيت، وأبو أن يكتبوا في الكتاب بينه وبينهم: بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ يقال: ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقوله ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان رسول الله ﷺ: والمؤمنون أحق بكلمة التقوى من المشركين وأهلها: يقول: وكان رسول الله ﷺ والمؤمنون أهل كلمة التقوى دون المشركين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله بكل شيء ذا علم، لا يخفى عليه شيء هو كائن، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات لم تعلموهم، لم يأذن لكم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصرا بعضهم رأسه، ومحلقا بعضهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فعلم الله جل ثناؤه ما لم تعلموا، وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين، الذين لم يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها في ذلك العام لوطنوهم بالخيال والرجل، فأصابتهم منهم معرفة بغير علم، فردهم الله عن مكة من أجل ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال

أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ اختلف أهل التأويل في الفتح القريب وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ وكان صلح الحُدَيْبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عمّ ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٢٨ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٢٩

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٢٩ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبيان الواضح، ودين الحق، وهو الإسلام؛ الذي أرسله داعيا خلقه إليه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يقول: ليطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، فحينئذ تبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمدا ﷺ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها. وقوله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه ﷺ: أشهدك يا محمد ربك على نفسه، أنه سيظهر الدين الذي بعثك به ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يقول: وحسبك به شاهدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم. كما جاء، عن قتادة ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ألقى الله في قلوبهم الرحمة، بعضهم لبعض ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يقول: تراهم ركعا أحيانا لله في صلاتهم سجدا أحيانا ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا، فضلا من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يفضل عليهم، فيدخلهم جنته ﴿وَرِضْوَانًا﴾ يقول: وأن يرضى عنهم ربهم. وقوله ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ يقول: علامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم. ثم اختلف أهل التأويل في السيمة التي عناه الله في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيماء هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر

السجود. وبنحو الذي قلنا في معنى السیما قال أهل التأویل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد ﷺ الذين معه صفتهم في التوراة. وقوله ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يقول: وصفته في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه، وهو فراخه، يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فَرَخَ فهو يشطِي إشطاءً، وإنما مثلهم بالزرع المشطى، لأنهم ابتدءوا في الدخول في الإسلام، وهم عدد قليلون، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل فيه الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأویل. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: هذان المَثَلان في التوراة والإنجيل مثلهم. كما جاء عن مجاهد وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة، غير مثلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل، وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ حتى يكون ذلك خبراً عن أن ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله ﴿كَزَرْعٍ﴾ دليل بين على صحة ما قلنا، وأن قولهم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ قال أهل التأویل كما جاء عن أنس وغيره وقوله ﴿فَأَزْرَهُ﴾ يقول: فقواه: أي قوى الزرع شطأه وأعانه، وهو من الموازنة التي بمعنى المعاونة ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ يقول: فغلظ الزرع ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ والسوق: جمع ساق، وساق الزرع والشجر: حاملته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأویل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿عَلَى سُوْقِهِ﴾ قال: أصوله. كما جاء عن الزهري وغيره وقوله ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يقول تعالى ذكره: يعجب هذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحسن نباته، وبلوغه وانتهاه الذين زرعه ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يقول: فكذلك مثل محمد ﷺ وأصحابه، واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته، ثم قال ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فدل ذلك على متروك من الكلام، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأویل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم. وقوله ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ عائد على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيلاً: "منهم"، ولم يقل "منه". وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد ﷺ إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾. وقوله ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ يعني: عفوا عما مضى من ذنوبهم، وسيى أعمالهم بحسنها. وقوله ﴿وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ يعني: وثواباً جزيلاً وذلك الجنة.

آخر تفسير سورة الفتح والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) يعني تعالى ذكره بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله، وبنوّة نبيه محمد ﷺ ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله، محكّي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال الحسن: أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم نبي الله ﷺ أن يعيدوا ذبحا آخر. وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنوا في قولكم، أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله، وفي غير ذلك من أموركم، وراقبوه، إن الله سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمر غيركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله ﷺ تتجهمونه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا: يا محمد، يا محمد، يا نبي الله، يا نبي الله، يا رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ثابت بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوّف أن تكون نزلت في، وأنا صيت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله ﷺ، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدّي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسول الله ﷺ؛ قال: وأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره، فقال: أذهب فادعُ لي، فجاء عاصم إلى المكان، فلم يجده، فجاء إلى أهله، فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجا فأتيا نبي الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت في ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت

بُشِّرَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ، لَا أَرْفَعُ صَوْتِي أَبَدًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾... الآية. وقوله ﴿أَنْ تَحْبُطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ يقول: أَنْ لَا تَحْبُطَ أَعْمَالُكُمْ فَتَذْهَبَ بَاطِلَةٌ لَا ثَوَابَ لَكُمْ عَلَيْهَا، وَلَا جَزَاءَ بِرَفْعِكُمْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ نَبِيِّكُمْ، وَجَهْرَكُمْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ. وقوله ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يقول: وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا تَدْرُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُونَ رَفْعَ أَصْوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَصْلُ الْغَضِّ: الْكَفُّ فِي لِينٍ. ومنه: غَضُّ الْبَصَرِ، وَهُوَ كَفُّهُ عَنِ النَّظَرِ وَقَوْلُهُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ يقول تعالى ذكره: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، هُمُ الَّذِينَ اخْتَبَرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِامْتِحَانِهِ إِيَّاهَا، فَاصْطَفَاهَا وَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى، يَعْنِي لَا تَقَائِهِ بِأَدَاءِ طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، كَمَا يَمْتَحِنُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ، فَيَخْلُصُ جِيدَهَا، وَيُطْلَعُ خَبْثُهَا. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول: لَهُمْ مِنْ اللَّهِ عَفْوٌ عَنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَصَفَحَ مِنْهَا عَنْهَا لَهُمْ ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: وَثَوَابٌ جَزِيلٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ وَرَاءِ حُجُرَاتِكَ، وَالْحُجُرَاتُ: جَمْعُ حَجْرَةٍ، وَالثَّلَاثُ: حُجْرٌ، ثُمَّ تَجْمَعُ الْحِجَرُ فَيُقَالُ: حُجُرَاتٌ وَحُجْرَاتٌ، وَقَدْ تَجْمَعُ بَعْضُ الْعَرَبِ الْحَجْرَ: حَجَرَاتٌ بَفَتْحِ الْجِيمِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ جَمْعٍ كَانَ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَى عَشْرَةٍ عَلَى فِعْلٍ يَجْمَعُونَهُ عَلَى فَعَلَاتٍ بَفَتْحِ ثَانِيهِ، وَالرَّفْعُ أَفْصَحُ وَأَجُودُ وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءُوا يَنَادُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ حُجُرَاتِهِ: يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ إِلَيْنَا. كَمَا جَاءَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنْ دُمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ: "ذَلِكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" وَقَوْلُهُ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يَقُولُ: أَكْثَرُهُمْ جُهَالٌ بِدِينِ اللَّهِ، وَاللَّازِمُ لَهُمْ مِنْ حَقِّكَ وَتَعْظِيمِكَ. وَقَوْلُهُ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ صَبَرُوا فَلَمْ يَنَادُوكَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ إِذَا خَرَجْتَ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَهُمْ بِتَوْقِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ، فَهُمْ بِتَرْكِهِمْ نِدَاءَكَ تَارِكُونَ مَا قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: اللَّهُ ذُو عَفْوٍ عَمَّنْ نَادَاكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، إِنَّهُ هُوَ تَابٌ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِنَدَائِكَ كَذَلِكَ، وَرَاجِعٌ أَمْرُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ؛ رَحِيمٌ بِهِ أَنْ يَعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ عَنْ قَوْمٍ فَتَبَيَّنُوا. وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْعُقَيْبِ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ. ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ ذَلِكَ: كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

نَبِيًّا... الآية، قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عتبة بن أبي معيط، ثم أحد بني عمرو بن أمية، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق، ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا، وخرجوا لِيَتَلَقَّوْا رسول رسول الله ﷺ، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم، إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله عذرهم في الكتاب، فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. وقوله أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ يقول تعالى ذكره: فَتَبَيَّنُوا لِمَا تُصِيبُوا قَوْمًا بِرَأْيٍ مِّمَّا قَذَفُوا بِهِ بِجَنَابَةِ جَهَالَةٍ مِنْكُمْ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ يقول: فتقدموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۖ فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ يقول تعالى ذكره: لأصحاب نبي الله ﷺ: واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله، ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، ويعرفه أنباءكم، ويقومه على الصواب في أموره. وقوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بأرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ يقول: لنالكم عنت، يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عتبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الصدقة، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين، فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم، كان قد قتل، وقتلتم من لا يحل له ولا لكم قتله، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحل له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فنالكم من الله بذلك عنت ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ بالله ورسوله، فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به فيطيعكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم. وقوله ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فأنتم ﴿وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ يعني الكذب، ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ، وتضييع ما أمر الله به ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وزَيَّنَهُ في قلوبهم، وكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق. وقوله ﴿فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ يقول: ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدها فضلا منه، وإحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء، ومن هو لنعم الله وفضله أهل، ومن هو لذلك غير أهل، وحكمة في تدييره خلقه، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ قال أهل التأويل: كما جاء عن قتادة وغيره وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾

قالوا أيضا. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٥١﴾ يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾ يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدت ما جعل الله عدلا بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ يقول: فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلا بين خلقه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وذكر أن هذه الآية نزلت في طائفتين من الأوس والخزرج اقتتلتا في بعض ما تنازعتا فيه، مما سأذكره إن شاء الله تعالى. كالذي جاء عن أنس، قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، قال: فانطلق إليه وركب حمارا، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد أذاني تنن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لنتن حمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك، قال: فغضب لعبد الله بن أبي رجل من قومه قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه نزلت فيهم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾. وقوله ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ يقول تعالى ذكره: واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتهم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٢﴾ يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله. ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ يقول: المهزوء منهم خير من الهازئين ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكن خيرا من الهازئات. واختلف أهل التأويل في السخرية التي نهى الله عنها المؤمنين في هذه الآية، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهية المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا

لذنب ركه، ولا لغير ذلك. وقوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يغتب بعضكم بعضاً أيها المؤمنون، ولا يطعن بعضكم على بعض؛ وقال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه، لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره، وطلب صلاحه، ومحبة الخير. ولذلك روي الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: "المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر جسده بالحسنى والسهر". وهذا نظير قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بمعنى: ولا يقتل بعضكم بعضاً. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره قوله ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ يقول: ولا تداعوا بالألقاب؛ والنبز واللقب بمعنى واحد، يُجمع النبز: أنبازاً، واللقب: ألقاباً. واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنازع بها في هذه الآية والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنازوا بالألقاب؛ والتنازع بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهي ذلك، ولم يخص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينزب أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها. وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينزب بعضهم بعضاً. وقوله ﴿يَتَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن فعل ما نهينا عنه، وتقدم على معصيتنا بعد إيماننا، فسخر من المؤمنين، ولمز أخاه المؤمن، ونزبه بالألقاب، فهو فاسق ﴿يَتَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يقول: فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تسموا فساقاً، بتس الاسم الفسوق، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام، اكتفاء بدلالة قوله ﴿يَتَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ﴾ عليه. وقوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن لم يتب من نزبه أخاه بما نهى الله عن نزبه به من الألقاب، أو لمزه إياه، أو سخريته منه، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه. وكان ابن زيد يقول في قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤٩) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيراً من الظنِّ بالمؤمنين، وذلك إن تظنوا بهم سوءاً، فإن الظان غير محق، وقال جل ثناؤه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ ولم يقل: الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يقول: إن ظنَّ المؤمن بالمؤمن الشر لا الخير إثم، لأن الله قد نهاه عنه، ففعل ما نهى الله عنه إثم. وقوله ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على

عيوبه، ولكن اقعنوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ وقال أهل التأويل. كما جاء عن أبي هريرة، قال: "سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الغيبة، فقال: هُوَ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَقَدْ بَهْتَهُ". وقوله ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين أَيْحَبُّ أَحَدِكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ مَيْتًا، فَإِنْ لَمْ تَحْبُوا ذَلِكَ وَكَرِهْتُمُوهُ، لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ لَا تَحْبُوا أَنْ تَغْتَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ، فَكُرِهُوا غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا كُرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا، كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانهائكم عما نهاكم عنه من ظنٍّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنٍّ السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعييه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ يقول: وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا؛ فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب، وذلك إذا قيل للرجل من العرب: من أي شعب أنت؟ قال: أنا من مضر، أو من ربيعة. وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل، وهم كتميم من مضر، وبكر من ربيعة، وأقرب القبائل الأفخاذ وهما كشيان من بكر ودارم من تميم، ونحو ذلك وقوله ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ يقول: ليعرف بعضكم بعضا في النسب، يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقرّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الأعراب: صدقنا بالله ورسوله، فنحن مؤمنون، قال الله لنبه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ ولستم مؤمنين ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾. وذكر أن هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد. كما جاء عن مجاهد واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي

﴿قُلْ لَهُوَ الْأَعْرَابُ: قُولُوا أَسْلَمْنَا، وَلَا تَقُولُوا آمَنَّا وَأُولَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ الزَّهْرِيِّ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَقَدَّمَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْمِلَّةِ إِقْرَارًا مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ، وَلَمْ يَحْقُقُوا قَوْلَهُمْ بِعَمَلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا بِالْإِطْلَاقِ آمَنَّا دُونَ تَقْيِيدِ قَوْلِهِمْ بِذَلِكَ بِأَنْ يَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا الْقَوْلَ الَّذِي لَا يَشْكَلُ عَلَى سَامِعِيهِ وَالَّذِي قَائِلُهُ فِيهِ مُحَقَّقٌ، وَهُوَ أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، بِمَعْنَى: دَخَلْنَا فِي الْمِلَّةِ وَالْأَمْوَالِ، وَالشَّهَادَةُ الْحَقُّ قَوْلُهُ ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَمَّا يَدْخُلِ الْعِلْمُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ، وَحَقَائِقِ مَعَانِيهِ فِي قُلُوبِكُمْ. وَقَوْلُهُ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ لَهُوَ الْأَعْرَابُ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَتَأْتَمَرُوا لِأَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، وَتَعْمَلُوا بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ، وَتَتَنَهَّوْا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، ﴿لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ يَقُولُ: لَا يَظْلِمُكُمْ مِنْ أَجُورِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوَابِهَا شَيْئًا. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ ذُو عَفْوٍ أَيُّهَا الْأَعْرَابُ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ سَالَفِ ذَنْبِهِ، فَأُطِيعُوهُ، وَانْتَهَوْا إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، رَحِيمٌ بِخَلْقِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ أَنْ يَعَاقِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ عَلَى مَا تَابُوا مِنْهُ، فَتَوَبُوا إِلَيْهِ يَرْحَمُكُمْ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْأَعْرَابِ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، يَقُولُ: ثُمَّ لَمْ يَشْكُوا فِي وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِي نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ بِغَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي وَجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يَقُولُ: جَاهَدُوا الْمَشْرِكِينَ بِإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ، وَبَذْلِ مُهْجَتِهِمْ فِي جِهَادِهِمْ، عَلَى مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، وَذَلِكَ سَبِيلُهُ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى. وَقَوْلُهُ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ، لَا مِنْ دَخَلٍ فِي الْمِلَّةِ خَوْفِ السَّيْفِ لِيَحْقُقَنَّ دَمَهُ وَمَالَهُ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُوَ الْأَعْرَابُ الْقَائِلِينَ آمَنَّا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ بِدِينِكُمْ، يَعْنِي بِطَاعَتِكُمْ رَبَّكُمْ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يَقُولُ: وَاللَّهُ الَّذِي تَعْلَمُونَهُ أَنْكُمْ مُؤْمِنُونَ، عَلَامُ جَمِيعٍ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَكَيْفَ تَعْلَمُونَهُ بِدِينِكُمْ، وَالَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فِي سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ، فَيَخْفَى عَلَيْهِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يَقُولُ: وَاللَّهُ بِكُلِّ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَبِمَا يَكُونُ ذُو عِلْمٍ. وَإِنَّمَا هَذَا تَقَدَّمَ مِنَ اللَّهِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ بِالْنَهْيِ، عَنْ أَنْ يَكْذِبُوا وَيَقُولُوا غَيْرَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ فِي دِينِهِمْ. يَقُولُ: اللَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ بِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَقُولُوا خِلَافَ مَا يَعْلَمُ مِنْ ضَمَائِرِ صُدُورِكُمْ، فَيُنَالَكُمْ عِقَابُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: يَمُنُّ عَلَيْكَ هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يقول: بل الله يمن عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: إن كنتم صادقين في قولكم آمنا، فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليّ بإسلامكم. وذكر أن هؤلاء الأعراب من بني أسد، امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا من غير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات. كما جاء عن سعيد بن جبير

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحذثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم، فاستسرّ في خبايا السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها، أجهرها تعملون أم سرّا، طاعة تعملون أو معصية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر وكفوه.

آخر تفسير سورة الحجرات
والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿ق﴾ وقد تقدم بياننا في تأويل حروف المعجم التي في أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ يقول: والقرآن الكريم. كما جاء عن سخيد وغيره وقوله ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ما كذبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محق، ولكنهم كذبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم، يعني بشرا منهم من بني آدم، ولم يأتهم ملك برسالة من عند الله. وقوله ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فقال المكذبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: أي مجيء رحل منا من بني آدم برسالة الله إلينا، ﴿هَلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝٤﴾ يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه، وجوابهم عما لم يسألوا عنه. قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك والصواب من القول في ذلك عندنا، أن في هذا الكلام متروكا استغني بدلالة ما ذكر عليه من ذكره، وذلك أن الله دل بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا ﷺ بقوله ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدا ﷺ، فكانه قال لهم: إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا ﷺ ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمدا ﷺ، وإنكاركم نبوته، فقالوا مجيبين رسول الله ﷺ ﴿أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا﴾ نعلم ذلك، ونرى ما تعدنا على تكذيبك ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: أي أن ذلك غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا، فاستغني بدلالة قوله ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ فقال الكافرون ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم. وفيما حدثت عن الضحاك يقول في قوله ﴿أَيُّدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قالوا: كيف يحيينا الله، وقد صرنا عظاما ورفاتا، وضللنا في الأرض، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذ توعدوا به. وقوله ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله، وسماه الله تعالى حفيظا، لأنه لا يدرس ما كتب فيه، ولا يتغير ولا يتبدل. ونحنو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون ﴿أَيُّدًا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ في قلوبهم هذا ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾، وهو القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ من الله. كالذي حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ يقول: فهم في أمر مختلط عليهم ملتبس، لا يعرفون حقه من باطله، يقال قد مرج أمر الناس إذا اختلط وأهمل. وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها، وإن كانت متقاربات المعاني، فقال بعضهم: معناها: فهم في أمر منكراً؛ وقال: المريج: هو الشيء المنكر. وقالوا أمر مختلف وقالوا أمر ضلال وقالوا ملتبس وقالوا مختلط وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت الفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن الشيء مختلف ملتبس، معناه مشكل. وإذا كان كذلك كان منكراً، لأن المعروف واضح بين، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة، لأن الهدى بين لا لبس فيه. وقوله ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ الْمُنْكَرُونَ قُدْرَتَنَا عَلَى إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ بِلَائِهِمْ ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ فسويناها سقفا محفوظا، وزيناها بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ يعني: وما لها من صدوع وفتوق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝﴾ وقوله ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ يقول: والأرض بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ يقول: وجعلنا فيها جبالا ثوابت، رست في الأرض، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كل نوع من نبات حسن، وهو البهيج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿تَبَصَّرَةٌ﴾ يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، ﴿وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وتذكيرا من الله عظمتة وسلطانه، وتنبيها على وحدانيته ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا مباركا، فأنبتنا به بساتين أشجارا، وحب الزرع المحصود من البر والشعير، وسائر أنواع الحبوب. كما جاء عن مجاهد وغيره وكان بعض أهل العربية يقول في قوله ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الحب هو الحصيد، وهو مما أضيف إلى نفسه مثل قوله ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾. وقوله ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ يقول: وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طولا والباسق: هو الطويل يقال للجبل الطويل: جبل باسق كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفْرَى، نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض مترابك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ يقول: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنات، والحب والنخل قوتا للعباد،

بعضها غذاء، وبعضها فاكهة ومتاعا. وقوله ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات. وقوله ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلاككم فيها بما ينزل عليها من الماء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ ۖ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ۖ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ وَقَوْمُ ثَبَعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل هؤلاء المشركين الذين كذبوا محمدا ﷺ من قومه ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ﴾ وقد مضى ذكرنا قبل أمر أصحاب الرس، وأنهم قوم رسوا نبيهم في بئر. كالذي جاء عن قتادة أنه قال: إن أصحاب الأيكة، "والأيكة: الشجر الملتف"، وأصحاب الرس كانتا أمتين، فبعث الله إليهم نبييا واحدا شعيبا، وعذبهما الله بعذابين ﴿وَتَمُودُ ۖ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب، وقد مضى خبرهم قبل ﴿وَقَوْمُ ثَبَعٍ﴾. وكان قوم ثَبَعٍ أهل أوثان يعبدونها، فيما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق. وكان من خبره وخبر قومه، ما جاء عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام، عن ثَبَعٍ ما كان؟ فقال: إن ثَبَعًا كان رجلا من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختار فتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم، حتى أخذ منهم وبائعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم، وباع الفتية؛ فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحرق الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا إلى النار، فلما ذهبوا أن يدخلوها، سفعت النار في وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم ثَبَعٌ: لتدخلنّها؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها؛ فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم ثَبَعٌ: لتدخلنّها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم ثَبَعٌ، وكان ثَبَعٌ رجلا صالحا. وقوله ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ يقول: فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله، وحل بهم العذاب والنقمة. وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته هؤلاء المكذبين الرسل ترهيبا منه بذلك مشركي قريش وإعلاما منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمدا ﷺ، أنه محل بهم من العذاب، مثل الذي أحلّ بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبِيسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۚ﴾ وهذا تقرير من الله لمشركي قريش الذين قالوا: ﴿أَيَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ يقول لهم جل ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخلق الأول الذي خلقناه، ولم يكن شيئا فنعيا بإعادتهم خلقا جديدا بعد بلاكهم في التراب، وبعد فنائهم؛ يقول: ليس يعيينا ذلك، بل نحن عليه قادرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبِيسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يشك هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق

الأول، ولكنهم في شك من قدرتنا على أن نخلقهم خلقاً جديداً بعد فناءهم، وبلائهم في قبورهم. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يقول: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق؛ والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، والحبل: هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به، وأقرب إليه في المقدرة عليه. وقال آخرون: بل معنى ذلك ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ بالعلم بما تُوَسُّوْسُ به نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۖ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۗ﴾ يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه، حين يتلقى الملكان، وهما المتلقيان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ وقيل: عنى بالقعيد: الرصد. وقوله ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به، إلا عندما يلفظ به من قول رقيب عتيد، يعني حافظ يحفظه، عتيد مُعَدُّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾... إلى ﴿عَتِيدٌ﴾ قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكْ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۗ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكْ يَوْمَ الْوَعِيدِ ۗ﴾ وفي قوله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجهان من التأويل، أحدهما: وجاءت سكرة الموت وهي شدته وغلبته على فهم الإنسان، كالسكرة من النوم أو الشراب بالحق من أمر الآخرة، فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه. والثاني: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت. وقوله ﴿ذَلِكْ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يقول: هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحق هو الشيء الذي كنت تهرب منه، وعنه تروغ. وقوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكْ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ قد تقدم بياناً عن معنى الصُّور، وكيف النفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين. والذي هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿ذَلِكْ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ يقول: هذا اليوم الذي ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذبهم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۖ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِظَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۗ﴾ يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس رها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عثمان بن عفان وغيره واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآيات وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ والإنسان في هذا الموضع بمعنى: الناس كلهم، غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحق

﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ وإذا كان ذلك كذلك كانت بينة صحة ما قلنا. وقوله ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الإنسان من الأحوال والشدائد ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ يقول: فجلينا ذلك لك، وأظهرناه لعينيك، حتى رأيته وعابنته، فرالت الغفلة عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقوله ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يقول: فأنت اليوم نافذ البصر، عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة، وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به، وله بهذا الأمر بصر: أي علم. وقد روي عن الضحاك إنه قال: معنى ذلك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ لسان الميزان، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبّه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحق في الوزن، ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص، فكذاك علم من وفي القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال قرين هذا الإنسان الذي جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قرين هذا الإنسان عند موافاته ربه به، رب هذا ما لدي عتيد: يقول: هذا الذي هو عندي معدّ محفوظ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه، وهو: يقال ألقيا في جهنم، أو قال تعالى: ألقيا، فأخرج الأمر للقرين، وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين. وفي ذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون القرين بمعنى الاثنين، كالرسول، والاسم الذي يكون بلفظ الواحد في الواحد، والتثنية والجمع، فردّ قوله ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ إلى المعنى. والثاني: أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول، وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين، فنقول للرجل ويلك أرجلاها وازجراها، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يعني: كل جاحد وحدانية الله عنيد، وهو العائد عن الحق وسبيل الهدى. وقوله ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ يعني بذلك: أنه كل حق وجب لله، أو لآدمي في ماله، والخير في هذا الموضع هو المال. وقوله ﴿مُعْتَدٍ﴾ يقول: معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق، وييده بالسطوة والبطش ظلما. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿مُرِيبٍ﴾ يعني: شاك في وحدانية الله وقدرته على ما يشاء. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: الَّذِي أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَعَبْدَ مَعَهُ مَعْبُودًا آخَرَ مِنْ خَلْقِهِ﴾ ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ يقول: فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: قَالَ قَرِينُ هَذَا الْإِنْسَانِ الْكَفَّارِ الْمَنَاعِ لِلْخَيْرِ، وَهُوَ شَيْطَانُهُ الَّذِي كَانَ مُوَكَّلًا بِهِ فِي الدُّنْيَا. كَمَا جَاءَ عَنِ الضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِ قَوْلُهُ﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ﴾ قال: قرينه من الجن: ربنا ما أطعنيته، تبرأ منه. وقوله ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ﴾ يقول: ما أنا جعلته طاغيا متعديا إلى ما ليس له، وإنما يعني بذلك الكفر بالله ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ يقول:

ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا. وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر، عن قول قرين الكافر له يوم القيامة، إعلاما منه عباده، تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، وصفة قرنائهم من الشياطين ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ اليوم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ في الدنيا قبل اختصامكم هذا، بالوعيد لمن كفر بي، وعصاني، وخالف أمري ونهي في كتيبي، وعلى ألسن رسلي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٣١) يَوْمَ نَقُولُ لِحَـٔهَمَّ هَلْ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ^(٣٢) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقرنائهم من الجن يوم القيامة، إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، وهو قوله ﴿لَا مَلَأَنَّ حَـٔهَمَّ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ولا قضائي الذي قضيته فيهم فيها. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يقول: ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقي بجرم غيره، ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره فمعدبه به. وقوله ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِحَـٔهَمَّ﴾ يقول: وما أنا بظلام للعبيد في ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِحَـٔهَمَّ هَلْ امْتَلَأْتِ﴾ وذلك يوم القيامة، ويوم نقول من صلة ظلام. وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة: ﴿هَلْ امْتَلَأْتِ﴾؟ لما سبق من وعده إياها بأنه يملأها من الجنة والناس أجمعين. أما قوله ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة، هل من شيء أزداده؟ وكما جاء عن أبي هريرة، قال: "اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي إنما يدخلني فقراء الناس وسقطتهم؛ وقالت النار: ما لي إنما يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشياء، وأنت عذابي أصيب بك من أشياء، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فإن الله ينشئ لها من خلقه ما شاء. وأما النار فيلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع فيها قدمه، فهناك تملأ ويزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط"

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ^(٣٣) هَذَا مَا تُوعِدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيفٍ ^(٣٤) مِنْ حَشَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ^(٣٥) يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وأدנית الجنة وقربت للذين اتقوا ربهم، فخافوا عقوبته بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿هَذَا مَا تُوعِدُونَ﴾ يقول: قال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون، أن تدخلوها وتسكنوها وقوله ﴿لِكُلِّ آوَابٍ﴾ يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه. وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: هو المسبوح، وقال بعضهم: هو التائب، وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك. وقوله ﴿حَفِيفٌ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الآوَابَ بأنه حفيف، ولم يخص به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع، فالواجب أن يعم كما عمَّ جل ثناؤه، فيقال: هو حفيف لكل ما قرَّبه إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب التي سلفت منه للتوبة منها والاستغفار. وقوله ﴿مِنْ حَشَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ يقول: من خاف الله في الدنيا من قبل أن

يلقاه، فأطاعه، واتبع أمره. وفي ﴿مَنْ﴾ في قوله ﴿مَنْ خَشِيَ﴾ وجهان من الإعراب: الخفض على إتباعه كل في قوله ﴿لِكُلِّ آوَابٍ﴾ والرفع على الاستئناف، وهو مراد به الجزء من خشى الرحمن بالغيب، قيل له ادخل الجنة؛ فيكون حينئذ قوله ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ جواباً للجزء أضمر قبله القول، وحمل فعلاً للجميع، لأن ﴿مَنْ﴾ قد تكون في مذهب الجميع. وقوله ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ

﴿٣٥﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهَمِّ والغضب والعذاب، وما كنتم تلقونه في الدنيا من المكاره. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ يقول: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخاله الجنة من أدخله، هو يوم دخول الناس الجنة، ماكثين فيها إلى غير نهاية. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ يقول: لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أزلت لهم من كل ما تشتهي نفوسهم، وتلذذ عيونهم. وقوله ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه. وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلي الله جل ثناؤه. كالذي جاء عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "أتاني جبريل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء فقلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة، قلت: فما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هي الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد؛ قلت: ولم تدعون يوم المزيد قال: إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة واديا أفتح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، ثم جاء السيوف حتى يجلسوا عليها ثم تجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكتب فيتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول: أنا الذي صدقتكم عذتي، وأنتمت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي، فسألوني، فيسألونه الرضا، فيقول: رضىي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي، فسألوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إلى مقدار منصرف الناس من الجمعة حتى يصعد على كرسيه فيصعد معه الصديقون والشهداء، وترجع أهل الجنة إلى غرفهم ذرة بيضاء، لا نظم فيها ولا فصم، أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها عرفها وأبوابها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا منه كرامة، ويزدادوا نظراً إلى وجهه، ولذلك دعي يوم المزيد". وقوله ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون، ﴿هُمْ أَشَدُّ﴾ من قريش الذين كذبوا محمداً ﴿بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول: فخرقوا البلاد فساروا فيها، فطافوا وتوغلوا إلى الأقاصي منها كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ يقول جل ثناؤه: فهل كان لهم بتنبههم في البلاد من معدل عن الموت؛ ومنجي من الهلاك إذ جاءهم أمرنا. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾
 يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكتناها من قبل قريش ﴿لَذِكْرَى﴾ يتذكر بها ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعني: لمن كان له عقل من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم، خوفاً من أن يحلّ بهم مثل الذي حلّ بهم من العذاب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكتناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم، وعصوا رسله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يقول: وهو متفهم لما يخبر به عنهم شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلاق في ستة أيام، وما مسنا من إعياء. كما جاء عن أبي بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: "خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَالْإِنْتِنِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثَّلَاثِ، وَخَلَقَ الْمَدَائِنَ وَالْأَنْهَارَ وَعُمُرَانَهَا وَخَرَابَهَا يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْمَلَائِكَةَ يَوْمَ الْخَمِيسِ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ، يَعْنِي مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَخَلَقَ فِي أَوَّلِ الثَّلَاثِ السَّاعَاتِ الْآجَالَ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْآفَةَ، وَفِي الثَّلَاثَةِ أَدَمَ، قَالُوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبي ﷺ ما يريدون، فغضب، فأنزل الله ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾."

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ٤٠﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود، وما يفترون على الله، ويكذبون عليه، فإن الله لهم بالمرصاد ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يقول: وصلِّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب. وقوله ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ اختلف أهل التأويل في التسيح الذي أمر به من الليل، فقال بعضهم: عني به صلاة العتمة. كما جاء عن ابن زيد وغيره والقول الذي قاله مجاهد ﴿قال: من الليل كله﴾ في ذلك أقرب إلى الصواب، وذلك أن الله جل ثناؤه قال ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فلم يحدّ وقتاً من الليل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العتمة، لأنهما يصلّيان ليلاً. وقوله ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك. واختلف أهل التأويل في معنى التسيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب كما أجمع على ذلك أهل التأويل كالذي جاء عن علي بن أبي طالب وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادَى الْمُنَادَى مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ٤٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة، يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب. وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس. كما جاء عن كعب، قال: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادَى الْمُنَادَى مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال ملك قائم على صخرة بيت المقدس

ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة؛ إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقوله ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب. وقوله ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٥﴾ يقول تعالى ذكره: إنا نحن نُحْيِي الموتى ونُمِيتُ الأحياء، وإلينا مَصِيرُ جميعهم يوم القيامة ﴿تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ يقول جل ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقق الأرض، فالיום من صلة مصير. وقوله ﴿تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ يقول: تصدع الأرض عنهم. وقوله ﴿سِرَاعًا﴾ ونُصِبَتْ سُرَاعًا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سُرَاعًا، فاكتمى بدلالة قوله ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ على ذلك من ذكره. قوله ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب، علينا يسير سهل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ يقول تعالى ذكره: نحن يا محمد أعلم بما يقولون ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ يقول: الله، وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم قدرة الله على البعث بعد الموت. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ وما أنت عليهم بمسلط. كما جاء عن مجاهد وغيره وقيل: إن معنى قوله ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ لم تُبعث لتجبرهم على الإسلام، إنما بعثت مذكراً، فذكر. وقوله ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذي أوعده من عصائي وخالف أمري. كما جاء عن ابن عباس وغيره.

آخر تفسير سورة ق

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ۝١﴾ يقول: والرياح التي تذر التراب ذروا، يقال: ذرت الريح التراب وأذرت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي بن أبي طالب وغيره وقوله ﴿فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا﴾ يقول: فالحاملات التي تجري في البحار سهلا التي تحمل وقرها من الماء. وقوله ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ يقول: فالسفن التي تجري في البحار سهلا يسيرا ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ يقول: فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن خالد بن عرعة، قال: قام رجل إلى علي عليه السلام فقال: ما الجاريات يسرا؟ قال: هي السفن؛ قال: فما الحاملات وقرًا؟ قال: هي السحاب؛ قال: فما المقسمات أمرا؟ قال: هي الملائكة. قوله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم لصادق، يقول: لكائن حق يقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره: والسماء ذات الحُبُكِ الحسن. وعن بقوله ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: ذات الطرائق، وتكسير كل شيء: حُبُكُه، وهو جمع حَبَاك وَحَبِيكَة؛ يقال لتكسير الشعرة الجعدة: حُبْك؛ وللرملمة إذا مرّت بها الريح الساكنة، والماء القائم، والدرع من الحديد لها: حُبْك كما جاء عن عكرمة وغيره وقيل: عنى بذلك السماء السابعة. كما جاء عن عبد الله بن عمرو وقوله ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يقول: إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن، فمن مصدق به ومكذب. كما جاء ابن زيد، في قوله ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قال: يتخَرَّصون يقولون: هذا سحر، ويقولون: هذا أساطير، فبأي قولهم يؤخذ، قتل الخَرَّاصون هذا الرجل، لا بدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء، فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء، وقد رميتموه بأقاويل شتى، فبأيّ هذا القول تأخذون، فهو قول مختلف. قال: فذكر أنه تخَرَّص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا: فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذي نزلت به الكتب من قبلك، فقال الله: أعجمي وعربي؟ لو جعلنا هذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب وهذا القرآن أعجمي، فكيف يجتمعان. وقوله ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ﴾ يقول: يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف، ويدفع عنه من يُدْفَع، فيُحَرِّمُه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِمَن ذَكَرَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ يقول تعالى ذكره: لعن المتكهنون الذين يتخَرَّصون الكذب

والباطل فيظنونونه. وقوله ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في غمرة الضلالة وغلبتها عليهم متمادون، وعن الحق الذي بعث الله به محمدا ﷺ ساهون، قد لهُوا عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره: يسأل هؤلاء الخراصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب، ويوم يُدين الله العباد بأعمالهم. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم هم على نار جهنم يفتنون. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿يُفْتَنُونَ﴾ في هذا الموضع وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قول من قال: يعذبون بالإحراق، لأن الفتنة أصلها الاختبار، وإنما يقال: فتنت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها، فكذلك قوله ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون بها كما يحرق الذهب بها كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥ أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ يقال لهم: ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم للدلالة الكلام عليها. ويعني بقوله ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾: عذابكم وحريقكم. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا العذاب الذي توفونه اليوم، هو العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا. وقوله ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته، واجتنب معاصيه في الدنيا في بساتين وعيون ماء في الآخرة. وقوله ﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدبين فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين، يقول: كانوا لله قبل ذلك مطيعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلا من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل. وأما قوله ﴿يَهْجَعُونَ﴾ فإنه يعني: ينامون، والهجوم: النوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: وبالأَسْحَارِ يصلون. كما جاء عن الضحاك وغيره وقال آخرون: بل عني بذلك أنهم آخروا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر. كما جاء عن الحسن وغيره وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة: السحر. وقوله ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حق لسائلهم

المحتاج إلى ما في أيديهم والمحروم. وبنحو الذي قلنا في معنى السائل، قال أهل التأويل، وهم في معنى المحروم مختلفون، والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرِمَ الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم، كما قال جل ثناؤه ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الأرض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلّكم علي وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم أَفَلَا تُبْصِرُونَ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم. وقوله وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ يقول تعالى ذكره: وفي السماء: المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم، وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره واختلف أهل التأويل في تأويل، وقوله وَمَا تُوعَدُونَ وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي، القول الذي قاله مجاهدوما توعدون من خير أو شرّ، لأن الله عمّ الخبر بقوله وَمَا تُوعَدُونَ عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ، ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض، فهو على عمومته كما عمه الله جل ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره مقسما لخلقته بنفسه: فو ربّ السماء والأرض، إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقّ، كما حقّ أنكم تنطقون. وقد جاء عن الحسن، في قوله ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ﴾ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: "قاتل الله أفواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه"

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥﴾ قَرَأَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ، يخبره أنه محلّ بمن تمادى في غيه، وأصرّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية، ومذكرا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم، هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين. يعني بقوله ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ أن إبراهيم عليه السلام وسارة خدماهم بأنفسهما. وقيل: إنما قيل ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ كما جاء عن مجاهد، قوله ﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حيثنذ. وقوله ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ يقول: حين دخل ضيف إبراهيم عليه، فقالوا له سلاما: أي أسلموا إسلاما، قال سلام. وقوله ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يقول: قوم لا نعرفكم، ورفع "قوم منكرون" بإضمار أنتم. وقوله ﴿قَرَأَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ يقول: عدل إلى أهله ورجع. وكان الفراء يقول: الروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه، وقال: ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد

رجعوا أو صدروا، فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ. وقوله ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ يقول: فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيئا. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٨ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ٢٩ ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٣٠ ﴿وَقَوْلُهُ﴾ ٣١ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟ وفي الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقربه إليهم، فأمسكوا عن أكله، فقال: ألا تأكلون؟ فأوجس منهم، يقول: فأوجس في نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ يعني: بإسحاق، وقال: عليم بمعنى عالم إذا كبر، وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول: إذا كان للعلم منتظرا قيل: إنه لعالم عن قليل وغاية، وفي السيد سائد، والكريم كارم. وروى عن مجاهد في قوله ﴿بَغْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ قال: إسماعيل. وإنما قلت: عنى به إسحاق، لأن البشارة كانت بالولد من سارة، وإسماعيل لهاجر لا لسارة. قوله ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ يعني: سارة، وليس ذلك إقبال نقلة من موضع إلى موضع، ولا تحول من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى: أخذ في شتمي. وقوله ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ يعني: في صيحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى صكها فقال بعضهم: معنى صكها: وجهها: لطمها إياه. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون بما جاء عن السدي، قال: لما بشر جبريل سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ضربت جبهتها عجا، فذلك قوله ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾. وجاء عن سفيان ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ وضعت يدها على جبهتها تعجا، والصك عند العرب: هو الضرب. وقد قيل: إن صكها وجهها، أن جمعت أصابعها، فضربت بها جبهتها ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ يقول: وقالت: أتلد، وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه، وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم، وعني بالعقيم: التي لا تلد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ٣٢

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٣٣ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ٣٤ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ضيف إبراهيم لزوجته إذ قالت لهم، وقد بشروها بغلام عليم: أتلد عجوز عقيم ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ يقول: هكذا قال ربك: أي كما أخبرناك وقلنا لك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ والهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ من ذكر الرب، هو الحكيم في تدبيره خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن. وقوله ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يقول: قال إبراهيم لضيفه: فما شأنكم أيها المرسلون ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ قد أجرموا لكفرهم بالله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ٣٥ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ٣٦ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٧ ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ يقول: لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين ﴿مُسَوَّمَةً﴾ يعني: معلمة. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ قال: المسومة: الحجارة المختومة، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين، يعني للمتعدّين حدود الله، الكافرين به من قوم لوط ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخرجنا من

كان في قرية سدوم، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله وهم لوط وابنتاه، وكنى عن القرية بقوله ﴿مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ ولم يجر لها ذلك قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: فما وجدنا في تلك القرية التي أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين غير بيت من المسلمين، وهو بيت لوط. كما جاء عن مسلم أبو الحيل الأشجعي قال الله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لوطا وابنتيه، قال: فحل بهم العذاب، قال الله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يقول: وتركنا في هذه القرية التي أخرجنا من كان فيها من المؤمنين آية، وقال جل ثناؤه: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ والمعنى: وتركناها آية لأنها التي اثبتت بأهلها، فهي الآية، وذلك كقول القائل: ترى في هذا الشيء عبرة وآية؛ ومعناها: هذا الشيء آية وعبرة، كما قال جل ثناؤه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾. وهم كانوا الآيات وفعلهم، ويعني بالآية: العظة والعبرة، للذين يخافون عذاب الله الأليم في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: وفي موسى بن عمران إذ أرسلناه إلى فرعون بحجة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ يقول: فأدبر فرعون كما أرسلنا إليه موسى بقومه من جنده وأصحابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائله فيه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ يقول: وقال لموسى: هو ساحر يسحر عيون الناس، أو مجنون، به جنة. وكان معمر بن المثنى يقول: "أو" في هذا الموضع بمعنى الواو التي للموالة، لأنهم قد قالوها جميعا له

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُ الْجُذُودَ فَفَبَذَلْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف ﴿فَفَبَذَلْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ يقول فألقيناهم في البحر، فغرقناهم فيه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقول: وفرعون مليم، والمليم: هو الذي قد أتى ما يلام عليه من الفعل. وكان قتادة يقول في قوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي مليم في نعمة الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿٤٠﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤١﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أيضا، وما فعلنا بهم لهم آية وعبرة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ يعني بالريح العقيم: التي لا تلحق الشجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ والرميم في كلام العرب: ما ييس من نبات الأرض وديس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٢﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ يقول تعالى ذكره: وفي ثمود أيضا لهم عبرة ومتعظ، إذ قال لهم ربهم، يقول: فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكبارا عن طاعة الله. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب فجأة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد، قوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وعدت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جعلت لهم الدالة على نزولها في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل، ينتظرون حلوله بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ ۝ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله، ولا قدروا على نهوض به. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ﴾ يقول: وما كانوا قادرين على أن يستقيدوا ممن أحل بهم العقوبة التي حلت بهم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وتأويل ذلك في قراءة من قرأه خفضا وفي قوم نوح لهم أيضا عبرة، إذ أهلكناهم من قبل ثمود لما كذبوا رسولنا نوحا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول: إنهم كانوا مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: والسماء رفعناها سقفا بقوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ يقول: لن ذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقها وقدرة عليه. ومنه قوله ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يراد به القوي. وقال ابن زيد في قوله ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال: أوسعها جل جلاله. وقوله ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض جعلناها فراشا للخلق ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ يقول: فنعم الماهدون لهم نحن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: وخلقنا من كل شيء خلقنا زوجين، وترك ﴿خَلَقْنَا﴾ الأولى استغناء بدلالة الكلام عليها. واختلف في معنى ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ وأولى القولين في ذلك قول مجاهد: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجن. وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيا له مخالفا في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نه جل ثناؤه بذلك من قوله على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عده كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة. وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كل شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقِيرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١﴾ يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذرکم عقابه، وأخوَفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذي قص عليكم قصصهم، والذي هو مذكورهم في الآخرة. وقوله ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: يبين لكم نذارته. وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذي خلقكم معبوداً آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: إني لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلهاً غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: كما كذبت قريش نبيها محمداً ﷺ، وقالت: هو شاعر، أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأمم المكذبة رسلها، الذين أحل الله بهم نعمته، كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم، يعني من قبل قريش قوم محمد ﷺ من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون، كما قالت قريش لمحمد ﷺ. وقوله ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذبين من قريش محمداً ﷺ على ما جاءهم به من الحق أوائلهم وآبائهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدون طغاة عن أمر ربهم، لا يأترون لأمره، ولا يتهنون عما نهاهم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتول يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش، يقول: فأعرض عنهم حتى يأتيتك فيهم أمر الله، يقال: ولي فلان عن فلان: إذا أعرض عنه وتركه كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يقول جل ثناؤه: فما أنت يا محمد بملوم، لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار، فقد أنذرت، وبلغت ما أرسلت به. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وعظ يا محمد من أرسلت إليه، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا. وقوله ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجن والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٨ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ٥٩ يقول تعالى ذكره: إن الله هو الرزاق خلقه، المتكفل بأقواتهم، ذو القوة المتين. وجاء عن ابن عباس، قوله ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ يقول: الشديد. وقوله فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ يقول تعالى ذكره: فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً، وهي الدلو العظيمة، وهو السجل أيضاً إذا ملئت أو قاربت الملء، وإنما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظ والنصيب؛ ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيباً وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على منهاجهم من العذاب، فلا يستعجلون به. كما جاء عن سعيد بن جبير

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٦٠ يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصدید للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

آخر تفسير سورة الذاريات
والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَالطُّورِ﴾: والجبل الذي يُدعى الطور. وقد بَيَّنَّ معنى الطور بشواهد، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وقد جاء عن مجاهد، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ قال الجبل بالسرّانية. وقوله: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ يقول: وكتاب مكتوب كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ يقول: في ورق منشور. وقوله: "في" من صلة مسطور، ومعنى الكلام: وكتاب سطر، وكُتِبَ في ورق منشور. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ يقول: والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته وهو بيت في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي بن أبي طالب وغيره وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني بالسقف في هذا الموضع: السماء، وجعلها سقفاً، لأنها سماء للأرض، كسماء البيت الذي هو سقفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي بن أبي طالب وغيره وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى البحر المسجور وأولى الأقوال في ذلك عندني بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء على ما وصفت، وقيل: إن هذا البحر المسجور الذي أقسم به ربنا تبارك وتعالى بحر في السماء تحت العرش. كما جاء عن علي بن أبي طالب وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ يا محمد، لكائن حال بالكافرين به يوم القيامة. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ وقع القسم ها هنا ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ وذلك يوم القيامة. وقوله: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يقول: ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم، فينقذهم منه إذا وقع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾ يقول تعالى ذكره: إن عذاب ربك لواقع ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ فيوم من صلة واقع، ويعني بقوله: تمور: تدور وتكفأ وقوله: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ يقول: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيراً، فتصير هباء منبثاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من قيح وصيد في جهنم، يوم تمور السماء مورا، وذلك يوم القيامة للمكذِّبين بوقوع عذاب الله للكافرين، يوم تمور السماء مورا. وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ يقول: الذين هم في فتنه

واختلاط في الدنيا يلعبون، غافلين عما هم صائرون إليه من عذاب الله في الآخرة. وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا﴾ يقول تعالى ذكره: فويل للمكذبين يوم يَدْعُونَ. وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وإبدال منه. وعنى بقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ يدفعون بإرهاق وإزعاج، يقال منه: دَعَعْتُ في قفاه: إذا دفعت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ١٥ ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٦ يقول تعالى ذكره مخبرا عما يقول لهؤلاء المكذبين الذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنم يوم القيامة: أفسحر أيها القوم هذا الذي وردتموه الآن أم أنتم لا تعانونه ولا تبصرونه؟ وقيل هذا لهم توبيخا لا استفهاما. وقوله: ﴿أَصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حر هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم: أي لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ١٧ ﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ١٨ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في جنات: يقول في بساتين ونعيم فيها، وذلك في الآخرة. وقوله: ﴿فَاكِهِينَ﴾ يقول: عندهم فاكهة كثيرة، وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير: رجل تامر، أو يكون عنده لبن كثير، فيقال: هو لابن وقوله: ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقول: عندهم فاكهة كثيرة بإعطاء الله إياهم ذلك ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ يقول: ورفع عنهم ربه عقابه الذي عذب به أهل الجحيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٩ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٢٠ يقول تعالى ذكره: كلوا واشربوا، يقال لهؤلاء المتقين في الجنات: كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم، واشربوا من شرابها هنيئا، لا تخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذى ولا غائلة بما كنتم تعملون في الدنيا لله من الأعمال. وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ قد جعلت صفوفها، وترك قوله: على نمارق، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه. وقوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وزوجنا الذكور من هؤلاء المتقين أزواجا بحور عين من النساء، يقول الرجل: زوج هذا الخلف الفرد أو النعل الفرد بهذا الفرد، بمعنى: اجعلهما زوجا. وقد بينا معنى الزوج فيما مضى بما أغنى عن إعادته ها هنا، والحور: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة. وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل في ذلك، وبيئت الصواب فيه عندنا بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع، والعين: جمع عيناء، وهي العظيمة العين في حسن وسعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٢١ اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكرنا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهو: والذين آمنوا بالله ورسوله، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان، وآمنوا بالله ورسوله، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان فآمنوا، في الجنة فجعلناهم معهم في درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم تكربة منا لأبائهم، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئا.

وقوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ألتنا الآباء، يعني بقوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ﴾: وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئا، فنأخذهم منهم، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم، ولكننا وفيئناهم أجور أعمالهم، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم، تفضلا منا عليهم. كما جاء عن سعيد بن جبير وغيره وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتبة لا يواخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان. وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ يقول: يتعاطون فيها كأس الشراب، ويتداولونها بينهم وقوله: ﴿لَا لَعْوُ فِيهَا﴾ يقول: لا باطل في الجنة، والهاء في قوله "فيها" من ذكر الكأس، ويكون المعنى لما فيها الشراب بمعنى: أن أهلها لا لغو عندهم فيها ولا تأتيم، واللغو: الباطل. وقوله: ﴿وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ يقول: ولا فعل فيها يؤثم صاحبه. وقيل: عنى بالتأتيم: الكذب. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ يقول: لا كذب. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في الجنة غلمان لهم، كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون، يعني: مصون في كنّ، فهو أبقى له، وأصفى لبياضه. وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين في الجنة بكنوس الشراب التي وصف جل ثأؤه صفتها. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره: وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضا. وقد قيل: إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: قال بعضهم لبعض: إنا أهل القوم كنا في أهلنا في الدنيا مشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذبنا ربنا اليوم فمَنْ الله عَلَيْنَا بفضله وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ يعني: عذاب النار، يعني فنجَّانا من النار، وأدخلنا الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يقول: إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه: نعبده مخلصا له الدين، لا نشرك به شيئا إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ يعني: اللطيف بعباده. كما جاء عن ابن عباس وقوله: الرَّحِيمِ يقول: الرحيم بخلقه أن يعذبهم بعد توبتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ٣١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ يقول فلست بنعمة الله عليك بكاهن تنكهن، ولا مجنون له رأي يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ يقول جل ثناؤه: بل يقول المشركون يا محمد لك: هو شاعر نترصد به حوادث الدهر، يكفيناهم بموت أو حادثة متلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عباراتهم عنه،

فقال بعضهم فيه كالذي قلنا. وقال بعضهم: هو الموت. عن ابن عباس أن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابعة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾. وجاء عن أبي سنان ﴿رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ قال: ريب الدنيا، والمنون: الموت. وقوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون، تربصوا: أي انتظروا وتمهلوا في ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ٢١ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٢ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ٢٣ يقول تعالى ذكره: أأمر هؤلاء المشركين أخلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أخلامهم وعقولهم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم، وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا﴾ قال: كانوا يعنون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أخلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بكما صما، ويتركوا عبادة الله، فلم تنفعهم أخلامهم حين كانت لدنياهم، ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أخلامهم، وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأول قوله ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ﴾: بل تأمرهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أيضا قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون: تقول محمد هذا القرآن وتخلقه. وقوله ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: كذبوا فيما قالوا من ذلك، بل لا يؤمنون فيصدقوا بالحق الذي جاءهم من عند ربهم. وقوله ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ يقول: جل ثناؤه: فليأت قائلو ذلك له من المشركين بقرآن مثله، فإنهم من أهل لسان محمد ﷺ، ولن يتعذر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذي أتى به محمد ﷺ إن كانوا صادقين في أن محمدا ﷺ تقوله وتخلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٢٤ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ٢٥ يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون الله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء. وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأترون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السماوات والأرض فيكونوا هم الخالقين، وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتروا لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى، لأنهم خلقوا السموات والأرض، فكانوا بذلك أربابا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعد لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ ٣٧ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَا تِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٣٨ يقول تعالى ذكره: أَعِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بَيَاتُ اللَّهِ خَزَائِنُ رَبِّكَ يَا مُحَمَّد، فَهُمْ لَا سِتْغَانَهُمْ بِذَلِكَ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ مَعْرُضُونَ، أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ. اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَمْ هُمُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَسَلِّطُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسَيْطِرَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْجَبَّارُ الْمُتَسَلِّطُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾. يَقُولُ: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ مُسَلِّطٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ يَقُولُ: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَرْتَقُونَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمْعُونَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، فَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هُنَاكَ مِنْ اللَّهِ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ، فَهُمْ بِذَلِكَ مَتَمَسِّكُونَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَيَا تِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ يَقُولُ: فَإِنْ كَانُوا يَدْعُونَ ذَلِكَ فَلَيَا تِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ذَلِكَ، فَسَمِعَهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، يَعْنِي بِحُجَّةٍ تَبِينُ أَنَّهَا حَقٌّ، كَمَا أَتَى مُحَمَّدٌ ﷺ بِهَا عَلَى حَقِيقَةِ قَوْلِهِ، وَصَدَقَهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَالسُّلَّمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: السَّبَبُ وَالْمَرْقَاةُ؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ﴾ ٣٩ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ ٤٠ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُتُونَ﴾ ٤١ يقول تعالى ذكره للمُشْرِكِينَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ: أَلَرَبُّكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ؟ ذَلِكَ إِذْ قَسَمَ ضَيْزَى، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ثَوَابًا وَعَوْضًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَهُمْ مِنْ ثَقُلٍ مَا حَمَلْتَهُمْ مِنَ الْغَرَمِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِجَابَتِكَ إِلَيَّ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُتُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَمْ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، فَيَنْبِئُونَهُمْ بِمَا شَاءُوا، وَيَخْبِرُونَهُمْ بِمَا أَرَادُوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ ٤٢ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ٤٣ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٤٤ يقول تعالى ذكره: بَلْ يَرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ بَكَ، وَبِدِينِ اللَّهِ كَيْدًا ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ يَقُولُ: فَهُمْ الْمَكِيدُونَ الْمَمْكُورُ بِهِمْ دُونَكَ، فَتَقُ بِاللَّهِ، وَامْضِ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ. وَقَوْلُهُ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَمْ لَهُمْ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ غَيْرَ اللَّهِ، فَيَجُوزُ لَهُمْ عِبَادَتُهُ، يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يَقُولُ: تَنْزِيهَا اللَّهُ عَنْ شُرَكَاهُمْ وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ غَيْرِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ٤٥ ﴿فَذَرُهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ٤٦ يقول تعالى ذكره: وَإِنْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا، وَالْكِسْفُ: جَمْعُ كِسْفَةٍ، مِثْلُ التَّمْرِ جَمْعُ تَمْرَةٍ، وَالسِّدْرُ جَمْعُ سِدْرَةٍ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْآيَاتِ، فَقَالُوا لَهُ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾... إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَعَلَيْنَا كِسْفًا﴾ فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَإِنْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مَا سَأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ، فَعَابِنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا، لَمْ يَنْتَقِلُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَقَالُوا: إِنَّمَا هَذَا سَحَابٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ حَتَمَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ

﴿فَذَرُّهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فذر يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى. وقد بينا معنى الصَّعَقَ بشواهده، وما قال فيه أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ^(٥٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٥٧) يعني جل ثناؤه بقوله ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أي يوم هو، فقال: يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً، يعني: مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئاً، فالיום الثاني ترجمة عن الأول. وقوله ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يقول: ولا هم ينصرهم ناصر، فيستفيد لهم ممن عذبهم وعاقبهم. وقوله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعده الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة، ولم يخص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عم فقال ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة، فتأويل الكلام: وإن للذين كفروا بالله عذاباً من الله دون يوم القيامة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم ذائقو ذلك العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ^(٥٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ^(٥٩) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واصبر لحكم ربك يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلغ رسالاته فإنك بأعيننا يقول جل ثناؤه: فإنك بمراى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أراك بسوء من المشركين. وقوله: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عنى صلاة الظهر. وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما وقوله وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ يقول: ومن الليل فعظم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب والعشاء. وكان ابن زيد يقول في قوله وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ قال: ومن الليل صلاة العشاء وإدبار النجوم يعني حين تدبر النجوم للأفول عند إقبال النهار. وقيل: عني بذلك ركعتا الفجر. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: عنى بالسبح إدبار النجوم: صلاة الصبح الفريضة. كما جاء عن الضحاك وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين، ولم تقم حجة يجب التسليم لها، أن قوله فسبحه على الندب، وقد دللنا في غير موضع من كتبنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب، أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

تفسير سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝﴾^(٢) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لا نعلم أحدا من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه، فلذلك تركنا القول به. وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ما حاد صاحبكم أيها الناس عن الحق ولا زال عنه، ولكنه على استقامة وسداد. ويعني بقوله ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: وما صار غويا، ولكنه رشيد سديد؛ يقال: غَوِيَ يَغْوِي من الغي، وهو غاو، وغَوِيَ يَغْوِي من اللبن إذا بَشِم. وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ جواب قسم والنجم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقيل: عنى بقوله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ بالهوى. وقوله ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: يقول تعالى ذكره: علم محمدا ﷺ هذا القرآن جبريل عليه السلام، وعني بقوله ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ شديد الأسباب. والقوى: جمع قوة. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالمرّة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قويا، وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المرة واحدة المرور، وإنما أريد به: ذو مرة سوية. وإذا كانت المرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحا. ومنه قول النبي ﷺ: "لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ، وَلَا لَذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ". وقوله ﴿فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسري برسول الله ﷺ استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: "وَهُوَ" على ما في قوله: "فَاسْتَوَىٰ" من ذكر محمد ﷺ،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه، وهذا من المؤخر الذي معناه القديم، وإنما هو: ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله ﴿دَنَا﴾، إذ كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو، كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن إليّ فزارني وشتمني فأساء، وأساء فشتمني لأن الإساءة هي الشتم: والشتم هو الإساءة. كما جاء عن الربيع

وغيره وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلى. كما جاء عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ "أنه عرج جبرائيل برسول الله ﷺ إلى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما شاء، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، وذكر الحديث". وقوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقيب قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقْدَى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين. وقيل: إن معنى قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أنه كان منه حيث البوتر من القوس. كما جاء عن مجاهد وغيره كما: قال عبد الله في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: "رَأَيْتُ جَبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ". وقوله ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأوحى جبريل إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه، لأن افتتاح الكلام جرى في أول السورة بالخبر عن رسول الله ﷺ، وعن جبريل عليه السلام، وقوله ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ في سياق ذلك ولم يأت ما يدل على انصراف الخبر عنهما، فيوجه ذلك إلى ما صرف إليه. وقوله ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يقول تعالى ذكره: ما كذب فؤاد محمد محمدا الذي رأى، ولكنه صدقه. واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذبه فقال بعضهم: الذي رآه فؤاده رب العالمين، وقالوا جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده، ولم يره بعينه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل الذي رآه فؤاده فلم يكذبه جبريل عليه السلام. كما جاء عن عبد الله

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ﴾ وتأويل الكلام: أفتجادلون أيها المشركون محمدا على ما يرى مما أراه الله من آياته. وقوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يقول: لقد رآه مرة أخرى. واختلف أهل التأويل في الذي رأى محمد نزلة أخرى نحو اختلافهم في قوله: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. فجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت له: يا أبا عائشة، من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، والله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ - ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ قال: وكنت متكئا، فجلست وقلت: يا أم المؤمنين انتظري ولا تعجلي ألم يقل الله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: "لَمْ أَرِ جَبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَرْتِنِ مُنْهَبِطَا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". وجاء عن ابن عباس أنه قال ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: إن رسول الله ﷺ رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك: أليس ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قال له عكرمة: أليس ترى السماء؟ قال: بلى، أفكلها ترى؟. وقوله ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه عند سدرة المنتهى، فعند من صلة قوله ﴿رَآهُ﴾ والسدرة: شجرة النبق. وقيل لها سدرة المنتهى في قول بعض أهل العلم من أهل التأويل، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء.

وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى: لانتهاه علم كل عالم من الخلق إليها، كما قال كعب. وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاه ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما روي عن عبد الله. وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاه كل من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها. وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصح من القول الذي قال ربنا جل جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى. وبالذي قلنا في أنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال أهل العلم. كما جاء عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "انْتَهَيْتُ إِلَى السِّدْرَةِ فَإِذَا بَقِيهَا مِثْلُ الْجَرَارِ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا، تَحَوَّلْتُ يَاقُوتًا وَزُمُرَدًا وَنَحَوْتُ ذَلِكَ". وقوله ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ يقول تعالى ذكره: عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه نزلة أخرى؛ إذ يغشى السدرة ما يغشى، فإذا من صلة رآه. واختلف أهل التأويل في الذي يغشى السدرة فجاء عن مسروق في قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: غشيها فراش من ذهب. وجاء عن ابن عباس، قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: غشيها الله، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: ما مال بصر محمد يعبدل يميناً وشمالاً عما رأى، أي ولا جاوز ما أمر به قطعاً، يقول: فارتفع عن الحد الذي حد له. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى. واختلف أهل التأويل في تلك الآيات الكبرى فجاء عن عبد الله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق. وقال ابن زيد، في قوله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: جبريل رآه في خلقه الذي يكون به في السموات، قدر قوسين من رسول الله ﷺ، فيما بينه وبينه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٨) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿١٩﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢٠﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: أفرايتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكَذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدست أسماءهم، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العزى؛ وزعموا أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافترؤا، فقال جل ثناؤه لهم: أفرايتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة الثالثة بنات الله ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ يقول: أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون ﴿لَهُ الْأُنثَى﴾ التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهن. وذكر أن اللات بيت كان بنحلة تبعده قريش. وقال بعضهم: كان بالطائف. كما جاء عن قتادة وأما العزى فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: كان شجرات يعبدونها. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: كانت العزى حَجَراً أبيض. كما جاء عن سعيد وقال آخرون: كان بيتاً بالطائف تبعده ثقيف. كما جاء عن ابن زيد وقوله

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ يقول: أترعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه، والله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم ﴿يَلِكُ إِذَا قُسِمَةُ ضِرَى﴾ يقول جل ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وأترتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضرت به حقه بكسر الصاد، وضرت به بضمها فأنا أضيّره وأضوزه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿قُسِمَةُ ضِرَى﴾ قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنها، فقال بعضهم: قِسْمَةٌ عَوْجَاء. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتوها وهي اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله، وآباؤكم من قبلكم، ما أنزل الله بها، يعني هذه الأسماء، يقول: لم يبح الله ذلك لكم، ولا أذن لكم به. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظن بأن ما يقولون حق لا اليقين ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ يقول: وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به، وإنما اختراق من قبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه. وقوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ فما انتفعوا به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿١٥﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿١٦﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرمه بها من النبوة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه، فله ما في الدار الآخرة والأولى، وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكم من ملك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعا له شيئا، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول: ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان والملا من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فقال الله جل ذكره لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ۚ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ يقول تعالى: وما لهم يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يقول: ما يتبعون في ذلك إلا الظن، يعني أنهم إنما يقولون ذلك ظنا بغير علم. وقوله ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ يقول: وإن الظن لا ينفع من الحق شيئا فيقوم مقامه وقوله ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده. وقوله ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول: ولم يطلب ما عند الله في الدار الآخرة، ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا، والتمس البقاء فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظن بغير يقين علم. وكان ابن زيد يقول في في قوله ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ قال: يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله، ومكائدهم لما جاء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك. وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن طريقه في سابق علمه، فلا يؤمن، وذلك الطريق هو الإسلام ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سياق علمه، وذلك الطريق أيضا الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ۚ﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٤٠﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلْكُ ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من شيء. وهو يضل من يشاء، وهو أعلم بهم ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ يقول: ليجزي الذين عصوه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيشبههم بها النار ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ يقول: وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة، فيشبههم بها. وقيل: غني بذلك أهل الشرك والإيمان. كما جاء عن زيد بن اسلم وقوله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرّمها عليهم فلا يقرّبونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بيّناه في قوله ﴿إِنَّ تَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾. وقوله ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حداً. وقوله ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى "إلا" في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال "إلا" بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجه معنى الكلام إلى ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفو لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه: ﴿إِنْ تَحْتَنِبُوا

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ فوعد جل ثناؤه باجتنب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم الذي قال النبي ﷺ: "الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرَّجُلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ"، وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جل ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما روي عن النبي ﷺ واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر القراء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لمم القتل يريدون ضربا مقاربا للقتل. قال: وسمعت من آخر: ألم يفعل في معنى: كاد يفعل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم. وإنما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالموءمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما صرتم رجلا ونساء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقد بينا فيما مضى قبل معنى الجنين، ولم قيل له جنين، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. كما جاء عن زيد بن اسلم وقوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ يقول جل ثناؤه: ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ أَعِنَّدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۚ أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: أفرأيت يا محمد الذي أَدْبَرَ عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلا من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخل عليه. وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿أَعِنَّدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفائه بما وعده. وقوله ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يُخَبَّرْ هذا المضمون له، أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة، بالذي في صحف موسى بن عمران عليه السلام. وقوله ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ يقول: وإبراهيم الذي وفى من أرسل إليه ما أرسل به. ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذي وفى وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفى جميع شرائع الإسلام

وجميع ما أمر به من الطاعة، لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفي فعم بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخص بعضا دون بعض. وقوله ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فإن من قوله ﴿أَلَا تَزِرُ﴾ على التأويل الذي تأولناه في موضع خفض رداً على "ما" التي في قوله ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ يعني بقوله ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ غيرها، بل كل أئمة فإنما إثمها عليها. وقد بينا تأويل ذلك باختلاف أهل العلم فيه فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي مالك الغفاري وإنما عني بقوله ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الذي ضمن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة، يقول: ألم يُخَبِّرْ قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان بالذي في صحف موسى وإبراهيم مكتوب: أن لا تأثم أئمة إثم أخرى غيرها ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يُنَبِّأْ أنه لا يُجَازِي عامل إلا بعمله، خيراً كان ذلك أو شراً. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴿١١﴾ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿١٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿١٣﴾ قوله جل ثناؤه ﴿وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يُجَازِي عليه، خيراً كان أو شراً، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره. وإنما عني بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يُغْنِي عنه يوم القيامة شيئاً، لأن كل عامل فبعمله مأخوذ. وقوله ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. وإنما قال جل ثناؤه ﴿الْأَوْفَى﴾ لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء، والهاء في قوله ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ من ذكر السعي، وعليه عادت. وقوله ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم. وقوله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ﴿١٤﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿١٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿١٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأنه هو أَمَاتَ من مات من خلقه، وهو أَحْيَا من حيا منهم. وعني بقوله ﴿أَحْيَا﴾ نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصويره الروح فيها. وقوله ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأنه ابتدع إنشاء الزوجين الذكر والأنثى، وجعلهما زوجين، لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى له زوج فهما زوجان، يكون كل واحد منهما زوجاً للآخر. وقوله ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ و"من" من صلة خلق. يقول تعالى ذكره: خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة. وقوله ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن على ربك يا محمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم، وبلاهم في قبورهم الخلق الآخر، وذلك إعادتهم أحياء خلقاً جديداً، كما كانوا قبل مماتهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۖ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ۚ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَثُمَّودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ (٥١) يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه، فجعل له قنية أصول أموال. وقوله: وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى يقول تعالى ذكره: وأن ربك يا محمد هو ربُّ الشُّعْرَى، يعني بالشعري: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى يعني تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكتهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ وَإِنَّمَا قِيلَ لِعَادِ بْنِ إِرَمَ: عاد الأولى، لأن بني لقيم بن هزال بن هزل بن عييل بن ضد بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالق، ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد. وكان هلاك عاد الآخرة ببغي بعضهم على بعض، ففتنوا بالقتل فيما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، فيما ذكرنا قيل لعاد الأكبر الذي أهلكت الله ذريته بالريح: عاد الأولى، لأنها أهلكت قبل عاد الآخرة. وكان ابن زيد يقول: إنما قيل لعاد الأولى لأنها أول الأمم هلاكا. وقوله: وَثُمَّودَ فَمَا أَبْقَى يقول تعالى ذكره: ولم يبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرداها على ربه مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوها فأهلكها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ۖ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۖ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ (٥٢) يقول تعالى ذكره: وأنه أهلكت قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشد ظلما لأنفسهم، وأعظم كفرا بربهم، وأشد طغيانا وتمردا على الله من الذين أهلكتهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم. كما جاء عن قتادة، قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ﷺ نوح ألف سنة إلا خمسين عاما، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بني إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ تتابعا في الضلالة، وتكذيبا بأمر الله. وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يقول تعالى: والمخسوف بها، المقلوب أعلاها أسفلها، وهي قرية سدوم قوم لوط، أهوى الله، فأمر جبريل ﷺ، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ يقول تعالى ذكره: فغشى الله المؤتفكة من الحجارة المنصودة المسومة ما غشاها، فأمرها إياه من سجيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَبَآئِيَ آلَ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ التَّنْذِيرِ الْأُولَى ۖ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۚ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۚ﴾ (٥٣) يقول: ﴿فَبَآئِيَ آلَ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ يقول تعالى ذكره: فبآئى نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل، والآء: جمع إلى. وفي واحدتها لغات ثلاثة: إلِّي على مثال علي، وإلِّي على مثال علي، وآلِّي على مثال علا كما جاء عن قتادة وهذا الذي ذكرت، عن أبي مالك من أن معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت

لكم أني أوقعتها بالأُمم قبلكم من النذر التي أُنذرتها الأُمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى. أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النذر الأولى التي جاءت الأُمم قبلكم كما جاءكم، فقوله ﴿هَذَا﴾ بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك. وقوله ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ يقول: دنت الدانية: وإنما يعني: دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس يقال منه: أزف رَجِيل فلان. إذا دنا وقرب وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا. وقيل: كاشفة، فأُنثت، وهي بمعنى الانكشاف؛ كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء؛ وكما قيل: العاقبة وماله من ناهية، وكما قيل: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ بمعنى تكذيب، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِيَةٍ مِنْهُمْ﴾ بمعنى خيانة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۖ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أن نزل على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاء به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دع عنا سُمُودَكَ، يراد به: دع عنا لهوك، يقال منه: سَمَدَ فلان يَسْمُدُ سُمُودًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالعبرة وجاء عن ابن عباس، قوله ﴿سَامِدُونَ﴾ قال: هو الغناء، كانوا إذا سمعوا القرآن تَغَنَّوْا ولعبوا، وهي لغة أهل اليمن، قال اليماني: اسْمُد. وقوله ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون مَنْ سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكا في عبادتكم إياه.

آخر تفسير سورة النجم.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله ﴿اَفْتَرَبَتِ﴾ افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون. وقوله ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يقول جل ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته؛ فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال الله جل ثناؤه ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. وينحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار، وقال به أهل التأويل. كما جاء عن أنس بن مالك " أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما". وقوله ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ يقول تعالى ذكره. وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقة فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا عنها، فيولوا مكذبين بها منكبين أن يكون حقا يقينا، ويقولوا تكذبا منهم بها، وإنكارا لها أن تكون حقا: هذا سحر سحرنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره، وهو سحر مستمر، يعني يقول: سحر مستمر ذاهب، من قولهم: قد مر هذا السحر إذا ذهب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّهُمْ مُّسْتَقِرٌّ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرُ ۚ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَذَّبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَرِيشٍ بآيات الله بعد ما أتتهم حقيقتها، وعاینوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقا فلقنتين ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ يقول: وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته من نبوة محمد ﷺ، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم. وقوله ﴿وَكُلُّهُمْ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل أمر من خير أو شر مستقر قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحل الله بهم من عقوباته ما قص في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، ويزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهو مُفْتَعَلٌ من الرَجَر. وينحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وقوله ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني بالحكمة البالغة: هذا القرآن، ورُفِعَتْ

الحكمة رداً على "ما" التي في قوله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾. وتأويل الكلام: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر، حكمة بالغة. ولو رُفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزاً، فيكون معنى الكلام حينئذ: ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذي فيه مزدجر، ذلك حكمة بالغة، أو هو حكمة بالغة فتكون الحكمة كالتفسير لها. وقوله ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾ وفي "ما" التي في قوله ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ﴾ وجهان: أحدهما أن تكون بمعنى الجحد، فيكون إذا وجهت إلى ذلك معنى الكلام، فليست تغني عنهم النذر ولا يتفنعون بها، لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها. والآخر: أن تكون بمعنى: أنى، فيكون معنى الكلام إذا وجهت إلى ذلك: فأى شيء تغني عنهم النذر. والنذر: جمع نذير، كالجدد: جمع جديد، والحضر: جمع حصير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾^٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^٨ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر مستمر، فإنهم يوم يدعوا داعي الله إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النكر ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدث، وهي القبور، وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزة كل عزيز، تتبين في ناظره دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر. وقوله ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ يقول: مسرعين بنظرهم قبل داعيهم إلى ذلك الموقف. وقد بينا معنى الإهطاع بشواهد المغنية عن الإعادة، ونذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الرواية. كما جاء عن أبي الضحى وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾^٩ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر^{١٠} وهذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرسل إليه رسوله محمداً ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه، أنه محل بهم ما أحل بالأمم الذين قص قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنج نبيه محمداً والمؤمنين به، كما نجى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمة التي أحلها بأمتهم، فقال جل ثناؤه لنبيه محمداً ﷺ: كذبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذبوك من قومك، الذين إذا رأوا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمر - قوم نوح، فكذبوا عبداً نوحاً إذ أرسلناه إليهم، كما كذبتك قريش إذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر، وهو أفتعل من زجرت، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوله زاياء صيروا تاء الافتعال منه دالا من ذلك قولهم: ازدجر من زجرت، وازدلف من زلفت، وازديد من زدت. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي زجروه فقال بعضهم: كان زجرهم إياه أن قالوا: استطير جنونا. كما جاء عن مجاهد وغيره وقال آخرون: بل كان زجرهم إياه وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾ يقول

تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدوا وعتوا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿فَفَتَحْنَا﴾ لما دعانا نوح مستغيثا بنا على قومه ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ وهو المندفق، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وقوله ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ يقول جل ثناؤه: وأسلنا الأرض عيون الماء. كما جاء عن سفيان

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۚ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وحملنا نوحا إذ التقى الماء على أمر قد قدر، على سفينة ذات ألواح ودُسُر. والدسر: جمع دسار، وقد يقال في واحداه: دسير، كما يقال: حَبِيكُ وَحِبَاكُ؛ والدَسَار: المسمار الذي تشد به السفينة؛ يقال منه: دسرت السفينة إذا شدتها بمسامير أو غيرها. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر. وذكر عن سفيان في تأويل ذلك ما حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، في قوله ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: بأمرنا ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويله والصواب من القول من ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا، فغرّقنا قوم نوح، ونجينا نوحا عقابا من الله وثوابا للذي جُحد وكُفر، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووجدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ومن ذهب به إلى هذا التأويل كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا الله وكفرهم به. ولو وجّه مَوْجّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبا، فيكون معنى الكلام حيثئذ، فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ۚ﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ تَرَكْنَا السفينة التي حملنا فيها نوحا ومن كان معه آية، يعني عبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة، في قوله ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قال: ألقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقوله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحا، وكذبت فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يحل به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمدا ﷺ، مثل الذي حل بهم، فينبى إلى التوبة، ويراجع الطاعة. وأصل مدكر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال، وتاء وهي بعد الذال، فصيرتا دالا مشددة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوله ذالا يتبعها تاء الانفعال يجعلونها جميعا دالا مشددة، فيقولون: اذكرت اذكارا، وإنما هو اذكرت اذكارا، وفهل من مذكر، ولكن قيل: اذكرت ومدكر لما قد وصفت، قد ذكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك مدكر، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالا مشددة، وذكر عن الأسود بن

يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مذكر، أو مذكر، فقال: أفرأني رسول الله ﷺ: ﴿مُذَكِّرٌ﴾ يعني بذال مشددة. وبنحو الذي قلنا في ذلك أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا برهم من قوم نوح، وكذبوا رسوله نوحا، إذ تمادوا في غيهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم برهم، وتكذيبهم رسوله نوحا، صلوات الله عليه، وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحل بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حل بقوم نوح من العذاب. وقوله ﴿وَنَذَرٌ﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر. وقوله ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سهلنا القرآن، بيناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهو ناه. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ^(١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ^(١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ مُنْقَعِرٍ ^(٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ^(٢١) يقول تعالى ذكره: كذبت أيضا عاد نبينهم هودا ﷺ فيما أتاهم به عن الله، كالذي كذبت قوم نوح، وكالذي كذبتهم معشر قريش نبيكم محمدا ﷺ وعلى جميع رسله، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ يقول: فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابي إياهم، وعقابي لهم على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله هودا وإنذاري بفعلي بهم ما فعلت من سلك طرائقهم، وكانوا على مثل ما كانوا عليه من التمادي في الغي والضلالة. وقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرا، وهي الشديدة العصفوف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ، فقليل منه: صرصر، كما قيل: فككبوا فيها، من فكبوا، ونَهْنَهَتْ من نَهَتْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ يقول: في يوم شرّ وشؤم لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ يقول: في يوم شرّ وشؤم، استمرّ بهم البلاء والعذاب فيه إلى أن وافي بهم جهنم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم، فتندق رقابهم، وتبين من أجسامهم. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شماليًا، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها، منهم عمرو بن الحُلَيّ والحارث بن شداد والهلقام وابنا تيقن وخَلْجَان بن أسعد، فأدلجوا العبال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن بالشعب من العيال، فجعلت الريح تخفقهم رجلا رجلا فقالت امرأة من عاد: ذَهَبَ الدَّهْرُ بِعَمْرٍو ب... نِ حُلَيٍّ وَالْهَنِيَّاتِ... ثُمَّ بِالْحَارِثِ وَالْهَلْ... قام طلاع الشَّيَاتِ... وَالَّذِي سَدَّ عَلَيْنَا الرِّ... يَحْ أَيَّامَ الْبَلِيَّاتِ وجاء عن أبي هريرة، قال: إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه في الأرض، فتدخل في الأرض، وقال: كأنهم أعجاز نخل؛ ومعنى الكلام: فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقر، فترك ذكر فيتركهم استغناء بدلالة الكلام عليه. وقيل: إنما شبههم بأعجاز

نخل منقر، لأن رءوسهم كانت تبين من أجسامهم، فذهب لذلك رقابهم، وتبقى أجسادهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِالنَّذْرِ ۚ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۚ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ وَهُوَ نَاهٍ لِمَنْ أَرَادَ التَّذْكَرَ بِهِ وَالْإِنْعَازَ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ يَقُولُ: فَهَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ وَمَنْزَجِرٍ بِآيَاتِهِ. وَقَوْلُهُ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِالنَّذْرِ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَذَّبَتْ ثُمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ بِنَذْرِ اللَّهِ الَّتِي أُتِيَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالُوا تَكْذِيبًا مِنْهُمْ لَصَالِحٍ رَسُولٍ رِهْمٍ: أَبَشْرًا مِمَّنَّا نَتَّبِعُهُ نَحْنُ الْجَمَاعَةُ الْكَبِيرَةُ وَهُوَ وَاحِدٌ؟. وَقَوْلُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَقُولُ: قَالُوا: إِنَّا إِذَا بَاتَبَاعْنَا صَالِحًا إِنَّا اتَّبَعْنَاهُ وَهُوَ بَشَرٌ مِمَّنَّا وَاحِدٌ لَفِي ضَلَالٍ: يَعْنُونَ: لَفِي ذَهَابٍ عَنِ الصَّوَابِ وَأَخَذَ عَلَى غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ وَسُعُرٌ: يَعْنُونَ بِالسُّعْرِ: جَمْعُ سَعِيرٍ. وَكَانَ قِتَادَةُ يَقُولُ: عَنِي بِالسُّعْرِ: الْعَنَاءُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ۚ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابِ الْأَشِرِّ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلٍ مَكْذُوبٍ رَسُولُهُ صَالِحٌ ۚ مِنْ قَوْمِهِ ثُمُودُ: أَلْقَى عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: أَنْزَلَ الْوَحْيَ وَخَصَّ بِالنَّبُوءَةِ مِنْ بَيْنِنَا وَهُوَ وَاحِدٌ مِمَّنَّا، إِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُرْسِلُ رَسُولًا مِنْ بَنِي آدَمَ. وَقَوْلُهُ ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ يَقُولُ: قَالُوا: مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشَرٌّ، يَعْنُونَ بِالْأَشْرِ: الْمَرْحُ ذَا التَّجْبَرِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْمَرْحُ مِنَ النَّشَاطِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ وَقَوْلُهُ ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: سَتَعْلَمُونَ عَذَابَ فِي الْقِيَامَةِ مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرِ مِنْكُمْ مَعْشَرُ ثُمُودَ، وَمِنْ رَسُولِنَا صَالِحٍ حِينَ تَرُدُّونَ عَلَى رَبِّكُمْ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۚ وَبَيَّنَّاهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلِّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۚ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّا بَاعَثْنَا النَّاقَةَ الَّتِي سَأَلْتَهَا ثُمُودُ صَالِحًا مِنَ الْهَضْبَةِ الَّتِي سَأَلُوهُ بِعَثَّتْهَا مِنْهَا آيَةُ لَهُمْ، وَحُجَّةٌ لَصَالِحٍ عَلَى حَقِيقَةِ نَبُوَّتِهِ وَصَدَقَ قَوْلُهُ. وَقَوْلُهُ ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ يَقُولُ: ابْتِلَاءٌ لَهُمْ وَاجْتِبَارًا، هَلْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ صَالِحًا وَيَصَدِّقُونَهُ بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ إِذَا أُرْسِلَ النَّاقَةُ، أَمْ يَكْذِبُونَهُ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ؟ وَقَوْلُهُ ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَصَالِحٍ: إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ، فَانْتَظِرْهُمْ، وَتَبَصَّرْ مَا هُمْ صَانِعُونَ بِهَا ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ يَقُولُ لَهُ: وَاصْطَبِرْ عَلَى ارْتِقَابِهِمْ وَلَا تَعْجَلْ، وَانْتَظِرْ مَا يَصْنَعُونَ بِنَاقَةِ اللَّهِ وَقِيلَ: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ وَأَصْلُ الطَّاءِ تَاءٌ، فَجَعَلْتَ طَاءً، وَإِنَّمَا هُوَ افْتَعَلَ مِنَ الصَّبْرِ. وَقَوْلُهُ ﴿وَبَيَّنَّاهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: نَبِّئْهُمْ: أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ، يَوْمَ غَبَّ النَّاقَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ تَرِدُ الْمَاءَ يَوْمًا، وَتَغَبُّ يَوْمًا، فَقَالَ جَلُّ ثَنَاوَهُ لَصَالِحٍ: أَخْبِرْ قَوْمَكَ مِنْ ثُمُودَ أَنَّ الْمَاءَ يَوْمَ غَبَّ النَّاقَةُ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ، فَكَانُوا يَقْتَسِمُونَ ذَلِكَ يَوْمَ غَبَّهَا، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَتَتَزَوَّدُونَ فِيهِ مِنْهُ لِيَوْمٍ وَرُودِهَا. وَقَدْ وَجَّهَ تَأْوِيلَ ذَلِكَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاقَةِ يَوْمًا لَهُمْ وَيَوْمًا لَهَا، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ بَيْنَهُمْ، وَالْمَعْنَى: مَا ذَكَرْتُ عَنْهُمْ، لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ الْخَبَرَ عَنْ فِعْلِ جَمَاعَةِ بَنِي آدَمَ مَخْتَلَطًا بِهِمُ الْبَهَائِمِ، جَعَلُوا الْفِعْلَ خَارِجًا مَخْرَجَ فِعْلِ جَمَاعَةِ بَنِي آدَمَ، لِتَغْلِيهِمْ فِعْلَ بَنِي آدَمَ عَلَى فِعْلِ الْبَهَائِمِ. وَقَوْلُهُ ﴿كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كُلُّ شَرْبٍ مِنْ مَاءِ يَوْمَ غَبَّ النَّاقَةُ، وَمِنْ لَبَنٍ يَوْمَ وَرُودِهَا مُحْتَضَرٌ يَحْتَضِرُونَهُ. كَمَا جَاءَ عَنْ

مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ ٣١ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ٣٢ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ٣٣ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَنَادَتْ ثُمُودُ صَاحِبَهَا عَاقِرُ النَّاقَةِ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ لِيَعْقِرَ النَّاقَةَ حَضًّا مِنْهُمْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ يَقُولُ: فَتَنَاولَ النَّاقَةَ بِيَدِهِ فَعَقَرَهَا. وَقَوْلُهُ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ لِقَرِيشٍ: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي إِيَّاهُمْ مَعَشَرَ قَرِيشٍ حِينَ عَذَبْتَهُمْ أَلَمُ أَهْلِكَهُمْ بِالرَّجْفَةِ. وَنُذْرٌ: يَقُولُ: فَكَيْفَ كَانَ إِذْ بَارَى مِنْ أَنْذَرْتُ مِنَ الْأَمَمِ بَعْدَهُمْ بِمَا فَعَلْتَ بِهِمْ وَأَحْلَلْتَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: كَالَّذِي جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ ﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ قَالَ: تَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ قَالَ: يَقَالُ: إِنَّهُ وَلَدَ زَنِيَّةٍ فَهُوَ مِنَ التَّسْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَصْلَحُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا لِلصَّالِحِ ﴿لَنَبَيَّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ وَلَنَقْتُلَنَّهُمْ. وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى أَمْرَ الصَّيْحَةِ، وَكَيْفَ أَتَتْهُمْ، وَذَكَرْنَا مَا رَوِيَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ، فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَقَوْلُهُ ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَكَانُوا يَهْلِكُهُمْ بِالصَّيْحَةِ بَعْدَ نَصَارَتِهِمْ أَحْيَاءً، وَحَسَنَهُمْ قَبْلَ بَوَارِهِمْ كَيْسَ الشَّجَرِ الَّذِي حَظَرْتَهُ بِحَظِيرَتِهِ بَعْدَ حُسْنِ نَبَاتِهِ، وَخَضِرَةِ وَرَقَةٍ قَبْلَ يُسَسِّهِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِي بِذَلِكَ: الْعِظَامُ الْمُحْتَرَقَةُ، وَكَأَنَّهُمْ وَجَّهُوا مَعْنَاهُ إِلَى أَنَّهُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ وَبِلَاثِهِمْ بِالْشَيْءِ الَّذِي أَحْرَقَهُ مَحْرَقٌ فِي حَظِيرَتِهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ قَالَ: التَّرَابُ الَّذِي يَتَنَاقَرُ مِنَ الْحَائِطِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ حَظِيرَةُ الرَّاعِي لِلْغَنَمِ. كَمَا جَاءَ عَنْ الضَّحَّاكِ وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنِي بِهِ هَشِيمُ الْخِيْمَةِ، وَهُوَ مَا تَكْسَرُ مِنْ خَشْبِهَا. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَجَاءَ عَنْ سَفْيَانَ ﴿كَهَشِيمِ﴾ قَالَ: الْهَشِيمُ: إِذَا ضَرَبْتَ الْحَظِيرَةَ بِالْعَصَا تَهَشَّمُ ذَاكَ الْوَرَقَ فَيَسْقُطُ. وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ شَيْءٍ كَانَ رَطْبًا فَيَسَّ هَشِيمًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٣٤ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ ٣٥ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَحْنُ نَحْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ٣٦ ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ ٣٧ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ هَوَّنَا الْقُرْآنَ بَيْنَاهُ لِلذِّكْرِ: يَقُولُ: لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِهِ فَيَتَعَطَّ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ يَقُولُ: فَهَلْ مِنْ مُتَعَطٍّ بِهِ وَمُعْتَبَرٍ فَيَعْتَبِرُ بِهِ، فَيَرْتَدِعُ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِهَا. وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَجَارَةً. وَقَوْلُهُ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَحْنُ نَحْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ يَقُولُ: غَيْرَ آلِ لُوطٍ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ فَإِنَّا نَجِينَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي عَذَّبْنَا بِهِ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، وَالْحَاصِبُ الَّذِي حَصَبْنَاهُمْ بِهِ بِسَحَرٍ: بِنِعْمَةٍ مِنْ عِنْدِنَا: يَقُولُ: نِعْمَةٌ أَنْعَمْنَا عَلَى لُوطٍ وَآلِهِ، وَكَرَامَةٌ أَكْرَمْنَاهُمْ بِهَا مِنْ عِنْدِنَا. وَقَوْلُهُ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ يَقُولُ: وَكَمَا أَثْبَنَّا لُوطًا وَآلَهُ، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابِنَا بِطَاعَتِهِمْ إِيَّانَا كَذَلِكَ نُنِيبُ مَنْ شَكَرْنَا عَلَى نِعْمَتِنَا عَلَيْهِ، فَأَطَاعَنَا وَانْتَهَى إِلَى أَمْرِنَا وَنَهَيْنَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِنَا. وَأَجْرِي قَوْلُهُ بِسَحَرٍ، لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ، وَإِذَا قَالُوا: فَعَلْتُ هَذَا سَحَرٌ بَغِيرَ بَاءٍ لَمْ يَجْرِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ﴾ ٣٨ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ٣٩ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ أَنْذَرْتُ لُوطَ قَوْمَهُ بِطْشَتِنَا الَّتِي بَطَشْنَاهَا

قبل ذلك ﴿فَتَمَارَوْا بِالتُّرِّ﴾ يقول: فكذبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك شكاً منهم فيه. وقوله ﴿فَتَمَارَوْا﴾ تفاعلوا من المربة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: كما جاء عن قتادة راود لوطاً قومه عن ضيفه الذين نزلوا به حين أراد الله إهلاكهم ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يقول: فطمسنا على أعينهم حتى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، فلم يبصروا ضيفه. والعرب تقول: قد طمست الريح الأعلام: إذا دفتها بما تسفي عليها من التراب، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال ابن زيد، في قول الله ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تنزل أحداً أو تضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشق، فأنتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قط أحسن وجوهاً منهم، ولا أحسن ثياباً، ولا أطيب أرواحاً منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أولم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا بينك؟ قال: هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعن هذا الأمر سرّاً، وليكوننّ فيه بلاء؛ قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحاً من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجرول بعضهم في بعض، فذلك قول الله ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾. وقوله ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثالات.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۖ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ۚ﴾ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد صبح قوم لوط بكرة ذكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر. كما جاء عن سفيان وقوله ﴿عَذَابٍ﴾ وذلك قلب الأرض بهم، وتصيير أعلاها أسفلها بهم، ثم إبتاعهم بحجارة من سجيل منضود. كما جاء عن سفيان وقوله ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ يقول: استقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة حتى يوافوا عذاب الله الأكبر في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ يقول تعالى ذكره لهم: فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذي أحلته بكم، بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله، وإنذاري بكم الأمم سواكم بما أنزلته بكم من العقاب. وقوله ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سهّلنا القرآن للذكر لمن أراد التذكر به فهل من متعظ ومعتبر به فينزع به عما نهاه الله عنه إلى ما أمره به وأذن له فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۚ﴾ ﴿٢٨﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أنباء فرعون وقومه إنذارنا بالعقوبة بكفرهم بنا وبرسولنا موسى ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يقول جلّ ثناؤه كذب آل فرعون بأدلتنا التي جاءتهم من عندنا، وحجبنا التي أتتهم بأنه لا إله إلا الله وحده كلها ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديدة لا يغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف. وبنحو

الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (١٦) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿١٧﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمتي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي . يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبهم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنبؤوا . كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ يقول جل ثناؤه: أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ من عقاب الله معشر قريش، أن تصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحي من الله في الزبر، وهي الكتب . وقوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكره، وأراد حربنا وتفريق جمعنا، فقال الله جل ثناؤه: سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ﴿ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ يقول: ويولون أديبارهم المؤمنين بالله عن انهمزاهم عنه . وقيل: الدبر فوحد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرؤوس: إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه، ثم إن الله تعالى ذكره صدق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر ولوهم الدبر . كما جاء عن عكرمة أن عمر قال لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ﴾ (١٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ للبعث والعقاب ﴿ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ ﴾ عليهم من الهزيمة التي يهزمون بها عند التقائهم مع المؤمنين ببدر . كما جاء عن شهر بن حوشب وقوله ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن المجرمين في ذهاب عن الحق، وأخذ على غير هدى ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ يقول: في احتراق من شدة العناء والنصب في الباطل . وقوله ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يُسحب هؤلاء المجرمون في النار على وجوههم . وقد تأول بعضهم قوله ﴿ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ إلى النار . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ إِلَى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ . وقوله ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يُسحبون في النار على وجوههم، يقال لهم: ذوقوا مَسَّ سَقَرَ، وترك ذكر " يقال لهم " استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره . فإن قال قائل: كيف يُدّاق مَسَّ سَقَرَ، أوله طعم فيُدّاق؟ فإن ذلك مختلف فيه؛ فقال بعضهم: قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام، كما يقال: كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز؟ وقال آخر: ذلك كما يقال: وجدت مَسَّ الحمى يُراد به أول ما نالني منها، وكذلك وجدت طعم عفوك . وأما سَقَرَ فإنها اسم باب من أبواب جهنم وترك إجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة . وقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه، وفي هذا بيان، أن الله جل ثناؤه، توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع

كفرهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي هريرة أن مشركي قريش خاصمت النبي ﷺ في القدر، فأنزل الله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ﴿٥١﴾ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكونه إلا قولة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادة ﴿كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ يقول جل ثناؤه: فيوجد ما أمرناه وقلنا له: كن كسرعة الملح بالبر لا يطع ولا يتأخر، يقول تعالى ذكره لمشركي قريش الذين كذبوا رسوله محمدا ﷺ: ولقد أهلكنا أشياعكم معشر قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية، على مثل الذي أنتم عليه من الكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ يقول: فهل من متعظ بذلك منجز ينزجر به. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفار قريش في الزبر، يعني في الكتب التي كتبتها الحفظة عليهم. وقد يحتمل أن يكون مرادا به في أم الكتاب. كما جاء عن الضحاك وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٣﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأشياء ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ يقول: مثبت في الكتاب مكتوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في بساتين يوم القيامة، وأنهار، ووحد النهر في اللفظ ومعناه الجمع، كما وحد الدبر، ومعناه الإدبار في قوله: ﴿يُولَوْنَ الدُّبُرَ﴾ وقد قيل: إن معنى ذلك: إن المتقين في سعة يوم القيامة وضياء، فوجهوا معنى قوله: ﴿وَنَهَرٍ﴾ إلى معنى النهار. وقوله "نهر" على هذا التأويل مصدر من قولهم: نهرت أنهر نهرا. وعنى بقوله: "فإني نهر": أي إني لصاحب نهار: أي لست بصاحب ليلة. وقوله: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ يقول: في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ يقول: عند ذي ملك مقتدر على ما يشاء، وهو الله ذو القوة المتين، تبارك وتعالى.

آخر تفسير سورة اقتربت الساعة

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ حُسْبَانٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن. فأنعم بذلك عليكم، إذ بصركم به ما فيه رضا ربكم، وعرفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنّبكم ما يُسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه. وروى عن قتادة في تفسير ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال: نعمة والله عظيمة. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يقول تعالى ذكره: خلق آدم وهو الإنسان في قول بعضهم. وقال آخرون: بل عنى بذلك الناس جميعا، وإنما وحد في اللفظ لأدائه عن جنسه، كما قيل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما. وقوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يقول تعالى ذكره: علم الإنسان البيان. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالبيان في هذا الموضع والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعاش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علمه من البيان بعضا دون بعض، بل عمّ فقال: علمه البيان، فهو كما عمّ جل ثناؤه. وقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ حُسْبَانٌ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حسابا وحسبانا، مثل قولهم: كفرته كفرانا، وغفرته غفرانا. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝﴾ اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضع، مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره. وأما قوله: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وأما قوله: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ فإنه عني به سجود ظلّهما، كما قال جل ثناؤه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلَالًا ۝ لَهُمْ بِالْعُذُورِ وَالْأَصَالُ﴾. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والسماء رفعها فوق الأرض. وقوله: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يقول:

ووضع العدل بين خلقه في الأرض. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أَلَا تَنْظُرُونَ فِي الْمِيزَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا تظلموا وتبخسوا في الوزن. كما جاء عن قتادة وكان ابن عباس يقول: يا معشر الموالى، إنكم قد وليتم أمرين، بهما هلك من كان قبلكم، هذا المكيال والميزان. وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ يقول: وأقيموا لسان الميزان بالعدل. وقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۚ فِيهَا فَالِكِهَتْ ۖ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۚ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۚ وَالرَّيْحَانُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ والأرض وطاها للخلق، وهم الأنام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فِيهَا فَالِكِهَتْ ۖ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ يقول تعالى ذكره: في الأرض فاكهة، والهاء والألف فيها من ذكر الأرض. ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: والأكمام: جمع كَمٍّ، وهو ما تكممت فيه. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكمة في ليفها، وطلعها متكمم في جُفِّه، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جف، بل عم الخبر عنها بأنها ذات أكمام. والصواب أن يقال: عني بذلك ذات ليف، وهي به مُتَكَمِّمَةٌ وذات طلع هو في جُفِّه مُتَكَمِّمٌ فَيَعْمَمُ، كما عمَّ جل ثناؤه. وقوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۚ وَالرَّيْحَانُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها الحب، وهو حبُّ البرِّ والشعير ذو الورق، والتبن: هو العصف كما جاء عن مجاهد وغيره وقال بعضهم: العصف: هو الحب من البرِّ والشعير بعينه. كما جاء عن الضحاك وأما قوله: ﴿وَالرَّيْحَانُ ۚ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ به الرزق، وهو الحب الذي يؤكل منه. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر عن الحب أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا بيس، فالذي هو أولى بالريحان، أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه، ويقال: سبحانك وريحانك: أي ورزقك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۚ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم تكذبان. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من ييسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار، يعني أنه من ييسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الجن من مارج من نار، وهو ما اختلط بعضه ببعض، من بين أحمر، وأصفر وأخضر من قولهم: مَرَجَ أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: "كَيْفَ بَكَ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ

مَرَجَتْ عُھُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ! وَذَلِكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسَانُهُ". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأي نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذبان؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ٧ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٨ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ٩ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ١٠ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ١١ يقول تعالى ذكره: ذلكم أيها الثقلان ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، يعني بالمشرقين: مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف. وقوله: ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، يعني: ورب مغرب الشمس في الشتاء، ومغربها في الصيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن أبيزي وغيره وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخير الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دابة بمرافقكما، ومصالح دنياكما ومعاشكما تكذبان. وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: مرج رب المشرقين ورب المغربين البحرين يلتقيان، يعني بقوله: ﴿مَرَجَ﴾: أرسل وخلي، من قولهم: مرج فلان دابته: إذا خلاها وتركها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جل ثناؤه في هذه الآية، أي البحرين هما؟ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْهُ وَالْمَرْجَانُ﴾، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء. وقوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخص وصفهما في شيء دون شيء، بل عم الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يعم كما عم جل ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغيان أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حد الله الذي حدّه لهما. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، يقول تعالى ذكره: فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مرجه البحرين، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْهُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ١٢ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ١٣ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ١٤ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ١٥ يقول تعالى ذكره: يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله، وجعل بينهما برزخا اللؤلؤ والمرجان. واختلف أهل التأويل في صفة اللؤلؤ والمرجان، والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ. قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

تُكَذِّبَانِ، يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا معشر الثقلين التي أنعم بها عليكم فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين تكذبان. وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، يقول تعالى ذكره: ولربّ المشرقين والمغربين الجوّاري، وهي السفن الجارية في البحار. وقوله: ﴿الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بكسر الشين، بمعنى: الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن. وقرأ ذلك عامة قراء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين ﴿الْمُنشَآتُ﴾، بفتح الشين، بمعنى المرفوعات القلاع اللاتي تقبل بهنّ وتدبر. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى متقاربتاه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. كما جاء عن مجاهد، قوله: ﴿الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ قال: ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت، وإذا لم يرفع قلعهما فليست بمنشأة. وجاء عن قتادة ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني: السفن. وقوله: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ يقول: كالجبال، شبه السفن بالجبال، والعرب تسمي كل جبل طويل علما وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم، بإجرائه الجوّاري المنشآت في البحر جارية بمنافعكم - تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بالياء، ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ على أنه من نعت الربّ وصفته. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا معشر الثقلين من هذه النعم تكذبان. وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: إليه يفرّج بمسألة الحاجات كل من في السموات والأرض، من ملك وإنس وجنّ وغيرهم، لا غني بأحد منهم عنه. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، يقول تعالى ذكره: هو كل يوم في شأن خلقه، فيفرج كرب ذي كرب، ويرفع قوما، ويخفض آخرين، وغير ذلك من شئون خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عبيد بن عمير وهو كالذي جاء عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله، وما ذلك الشأن؟ قال: "يَعْرِضُ دُنْبًا، وَيُفْرَجُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ." وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَبِّكُمَا معشر الجنّ والإنس، التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم، فيما هو أنفع لكم تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ وتأويل ذلك: فإنه وعيد من الله لعباده وتهديد، كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده، ولا شغل له يشغله عن عقابه، لأتفرغنّ لك، وسأفترغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل للذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي: أي أخذت فيه، وأقبلت عليه، وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سنحاسبكم،

ونأخذ في أمرهم أيها الإنس والجنّ، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعمها عليكم، من ثوابه أهل طاعته، وعقابه أهل معصيته تكذّبان؟. وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم؛ فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسلطان من ربكم. قالوا: وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة. قالوا: ومعنى الكلام: سنفرغ لكم أيها الثقلان، فيقال لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾. فعن الضحاك بن مزاحم، قال: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية، ثم بالثالثة، ثم بالرابعة، ثم بالخامسة، ثم بالسادسة، ثم بالسابعة، فصفوا صفا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنّته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُثْلَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾، وذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾. وكان يقول ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾.... الآية، يعني بذلك أنه لا يجيرهم أحد من الموت، وأنهم ميتون لا يستطيعون فرارا منه، ولا محيصا، لو نفذوا أقطار السموات والأرض كانوا في سلطان الله، ولأخذهم الله بالموت. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا. كما جاء عن ابن عباس وقال أيضا في قوله: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾: يقول: لا تخرجون من سلطاني. وأما الأقطار فهي جمع قطر، وهي: الأطراف. كما جاء عن سفيان وقوله جل ثناؤه ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: من أطرافها. وأما قوله: ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما تكذّبان معشر الثقلين التي أنعمت عليكم - من التسوية بين جميعكم، لا يقدر على خلاف أمر أراده بكم - تكذّبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ٣٩﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا أيها الثقلان يوم القيامة ﴿شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ﴾، وهو لهبها من حيث تشتعل وتوَجَّع بغير دخان كان فيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقال آخرون: الشواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب. كما جاء عن الضحاك وأما قوله: ﴿وَنُحَاسٌ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظ من نار،

وهو النار المحضه التي لا يخلطها دخان. والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب، دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون، ونحاسا بكسرها، والقراء مجمعة على ضمها، ومن النحاس بمعنى الدخان وقوله: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا تنتصران أيها الجن والإنس منه، إذا هو عاقبكم هذه العقوبة، ولا تستنقدان منه. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا انشقت السماء وتططرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأي قدرة ربكما معشر الجن والإنس - على ما أخبركم بأنه فاعل بكم - تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ يقول تعالى ذكره: فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض، ربهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، ومثل قوله لمحمد ﷺ ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْحَجِيمِ﴾. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما معشر الثقلين، - التي أنعم عليكم من عدله فيكم، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرما - . وقوله: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التي يسومهم الله بها من اسوداد الوجه، وازرقاق العيون. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، يقول تعالى ذكره: فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم، وتقذفهم فيها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما معشر الجن والإنس - التي أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجماع من أهل الطاعة منكم، حتى خصوا بالإدلال والإهانة المجرمين دون غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جل ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم حين يؤخذ بالنواصي والأقدام: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، فترك ذكر "يقال" اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وهذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان. وقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف صفتهم في جهنم بين أطبقها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول: وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حره وأنى طبخه، وكل شيء قد أدرك وبلغ

فقد أنى، ومنه قوله: ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾ يعني: إدراكه وبلوغه كما جاء عن سعيد وغيره وقال بعضهم: عنى بالآني: الحاضر. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فَبَآئِيَ نعم ربكما معشر الجن والإنس التي أنعمها عليكم - بعقوبته أهل الكفر به، وتكريمه أهل الإيمان به - تكذِّبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٤٦﴾ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۖ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ۖ ﴿٤٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولمن اتقى الله من عباده - فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه - جنتان، يعني بستانين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عن تأويله، غير أن معنى جميعهم يقول إلى هذا. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فَبَآئِيَ نعم ربكما أيها الثقلان - التي أنعم عليكم بإثابته المحسن منكم ما وصف جل ثناؤه في هذه الآيات - تكذِّبان. وقوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ يقول: ذواتا ألوان، واحدها فن، وهو من قولهم: افتن فلان في حديثه: إذا أخذ في فنون منه وضروب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي سنان وغيره وقال آخرون: ذواتا أغصان. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى ذلك: ذواتا أطراف أغصان الشجر. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل عنى بذلك فضلها وسعتها على ما سواهما. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فَبَآئِيَ نعم ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم بإثابته هذا الثواب أهل طاعته - تكذِّبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ ﴿٤٩﴾ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۖ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره في هاتين الجنتين عينا ماء تجريان خلalهما، فَبَآئِيَ آلَاءِ ربكما تكذِّبان. وقوله: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُوجَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان، فَبَآئِيَ آلَاءِ ربكما - التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذِّبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۖ ﴿٥١﴾ فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۖ ﴿٥٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ يتنعمون فيهما، ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ﴾، فنصب متكئين على الحال من معنى الكلام الذي قبله، لأن الذي قبله بمعنى الخبر عمن خاف مقام ربه أنه في نعمة وسرور، يتنعمون في الجنتين. وقوله: ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ يقول تعالى ذكره: بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج، والإسْتَبْرَق عند العرب: ما غلظ من الديباج وخشن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سالم بن عبد الله وغيره وقوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ يقول: وثمر الجنتين الذي يجتني قريب منهم، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها، لا جتناء ثمرها، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء. كما جاء عن قتادة، قوله: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: ثمارهم دانية، لا يرد أيديهم عنه بعد ولا شوك. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، لا يقطع رجل ثمرة من الجنة، فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها". وقوله: ﴿فَبَآئِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فَبَآئِيَ آلَاءِ ربكما معشر الثقلين التي أنعم عليكم - من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب، وأكرمهم هذه الكرامة - تكذِّبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ تُحَاطَبْنَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره في هذه الفرش التي بطائنها من إستبرق ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، وهنّ النساء اللاتي قد قصّر طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ تُحَاطَبْنَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ يقول: لم يمسهنّ إنس قبل هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال فيهم ﴿وَلَمْ يَخَافْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾. ولا جانّ يقال منه: ما طمّ هذا البعير جبل قطّ: أي ما مسّه جبل. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: الطمّ هو النكاح بالتدمية، ويقول: الطمّ هو الدم، ويقول: طمّتها إذا دماها بالنكاح. وإنما عنى في هذا الموضع أنّه لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره فإن قال قائل: وهل يجامع النساء الجنّ، فيقال: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ يُحَاطَبْنَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانٌّ﴾؟ فإنّ مجاهداً روي عنه ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: إذا جامع الرجل ولم يسمّ، انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ يُحَاطَبْنَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانٌّ﴾. وكان بعض أهل العلم ينتزع هذه الآية في أن الجنّ يدخلون الجنة. فعن أرطاة بن المنذر، قال: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجنّ من ثواب؟ قال: نعم، ثم نزع هذه الآية ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْ يُحَاطَبْنَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، فالإنسيات للإنس، والجنّيات للجنّ. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ آلاء ربكما معشر الجنّ والإنس - من هذه النعم التي أنعمها على أهل طاعته تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٩﴾ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿٦٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦١﴾ يقول تعالى ذكره: كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هنّ في هاتين الجنة في صفائهنّ الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكَذَلِكَ يرى مخ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان. كالذي جاء عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَرَى بَيَاضَ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ وَمُخَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ أَمَّا الْيَاقُوتُ فَإِنَّهُ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سَلَكاً ثُمَّ اسْتَصَفَيْتَهُ لَرَأَيْتَهُ مِنْ وَرَائِهِ". وكما قال ابن مسعود: إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ، ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأيّ نعم ربكما التي أنعم عليكم معشر الثقلين - من إثابته أهل طاعته منكم بما وصف في هذه الآيات - تكذبان. وقوله: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان يقول تعالى ذكره: هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجلّ لمن خافه، فأحسن في الدنيا عمله، وأطاع ربه، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربّه، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا، ما وصف في هذه الآيات من قوله: وَلَمْ يَخَافْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ... إلى قوله: كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه. كما جاء عن محمد بن الحنفية وغيره وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر

الثقلين التي أنعم عليكم - من إثابته المحسن منكم بإحسانه - تكذبان؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مُدْهَمَّتَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن دون هاتين الجنتين - اللتين وصف الله جل ثناؤه صفتهما التي ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه - جتان. ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: وَمِنْ دُونِهِمَا في هذا الموضع فقال: بعضهم: معنى ذلك: ومن دونهما في الدرج. كما جاء عن ابن عباس، في قوله "وكان عرشه على الماء" قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها جنة أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة. قال: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ وهي التي لا تعلم، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيهما، أو ما فيها، يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن دونهما في الفضل. كما جاء عن ابن زيد وقوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يقول: فَبِأَيِّ نعم ربكما التي أنعم عليكم - بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين - تكذبان؟ وقوله: مُدْهَمَّتَانِ يقول تعالى ذكره: مسوأتان من شدة خضرتهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن الزبير وغيره وقوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يقول: فَبِأَيِّ نعم ربكما التي أنعم عليكم - بإثابته أهل الإحسان ما وصف في هاتين الجنتين - تكذبان. وقوله: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ يقول تعالى ذكره: في هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه، عينان نضاختان، يعني: فوارتان. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضخان به وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك أنهما تنضخان بالماء، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء. وقوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يقول تعالى ذكره: فَبِأَيِّ نعم ربكما التي أنعم عليكم - بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل - تكذبان؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي هاتين الجنتين المداهمتين فاكهة ونخل ورمان. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فَبِأَيِّ نعم ربكما تكذبان، يقول: فَبِأَيِّ نعم ربكما التي أنعمها عليكم - بهذه الكرامة التي أكرم بها محسنكم - تكذبان. وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: في هذه الجنان الأربع اللواتي اثنتان منهن لمن يخاف مقام ربه، والأخريان منهن من دونهما المداهمتان خيرات الأخلاق، حسان الوجوه. كالذي جاء عن أم سلمة قالت "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال: خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ". وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فَبِأَيِّ نعم ربكما التي أنعم عليكم - بما ذكر - تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۚ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الخيرات الحسان ﴿حُورٌ﴾ يعني بقوله حور: بيض، وهي جمع حوراء، والحوراء: البيضاء. وقد بينا معنى الحور فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك

قال أهل التأويل. كالذي جاء، عن مجاهد ﴿حُورٌ﴾ قال: بيض. وأما قوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وصفهن بأنهن مقصورات في الخيام، والقصر: هو الحبس. ولم يخص وصفهن بأنهن محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر، بل عم وصفهن بذلك. والصواب أن يعم الخبر عنهن بأنهن مقصورات في الخيام على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، كما عم ذلك. وقوله: ﴿في الخيام﴾ يعني بالخيام: البيوت، وقد تسمى العرب هودج النساء خياما كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ الخيام: درّ مجوّف. وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف باب من ذهب. وقال: قتادة: كان يقال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال، وأناهرة وجنانه وما أعد الله له من الكرامة. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكما - من الكرامة، بإثابة محسنكم هذه الكرامة - تكذبان. وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: لم يمسهنّ بنكاح فيدميهنّ إنس قبلهم ولا جان. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم بها - مما وصف - تكذبان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: ينعم هؤلاء الذين أكرمهم جل ثناؤه هذه الكرامة، التي وصفها في هذه الآيات، في الجنتين اللتين وصفهما ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى الرفرف فجاء عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرِفِ خُضْرٍ﴾ قال: رياض الجنة. وعن ابن عباس، في قوله: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رُفْرِفِ خُضْرٍ﴾ يقول: المحابس. وقال الحسن: الرفرف: مرافق خضر، وأما العبقرى، فإنه الطنافس الثخان، وهي جماع واحدها: عبقرية. وقد ذكر أن العرب تسمي كل شيء من البسط عبقرية. وجاء عن ابن عباس ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: العبقرى: الزرابى الحسان. وعن مجاهد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هو الديباج. وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: فبأي نعم ربكما التي أنعم عليكم - من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة - تكذبان. وقوله ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: تبارك ذكر ربك يا محمد، ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾: يعني ذي العظمة، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه. كما جاء عن ابن عباس

آخر تفسير سورة الرحمن عز وجل

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۚ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين يُنفخ في الصور لقيام الساعة. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يقول تعالى: ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية، والكاذبة في هذا الموضع مصدر، مثل العاقبة والعافية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الواقعة حينئذ خافضة، أقواما كانوا في الدنيا، أعزاء إلى نار الله. وقوله: ﴿رَافِعَةٌ﴾ يقول: رفعت أقواما كانوا في الدنيا وُضعاء إلى رحمة الله وحبته. وقيل: خفضت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى. كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ يقول تعالى ذكره: إذا زلزلت الأرض فحركت تحريكا من قولهم السهم يرتج في الغرض، بمعنى: يهتز ويضطرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فتت الجبال فتا، فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾ والبسيطة عند العرب: الدقيق والسويق تلت وتخذ زادا. كما جاء عن مجاهد، في قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ قال: فُتَّت فتا. وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الهباء وقد بينا معنى الهباء في غير هذا الموضع بشواهده، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأما قوله: ﴿مُنْبَثًّا﴾ فإنه يعني متفرقا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وكنتم أيها الناس أنواعا ثلاثة وضروبا. وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة، يقول، جل ثناؤه: وكنتم أزواجا ثلاثة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، فجعل الخبر عنهم، مغنيا عن البيان عنهم، على الوجه الذي ذكرنا، لدلالة الكلام على معناه، فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يعجب نبيه محمدا منهم، وقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أي شيء أصحاب اليمين، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤمي؛ ومنه قول أعشى بني ثعلبة: فَأَنَحَى عَلَى شُؤْمِي يَدَيْهِ فَذَاذَاهَا بِأَظْمَأْ مِنْ فَرْعِ الدَّوَابِّهِ أَسَحَمَا وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء ابن زيد يقول: وجدت الهوى ثلاثة أثلاث، فالمرء

يجعل هواه علمه، فيديل هواه على علمه، ويقهر هواه علمه، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل، والعلم ذليل، الهوى غالب قاهر، فالذي قد جعل الهوى والعلم في قلبه، فهذا من أزواج النار، وإذا كان ممن يريد الله به خيرا استفاق واستنبه، فإذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى، فإذا حسنت حال المؤمن، واستقامت طريقه كان الهوى ذليلا وكان العلم غالبا قاهرا، فإذا كان ممن يريد الله به خيرا، ختم عمله بإدالة العلم، فتوفاه حين توفاه، وعلمه هو القاهر، وهو العامل به، وهواه الذليل القبيح، ليس له في ذلك نصيب ولا فعل. والثالث: الذي قبح الله هواه بعلمه، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب، فهذا الثالث، وهو خيرهم كلهم، وهو الذي قال الله عز وجل في سورة الواقعة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ قال: فزوجان في الجنة، وزوج في النار، قال: والسابق الذي يكون العلم غالبا للهوى، والآخر: الذي ختم الله بإدالة العلم على الهوى، فهذان زوجان في الجنة، والآخر: هواه قاهر لعلمه، فهذا زوج النار. وقال آخرون بما جاء عن عثمان بن أبي سودة، قال ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أولهم رواحا إلى المساجد، وأسرعهم خفوقا في سبيل الله. وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وهم الزوج الثالث وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن الحسن، في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ... إلى ﴿ثَلَاثَةً مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةً مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: "سَوَى بَيْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنَ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ، وَبَيْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَ السَّابِقُونَ مِنَ الْأَمَمِ أَكْثَرَ مِنْ سَابِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: جماعة من الأمم الماضية، وقليل من أمة محمد ﷺ، وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون: لأنهم آخر الأمم ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ يقول: فوق سُرر منسوجة، قد أدخل بعضها في بعض، كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة وقيل: إنما قيل لها سُرر موضونة، لأنها مشبكة بالذهب والجوهر. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها مصفوفة. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره متكئين على السُرر الموضونة، متقابلين بوجوههم، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف على هؤلاء السابقين الذين قربهم الله في جنات النعيم، ولدان على سنن واحدة، لا يتغيرون ولا يموتون. كما جاء عن مجاهد ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ قال: الأباريق: ما كان لها آذان، والأكواب ما ليس لها آذان. وقوله: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ وكأس خمر من شراب معين، ظاهر العيون، جار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ يقول: لا تصدع رءوسهم عن شربها فتسكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَلَا يُنْفَوْنَ﴾ اختلفت القراء في قراءته، فقرأت عامة قراء المدينة والبصرة ﴿يُنْفَوْنَ﴾ بفتح الزاي، ووجهوا ذلك إلى أنه لا تنزف عقولهم. وقراءته عامة قراء الكوفة ﴿لَا يُنْفَوْنَ﴾ بكسر الزاي بمعنى: ولا ينفد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيها الصواب. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فيه. وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم في ذلك، وبينا الصواب من القول فيه في سورة الصفات، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا سندكر قول بعضهم في هذا الموضع لثلاث يظن ظان أن معناه في هذا الموضع مخالف معناه هنالك. كالذي جاء عن قتادة في قول الله ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ قال: لا تغلب على عقولهم. وقوله: ﴿وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيرونها من الجنة لأنفسهم، وتستهيها نفوسهم ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يقول: ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذي تستهيه نفوسهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۗ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ وَالْحُورُ جَمَاعَةُ حُورَاءَ: وهي النقية بياض العين، الشديدة سوادها. والعين: جمع عينا، وهي النجلاء العين في حسن. وقوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ يقول: هنّ في صفاء بياضهنّ وحسنهن، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كنّ. وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثوابا لهم من الله بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، وعوضا من طاعتهم إياه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقال مجاهد ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: يحار فيهنّ الطرف. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله ﷺ. حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا أحمد بن الفرج الصديّ الدميّطي، عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ قال: "صفاؤهنّ كصفاء الدرّ الذي في الأصداف الذي لا تمسّه الأيدي". وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ يقول: لا يسمعون فيها باطلا من القول ولا تأثيما، يقول: ليس فيها ما يؤثمهم. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ والتأثيم لا يسمع، وإنما يسمع اللغو، كما قيل: أكلت خبزا ولبنا، واللبن لا يؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل. وقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ يقول: لا يسمعون فيها من القول إلا قِيلًا سلاما: أي أسلم مما تكره. وفي نصب قوله: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ وجهان: إن شئت جعلته تابعا للقليل، ويكون السلام حيثنّ هو القليل؛ فكأنه قيل: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلا سلاما سلاما، ولكنهم يسمعون سلاما سلاما. والثاني: أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه، فيكون معناه حيثنّ: إلا قِيل سلام فإن نون نصب قوله: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ بوقوع قيل عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَسْكُوبٍ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين، الذي أعطوا كتبهم بأيمانهم يا محمد ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي شيء هم وما لهم، وماذا أعدّ لهم من الخير، وقيل: إنهم أطفال المؤمنين. كالذي جاء عن علي بن أبي طالب وجاء عن قتادة، في قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: أي ماذا

لهم، وماذا أعدّ لهم، ثم ابتداء الخبر عما ذا أعدّ لهم في الجنة، وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها؟ فقال: هم ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ يعني: في ثمر سدر موقر حملاً قد ذهب شوكه. وقد اختلف في تأويله أهل التأويل، فقال بعضهم: يعني بالمخضود: الذي قد خُضد من الشوك، فلا شوك فيه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون بما جاء عن سعيد بن جبيرة ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ قال: ثمرها أعظم من القلال. وقال عليّ عليه السلام ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ قال: الموز. وقوله: ﴿مَّنْضُودٍ﴾ يعني أنه قد نُضد بعضه على بعض، وجمع بعضه إلى بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ يقول: وهم في ظل دائم لا تتسوخه الشمس فتذهبه، وكل ما لا انقطاع له فإنه ممدود كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام، اقرءوا إن شئتم" ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ فبلغ ذلك كعباً، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها، حتى يسقط هَرماً، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة". وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يقول تعالى ذكره وفيه أيضاً ماء مسكوب، يعني مصبوب سائل في غير أخدود. كما جاء عن سفيان

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ وَلَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۚ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۚ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۚ غُرْبًا أَثَرَابًا ۚ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۚ﴾ يقول ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها ﴿فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ لا ينقطع عنهم شيء منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يمنعهم منها، ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها، أو بعدها منهم، كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها بعدها على الشجرة منهم، أو بما على شجرها من الشوك، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت في فيه أو دنت منه حتى يتناولها بيده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهم فيها فرش مرفوعة طويلة، بعضها فوق بعض، كما يقال: بناء مرفوع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: "إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام". حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا عمرو، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ "والذي نفسي بيده إن ارتفاعها..." ثم ذكر مثله. وقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا غُرْبًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خلقناهن خلقاً فأوجدناهن؛ قال أبو عبيدة: يعني بذلك: الحور العين اللاتي ذكرهن قبل، فقال ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، وقال الأخفش: أضمرهن ولم يذكرهن قبل ذلك. وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ يقول: فصيرناهن أبكاراً عذارى بعد إذ كن. كما جاء عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ قال: "عَجَازٌ كُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمُشًا رُمَصًا". وقوله: ﴿غُرْبًا﴾ يقول تعالى ذكره: فجعلناهن أبكاراً غنجات، متحبات إلى أزواجهن يحسن التبعل وهي جمع، واحدهن عروب، كما واحد الرسل رسول، وواحد القطف قطوف. وقوله: ﴿أَثَرَابًا﴾ يعني أنهم مستويات على سن واحدة، واحدهن ترَب، كما يقال: شبه وأشباه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿لأصحاب اليمين﴾ يقول تعالى ذكره: أنشأنا هؤلاء اللواتي وصف صفتهم من الأبرار للذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۖ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثلثان، وهي جماعتان وأمتان وفترتان: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ. ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، يقول: وجماعة من أمة محمد ﷺ، وقال به أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وكالذي جاء عن عبد الله بن مسعود قال: "تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث، ثم رجعنا إلى أهلينا، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: عُرِضَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ اللَّيْلَةُ بِأَتْبَاعِهَا مِنْ أُمَمِهَا، فَكَانَ النَّبِيُّ يَجِيءُ مَعَهُ الثَّلَاثَةُ مِنَ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الْعَصَابَةُ مِنَ أُمَّتِهِ؛ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ النَّفَرُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالنَّبِيُّ مَا مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى أَتَى عَلِيٌّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ فِي كِبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ أَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ أَيُّ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقُلْتُ رَبِّ، فَأَيْنَ أُمَّتِي؟ فَقِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ، فَإِذَا ظَرَابُ مَكَّةَ قَدْ سَدَّتْ بُوْجُوهَ الرِّجَالِ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، فَقِيلَ: أَرْضَيْتِ؟ فَقُلْتُ: رَبِّ رَضِيتُ رَبِّ رَضِيتُ قِيلَ: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ، فَإِذَا الْأَفُقُ قَدْ سَدَّ بُوْجُوهَ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ: رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، فَقِيلَ: أَرْضَيْتِ؟ فَقُلْتُ رَضِيتُ، رَبِّ رَضِيتُ؛ فَقِيلَ إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ: فَأَنْشَأَ عُكَاشَةُ بْنُ مُحَصَّنٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَنِ خَزِيمَةَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ رَبِّكَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ رَبِّكَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: فَدَى لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظَّرَابِ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفُقِ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ أَنَا سَابِعُ يَتَهَرَّشُونَ كَثِيرًا، أَوْ قَالَ يَتَهَوَّشُونَ؛ قَالَ: فَتَرَجَعَ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ قَالَ فَتَرَا جَعَلْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنْ قَالُوا: نَرَاهُمْ نَاسًا وَلَدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَزَالُوا يَعْلَمُونَ بِهِ حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ، فَنِمَى حَدِيثُهُمْ ذَاكَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ - ذَكَرَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَئِذٍ: "إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ تَبِعِي مِنْ أُمَّتِي رُبْعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الشُّطْرُ، فَكَبَرْنَا، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ يقول تعالى ذكره معجبا بنبيه محمدا من أهل النار ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ماذا لهم، وماذا أعد لهم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ يقول: هم في سموم جهنم وحميمها. وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وظل من دُخان شديد السواد. والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدة السواد: أسود يحموم. وبنحو الذي قلنا قال أهل

التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس ذلك الظل ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارٌّ، لأنه دخان من سكير جهنم، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظل به، والعرب تتبع كل منفى عنه صفة حمد نفى الكرم عنه، فنقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك عن قتادة، قوله: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ قال: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم في الدنيا مترفين، يعني منعمين. وقوله: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ يقول جل ثناؤه: وكانوا يقيمون على الذنب العظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: على الذنب العظيم، وهو الشرك بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٥٧) وَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٥٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٥٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٦٠) يقول تعالى ذكره: وكانوا يقولون كفرا منهم بالبعث، وإنكارًا لإحياء الله خلقه من بعد مماتهم: أيذا كنا ترابًا في قبورنا من بعد مماتنا، وعظاما نخرة، أننا لمبعوثون منها أحياء كما كنا قبل الممات، أو أبائنا الأولون الذين كانوا قبلنا، وهم الأولون، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء إن الأولين من آبائكم والآخريين منكم ومن غيركم، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم، وذلك يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْبَاءُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ (٦١) لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٦٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٣) يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال: ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، المكذبون بوعد الله ووعد، لا يكون من شجر من زقوم. وقوله: ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ يقول: فمالئون من الشجر الزقوم بطونهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ (٦٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٦٥) هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٦٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٦٧) يقول تعالى ذكره: فشاربون من الزقوم. وجاء عن ابن عباس قوله: ﴿شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ يقول: شرب الإبل العطاش وعن قتادة، قوله: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ قال: داء بالإبل لا تروى معه وقوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذبين بالبعث: نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئاً، فأوجدناكم بشراً، فهل تصدقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم: إنه يبعثكم بعد مماتكم وبلائكم في قبوركم، كهياتكم قبل مماتكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٦٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٦٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمُسْبِقِينَ (٧٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٧١) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث: أفرايتم أيها المنكرون قدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم - النطف التي تمنون في أرحام نسائكم - أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون. وقوله: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا

بَيْنَكُمْ الْمَوْتُ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٠٠﴾ يقول تعالى ذكره: نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت، فجعلناه لبعض، وأخرناه عن بعض إلى أجل مسمى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أيها الناس في أنفسكم وأجالكُم، فمفادت علينا فيها في الأمر الذي قدرناه لها من حياة وموت بل لا يتقدم شيء من أجلنا، ولا يتأخر عنه. وقوله: ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ يقول: على أن نُبَدِّلَ منكم أمثالكم بعد مهلككم فنجيء بآخرين من جنسكم. وقوله: ﴿وَنُنَشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ونبدلكم عما تعلمون من أنفسكم فيما لا تعلمون منها من الصور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ أفرأيتم ما تحزثون ﴿١٠٢﴾ أنتم ترزعونوه أم نحن الزارعون ﴿١٠٣﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئاً. وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أيها الناس، فتعلموا أن الذي أنشأكم النشأة الأولى، ولم تكونوا شيئاً، لا يتعذر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء. وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تحزثون﴾ يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس الحرث الذي تحزثونه أنتم ترزعونوه أم نحن الزارعون يقول: أنتم تصيرونه زرعاً، أم نحن نجعله كذلك؟ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقولن زرععت ولكن قل حرثت" قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله أفرأيتم ما تحزثون أنتم ترزعونوه أم نحن الزارعون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿١٠٥﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿١٠٦﴾ يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعناه حطاماً، يعني هشيماً لا يُتَفَعُّ به في مطعم وغذاء. وقوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه، ويلهي به، فكذلك ذلك. وكأن معنى الكلام: فأقمتم تعجبون بغير جَبِّ بعضكم بعضاً مما نزل بكم. وقوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: اختلف أهل التأويل في معناه وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إنا لمعذبون، وذلك أن الغرام عند العرب: العذاب وفي الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه، وهو: فظلمتم تفكهون "تقولون" إنا لمغرمون، فترك تقولون من الكلام لما وصفنا. وقوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره أنهم يقولون: ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ولكننا قوم محرومون، يقول: إنهم غير مجدودين، ليس لهم جد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴿١٠٨﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أجاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠٩﴾ يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون، أنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله المزن، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

أَجَاًا ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن ملحًا، وهو الأجاج، والأجاج من الماء: ما اشتدّت ملوحته، يقول: لو نشاء فعلنا ذلك به فلم تتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع. وقوله: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم، وصلاح معاشكم، وتركه أن يجعله أجاجًا لا تتفعون به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (١٧) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (١٨) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: أفرايتم النار التي تستخرجون من زندقكم ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ يقول: أنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ يقول: أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه؟ وقوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ يقول: نحن جعلنا النار تذكرة لكم تذكرون بها نار جهنم، فتعبرون وتتعظون بها. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قالوا: يا نبي الله إن كانت لكافية، قَالَ: قَدْ ضُرِبَتْ بِالْمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ مَرَّتَيْنِ، لِيَسْتَفْعَ بِهَا بَنُو آدَمَ وَيَذْنُو مِنْهَا". وقوله: ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المقوين وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بذلك للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٢٠) ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٢١) ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٢٢)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٣) ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (٢٤) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٢٥) ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته. وقوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايها في السماء، وذلك أن المواقيع جمع موقع، والموقع المفعول، من وقع يقع موقعًا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: وأنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا أقسم بمواقيع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم، والهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ من ذكر القرآن. وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو في كتاب مصون عند الله لا يمسسه شيء من أذى من غبار ولا غيره. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمسّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهّهم الله من الذنوب. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ والصواب من القول من ذلك عندنا، أن الله جلّ ثناؤه، أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعَمَّ بخبره المطهرين، ولم يخص بعضًا دون بعض؛ فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرًا من الذنوب، فهو

ممن استشي، وعني بقوله: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، نزله من الكتاب الممكنون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ۖ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ٨٧ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ ۖ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۖ وَلَكُمْ لَآ تَبْصُرُونَ﴾ ٨٨ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَفَبِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ خَبْرَهُ، وَقَصَصْتُ عَلَيْكُمْ أَمْرَهُ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ تَلِينُونَ الْقَوْلَ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهِ، مِمَّا لَأَ مِنْكُمْ لَهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ بِهِ وَالْكَفْرِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التَّكْذِيبَ، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك إليّ، بمعنى: جعلت: شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إليّ. وقد ذُكِرَ عن الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شناعة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأمل على اختلاف فيه منهم. كالذي جاء عن القاسم بن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: "ما مُطِرَ قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ قَوْمٌ بِهَا كَافِرِينَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾" يقول قائل مُطِرْنَا بِنَجْمٍ كَذَا وَكَذَا. وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ﴾ يقول تعالى ذكره: فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ يقول ومن حضرهم منكم من أهلكهم حينئذ إليهم ينظر، وخرج الخطاب ها هنا عاما للجميع، والمراد به: من حضر الميت من أهله وغيرهم وذلك معروف من كلام العرب وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل، كأنهم أهله وأصحابه، والمراد به بعضهم غائبا كان أو شاهدا، فيقول: قتلتم فلاناً، والقاتل منهم واحد، إما غائب، وإما شاهد. وقد بينا نظائر ذلك في مواضع كثيرة من كتابنا هذا. يقول ﴿وَلَنْحُنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يقول: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: قيل ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ كأنه قد سمع منهم، والله أعلم: إنا نقدر على أن لا نموت، فقال ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ﴾، ثم قال ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي غير مجزيين ترجعون تلك النفوس وأنتم ترون كيف تخرج عند ذلك إن كنتم صادقين بأنكم تمتنعون من الموت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۖ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٨٩ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ ٩٠ يقول تعالى ذكره: فهلا إن كنتم أيها الناس غير مدنيين. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مَدِينِينَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وقوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: تردون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرها من الأجساد إن كنتم صادقين، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ﴾، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ جواب واحد وهو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ وذلك نحو قوله: ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جعل جواب الجزاءين جواباً واحداً. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما إن كان الميت من المقربين الذين قربهم الله من جواره في جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يقول: فله روح وريحان. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله:

﴿فَرُّوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: عني بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر. وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه. وقوله: ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ يقول: وله مع ذلك بستان نعيم يتنعم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَنُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ۖ﴾ ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَازِيَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الذين يؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيماهم ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ معنى قوله: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قال أهل التأويل فيه ما جاء عن قتادة، قوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فسلام لك من أصحاب اليمين قال: سلام من عند الله، وسلمت عليه ملائكة الله. واختلف أهل اللغة في ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين، ثم حُذفت واجتزأ بدلالة مِنْ عليها منها، فسلمت من عذاب الله، ومما تكره، لأنك من أصحاب اليمين. وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يقول تعالى: وأما إن كان الميت من المكذبين بآيات الله، الجائرين عن سبيله، فله نزل من حميم قد أغلي حتى انتهى حره، فهو شرابه. ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَازِيَةٌ﴾ يقول: وحريق النار يحرق بها؛ والتصلية: التفعلة من صلاة الله النار فهو يصلية تصلية، وذلك إذا أحرقه بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبركم به أيها الناس من الخبر عن المقرين وأصحاب اليمين، وعن المكذبين الضالين، وما إليه صائرة أمورهم ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ يقول: لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه. وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى.

آخر تفسير سورة الواقعة

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ كُلَّ مَا دُونَهُ مِنْ خَلْقِهِ يَسْبُحُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، وإقرارًا بربوبيته، وإذعانًا لطاعته، كما قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْضُونَ تَسْبِيحَهُمْ. وقوله: وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يقول: ولكنه جلَّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه، فخالف أمره مما في السموات والأرض من خلقه الْحَكِيمُ في تدبيره أمرهم، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحب. وقوله: لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول تعالى ذكره: له سلطان السموات والأرض وما فيهنَّ ولا شيء فيهنَّ يقدر على الامتناع منه، وهو في جميعهم نافذ الأمر، ماضي الحكم. وقوله: يُحْيِي وَيُمِيتُ يقول: يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانًا، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة بعد بلوغه أجله فيفنيه: وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: هُوَ الْأَوَّلُ قبل كل شيء بغير حدٍّ، وَالْآخِرُ يقول: وَالْآخِرُ بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ. وقوله: وَالظَّاهِرُ يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه. وَالْبَاطِنُ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، وقال به أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة، قوله: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فَإِنَّهَا الرِّقْعُ مَوْجٌ مَكْهُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْضُوطٌ، قال: فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، قال: فَهَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟ فقالوا مثل ذلك، قال: فَوْقَهَا سَمَاءٌ أُخْرَى، وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، قال: هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ؟ فقالوا مثل قولهم الأول، قال: فَإِنْ فَوْقَ ذَلِكَ

الْعَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّتِي تَحْتَكُمُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا الْأَرْضُ، قَالَ: فَهَلْ تَدْرُونَ مَا تَحْتَهَا؟ قَالُوا لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِمُ الْأَوَّلَ، قَالَ: فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضًا أُخْرَى، وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ ذُلِّي أَحَدُكُمْ بِحَبْلِ إِلَى الْأَرْضِ الْأُخْرَى لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَقَوْلُهُ: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ ذُو عِلْمٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ، إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ. وَقَوْلُهُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ، فَدَبَّرَهُنَّ وَمَا فِيهِنَّ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، فَارْتَفَعَ عَلَيْهِ وَعَلَا. وَقَوْلُهُ: يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: مَخْبَرًا عَنْ صِفَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ، يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِهِ. يَعْنِي بِقَوْلِهِ: يَلْجُ: يَدْخُلُ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ. وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا، فَيَصْعَدُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ. وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ يَقُولُ: وَهُوَ شَهِيدٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَمَا كُنْتُمْ يَعْلَمُكُمْ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ، وَمَتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوَاكُمْ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ السَّبْعِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يَقُولُ: وَاللَّهُ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، ذُو بَصَرٍ، وَهُوَ لَهَا مُحْصٍ، لِيَجْزِيَ الْمُحْسِنَ مِنَكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَلَيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لَهُ سُلْطَانُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَافِذٌ فِي جَمِيعِهِنَّ، وَفِي جَمِيعِ مَا فِيهِنَّ أَمْرُهُ. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: وَإِلَى اللَّهِ مُصِيرُ أُمُورِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يَدْخُلُ مَا نَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، فَيَجْعَلُهُ زِيَادَةً فِي سَاعَاتِهِ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ يَقُولُ: وَيَدْخُلُ مَا نَقَصَ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، فَيَجْعَلُهُ زِيَادَةً فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عِكْرَمَةَ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يَقُولُ: وَهُوَ ذُو عِلْمٍ بِضُمَائِرِ صُدُورِ عِبَادِهِ، وَمَا عَزَمَتْ عَلَيْهِ نَفُوسُهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ حَدَّثَتْ هِمَا أَنْفُسَهُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ خَافِيَةٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: آمَنُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا النَّاسُ، فَأَقْرُوا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَصَدَّقُوهُ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: وَأَنْفِقُوا مِمَّا خَوَّلَكُمْ اللَّهُ، مِنَ الْمَالِ الَّذِي أَوْثَقَكُمْ عَنْهُ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِيهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ الْحَسَنِ وَقَوْلُهُ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ يَقُولُ: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا خَوَّلَهُمُ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَرَزَقَهُمُ مِنَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يَقُولُ: لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَثُومُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك، ما قطع عذركم، وأزال الشك من قلوبكم، ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾، قيل: عني بذلك؛ وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوما من الأيام، فالآن أحرى الأوقات، أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه، ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام، والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يعني مفصلات ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يقول جل ثناؤه: ليخرجكم أيها الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الله يأنزله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيّنات لهدايتكم، وتبصيركم الرشاد، لذو رافة بكم ورحمة، فمن رافته ورحمته بكم فعل ذلك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ إِلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وما لكم أيها الناس أن لا تنفقوا في سبيل الله، وإلى الله صائرٌ أموالكم إن لم تنفقوها في حياتكم في سبيل الله، لأن له ميراث السموات والأرض، وإنما حثهم جل ثناؤه بذلك على حظهم، فقال لهم: أنفقوا أموالكم في سبيل الله، ليكون ذلكم لكم ذخراً عند الله من قبل أن تموتوا، فلا تقدرُوا على ذلك، وتصير الأموال ميراثاً لمن له السموات والأرض. وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: معنى ذلك لا يستوي منكم أيها الناس من أنفق في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله ﷺ، الذي رويناه عن أبي سعيد الخدري عنه قال، قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية: "يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، قلنا: من هم يا رسول الله، أفرش هم؟ قال: لا وَلَكِنْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ أَفْتَدَةً وَأَلَيْنُ قُلُوبًا، فقلنا: هم خير منا يا رسول الله، فقال: لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فَانْفَقَهُ مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِكُمْ وَلَا نَصِيفَهُ، أَلَا إِنَّ هَذَا فَضْلٌ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾... الآية، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾"، وقاتل المشركين، بمن أنفق بعد ذلك وقاتل، وترك ذكر من أنفق بعد ذلك وقاتل، استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه من ذكره. ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنفقوا في سبيل الله من قبل فتح الحديبية، وقاتلوا المشركين، أعظم درجة في الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا. وقوله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ

هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وعد الله الجنة يأنفأهم في سبيله، وقاتلهم أعداءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون من النفقة في سبيل الله، وقاتل أعدائه، وغير ذلك من أعمالكم التي تعملون خبير، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(١١) يقول تعالى ذكره: من هذا الذي ينفق في سبيل الله في الدنيا، محتسبا في نفقته، مبتغيا ما عند الله، وذلك هو القرض الحسن، يقول: فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذي أقرضه، يأنفأه في سبيله، فيجعل له بالواحدة سبع مئة. وكان بعض نحوبي البصرة يقول في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فهو كقول العرب: لي عندك قرض صدق، وقرض سوء إذا فعل به خيرا؛ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: وله ثواب وجزاء كريم، يعني بذلك الأجر: الجنة، وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١٢) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: كتبهم، يقول الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وأما نورهم فهداهم. ، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف، لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جل ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدل على أنه معني به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء. وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾: من صلة وعد. وقوله: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها، جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها. وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين في الجنات، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون. وقوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفها، هو النجح العظيم الذي كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله، ودخول الجنة خالدين فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١٤) يقول تعالى ذكره: هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون والمنافقات، واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله: انظرونا. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: وكلا وعد الله الحسنى، يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم تتطاير. ويعني بقوله: ﴿يَسْعَى﴾: يمضي، والباء في قوله: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ بمعنى في. وكان بعض نحوبي البصرة يقول: الباء في قوله:

﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ بمعنى على أيمانهم. وقوله: ﴿نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ يقول: نستصبح من نوركم، والقبس: الشعلة. وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يقول جل ثناؤه: فيجابون بأن يقال لهم: ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نوراً، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ...﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ قال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإننا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور. وقوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين يسوراً، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقد قيل أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ هو السور الشرقي، باطنه المسجد، وظاهره وادي جهنم. وقوله: ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: لذلك السور باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب: يعني النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجِرَ بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فتنتم أنفسكم، فنافقتم، وفتنتهم أنفسهم في هذا الموضع كانت النفاق. وكذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن مجاهد، قوله: ﴿فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: النفاق، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم، ويغشونهم، ويعاشرهم، وكانوا معهم أموالاً، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذ. وقوله: ﴿وَتَرَبَّصْتُ﴾ يقول: وتلبستم بالإيمان، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَعَرَّثَكُمْ الْأُمَانِي﴾ يقول: وخدعتكم أمانى نفوسكم، فصدتكم عن سبيل الله، وأضلتكم. ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يقول: حتى جاء قضاء الله بمناياكم، فاجتاحكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَعَرَّثَكُمْ بِاللَّهِ الْعَرُورُ﴾ يقول: وخدعكم بالله الشيطان، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته، والسلامة من عذابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالِ يَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبل المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميز بينهم في القيامة: ﴿قَالِ يَوْمَ﴾ أيها المنافقون ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ يعني: عوضاً وبدلاً؛ يقول: لا يؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله. ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ يقول: مثواكم ومسكنكم الذي تسكنونه يوم القيامة النار.

وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ يقول: النار أولى بكم. وقوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وبئس مصير من صار إلى النار.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١٦) يقول تعالى ذكره ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: ألم يحن للذين صدقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله، فتحضع قلوبهم له، ولما نزل من الحق، وهو هذا القرآن الذي نزل على رسوله ﷺ. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم يأن لهم أن لا يكونوا، يعني الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من بني إسرائيل، ويعني بالكتاب: الذي أوتوه من قبلهم التوراة والإنجيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود، فقال: يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبه معروفا، ولم ينكر قلبه منكرا، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد، وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوت قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القرن بين ثنوديه؛ فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به، ويوميء إلى القرن الذي بين ثنوديه، ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب، فمن خير ملهم اليوم ملة صاحب القرن. ويعني بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: ما بينهم وبين موسى ﷺ، وذلك الأمد الزمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الخيرات، واشتدت على السكون إلى معاصي الله. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب، من قبل أمة محمد ﷺ فاسقون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧) ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ الميتة التي لا تنبت شيئا، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحْيِي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضالَّ عن الحق إلى الحق، فنوفقه ونسدده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره، ومهتديا من بعد ضلاله. وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: قد بيَّنا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا. وقوله: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾، اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء الأمصار، خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال، بمعنى أن المتصدقين والمتصدقات، ثم تدغم التاء في الصاد، فتجعلها صادًا مشددة، كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ يعني المزمِّل. وقرأ ابن كثير وعاصم: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ بتخفيف الصاد وتشديد الدال، بمعنى: إن الذين صدقوا الله ورسوله. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، صحيح معنى كل واحدة منهما، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد في الحرفين، أعني في الصاد والدال: أن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات،

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه، يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: يضاعف الله لهم قروضهم التي أقرضوها إياه، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: ولهم ثواب من الله على صدقهم، وقروضهم إياه كريم، وذلك الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥١﴾ يقول تعالى ذكره: والذين أقروا بوحانية الله وإرساله رسله، فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءهم به من عند ربهم، أولئك هم الصديقون. وقوله: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بالله وكذبوا بأدلتهم وحججه، أولئك أصحاب الجحيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكهون به، وزينة تترينون بها، وتفاخر بينكم، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رباشها. ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾. يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يبس ذلك النبات. ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد أن كان أخضر نضرا. وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطاما، يعني به: أنه يكون نباتا يابساً متهشما. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله. وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس، إلا متاع الغرور. حدثنا علي بن حرب الموصلي، قال: ثنا المحاربى: عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال، قال النبي ﷺ: "مَوْضِعُ سَوَاطِئِ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿سَابِقُوا﴾ أيها الناس ﴿إِلَى﴾ عمل يوجب لكم ﴿مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ﴾ هذه الجنة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، يعني: الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله. وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول جل ثناؤه: هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، التي أعدها الله للذين آمنوا بالله ورسله، فضل الله تفضل به على المؤمنين، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه، وهو ذو الفضل العظيم عليهم، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا، ووهب لهم من النعم، وعرفهم موضع الشكر، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعده لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني: إلا في أم الكتاب، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها، يقال: قد برأ الله هذا الشيء، بمعنى: خلقه فهو بارئه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وجاء عن قتادة، في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: هي السنون، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: الأوجاع والأمراض. قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نكبة قدم، ولا خلعجان عرق إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر. وقال آخرون: عني بذلك: ما أصاب من مصيبة في دين ولا دنيا. كالذي جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يقول: في الدين والدنيا ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: من قبل أن نخلقها. وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن خلق النفوس، وإحصاء ما هي لاقية من المصائب على الله سهل يسير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَكُمْ لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) يعني تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في أموالكم ولا في أنفسكم، إلا في كتاب قد كتب ذلك فيه، من قبل أن نخلق نفوسكم ﴿لَكُمْ لَا تَأْسُوا﴾ يقول: لكيلا تحزنوا، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ من الدنيا، فلم تدركوه منها، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ منها. ومعنى قوله: ﴿بِمَا آتَاكُمْ﴾ إذا مدت الألف منها: بالذي أعطاكم منها ربكم وملئكم وخولكم؛ وإذا قصرت الألف، فمعناها: بالذي جاءكم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس ﴿لَكُمْ لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ قال: ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا، ومن أصابه خير فجعله شكرا. وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يقول: والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا، فخوره به على الناس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ الَّتِي نَحْنُ بِهَا نَحْيُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤) يقول تعالى ذكره: والله لا يحب كل مختال فخور، البخلين بما أوتوا في الدنيا على اختيالهم به وفخرهم بذلك على الناس، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويبخسون به، وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يدبر معرضا عن عظة الله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يدبر معرضا عن عظة الله، تاركا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله، فرحا بما أوتي من الدنيا، مختالا به فخورا يخيلا فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥) يقول تعالى ذكره: لقد أرسلنا رسلنا بالمفصلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ

الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ بالحق؛ قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معاشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون، فالكتاب للآخرة، والميزان للدنيا. وقوله: ﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ يقول تعالى ذكره: ليعمل الناس بينهم بالعدل. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا لهم الحديد فيه بأس شديد، يقول: فيه قوة شديدة، ومنافع للناس، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقاءهم العدو، وغير ذلك من منفعه. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ يقول تعالى ذكره: أرسلنا رسلنا إلى خلقنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلو بينهم، وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة، وخالف أمره ونهيه، عزيز في انتقامه منهم، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحل به من العقوبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا نوحا إلى خلقنا، وإبراهيم خليله إليهم رسولا ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، وكذلك كانت النبوة في ذريتهما، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ يقول: فمن ذريتهما مهتد إلى الحق مستبصر، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: من ذريتهما ﴿فَاسِقُونَ﴾ يعني ضلال، خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا، وأتبعنا بعيسى ابن مريم، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته، ﴿رَأْفَةً﴾ وهو أشد الرحمة، ﴿وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾. واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها، ونحن الذي قلنا في تأويل هذه الأحرف، إلى الموضع الذي ذكرنا أن أهل التأويل فيه مختلفون في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع. وجاء عن ابن عباس، قال: كانت ملوك بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقليل لملكهم: ما نجد شيئا أشد علينا من شتم يشتمناه هؤلاء، أنهم يقرءون ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هؤلاء الآيات، مع ما يعيونا به في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنوا به، قال: فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك فدعونا؛ قال: فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا

اسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، فلا نردّ عليكم، ولا نمّر بكم، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم؛ قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله جلّ ثناؤه ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، الآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم؛ قال: فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وجاء صاحب الدار من داره، وآمنوا به وصدقوه، فقال الله جلّ ثناؤه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: أجرين لإيمانهم بعيسى، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ، وتصديقهم به. قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: القرآن، وتباعهم النبي ﷺ وقال ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرفعوا الرهبانية حق رعايتها، بعض الطوائف التي ابتدعتها، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه أتى الذين آمنوا منهم أجرهم؛ قال: فدلّ بذلك على أن منهم من قدرها حق رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك، لم يكن مستحقّ الأجر الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، إلا أن الذين لم يرفعوها حق رعايتها ممكن أن يكون كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها، فجاءت في كلام العرب أن يقال: لم يرفعها القوم على العموم. والمراد منهم البعض الحاضر، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب. وقوله: ﴿فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسوله من هؤلاء، الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة، وكثير منهم أهل معاص، وخرج عن طاعته، والإيمان به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، يُعْطِيكُمْ ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى ﷺ، والأنبياء قبل محمد ﷺ، ثم إيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث نبيا. وأصل الكفل: الحظ، وأصله: ما يكتفل به الراكب، فيحبسه ويحفظه عن السقوط؛ يقول: يُحَصِّنُكُمْ هذا الكفل من العذاب، كما يُحَصِّنُ الراكب من السقوط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكالذي جاء عن سعيد بن حبيب، قال: بعث النبي ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به؛ فلما كان عند انصرافه، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلاً ائذن لنا، فنأتي هذا النبي، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإننا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ، وقد تهبأ

النبي ﷺ لوقعة أخذ؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال، استأذنوا النبي ﷺ، قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجتنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ.... إلى قوله: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا؛ فخرخوا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا، فله أجره مرتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، فجعل لهم أجرهم، وزادهم النور والمغفرة، ثم قال لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَقَوْلُهُ: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ: اختلف أهل التأويل في الذي عنى به النور في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورا يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدقهما، وهدي؛ لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى. وقوله: وَيَغْفِرَ لَكُمْ يَقُولُ: ويصفح لكم عن ذنوبكم، فيسترها عليكم، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: والله ذو مغفرة ورحمة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد ﷺ من أهل الكتاب، يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي آتاكم وخصكم به، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق، فأعلمهم الله جل ثناؤه أنه قد أتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة، ما لم يؤتَهم، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: فعلت ذلك؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقيل ﴿لَيْلَا يَعْلَمَ﴾ إنما هو ليعلم: وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﷺ ﴿لَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ وكما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم، ودون غيرهم من الخلق، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: يعطي فضله ذلك من يشاء من خلقه، ليس ذلك إلى أحد سواه، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو الفضل على خلقه، العظيم فضله.

آخر تفسير سورة الحديد.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ١ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ يا محمد، ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، والتي كانت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها امرأة من الأنصار. واختلف أهل العلم في نسبها واسمها فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة، وقال بعضهم: اسمها خويلة بنت ثعلبة. وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدليج وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها، وزوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنت عليّ كظهر أمي، ومحاورتها إياه في ذلك، وبذلك قال أهل التأويل، وتظاهرت به الرواية. كالذي جاء عن داود، قال: سمعت أبا العالية يقول: "إن خويلة ابنة الدليج أتت النبي ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله، طالت صحبتي مع زوجي، ونفضت له بطني، وظاهر مني؛ فقال رسول الله ﷺ: حُرِّمَتْ عَلَيْه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي، ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: حُرِّمَتْ عَلَيْه، فجعل إذا قال لها: حرمت عليه، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي، قال: فنزل الوحي، وقد قامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فأومأت إليها عائشة أن اسكتي، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي، قال: ادعي زَوْجَكَ، فتلاها عليه رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾... إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: أي يرجع فيه ﴿فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾: أُنَسْتَطِيعَ رَقَبَةً؟ قال: لا قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ قال: يا رسول الله، إني إذا لم أكل في اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعشو بصري؛ قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ قال: أُنَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قال: لا يا رسول الله إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله ﷺ، فأطعم. وقوله: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وتشكي المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله، وتسأله الفرج. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ يعني: تحاور رسول الله ﷺ، والمجادلة خولة ابنة ثعلبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه، وغير ذلك من كلام خلقه، بصير بما يعلمون ويعمل جميع عباد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم، فيقولون لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية. وقوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ما نسأؤهم اللائي يُظَاهِرْنَ مِنْهُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ، فيقولوا لهن: أنتن علينا كظهر أمهاتنا، بل هنّ لهم حلال. وقوله: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾: لا اللائي قالوا لهن ذلك. وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: وإن الرجال ليقولون منكرا من القول الذي لا تُعرف صحته؛ وزورا: يعني كذبا. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ يقول جلّ ثناؤه: والذين يقولون لنسائهم: أنتن علينا كظهور أمهاتنا. وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر، فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته، التي كانت له حلالا قبل تظاهره، فيحلبها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها. كما جاء عن قتادة وقال آخرون نحو هذا القول، إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها، وتركه فراقها عود منه لما قال، عزم على الوطء أو لم يعزم. وكان أبو العالية يقول: معنى قوله: ﴿لِمَا قَالُوا﴾: فيما قالوا. وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم. وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ يقول: فعلية تحرير رقبة، يعني عتق رقبة عبد أو أمة، من قبل أن يماس الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه. واختلف في المعنى بالمسيس في هذا الموضع نظير اختلافهم في قوله: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وقد ذكرنا ذلك هنالك. وسنذكر بعض ما لم نذكره هنالك: كالذي جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فهو الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، فإذا قال ذلك، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ والمَسّ: النكاح، ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ وإن هو قال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا، فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفّر، ولا يقع في الظهار طلاق. وعن الحسن أنه كان لا يرى بأسا أن يغشى المظاهر دون الفرج. وقال آخرون: عني بذلك كلّ معاني المسيس، وقالوا: الآية على العموم. كما جاء عن يونس، قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس. وقوله: ﴿ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به، فتنتهون عن الظهار وقول الزور. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه

شيء منها، وهو مجازيكم عليها، فانتهاوا عن قول المنكر والزور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠١﴾ يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحررها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا؛ والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر، فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بعذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فمثله، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله، فكل عذر كان من قبل الله فمثله. وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْرًا سِتِينَ مَسْكِينًا﴾ يقول تعالى ذكره: فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينًا، وقد بينا وجه الإطعام في الكفارات فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جل ثناؤه: هذا الذي فرضت على من ظاهر منكم، ما فرضت في حال القدرة على الرقبة، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام، وإنما فعلته كي تقر الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد ﷺ، ويصدقوا بذلك، ويعملوا به، وينتھوا عن قول الزور والكذب، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الحدود التي حدّها الله لكم، والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدوها أيها الناس، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها - من فرائض الله أن تكون من عند الله -، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: عذاب مؤلم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٠٢﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدودًا غير حدوده، وذلك هو المحادة لله ولرسوله. وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول: يعادون الله ورسوله. وأما قوله: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فإنه يعني: غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادوا الله ورسوله، وخزوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: وقد أنزلنا دلائل مفصلات، وعلامات محكمات تدل على حقائق حدود الله. وقوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولجاحدي تلك الآيات البينات التي أنزلناها على رسولنا محمد ﷺ، ومنكريها عذاب يوم القيامة، مهين: يعني مذلل في جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَمْثَلُ اللَّهُ وَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٠٣﴾ يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب مهين في يوم يبعثهم الله جميعًا، وذلك ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ من قبورهم لموقف القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُهُمُ﴾ الله ﴿بِمَا عَمِلُوا أَمْثَلُ اللَّهُ

وَنَسُوهُ. يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا، فعدّه عليهم، وأثبتته وحفظه، ونسبه عاملوه. ﴿وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول: ﴿وَاللّٰهُ﴾ جل ثناؤه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عملوه، وغير ذلك من أمر خلقه ﴿شَهِيدٌ﴾ يعني: شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بَعِينَ قَبْلَكَ فَتَرَىٰ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من شيء، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره؛ يقول جلّ ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم، ثم وصف جلّ ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم، وما يكتُمونه الناس من أحاديثهم، فيتحدثونه سرّاً بينهم، فقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ من خلقه، ﴿إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ﴾، يسمع سرهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يقول: ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك، ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ﴾ يقول: ولا أقل من ثلاثة ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ من خمسة، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ إذا تناجوا، ﴿أَيْنَمَا كَانُوا﴾ يقول: في أي موضع ومكان كانوا. وعني بقوله: ﴿هُوَ رَايَهُمْ﴾، بمعنى: أنه مشاهدهم بعلمه، وهو على عرشه. كما جاء عن الضحاك، في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾... إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾ قال: هو فوق العرش وعلمه معهم ﴿أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل، مما يحبه ويسخطه يوم القيامة. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: إن الله بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُشْسُ الْمَصِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ من اليهود، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾، فقد نهى الله عزّ وجلّ إياهم عنها، ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى، ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويتناجون بما حرم الله عليهم من الفواحش والعدوان، وذلك خلاف أمر الله، ومعصية الرسول محمد ﷺ. وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا جاءك يا محمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم، حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية،

وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها، التي أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار، أنهم كانوا يقولون: السام عليك. ذكر الرواية الواردة بذلك: كالذي جاء عن عائشة قالت: "جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبي ﷺ: يا عائشة إن الله لا يحب الفحش، فقلت: يا رسول الله، أأست ترى ما يقولون؟ فقال: "أأست ترى ما يقولون؟ أقول: عليكم" وهذه الآية في ذلك نزلت: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يقول جل ثناؤه: ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد ﷺ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك، يقول الله: حسب قائلتي ذلك يا محمد جهنم، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة، فبس المصير جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ١٠ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾ بينكم، ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ ولكن ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾، يعني: طاعة الله، وما يقرّبكم منه، ﴿وَالْتَّقَوَىٰ﴾ يقول: وباتقائه بأداء ما كلفكم من فرائضه واجتناب معاصيه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يقول: وخافوا الله الذي إليه مصيركم، وعنده مجتمعكم في تضييع فرائضه، والتقدم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١١ يقول تعالى ذكره: إنما المناجاة من الشيطان، ثم اختلف أهل العلم في النجوى التي أخبر الله أنها من الشيطان، أي ذلك هو وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به مناجاة المنافقين بعضهم بعضًا بالإثم والعدوان، وذلك أن الله جل ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيهم إياهم عنه، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فبين بذلك، إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عقيب نهيهم عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهي عنه. وقوله: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وليس التناجي بضار المؤمنين شيئًا إلا بإذن الله، يعني بقضاء الله وقدره. وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به، ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك، وأن تناجيهم غير ضارهم إذا حفظهم ربه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُم تَنَفَّسُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُم وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١٢ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا قِيلَ لَكُم تَنَفَّسُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُم﴾ فأنشروا فأنشروا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير.

الْمَجَالِسِ، يعني بقوله: تَفَسَّحُوا: توسعوا، من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعاً. واختلف أهل التأويل في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتفسيح فيه، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسيحوا في المجلس، ولم يخص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ، ومجالس القتال. وقوله: ﴿فَافْسَحُوا﴾ يقول: فوسعوا، ﴿يُفْسِحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول: يوسع الله منازلكم في الجنة، ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل ارتفعوا، وإنما يراد بذلك: وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدو، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرقوا عن رسول الله ﷺ، فقوموا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره قوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، فيما أمرهم به من التفسيح في المجلس إذا قيل لهم تفسيحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به. وقد جاء عن قتادة، قوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ إن بالعلم لأهله فضلاً وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله. وكان مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير يقول: فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع. وكان عبد الله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاةً وصدقةً، والآخر أفضل منه بوناً بعيداً، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدهما ورعاً لله عن محارمه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه، والمسيء بالذي هو أهله، أو يعفو.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إذا ناجيتم رسول الله، فقدموا أمام نجاكم صدقة تتصدقون بها على أهل المسكنة والحاجة، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: وتقديمكم الصدقة أمام نجاكم رسول الله ﷺ، خير لكم عند الله وأطهر لقلوبكم من المأثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد، قال، قال علي بن أبي طالب: إن في كتاب الله عز وجل آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ قال: فرضت، ثم نسخت. وقوله: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا ما تتصدقون به أمام مناجاتكم رسول الله ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها، رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله ﷺ قبل أن تقدموا بين يدي نجاكم إياه صدقة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَشَقُّكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَحْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: أشق عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدي نجواكم رسول الله ﷺ صدقات الفاقة، وأصل الإشفاق في كلام العرب: الخوف والحذر، ومعناه في هذا الموضع: أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا لم تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك، فأدوا فرائض الله التي أوجبها عليكم، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم، وهو محصياها عليكم ليجازيكم بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُم وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى القوم الذين تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وهم المنافقون تَوَلَّوْا اليهود وناصحوهم. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الذين تَوَلَّوْا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم، وإنما وصفهم بذلك منكم جل ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود، قالوا: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. وقوله: ﴿وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويخلفون على الكذب، وذلك قولهم لرسول الله ﷺ: نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدقين به، ولا مؤمنين به، كما قال جل ثناؤه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه رسول الله ﷺ على أمر بلغه عنه، فحلف كذبًا. ذكر الخبر الذي روي بذلك: حدثنا ابن المشي، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَيْنَ شَيْطَانٍ، أَوْ بَيْنَ شَيْطَانٍ"، قال: فدخل رجل أزرق، فقال له: "علام تسبني أو تستمني". قال: فجعل يحلف، قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: ﴿وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والآية الأخرى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: أعد الله لهؤلاء المنافقين الذين تَوَلَّوْا اليهود عذابًا في الآخرة شديدًا ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا بغشهم المسلمين، ونصحهم لأعدائهم من اليهود.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٦) وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ يقول جل ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل

ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذرياتهم، وذلك أنهم إذا أطلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: فصدوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفر، وحكم الله وسيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون يصدون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون، وإنهم منهم، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله. وقوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول: فلهم عذاب مذل لهم في النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يقول: هؤلاء الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم، وهم المنافقون أصحاب النار، يعني أهلها الذين هم فيها خالدون، يقول: هم في النار ماكثون إلى غير النهاية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار، يوم يبعثهم الله جميعاً، فيوم من صلة أصحاب النار. وعني بقوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا من قبورهم أحياء كهياتهم قبل مماتهم، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها. كالذي جاء عن سعيد بن جبير، قال: كان النبي ﷺ في ظل حجرة قد كاد يُلْصَقُ عنه الظل، فقال: "إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رَجُلٌ، أَوْ يَطْلُعُ رَجُلٌ بَعِيْنُ شَيْطَانٍ فَلَا تُكَلِّمُوهُ" فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: "علام تَشْتُمِينِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟" قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وقوله: وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ يقول: ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحق، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ فيما يحلفون عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ غلب عليهم الشيطان ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعني جنده وأتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون في صفقتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه. ونحن الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ يقول تعالى

ذكره: هؤلاء الذين يحادون الله ورسوله في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ يقول: قضى الله وخط في أم الكتاب، لأغلبن أنا ورسلي من حادني وشاقني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول: إن الله جل ثناؤه ذو قوة وقدرة على كل من حاده، ورسوله أن يهلكه، ذو عزة فلا يقدر أحد أن يتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لا تجد يا محمد قومًا يصدّقون الله، ويقرون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ يقول: ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ وإنما أخبر الله جل ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، فلذلك تَوَلَّوْا الذين تولّوهم من اليهود. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عني بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان، ففي بمعنى اللام، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم، وذلك لما كان الإيمان بالقلوب، وكان معلومًا بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها، اجتري بذكرها من ذكر أهلها. وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ يقول: وقوَاهم ببرهان منه ونور وهدي ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها أبدا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم إياه في الدنيا ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ يقول: ألا إن جند الله وأولياؤه ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يقول: هم الباقون المُنْجِحُونَ يادراكم ما طلبوا، والتمسوا ببيعتهم في الدنيا، وطاعتهم ربهم.

آخر تفسير سورة المجادلة

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾
يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ صلى الله، وسجد له، ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خلقه
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه، الحكيم
في تدبيره إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ
الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝٢﴾ يعني
تعالى ذكره بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: الله
الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير من ديارهم،
وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم، حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم
ونسائهم وذرائعهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويخلو له دورهم، وسائر أموالهم،
فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج
إلى خيبر، فذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ
الْحَشْرِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿لأَوَّلِ
الْحَشْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: لأَوَّلِ الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام. وبنحو الذي
قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الزهري وغيره وقوله: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾، يقول
تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من
ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾، وإنما ظن
القوم فيما ذكر أن عبد الله بن أبي، وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله ﷺ
يأمرؤنهم بالثبات في حصونهم، ويعدونهم النصر. كما جاء عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، أن
رهماً من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة ومالك، ابنا نوفل، وسويد
وداعس، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن
خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من

رسول الله ﷺ حين نزل بهم. وقوله: ﴿فَأَنذَرْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فأنذرتهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم، وذلك الأمر الذي أتاهم من الله حيث لم يحتسبوا، قذف في قلوبهم الرعب بنزل رسول الله ﷺ بهم في أصحابه، يقول جل ثناؤه: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾. وقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ﴾ بني النضير من اليهود، وأنهم يخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فيزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: إنما قيل ذلك كذلك، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم لينوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ يقول تعالى ذكره: فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحل الله هؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب، وهم في حصونهم من نعمته، واعلموا أن الله ولي من والاه، وناصر رسوله على كل من ناوأه، ومحل من نعمته به نظير الذي أحل ببني النضير. وإنما عني بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤١﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بني النضير في أم الكتاب الجلاء، وهو الانتقال من موضع إلى موضع، وبلدة إلى أخرى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿لَعَذَّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ من أرضهم وديارهم، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، ولكنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل، وجعل عذابهم في الدنيا والجلاء، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ما حل بهم من خزي الدنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن يزيد بن رمان وغيره وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل الله هؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم من المؤمنين، وجعل لهم في الآخرة عذاب النار بما فعلواهم في الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله في أمره ونهيه، وعصيانهم ربه فيما أمرهم به من اتباع محمد ﷺ. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخالف الله في أمره ونهيه، فإن الله شديد العقاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: ما قطعتم من ألوان النخل، أو تركتموها قائمة على أصولها. اختلف أهل التأويل في معنى اللينة والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة وإنما أنزلت هذه الآية فيما ذكر من أجل أن رسول الله ﷺ لما قطع

نخل بني النضير وحرّقها، قالت بنو النضير لرسول الله ﷺ: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتحرّقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله ﷺ أو ترك، فعن أمر الله فعل. وقوله: ﴿فَيَاذَنُ اللَّهَ﴾ يقول: فبأمر الله قطعتم ما قطعتم، وتركتم ما تركتم، وليغيظ بذلك أعداءه، ولم يكن فساداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن يزيد بن رمان وقوله: ﴿وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ وليذلّ الخارجين عن طاعة الله عزّ وجلّ، المخالفين أمره ونهيه، وهم يهود بني النضير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦) يقول تعالى ذكره: والذي رده الله على رسوله منهم، يعني من أموال بني النضير. يقال منه: فاء الشيء على فلان: إذا رجع إليه، وأفاته أنا عليه: إذا رددته عليه. وقد قيل: إنه عنى بذلك أموال قريظة ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: فما أوضعتم فيه من خيل ولا في إبل وهي الركاب. وإنما وصف جلّ ثناؤه الذي أفاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا في ذلك حرباً، ولا كلّفوا فيه مئونة، وإنما كان القوم معهم، وفي بلدهم، فلم يكن فيه إيجاف خيل ولا ركاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾... الآية، يقول: ما قطعتم إليها وادياً، ولا سرتم إليها سيراً، وإنما كان حوائط لبني النضير طعمة أطعمها الله رسوله، ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: "أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَعْطَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَهِيَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَيُّمَا قَرْيَةٍ فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْوَةً فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِهِ وَمَا بَقِيَ غَنِيمَةً لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا". وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أعلمك أنه كما سلط محمداً ﷺ على بني النضير، يخبر بذلك جلّ ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يوجف المسلمون بالخيول والركاب، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمداً ﷺ إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لا عنوة، فتقع فيها القسمة. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: والله على كلّ شيء أراده ذو قدرة لا يعجزه شيء، وبقدرته على ما يشاء سلط نبيه محمداً ﷺ على ما سلط عليه من أموال بني النضير، فحازه عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧) يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الذي ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركي القرى. واختلف أهل العلم في الذي عنى هذه الآية من الألوان. والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أن الآية التي قبلها التي جعله الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ خاصة دون

غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيباً، كالذي جاء عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخلت عليه، فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وإنا قد أمرنا لهم برضخ، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقضه أيها المرء فينا أنا كذلك، إذ جاء يرفاً مولاه، فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان، وسعد يستأذنون، فقال: ائذن لهم؛ ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا عليّ والعباس يستأذنان، فقال: ائذن لهما؛ فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير، فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كل واحد منهما من صاحبه، فقد طالت خصومتهم، فقال: أنشدكم الله الذي يأذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: "لا تُورث ما تركناه صدقة" قالوا: قد قال ذلك؛ ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالوا نعم؛ قال: فسأخبركم بهذا الفيء، إن الله خصّ نبيه ﷺ بشيء لم يعطه غيره، فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فكانت هذه لرسول الله ﷺ خاصة، فوالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله منه سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله، فإذا كانت هذه الآية التي قبلها مضت، وذكر المال الذي خصّ الله به رسوله ﷺ، ولم يجعل لأحد معه شيئاً، وكانت هذه الآية خبراً عن المال الذي جعله الله لأصناف شتى، كان معلوماً بذلك أن المال الذي جعله لأصناف من خلقه غير المال الذي جعله للنبي ﷺ خاصة، ولم يجعل له شريكاً. وقوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ يقول: ولذي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب واليتامى، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم؛ والمساكين: وهم الجامعون فاقة وذلل المسألة؛ وابن السبيل: وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عز وجل. وقد ذكرنا الرواية التي جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا. وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه. وجعلنا ما أفاء على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف، كيلا يكون ذلك الفيء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البرّ وسبل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا تغير ولا تبدل. وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره من الأمور ﴿فَاتَّقُوا﴾. وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا في ذلك، غير أنه كان يوجه معنى قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ إلى ما آتاكم من الغنائم. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول: وخافوا الله،

واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدم على ما نهاكم عنه، ومعصيتكم إياه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، يقول: إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقيل: غني بالمهاجرين: مهاجرة قريش. كما جاء عن قتادة وغيره قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها. وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾، وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ موضع يبتغون نصب، لأنه في موضع الحال؛ وقوله: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول: وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ. وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول ﷺ فابتنوها منازل، ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ بالله ورسوله ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: من قبل المهاجرين، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ يقول جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسداً مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرين من الفيء، وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقريهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله ﷺ خاصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث أن بني النضير خلّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت النضير لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سمالك بن خرسة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول تعالى

ذكره: وهو يصف الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يقول: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما أثروا به من أموالهم على أنفسهم، والخصاصة: مصدر، وهي أيضاً اسم، وهو كل ما تخللته بصرك كالكوّة والفرجة في الحائط، تجمع خصاصات وخصاص كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ لضييفه، فلم يكن عنده ما يضييفه، فقال: "ألا رجل يضييف هذا رحمه الله؟" فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ تومي الصبية، وأطفي المصباح وأريه بأنك تأكلين معه، واتركيه لضييف رسول الله ﷺ ففعلت فتزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. والشح في كلام العرب: البخل، ومنع الفضل من المال وأما العلماء فإنهم يرون أن الشح في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حق. كما جاء عن ابن مسعود وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين جاءوا من بعد الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأولين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ من الأنصار. وعنى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار. وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني غمرا وضعنا. وقيل: عني بالذين جاءوا من بعدهم: الذين أسلموا من بعد الذين تبوءوا الدار. وذكر لنا أن غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ليدخلن حاطب في حي النار، قال: "كذبت إنه شهد بدرًا والحديبية" وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر، فقال نبي الله ﷺ: "وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا أَطْلَعَ اللَّهُ فِيهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَاشْهَدْ مَلَائِكَتَهُ إِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ، فَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا" فما زال بعضنا منقبضا من أهل بدر، هائباً لهم، وكان عمر رضي الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون، وهذا الحي من الأنصار، أحسن الله عليهم الشاء. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: لا تورث قلوبنا غلا لأحد من أهل دينك. وجاء، عن ابن أبي ليلي، قال: كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأولون: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل الذين جاءوا من بعد الذين تبوءوا الدار والإيمان أنهم قالوا: لا تجعل في قلوبنا غلا لأحد من أهل الإيمان

بك يا ربنا. قوله: ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إنك ذو رأفة بخلقك، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذكر عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعه ومالك، ابنا نوفل، وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، وكيف عن دماهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة. حدثنا بذلك ابن حُميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان. وقال مجاهد في في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ قال: عبد الله بن أبي بن سلول، ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعه بن تابوت، ولم يشك فيه، وعبد الله بن نبتل، وأوس بن قَيْطِيٍّ. وقوله: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني بني النضير. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ يقول: لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم، وأجليتم عنها لنخرجن معكم، فنجلي عن منازلنا وديارنا معكم. وقوله: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ يقول: ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم، وترك نصرتكم، ولكننا نكون معكم، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ يقول: وإن قاتلكم محمد ﷺ ومن معه لننصركم معشر النضير عليهم. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يقول: والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير النصرة على محمد ﷺ ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم إياهم ما وعدوهم من ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لئن أخرج بنو النضير من ديارهم، فأجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم، ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولن الأدبار منهزمين عن محمد ﷺ وأصحابه هاربين منهم، قد خذلوهم ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد ﷺ وأصحابه، بل يخذلهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٤) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله، يقول: هم يرهبونهم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون، قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم. وقوله: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يقول: أو من خلف حيطان. وقوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يقول جل ثناؤه: عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضًا شديدة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ يقول: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضًا. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين، وذلك تشيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضًا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وذكر أنها في قراءة عبد الله ﴿وَقُلُوبُهُمْ أَشَتْ﴾ بمعنى: أشد تشتًا: أي أشد اختلافًا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦) يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: كشبههم. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا الذين من قبلهم وأولى الأقوال بالصواب إن يقال: إن الله عزَّ وجلَّ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مديقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذبي رسوله ﷺ، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر، كانا قبل، جلاء بني النضير، وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصص الله عزَّ وجلَّ منهم بعضًا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكل ذائق وبال أمره، فمن قرب مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عنوا به من المثل. وقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يقول: نالهم عقاب الله على كفرهم به. وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم، يعني: موجه. وقوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضير، النصر إن قتلوا، أو الخروج معهم إن أخرجوا، ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد، وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم، وإلى نصرتهم إياهم، كمثل الشيطان الذي غرَّ إنساناً، ووعدته على اتباعه وكفره بالله، النصر عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه وتبرأ منه، وقال له: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في نصرتك. وقد اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال الله جل ثناؤه ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ هو إنسان بعينه، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به، فقال بعضهم: عني بذلك إنسان بعينه. كالذي جاء عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبد الله بن نهيك، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: إن راهباً تبعد ستين سنة، وأن الشيطان أَرَادَهُ فَأَعْيَاهُ، فعمد إلى امرأة فأجنها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها، فجاءوا بها، قال: فداواها، وكانت عنده؛ فبينما هو يوما عندها إذا أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إن أعيتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعت بك، اسجد لي سجدة، فسجد له؛ فلما سجد له قال: إني بريء منك، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. وقال آخرون: بل عني بذلك الناس كلهم، وقالوا: إنما هذا مثل ضرب للنضير في غرور المنافقين إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: فكان عاقبتهما أنهما في النار خالداً فيها، فكفر بالله أنهما خالداً في النار ما كانا فيها أبداً، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يقول: وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصر، وكل كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلدون. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ووجدوه، اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يقول: ولينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال، أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول: وخافوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين نسوا الله، هم الفاسقون، يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة هم الفائزون، يعني أنهم المذركون ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيت يا محمد يا خاشعاً؛ يقول: متذللاً متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر معرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قال، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله، فأمر الله عز وجل الناس إذا أنزل عليهم القرآن، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، قال: ﴿وَتِلْكَ الْأُمُثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينبوا، وينقادوا للحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس هو المعبود، الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له، عالم غيب السموات والأرض، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: هو رحمن الدنيا والآخرة، رحيم بأهل الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه، القدوس، قيل: هو المبارك. وقد بينت

فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهد، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿السَّلَامُ﴾ يقول: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه. وقد ذكرت الرواية فيما مضى، وبيّنت معناه بشواهد، فأعنى ذلك عن إعادته. وقوله: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه. وجاء عن قتادة ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: آمن بقوله أنه حق. وقال ابن زيد في قوله: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ قال: المؤمن: المصدق الموقن، آمن الناس برهم فسماهم مؤمنين، وآمن الرب الكريم لهم بإيمانهم صدقهم أن يسمى بذلك الاسم. وقوله: ﴿الْمُهِينُ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وقد بيّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل في سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾: الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿الْجَبَّارُ﴾ يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره. وقوله: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ قيل: عُني به أنه تكبر عن كل شر. كما جاء عن قتادة وجاء عن جابر بن زيد، قال: إن اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِينُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له عن شرك المشركين به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء. قوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: لله الأسماء الحسنى، وهي هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه، التي ذكرها في هاتين الآيتين. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: يسبح له جميع ما في السموات والأرض، ويسجد له طوعاً وكرهاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: وهو الشديد الانتقام من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

آخر تفسير سورة الحشر
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي﴾ من المشركين ﴿وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني أنصارا. وقوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ﴾ يقول جل ثناؤه: تلقون إليهم مودتكم إياهم، ودخول الباء في قوله: ﴿بِالْمُودَّةِ﴾ وسقوطها سواء، نظير قول القائل: أريد بأن تذهب، وأريد أن تذهب سواء، وكقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ﴾ والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم؛ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحق، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله. وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يخرجون رسول الله ﷺ وإياكم، بمعنى: ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم، وذلك إخراج مشركي قريش رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة. وقوله: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يخرجون الرسول وإياكم من دياركم، لأن أمتهم بالله. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم، ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي، وابتغاء مرضاتي ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾. ويعني قوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾: إن كنتم خرجتم من دياركم، فهاجرتم منها إلى مهاجركم للجهاد في طريقي الذي شرعته لكم، وديني الذي أمرتكم به. والتماس مرضاتي. وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: تسرون أيها المؤمنون بالمودة إلى المشركين بالله ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾ يقول: وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض، فأسره منه ﴿وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ يقول: وأعلم أيضًا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يقول جل ثناؤه: ومن يسر منكم إلى المشركين بالمودة أيها المؤمنون فقد ضل. يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقًا إلى الجنة ومحجة إليها. وذكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وكان كتب إلى قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم، وبذلك جاءت الآثار

والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم. كالذي جاء عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام والمقداد، قال الفضل، قال سفيان: نفر من المهاجرين فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن لها طعينة معها كتاب، فخذوه منها؛ فانطلقنا تتعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فوجدنا امرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ليس معي كتاب، قلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، وأخذنا الكتاب؛ فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "يا حاطب ما هذا؟" قال: يا رسول الله لا تعجل علي، كنت امرأاً ملصقاً في قريش، ولم يكن لي فيهم قرابة، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات، يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ فيها يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "قَدْ صَدَقَكُم" فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ" زاد الفضل في حديثه، قال سفيان: ونزلت فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ ١ لن تَنفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ يقول تعالى ذكره: إن يتقاكم هؤلاء الذين تسرون أيها المؤمنون إليهم بالمودة، يكونوا لكم حرباً وأعداء ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتال ﴿وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ﴾. وقوله: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم، فتكونوا على مثل الذي هم عليه. وقوله: ﴿لَنْ تَنفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودة، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به. وقوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصية والكفر به النار. وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول جل ثناؤه: والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر، لا يخفى عليه منها شيء، هو بجمعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فاتقوا الله في أنفسكم واحذروه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٣ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به،

والذين معه من أنبياء الله. كما قال ابن زيد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قال: الذين معه الأنبياء. وقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد. وقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله ووجدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هودة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحده، وتفردوه بالعبادة. وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. يقول تعالى ذكره: فكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، فْتَبَرَّوْا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَيَتَبَرَّوْا عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَأَظْهَرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ قال: يقول: ليس لكم في هذا أسوة. ويعني بقوله: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يقول: وما أدفع عنك من الله من عقوبة، إن الله عاقبك على كفرك به، ولا أغني عنك منه شيئاً. وقوله: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا﴾ يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم خليله والذين معه: يا ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا بك فجحداً وحادانيتك، وعبدوا غيرك، بأن تسلطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنه لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾ يقول: واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يعني الشديد الانتقام ممن انتقم منه، الحكيم: يقول الحكيم في تديبه خلقه، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم. وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء

صلوات الله عليهم والرسول ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يقول: لمن كان منكم يرجو لقاء الله، وثواب الله، والنجاة في اليوم الآخر. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبراً، وإلى أعداء الله، وألقى إليهم بالموّدة، فإن الله هو الغني عن إيمانه به، وطاعته إياه، وعن جميع خلقه، الحميد عند أهل المعرفة بأباده، وآلائه عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) يقول تعالى ذكره: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من أعدائهم من مشركي قريش مودة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزاباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من المشركين مودة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ من أهل مكة ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ يقول: وتعاملوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرّكم بهم. واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عَزَّجَلَّ عَمَّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصّ به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهّي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكرّاع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك، الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلِيكُم هُمُ الظَّالِمُونَ ٩ ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ من كفار أهل مكة ﴿ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ وظاهرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ يقول: وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم

أن تولوهم، فتكونوا لهم أولياء ونصراء: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوهم، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها، وخالفوا أمر الله في ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ﴾ النساء ﴿الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكانت محنة رسول الله ﷺ إياهن إذا قَدِمْنَ مهاجرات. كما جاء عن أبي نصر الأسدي، قال: سُئِلَ ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهنَّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله. وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ يقول: الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم. وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهنَّ، والدخول في الإسلام، فلا تردوهنَّ عند ذلك إلى الكفار. وإنما قيل ذلك للمؤمنين، لأن العهد كان جرى بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يرد المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلماً، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتنحنَّ، فوجدهنَّ المسلمون مؤمنات، وصح ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل، وأمروا أن لا يردوهنَّ إلى المشركين إذا علم أنهنَّ مؤمنات، وقال جل ثناؤه لهم: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يقول: لا المؤمنات حل للكفار، ولا الكفار يحلون للمؤمنات. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار. كالذي جاء عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: "دخلت على عروة بن الزبير، وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيذ صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً عام الحديبية على أن يردَّ عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يردَّذن إلى المشركين، إذا هنَّ امتحنَّ محنة الإسلام، فعرفوا أنهنَّ إنما جئن رغبة فيه".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُخَكِّمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وقوله: ﴿وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا﴾ يقول جل ثناؤه: وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهنَّ مؤمنات، فلم ترجعهنَّ إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهنَّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن

تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتي لحقن بكم من دار للحرب مفارقات لأزواجهن، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهن، ويعني بالأجور: الصّدقات. وكان قتادة يقول: كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله ﷺ وأصحابه عهداً إلى أصحاب نبي الله ﷺ فتزوجوهن، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبي الله ﷺ عهد. وكان الزهريّ يقول: إنما أمر الله برّد صداقهنّ إليهم إذا حبس عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم. وقوله: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لا تمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسباهنّ، والكوافر: جمع كافرة، والعصم: جمع عصمة، وهي ما اعتصم به من العقد والسبب، وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم بفراقهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم "أن النبيّ ﷺ جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ حتى بلغ ﴿بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية. وقوله: ﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش: واسألوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهن من الصداق من تزوّجهن منهم، وليست لكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهن مؤمنات إذا تزوّجن فيكم من تزوّجهن منكم ما أنفقوا عليهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن شهاب وغيره وقوله: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الحكم الذي حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين، ما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهن وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك في أزواجهنّ اللاتي لحقن بكم، حكم الله بينكم فلا تعتدوه، فإنه الحق الذي لا يسمع غيره، فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله ﷺ فيما ذكر إلى أمر الله وحكمه، وامتنع المشركون منه وطالبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شارطوها بينهم في ذلك الصلح، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم. عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، قال: قال الله: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، فأمسك رسول الله ﷺ النساء، وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله ﷺ النساء، كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقاً، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور، حكيم في تدبيره إياهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ يقول جل ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فالحق بهم. واختلف أهل التأويل في الكفار الذين عُنُوا بقوله: ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ من هم؟ فقال بعضهم: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، قالوا: ومعنى الكلام: وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار. كما جاء عن قتادة وغيره وقال آخرون: بل هم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة، وذلك قول الزهري. وقوله: ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ يقول: فاعطوا الذين ذهب أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهم من الصداق. واختلف أهل التأويل في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهب زوجته إلى المشركين وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عقيب، إما بغنيمة يصيونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارة منهم إليهم، ولم يخص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كل الأموال التي ذكرناها. وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ يقول: وخافوا الله الذي أنتم به مصدقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بالله ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ يقول: ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن. وإنما معنى الكلام: ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يقول: ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عز وجل تأمرهن به. وذكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله ﷺ فيه هو النياحة. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: كانت محنة النساء أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قل لهن: إن رسول الله ﷺ يباعدكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، إنما تنكرت فرقا من رسول الله ﷺ، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن، قالت هند وهي متنكرة: كيف يقبل من النساء شيئاً لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله ﷺ وقال لعمر: قل لهنَّ وَلَا يَسْرِقْنَ، قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات وما أدري أيهلن لي أم لا قال أبو سفيان: ما أصبت

من شيء مضي، أو قد بقي، فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فدعاها فأثته، فأخذت بيده، فعازت به، فقال: أَنْتِ هُنْدُ، فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَلَا يَزِينَنَّ﴾ فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ قال: لا والله ما تزني الحرة؛ قال: وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر؛ قال: وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ؛ قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزق الثياب وَيَخْدِشْنَ الوجوه، وَيَقْطَعْنَ الشعور؛ ويدعون بالثبور والويل". وقوله: ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ يقول جل ثناؤه: إذا جاءك المؤمنات يباعدنك على هذه الشروط، فبايعهن، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ يقول: سل لهن الله أن يصفح عن ذنوبهن، ويسترها عليهن بعفوه لهن عنها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعذبه عليها بعد توبته منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من اليهود ﴿قَدْ يَيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قَدْ يَيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمداً ﷺ على علم منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى؛ صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم. وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون.

آخر تفسير سورة الممتحنة.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣ ﴿يَقُولُ جَل ثناؤه: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الخلق، مُذْعِنِينَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي نَقْمَتِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ، فَكَفَرُ بِهِ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَمْ تَقُولُوا الْقَوْلَ الَّذِي لَا تَصَدِّقُونَهُ بِالْعَمَلِ، فَأَعْمَالُكُمْ مَخَالِفَةٌ أَقْوَالِكُمْ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ يَقُولُ: عَظُمَ مَقْتًا عِنْدَ رَبِّكُمْ قَوْلُكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنْهُ بِهَا الَّذِينَ قَالُوا: لَوْ عَرَفْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَا بِهِ، ثُمَّ قَصَرُوا فِي الْعَمَلِ بَعْدَ مَا عَرَفُوا. كَالَّذِي جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَفْرُضَ الْجِهَادَ يَقُولُونَ: لَوْ دَدْنَا أَنَّ اللَّهَ دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ، فَنَعْمَلُ بِهِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ إِيْمَانُ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ، وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِيْمَانَ وَلَمْ يَقْرَأُوا بِهِ؛ فَلَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ، كَرِهَ ذَلِكَ أَنَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْضُوصٌ﴾ ٤ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلْقَائِلِينَ: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَا حَتَّى نَمُوتَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ أَيُّهَا الْقَوْمُ ﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ كَانَتْهُمْ، يَعْنِي فِي طَرِيقِهِ وَدِينِهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ ﴿صَفًّا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ مُصْطَفِينَ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْضُوصٌ﴾ يَقُولُ: يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَفًّا مُصْطَفًا، كَانَتْهُمْ فِي اصْطِفَائِهِمْ هُنَالِكَ حَيْطَانُ مَبْنِيَّةٍ قَدِ رَصَّ، فَأَحْكَمَ وَأَتَقَنَ، فَلَا يَغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: بَنِي بِالرِّصَاصِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٥ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ بَنَ عِمْرَانُ ﴿لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾ حَقًّا ﴿أَنِّي﴾

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاع الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: واذكر أيضًا يا محمد ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لقومه من بني إسرائيل ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ التي أنزلت على موسى ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أبشركم ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. كالذي جاء عن عرياض بن سارية، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ لِحَاثِمِ النَّسِيبِ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعَا أَيْ إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عِيسَى بِي، وَالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ أُمِّي، وَكَذَلِكَ أُمَمَاتُ النَّسِيبِ، يَرَيْنَ أَنَّهَا رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ" ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات، وهي الدلالات التي آتاه الله حججًا على نبوته، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: ما أتى به غير أنني ساحر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن أشدَّ ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي ﷺ: هو ساحر ولما جاء به سحر، فكَذَلِكَ افْتَرَاؤُهُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وهو يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ يقول: إذا دُعِيَ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَافْتَرَى عَلَيْهِ الْبَاطِلَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِهِ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ: هذا ساحر مبين ﴿لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ﴾ يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمدا ﷺ بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ يقول: الله معلن الحق، ومظهر دينه، وناصر محمدًا عليه الصلاة والسلام على من عاداه، فذلك إتمام نوره، وعنى بالنور في هذا الموضع الإسلام. وكان ابن زيد يقول: عني به القرآن. وقوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: والله مظهر دينه، وناصر رسوله، ولو كره الكافرون بالله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي أرسل رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق، يعني

بيان الحقّ ودين الحقّ يعني: ويدين الله، وهو الإسلام. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يقول: ليظهر دينه الحقّ الذي أرسل به رسوله على كلّ دين سواه، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم، وحين تصوير الملة واحدة، فلا يكون دين غير الإسلام. كما جاء عن أبي هريرة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ والصواب عندنا من القول في ذلك بعلمه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد جاء عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ كان يقول: "لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى"، فقالت عائشة: والله يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾... الآية، أن ذلك سيكون تاماً، فقال: "إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَعْثُ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً، فَيَتَوَفَّى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ".



القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ موجع، وذلك عذاب جهنم؛ ثم بين لنا جلّ ثناؤه ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وقد قيل لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بوصفهم بالإيمان؟ فإن الجواب في ذلك نظير جوابنا في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ وقد مضى البيان عن ذلك في موضعه بما أغنى عن إعادته. وقوله: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وتجاهدون في دين الله، وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يقول: إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تضييع ذلك والتفريط ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مضارّ الأشياء ومنافعها. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ على وجه الأمر، وبيّنت التجارة من قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾ وفُسِّرَتْ بقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ولم يقل: أن تؤمنوا، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل تثبت في تفسيره أن أحياناً، وتطرحها أحياناً، فتقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ هل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟، بأن وبطرحها. ومما جاء في الوجهين على الوجهين جميعاً قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا﴾ وإنا؛ فالفتح في أن لغة من أدخل في يقوم أن من قولهم: هل لك في خير أن تقوم، والكسر فيها لغة من يُلقَى أن من تقوم؛ ومنه قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾ وإنا دمرناهم، على ما بيّنا. كما جاء عن قتادة



القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفتح عنكم ويعفو ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: ويدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ﴾ يقول: ويدخلكم أيضاً مساكن طيبة ﴿فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ﴾ يعني في بساتين إقامة، لا ظعن عنها. وقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول: ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ وتاويل قوله ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بمعنى: هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها: نصر من الله لكم على أعدائكم، وفتح قريب يعجله لكم. ﴿وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدوهم، وفتح عاجل لهم. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أي: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله يعني من أنصاري منكم إلى نصره الله لي. وكان قتادة يقول في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ قال: "قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه". وذكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، ذكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ إنكم تباعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا. ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم" قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟ قال: "لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة"، ففعلوا، ففعل الله. وقوله: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ يقول: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحق. وقوله: ﴿فَأَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ يقول جل ثناؤه: فأمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى، وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: "لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلي أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء؛ قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي؛ قال: ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سناً، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس؛ ثم أعاد عليهم،

فقام الشاب، فقال أنا؛ قال: نعم أنت ذلك؛ فألقى عليه شبه عيسى، ورُفع عيسى من رَوْزَنَةِ في البيت إلى السماء؛ قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه. فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، ففترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة، فقتلوهما، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فأمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين، وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ يقول: فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم، الذي كفروا منهم بمحمد ﷺ بتصديقه إياهم، أن عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله، ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره، فأصبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

آخر تفسير سورة الصف
والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ يقول تعالى ذكره: يسبح لله كل ما في السموات السبع، وكل ما في الأرضين من خلقه، ويعظمه طوعاً وكرهاً، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الذي له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما، القدوس: وهو الطاهر من كل ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك ﴿الْعَزِيزُ﴾ يعني الشديد في انتقامه من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٢ يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، فقله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب. وقد بينا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأمي أمي. وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل. كالذي جاء قال ابن زيد، في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال: إنما سميت أمة محمد ﷺ الأميين، لأنه لم ينزل عليهم كتاباً؛ وقال جل ثناؤه رَسُولًا مِنْهُمْ يعني من الأميين وإنما قال منهم، لأن محمداً ﷺ كان أمياً، وظهر من العرب. وقوله: يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يقول جل ثناؤه: يقرأ علي هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه وَيُزَكِّيهِمْ يقول: ويطهرهم من دنس الكفر. وقوله: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ يقول: ويعلمهم كتاب الله، وما فيه من أمر الله ونهيه، وشرائع دينه وَالْحِكْمَةَ يعني بالحكمة: السنن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن زيد، قال: وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ أَيضًا كما علم هؤلاء يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالآولين، وقرأ قول الله عَزَّجَلَّ: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، قال: وقد جعل الله فيهم سابقين، وقرأ قول الله عَزَّجَلَّ: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وقال: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ فثلاثة من الأولين سابقون، وقليل السابقون من الآخرين، وقرأ: وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ أَيضًا، قال: والسابقون من الأولين أكثر، وهم من الآخرين قليل، وقرأ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ الآية، قال: هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة. وقوله: وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن

يبعث الله فيهم رسولا منهم في جُور عن قصد السبيل، وأخذ على غير هدى مُبينٌ، يقول: بين لمن تأمله أنه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٤ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٥ يقول تعالى ذكره: وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم، فأخرون في موضع خفض عطفاً على الأميين. وقد اختلف في الذين عُنوا بقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُنِيَ بذلك كل لاحق لاحق بالذين كانوا أصحاب النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس؛ لأن الله عز وجل عم بقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات الله وقوله: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ يقول: لم يجئوا بعد وسيجيئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم، الحكيم في تدبيره خلقه. وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب، وفي آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويفعل سائر ما وصف، فضل الله، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم، يؤتيه من يشاء، يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه، لا يستحق الذم ممن حرمه الله إياه، لأنه لم يمنعه حقاً كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره، ولكنه على من هو له أهل، فأودعه إياه، وجعله عنده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥ يقول تعالى ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذبوا بمحمد ﷺ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يقول: بئس هذا المثل، مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، يعني بأدلتهم وحججه ﷻ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بآيات ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لليهود ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ سواكم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قيلكم، إنكم أولياء الله من دون الناس، فإن الله لا يعذب أوليائه، بل يكرمهم وينعمهم، وإن كنتم

محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبدًا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام، واجترحوا من السيئات ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه، فأوبقها بكفره بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لليهود ﴿إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ففكرهونه، وتأبون أن تتمنوه ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ ونازل بكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ثم يردكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة، عالم غيب السموات والأرض؛ والشهادة: يعني وما شهد فظهر لرأي العين، ولم يغيب عن أبصار الناظرين. كالذي جاء عن معمر، قال: تلا قتادة: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فقال: إن الله أذل ابن آدم بالموت، لا أعلمه إلا رفعه ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال، سيئها وحسنها، لأنه محيط بجميعها، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه، والمسيء بما هو أهله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وذلك هو النداء، ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: إذا سمعتم الداعي الأول، فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا؛ قال: ولم يكن في زمان النبي ﷺ أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر، وأذان حين يُقام الصلاة؛ قال: وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد؛ قال: لا يحل له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على المنبر وقرأ ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ قال: ولم يأمرهم يذرون شيئاً غيره، حرم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة، قال: والسعي أن يُسرع إليها، أن يُقبل إليها. وقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ يقول: ودعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند الخطبة. كما جاء عن الضحاك وكالذي جاء عن أبي مالك، قال: كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وأما الذكر الذي أمر الله تبارك وتعالى بالسعي إليه عباده المؤمنين، فإنه موعظة الإمام في خطبته فيما قيل. كما

جاء عن سعيد وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا قضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة، فانتشروا في الأرض إن شئتم، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ذكر عن النبي ﷺ في تأويل ذلك ما: كالذي جاء عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قال: "لَيْسَ لَطَلَبُ دُنْيَا، وَلَكِنْ عِيَادَةُ مَرِيضٍ، وَحُضُورُ جَنَازَةٍ، وَزِيَارَةُ أَخٍ فِي اللَّهِ". وقد يحتمل قوله: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أن يكون معناه به: والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدينكم وآخرتكم. وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول: واذكروا الله بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا، فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أو لهوًا ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ يعني أسرعوا إلى التجارة ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ يقول للنبي ﷺ: وتركوك يا محمد قائمًا على المنبر؛ وذلك أن التجارة التي رأوها فانفض القوم إليها، وتركوا النبي ﷺ قائمًا كانت زيتًا قدم به دحية بن خليفة من الشام. كالذي جاء عن أبي مالك، قال: قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رآوه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾. وقول: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب، لمن جلس مستمعًا خطبة رسول الله ﷺ وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله ﷺ منها، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقول: والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فأسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره.

آخر تفسير سورة الجمعة

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ١ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يا محمد ﴿قَالُوا﴾ بالسنتهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ قال المنافقون ذلك أو لم يقولوا: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ يقول: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢ يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة، وهي حلفهم. وقوله: ﴿جُنَّةً﴾: ستره يستترون بها كما يستتر المستجنّ بجنته في حرب و قتال، فيمنعون بها أنفسهم وذرائعهم وأموالهم، ويدفعون بها عنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: فأعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه ﷺ وشريعته التي شرعها لخلقه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: إن هؤلاء المنافقين الذين أخذوا أيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون في اتخاذهم أيمانهم جنة، لكذبهم ونفاقهم، وغير ذلك من أمورهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ٣ يقول تعالى ذكره: إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به. وقوله: ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: فجعل الله على قلوبهم ختما بالكفر عن الإيمان؛ وقد بيّنا في موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدنا، وأقوال أهل العلم، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهم لا يفقهون صواباً من خطأ، وحقاً من باطل لطبع الله على قلوبهم. وكان قتادة يقول في قوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أقرؤا بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وقلوبهم منكراً تأبى ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وذكره لنبى محمد ﷺ. وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ يقول كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول. وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهلك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم. يقول الله جل ثناؤه لنبى محمد ﷺ: هم العدو يا محمد فاحذرهم، فإن ألتستهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم. وقوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ يقول: أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق. كما جاء عن ابن زيد

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لووا رؤوسهم، يقول حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ورأيتهم يعرضون عما دُعوا إليه بوجوههم ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، وإنما عني بهذه الآيات كلها فيما ذكر، عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فسمع بذلك زيد بن أرقم، فأخبر به رسول الله ﷺ، فدعاه رسول الله ﷺ، فسأله عما أخبر به عنه، فحلف أنه ما قاله، وقيل له: لو أتيت رسول الله ﷺ، فسألته أن يستغفر لك، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاء، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه، فأنزل الله عز وجل في هذه السورة من أولها إلى آخرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار. كالذي جاء عن زيد بن أرقم، قال: "خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبيّ ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إليّ، فحدثته، فأرسل إلى عبد الله عليّاً رضي الله عنه وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذبني رسول الله ﷺ وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قط؛ فدخلت البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، قال: حتى أنزل الله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال: فبعث إليّ رسول الله ﷺ، فقرأها، ثم قال: "إن الله عز وجل قد صدّقك يا زيد."

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ يقول: لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يقول: إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به، الخارجين عن طاعته. وقد جاء عن ابن عباس قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨] فقال رسول الله ﷺ: "زيادة على سبعين مرة، فأنزل الله ﷻ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ يعني المنافقين الذين يقولون لأصحابهم لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى يَنْفَضُوا يقول: حتى يتفرقوا عنه. وقوله: وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يقول: والله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحدا شيئا إلا بمشيئته وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فذلك يقولون: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ فيها، ويعني بالأعز: الأشد والأقوى، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ يعني: الشدة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ﷻ ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. وذكر أن سبب قيل ذلك عبد الله بن أبي كان من أجل أن رجلا من المهاجرين كَسَعَ رجلا من الأنصار. كالذي جاء عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: "لَا تَقْتُلْ أَبَاكَ عَبْدَ اللَّهِ"، ثم جاء أيضا فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله ﷺ: "لَا تَقْتُلْ أَبَاكَ"، فقال: يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعل قلبه أن يلين، فتوضأ رسول الله ﷺ فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله ﷺ، قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى

يَنْفُضُوا وهو الذي قال: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول ﷺ ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١١ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ يقول: لا توجب لكم أموالكم ولا أَوْلَادُكُمْ اللّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وهو من ألهيته عن كذا وكذا، فلها هو يلهو لهو وقيل: غني بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس. كما جاء عن الضحاك وقوله: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يقول: ومن يلهو ماله وأولاده عن ذكر الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٢ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٣ يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رب هلا أخرتني فتمهل لي في الأجل إلى أجل قريب. فأصدق يقول: فأزكي مالي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك. وقيل: عني بقوله: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وأحج بيتك الحرام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرة، فقالوا: يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه؛ قال: فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ﴾ قال: أؤدي زكاة مالي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: أحج. وقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ يقول: لن يؤخر الله في أجل أحد فيمده فيه إذا حضر أجله، ولكنه يخترمه ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبده هو بجميعها محيط، لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيهم بها، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

آخر تفسير سورة المنافقين

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه. وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره. وقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ يقول: وله حمد كل ما فيها من خلق، لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على كل شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت ما يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا يتعذر عليه شيء أراده، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ يقول تعالى ذكره: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس، وهو من ذكر اسم الله ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه؛ ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ يقول: ومنكم مصدق به موقن أنه خالقه أو بارئه، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نيه، فيسطو بكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣﴾ يقول تعالى ذكره: خلق السموات السبع والأرض بالحق وصوَّركم فأحسن صوركم وإليه المصير. يقول: ومثلكم فأحسن مثلكم، وقيل: أنه عني بذلك تصويره آدم، وخلقه إياه بيده. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء، لا يخفى عليه من ذلك خافية ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ﴾ أيها الناس بينكم من قول وعمل ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من ذلك فتظهرونه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول جل ثناؤه: والله ذو علم بضمائر صدور عباده، وما تنطوي عليه نفوسهم، الذي هو أخفى من السر، لا يعزب عنه شيء من ذلك. يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥﴾ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ﴿٦﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم،

وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ فمسهم عذاب الله إياهم على كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ولهم عذاب مؤلم موجه يوم القيامة في نار جهنم، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول جل ثناؤه: هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم، والذي أعد لهم ربهم يوم القيامة من العذاب، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذي أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، فقالوا لهم: أبشر يهودنا، استكباراً منهم أن تكون رسل الله إليهم بشراً مثلهم واستكباراً عن اتباع الحق من أجل أن بشراً مثلهم دعاهم إليه؛ وجمع الخبر عن البشر، فقليل: يهودنا، ولم يقل: يهدينا، لأن البشر، وإن كان في لفظ الواحد، فإنه بمعنى الجميع. وقوله: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ يقول: فكفروا بالله، وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكباراً ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ يقول: وأدبروا عن الحق فلم يقبلوه، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ يقول: واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة ﴿وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ يقول: والله غني عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم، وكريم فعاله فيهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول: زعم: كنية الكذب. وقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ يقول لنبهه ﷺ: قل لهم يا محمد: بلى وربى لتبعثن من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ يقول: ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فصدقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذبون بالبعث، وإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم، وأنكم من بعد بلائكم تتشرون من قبوركم، والنور الذي أنزلنا يقول: وآمنوا بالنور الذي أنزلنا، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها، محصٍ جميعها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميعها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون خير ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ الخلائق للعرض ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يقول: الجمع يوم غبن أهل الجنة أهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته، ويته إلى أمره ونهيه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ يقول: يمح عنه ذنوبه ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: ويدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار. وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: لا بشين فيها أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها. وقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠) يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا بأدلته وحججه وأي كتابه الذي أنزله على عبده محمد ﷺ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقول: ماكنين فيها أبدا لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وبئس الشيء الذي يُصَار إليه جهنم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، يقول: إلا بقضاء الله وتقدير ذلك عليه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢) الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أيها الناس في أمره ونهيه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها، فلم تطيعوا الله ولا رسوله ﴿فَإِنَّمَا﴾ فليس ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد إلا ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جل ثناؤه: فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله ولي الانتقام ممن عصاه، وخالف أمره، وتولى عنه ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول جل ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدقون بوحدانيته.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ يصدونكم عن سبيل الله، ويشبطونكم عن طاعة الله ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة، فشططهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم. كما جاء عن ابن عباس، قال: سأله رجل عن هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله ﷺ؛ فلما أتوا رسول الله ﷺ فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوه، فأنزل الله جل ثناؤه ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾.. الآية. وجاء عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: "رأيت رسول الله ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فرفعهما فوضعهما في حجره ثم قال: "صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ في خطبته" وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا﴾ يقول: إن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدهم

إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: والله عنده ثواب لكم عظيم، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم، وأطعتم الله عَزَّوَجَلَّ، وأديتم حقَّ الله في أموالكم، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم. وذكر أن قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ نزل بعد قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ تخفيفاً عن المسلمين، وأن قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخ قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾. كما جاء عن قتادة وغيره وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع؛ وليس في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ دلالة واضحة على أنه لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ناسخ، إذ كان محتملاً لقوله: اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ فيما استطعتم، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله ﷺ فإذا كان ذلك كذلك، فالواجب استعمالهما جميعاً على ما يحتملان من وجوه الصحة. وقوله: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾ يقول: واسمعوا لرسول الله ﷺ، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: وأنفقوا ما لا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله، والخير في هذا الموضع المال. وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يوقه الله شَحْ نفسه، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه كما جاء عن ابن مسعود وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله ﴿حَلِيمٌ﴾ يقول: حلیم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ يعني الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما يصلحهم.

آخر تفسير سورة التغابن والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝١ فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٤﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهن لظهرهن الذي يحصينه من عدتهن، طاهرًا من غير جماع، ولا تطلقوهن بحيضهن الذي لا يعتدّن به من قرئتهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عبد الله وغيره وعن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننا أنه رادها عليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله عزَّجَلَّ قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجًا، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ﴾. وجاء عن سعيد بن عبد العزيز، سئل عن قول الله ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن شاء راجعها قبل أن تغسل من الحيضة الثالثة، وإن أراد أن يطلقها ثلاثًا طلقها واحدة في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم يدعها، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره. وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ في سبب طلاقه حفصة. كالذي جاء عن قتادة، قال: "طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر تطليقة، فأنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ فقيل: راجعها فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك في الجنة". وقوله: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ يقول: وأحصوا هذه العدة وأقرأها فاحفظوها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال عطاء: إن أذن لها أن تعتد في غير بيته، فتعتد في بيت أهلها، فقد شاركها إذن في الإثم. ثم تلا ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم. وقوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: لا تخرجوهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة أنها فاحشة لمن عاينها أو علمها. واختلف

أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرت في هذا الموضع، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهن حالة كونهن في العدة من بيوتهن والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدى فيه حده، فالزنى من ذلك، والسرق والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتد فيه منه، فأى ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبته. وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمور التي يبيتها لكم من الطلاق للعدة، وإحصاء العدة، والأمر باتقاء الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزراً، فصار بذلك لها ظالماً، وعليها متعدّياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ يقول جل ثناؤه: لا تدري ما الذي يحدث؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهن رجعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن الزهري، أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص المخزومي، وكان النبي ﷺ أمر علياً على بعض اليمن، فخرج معه، فبعث إليها بتطبيقه كانت لها، وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي، والحرث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا لا والله ما لها علينا نفقة، إلا أن تكون حاملاً فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملاً واستأذنته في الانتقال، فقالت: أين انتقل يا رسول الله؟ قال: "عند ابن أم مكتوم"، وكان أعمى، تضع ثيابها عنده، ولا يبصرها؛ فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبي ﷺ أسامة بن زيد حين مضت عدتها، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث، فأخبرته، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة، وسأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها، فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب، قال الله جل ثناؤه: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْدَتِهِنَّ﴾ حتى بلغ ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: فأى أمر يحدث بعد الثلاث، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة؟ وقال ابن زيد، في قوله: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال: لعل الله يحدث في قلبك تراجع زوجتك؟ قال: قال: ومن طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة، وجعل له ملكاً إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع. وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنّ في عدة أجلهنّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول: فأمسكنهنّ برجعة تراجعوهن، إن أردتم ذلك بمعروف، يقول: بما أمرك الله به من الإمساك وذلك بإعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة، أو فارقوهنّ بمعروف، أو اتركوهنّ حتى تنقضي عددهنّ، فتبين منكم بمعروف، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليه لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن الضحاك، قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض، يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدة بإمساك بمعروف، والمعروف أن تحسن صحبتها ﴿أَوْ تَسْرِحْ بِإِحْسَانٍ﴾ والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها، ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا

طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمُتعة على قدر الميسرة. وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهن، وذلك هو الرجعة ذوي عدل منكم، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما. وقد بينا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وذكرنا ما قال أهل العلم فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ يقول: وأشهدوا على الحق إذا استشهدتم، وأدوها على صحة إذا أنتم دُعيتُم إلى أدائها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به، وعرفتكم من أمر الطلاق، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فيصدق به. وعُني بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ من كانت صفته الإيمان بالله، كالذي حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط عن السدي، ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال: يؤمن به. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من أن يكون، وذلك أن المطلق إذا طلق، كما نذبه الله إليه للعدة، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه، جعل الله له مخرجًا فيما تتبعها نفسه. بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها، ولو طلقها ثلاثًا لم يكن له إلى ذلك سبيل. وقوله: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك الأشجعي. كما جاء عن مسروق عن عبد الله، في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قال: يعلم أنه من عند الله، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع. وجاء عن السدي، في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قال: يطلق للسنة، ويراجع للسنة؛ زعم أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له عوف الأشجعي، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، فكان أبوه يأتي النبي ﷺ، فيشكوا إليه مكان ابنه، وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل له مخرجًا، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا إذا انفلت ابنه من أيدي العدو، فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها، فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغني قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتق الله في أموره، ويفوضها إليه فهو كافيه. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَاسِهِ﴾ منقطع عن قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. ومعنى ذلك: إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مسروق وغيره وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: قد جعل الله لكل شيء من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًا وأجلًا وقدراً يُنتهى إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مسروق وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّامِي بَيْسٍ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَابِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُمْ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ وَاللَّامِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهن عن المحيض، فلا يرجون أن يحضن من

نسائكم إن ارتبتم. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: غُني بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال: إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض، أو استحاضة؟ لقليل: إن ارتبتم لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ، وفي قوله: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهنّ؛ وأخرى وهو أنه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ واليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضاً للكبر، ومحال أن يقال: واللاني يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهنّ، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجو لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا، فينبغي أن تأويل الآية: واللاني يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ، وفي عددهنّ، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهنّ إذا طلقن، وهنّ ممن دخل بهنّ أزواجهنّ، فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ يقول: وكذلك عدد اللاني لم يحضن من الجوّاري لصغر إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ في انقضاء عدتهنّ أن يضعن حملهنّ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل، فأما في المتوفى عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم. وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا، والصواب من القول في ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهنّ، لأن الله جلّ وعزّ، عمّ بقوله بذلك فقال: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ولم يخص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال، إن ظنّ ظان أن قوله: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهنّ، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ، وعن المتوفى عنهنّ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهنّ وغير المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل، فهو على عمومته لما بيّنا. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومن يخف الله فرهبه، فاجتنب معاصيه، وأدّى فرائضه، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسراً، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها، ثم دعت نفسه إليها قدر على خطبتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ يقول: ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر

عليه أن يدخله جنته، فيخلده فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأُتِمُّوا بِبَنِيكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ۚ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: اسكنوا مطلقاً نساكنكم من الموضع الذي سكنتم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾: يقول: من سعتكم التي تجدون؛ وإنما أمر الرجال أن يعطوهم مسكناً يسكنه مما يجدونه، حتى يقضين عددهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تضاروهم في المسكن الذي تسكنونه فيه، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهن، فذلك قوله: ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ يعني: لتضيقوا عليهن في المسكن مع وجودكم السعة. كما جاء عن مجاهد وغيره وفي قوله: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال: لتضيقوا عليهن مساكنهن حتى يخرجن. كما جاء عن سفيان وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل وكن بائنات منكم، فأنفقوا عليهن في عدتهن منكم حتى يضعن حملهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وبالذي قلنا في ذلك صح الخبر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزومي، طلقها ثلاثاً فأمر لها بنفقة فاستقلتها، وكان رسول الله ﷺ بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة، فقال: يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثاً، فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ"، فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن انتقلي إلى بيت أم شريك وأرسل إليها أن لا تسبقيني بنفسك، ثم أرسل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون، فانتقلي إلى ابن أم مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك، فزوجها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد. وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يقول جل ثناؤه: فإن أرضعن لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهن الأطفال منكم بأجرة، فآتوهن أجورهن على رضاعهن إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿وَأُتِمُّوا بِبَنِيكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضاً من معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه، فامتنعت من رضاعه، فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائنة منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره:

لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال، وغني من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير ﴿وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ يقول: ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ يقول: لا يكلف الله أحداً من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدوراً عن رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته، لا يكلف الفقير نفقة الغني، ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾ ٨ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ٩ يقول تعالى ذكره: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ لِلْمَقَلِّ مِنَ الْمَالِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ ٨ ﴿بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ يقول: من بعد شدة رخاء، ومن بعد ضيق سعة، ومن بعد فقر غنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه، وعن أمر رسل ربهم، فتمادوا في طغيانهم وعتوهم، ولجوا في كفرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقيل: إنهم كانوا قومًا خالفوا أمر ربهم في الطلاق، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك. كما جاء عن عمرو بن أبي سلمة وقوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابًا شديدًا، يقول: حسابًا استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيء، ولم نتجاوز فيه عنهم. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾ يقول: وعذبناها عذابًا عظيمًا منكرًا، وذلك عذاب جهنم. وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ يقول: فذات هذه القرية التي عتت عن أمر ربها ورسله، عاقبة ما عملت وأتت من معاصي الله والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الذي أعقب أمرهم، وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسراً: يعني غبنًا، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل، وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ يقول تعالى ذكره: أعد الله لهؤلاء القوم الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله عذابًا شديدًا، وذلك عذاب النار الذي أعدّه لهم في القيامة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: فخافوا الله، واحذروا سخطه بأداء فرائضه، واجتنب معاصيه يا أولي العقول. كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ قال: يا أولي العقول. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: الذين صدقوا الله

ورسله. وقوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالذكر والرسول في هذا الموضع، فقال بعضهم: الذكر هو القرآن، والرسول محمد ﷺ. كما جاء عن السدي وقال آخرون: الذكر: هو الرسول. والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، ذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة. فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الأبواب ذكراً من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على خطاكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولا يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ يقول: مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات، كي يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني من الكفر وهي الظلمات، إلى النور يعني إلى الإيمان. وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ يقول: ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: يُدْخِلْهُ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين مقيمين في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون منها أبداً. وقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ يقول: قد وسع الله له في الجنات رزقاً، يعني بالرزق: ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعدّ لأولائه فيها، فطيبه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء. وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يقول: وخلق من الأرض مثلهنّ لما في كلّ واحدة منهنّ مثل ما في السموات من الخلق. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعدّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه أمر شاء؛ ولكنه على ما يشاء قدير، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علماً، لا يعزّب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: يقول جلّ ثناؤه فحافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع، وهو على ذلك قادر، ومحيط أيضاً بأعمالكم، فلا يخفى عليه منها خاف، وهو محصيها عليكم، ليجازيكم بها، يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت.

آخر تفسير سورة الطلاق، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل الله له، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك، تلتمس بتحرملك ذلك مرضاة أزواجك. واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته كالذي جاء عن ابن عباس، قال: "قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: من المراتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي، قال: "ألا ترضين أن أحرّمها فلا أقربها؟" قالت: بلى، فحرّمها، وقال: لا تذكرني ذلك لأحدٍ"، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عز وجل عليه، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾... الآيات كلها، فبلغنا أن نبي الله ﷺ كفر يمينه، وأصاب جاريته". ، وجائز أن يكون كان شراً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه. فيكون قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ﴾ معنا: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه، فترّمه على نفسك باليمين. وإنما قلنا: إن النبي ﷺ حرم ذلك، وحلف مع تحريمه، كما جاء عن مسروق، عن عائشة قالت: ألى رسول الله ﷺ وحرّم، فأمر في الإيلاء بكفارة، وقيل له في التحريم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾. وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: قد بين الله عز وجل لكم تحلة أيمانكم، وحدّها لكم أيها الناس ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يتولاكم بنصره أيها المؤمنون ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالحكمم ﴿وَالْحَكِيمُ﴾ في تدبيره إياكم، وصرفكم فيما هو أعلم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ التَّيِّبُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ أَسْرَ التَّيِّبُ﴾ محمد ﷺ ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾، وهو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والصَّحَّاحُ بن مزاحم: حَفْصَةُ. وقوله: ﴿حَدِيثًا﴾ والحديث الذي أسرَّ إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسرَّ إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته، أو ما حرَّم على نفسه مما كان الله جلَّ ثناؤه قد أحله له، وحلَّفه على ذلك وقوله: "لا تذكرني ذلك لأحد". وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أخبرت بالحديث الذي أسرَّ إليها رسول الله ﷺ صاحبها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يقول: وأظهر الله نبيه محمداً ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبها. وقوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ بمعنى: عرف النبي ﷺ حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به وقوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ يقول: وترك أن يخبرها ببعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ يقول: فلما أخبر حفصة نبي الله ﷺ بما أظهره الله عليه من إفشائها سرَّ رسول الله ﷺ إلى عائشة ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ يقول: قالت حفصة لرسول الله ﷺ: من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال محمد نبي الله لحفصة: خبرني به العليم بسرَّائِ عبادِه، وضامئِ قلوبهم، الخبير بأمورهم، الذي لا يخفى عنه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: إن توبا إلى الله أيها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرَّمه على نفسه بسبب حفصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغير وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره للتي أسرَّ إليها رسول الله ﷺ حديثه، والتي أفشت إليها حديثه، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عمر بن الخطاب وغيره وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: فإن الله هو وليه وناصره، وصالح المؤمنين، وخيار المؤمنين أيضاً مولاه وناصره. وقيل: عني بصالح المؤمنين في هذا الموضع: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما. وقيل غير ذلك والصواب من القول في ذلك عندي: أن قوله: ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقرين إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجمع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقره، واحداً كان أو جماعة. وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ يقول: والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله ﷺ أعوان على من أذاه، وأراد مساءته. والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى جمع. ولو أخرج بلفظ الجميع لقليل: والملائكة بعد ذلك ظهراء. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ

هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة، قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ﴿٢﴾ يقول تعالى ذكره: عسى رب محمد إن طلقكن يا معشر أزواج محمد ﷺ أن يبدله منكن أزواجاً خيراً منكن. وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ تحذيراً من الله نساء لما اجتمعن عليه في الغيرة. كالذي جاء عن عمر، قال: بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدة على رسول الله ﷺ وأذهن إياه، فاستقرت بهن امرأة امرأة، أعطاها وأنهاها عن أذى رسول الله ﷺ، وأقول: إن أبيتن أبدله الله خيراً منكن، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساء حتى تعظهن أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله ﷻ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾. وقوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ يقول: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني مصدقات بالله ورسوله. وقوله: ﴿قَانِتَاتٍ﴾ يقول: مطيعات لله. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿تَائِيَاتٍ﴾ يقول: راجعات إلى ما يحبه الله منهن من طاعته عما يكرهه منهن ﴿عَابِدَاتٍ﴾ يقول: متذلات لله بطاعته. وقوله: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ يقول: صائحات. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿سَائِحَاتٍ﴾ وقد بينا الصواب من القول في معنى السائحين فيما مضى قبل بشواهد مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه، وكرهنا إعادته. وكان بعض أهل العربية يقول: نرى أن الصائم إنما سمي سائحاً، لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث يجد الطعام، فكأنه أخذ من ذلك. وقوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ﴾ وهن اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهن ﴿وَأَبْكَارًا﴾ وهن اللواتي لم يجامعن، ولم يفترعن.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٣﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله. وقوله: ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: علموهم، وأدبوهم. وقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت. وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ يقول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ﴾ ﴿٤﴾ ما كنتم تعملون ﴿٥﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحادنيتهم في الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

كَفَرُوا ۖ اللَّهُ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم، وذلك يوم القيامة، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ يقول: رجوعاً لا تعودون فيها أبداً. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿نَّصُوحًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن عمر بن الخطاب وغيره وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يقول: عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم ﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: وأن يدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: يسعى نورهم أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يقول: وبأيماهم كتابهم. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾... إلى قوله: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يأخذون كتابهم فيه البشري ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا﴾ يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل المؤمنين يوم القيامة: يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، يسألون ربه أن يبقی لهم نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: كان يذكرنا ويكي، ويصدق قوله فعله، يقول: يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عَزَّجَلَّ بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلاتكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان ابن فلان هاك نورك، ويا فلان ابن فلان، لا نور لك. وقوله: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ يقول: واستر علينا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إنك على إتمام نورنا لنا، وغفران ذنوبنا، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسِّيفِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالوعيد واللسان. وكان قتادة يقول في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود ﴿وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: وأشدد عليهم في ذات الله ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يقول: ومكثهم جهنم، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال: وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۝١٠﴾ يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط،

كانتا تحت عبيدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتهما. ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يُسرّ الضيف، وتدلّ عليه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول: فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتها أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيتهما المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله ووحده، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحده، وصدقت رسوله موسى، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم يضربها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا ترز وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة. كالذي جاء عن القاسم بن أبي بزة، قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح. وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله. وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يقول: التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام، وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق، فإنه يسمى فرجاً، وكذلك كل صدع وشق في حائط، أو فرج سقف فهو فرج. وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، من روحنا من جبرئيل، وهو الروح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة التحريم والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝﴾ يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعظيم وتعالى ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز. وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ فأما من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يقول: ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع. وقد جاء عن قتادة، في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره ﴿الْغَفُورُ﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: مخبرا عن صفته: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ طبقا فوق طبق، بعضها فوق بعض. وقوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت، يعني من اختلاف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ يقول: فرد البصر، هل ترى فيه من صدوع؟ وهي من قول الله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ بمعنى يتشققن ويتصدعن، الفُطُور مصدر فطّر فطورا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره وقوله: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ يقول جل ثناؤه: ثم ردّ البصر يا ابن آدم كرتين، مرة بعد أخرى، فانظر ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أو تفاوت ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يقول: يرجع إليك بصرك صاغرا مُبْعَدًا من قولهم للكلب: اخسأ، إذا طردوه أي أبعد صاغرا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: وهو مُعْي كَال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما جاء عن قتادة، في قوله: ﴿خَاسِئًا﴾ قال: صاغرا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: مُعْيٍ لم ير خللا ولا تفاوتًا. وقال بعضهم: الخاسي والحسير واحد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وهي النجوم، وجعلها مصابيح لإضاءتها، وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذي يضيئ للناس من النهار ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ يقول: وجعلنا المصابيح التي زينّا بها السماء الدنيا رجوما للشياطين تُرْجَم بها.

وقد جاء عن قتادة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها؛ فمن يتأول منها غير ذلك، فقد قال براهيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يقول جل ثناؤه: وأعدنا للشياطين في الآخرة عذاب السعير، نسعر عليهم فُتْسَجَر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦ إذا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الذي خلقهم في الدنيا ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وبُئس المصير عذاب جهنم. وقوله: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ يعني إذا أُلْقِيَ الكافرون في جهنم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يعني لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ يعني بالشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار وقوله: ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ يقول: تغلي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ٩ يقول تعالى ذكره: ﴿تَكَادُ﴾ جهنم ﴿تَمَيَّزُ﴾ يقول: تتفرق وتتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يقول: سأل الفوج خزنة جهنم، فقالوا لهم: ألم يأتكم ي الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟ فأجابهم المساكين ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ ينذرنا هذا، فكذبناه وقُلْنَا لَهُ ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يقول: في ذهاب عن الحق بعيد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ يقول تعالى ذكره: وقال الفوج الذي أُلْقِيَ في النار للخرزة: ﴿لَوْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ من النذر ما جاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه ﴿مَا كُنَّا﴾ اليوم ﴿فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: أهل النار. وقوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ يقول: فأقرروا بذنبهم ووحد الذنب، وقد أضيف إلى الجمع لأن فيه معنى فعل، فأدى الواحد عن الجمع، كما يقال: خرج عطاء الناس، وأعطية الناس ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يقول: فبُعدا لأهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقال سعيد ﴿سُحْقًا﴾ وادي في جهنم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١٢ **القول في تأويل قوله تعالى:** ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣ يقول

تعالى ذكره: إن الذين يخافون ربهم بالغيب، يقول: وهم لم يروه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول: لهم عفو من الله عن ذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يقول: وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل. وقوله:

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: إنه ذو علم بضمائر الصدور التي لم يُتكلم بها، فكيف بما نطق به وتكلم به، أخفي ذلك أو أعلن، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور فغيرها أخرى أن لا يخفي عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الربّ جلّ ثناؤه ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ من خلقه؟ يقول: كيف يخفي عليه خلقه الذي خلق ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بعباده ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم وبأعمالهم. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل لكم الأرض ذُلُولًا سَهْلًا سَهْلًا لكم ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾. اختلف أهل العلم في معنى ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه. وقوله: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ يقول: وكلوا من رزق الله الذي أخرج لكم من مناكب الأرض، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى الله نشركم من قبوركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أيها الكافرون ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم وتجيئ وتضطرب ﴿أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهو التراب فيه الحصباء الصغار ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ يقول: فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم، إذ كذبتكم به، ورددتموه على رسولي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الخالية رسلكم. ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ يقول: فكيف كان نكيري تكذيبهم إياهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ﴾ يقول: أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صافات أجنتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يقول: ويقبضن أجنتهن أحيانا. وإنما عني بذلك أنها تصف أجنتها أحيانا، وتقبض أحيانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ يقول: ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن. يقول: فلهن بذلك مذكر إن ذكروا، ومعتبر إن اعتبروا، يعلمون به أن ربهن واحد لا شريك له ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ يقول: إن الله بكل شيء ذو بصر وخبرة، لا يدخل تدبيره خلل، ولا يرى في خلقه تفاوت.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: للمشركين به من قريش: من هذا الذي هو جند لكم أيها الكافرون به، ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءاً، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الكافرون بالله إلا في غرور من ظنهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى، وأنها تنفع أو تضر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجَوُا فِي عُتُوٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم، ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم. وقوله: ﴿بَلْ لَجَوُا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ يقول: بل تمادوا في طغيان ونفور عن الحق واستكبار. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي﴾ أيها الناس ﴿مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ لا يبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله ﴿أَهْدَى﴾: أشد استقامة على الطريق، وأهدى له، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مشي بني آدم على قدميه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه؛ وقيل ﴿مُكِبًّا﴾ لأنه فعل غير واقع، وإذا لم يكن واقعاً أدخلوا فيه الألف، فقالوا: أكب فلان على وجهه، فهو مكب؛ وقال آخرون: بل عنى بذلك أن الكافر يحشره الله يوم القيامة على وجهه، فقال: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ يوم القيامة ﴿أَهْدَى أَمْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ يومئذ. كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾ "هو الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا، حشره الله يوم القيامة على وجهه، فقيل: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه"

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد للذين يكذبون بالبعث من المشركين. الله الذي أنشأكم فخلقكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ تسمعون به ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ تبصرون بها ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ تعقلون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: قليلاً ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي انعمها عليكم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَنُيَبِّهَنَّ مُحَمَّدًا ۖ قُلْ يَا مُحَمَّدُ، اللَّهُ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: الله الذي خلقكم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يقول: وإلى الله تحشرون، فتجمعون من قبوركم لموقف الحساب ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول جل ثناؤه. ويقول المشركون: متى يكون ما تعدنا من الحشر إلى الله إن كنتم صادقين في وعدكم إيانا ما تعدونا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ (٢٧) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المستعجلين بالعذاب وقيام الساعة: إنما علم الساعة، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره ﴿وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به ﴿مُبِينٌ﴾: قد أبان لكم إنذاره. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله زلفة، يقول: قريباً، وعانيوه، ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ساء الله بذلك وجوه الكافرين. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿زُلْفَةً﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين من قومك، ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ فأماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ فأخّر في آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ بالله ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾ موجه مؤلم، وذلك عذاب النار. يقول: ليس ينجي الكفار من عذاب الله موتنا وحياتنا، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة، ونزول العذاب، فإن ذلك غير نافعكم، بل ذلك بلاء عليكم عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ربنا ﴿الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ﴾ يقول: صدقنا به ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يقول: وعليه اعتمدنا في أمورنا، وبه وثقنا فيها ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: فستعلمون أيها المشركون بالله الذي هو في ذهاب عن الحق، والذي هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم إذا صرنا إليه، وحشرنا جميعاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم العادلون بالله ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يقول: غائراً لا تناله الدلاء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ يقول: فمن يجيئكم بماء معين، يعني بالمعين: الذي تراه العيون ظاهراً وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقيل غورا فوصف الماء بالمصدر، كما يقال: ليلة عم، يراد: ليلة عامة.

آخر تفسير سورة الملك

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة ن (القلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝۱ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝۲ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝۳﴾
 يختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ن﴾ فقال بعضهم: هو الحوت الذي عليه الأرضون. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحركت الأرض فمادت، فأثبت بالجبـال، فإن الجبال لتفخر على الأرض، قال: وقرأ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. وقال آخرون: ﴿ن﴾: الدواة، والقلم: القلم. كما جاء عن ابن عباس أيضا وقال آخرون: ﴿ن﴾: لوح من نور. كالذي جاء عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ "﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾" "لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة". وقال آخرون: ﴿ن﴾: قسم أقسم الله به. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: هي اسم من أسماء السورة. وقال آخرون: هي حرف من حروف المعجم؛ وقد ذكرنا القول فيما جانس ذلك من حروف الهجاء التي افتتحت بها أوائل السور، والقول في قوله نظير القول في ذلك. وأما القلم فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقالـم: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة. كالذي جاء عن عطاء، قال: سألت الوليد بن عباد بن الصامت كيف كانت وصية أبيك حين حشره الموت؟ فقال: دعاني فقال: أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده، والقدر خيره وشره، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ الْقَدَرَ، قَالَ فَجَرِيَ الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ". وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يقول: والذي يخطون ويكتبون. وإذا وُجِّه التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم. وقد يحتمل الكلام معنى آخر، وهو أن يكون معناه: وسطرهم ما يسطرون، فتكون "ما" بمعنى المصدر. وإذا وُجِّه التأويل إلى هذا الوجه، كان القسم بالكتاب، كأنه قيل: ن والقلم والكتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كم جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، مكذبا بذلك مشركي قريش الذين قالوا له: إنك مجنون. وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع، من قولهم: جبل متين، إذا كان ضعيفا، وقد ضعفت مئته، إذا ضعفت قوته. وكان مجاهد يقول في قوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ قال: محسوب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٦﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ٧ بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوُونَ ٨ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن جُبَيْر بن نُفَيْر قال: حجبت فدخلت على عائشة، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقى رسول الله ﷺ القرآن. وقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فسترى يا محمد، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنوناً ﴿بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: بأيكم الجنون، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر، لأن ذلك أظهر معاني الكلام، إذا لم ينو إسقاط الباء، وجعلنا لدخولها وجهاً مفهوماً. وقد بينا أنه غير جائز أن يكون في القرآن شيء لا معنى له. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن ضل عن سبيله، كضلال كفار قريش عن دين الله، وطريق الهدى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يقول: وهو أعلم بمن اهتدى، فاتبع الحق، وأقر به، كما اهتديت أنت فاتبعت الحق، وهذا من معاريض الكلام. وإنما معنى الكلام: إن ربك هو أعلم يا محمد بك، وأنت المهتدي وبقومك من كفار قريش وانهم الضالون عن سبيل الحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ١١﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿فَلَا تُطْعِ﴾ يا محمد ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله ورسوله ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تليين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادُّفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التليين في القول بتليين الدهن. وقوله: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ﴾ ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل، ﴿مَّهِينٍ﴾: وهو الضعيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. غير أن بعضهم وجّه معنى المهين إلى الكذاب، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿هَمَّازٍ﴾ يعني: مغتاب للناس يأكل لحومهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ يقول: مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض، ينقل حديث بعضهم إلى بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الكلبي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ ١٢﴾ عَتَلٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ١٣ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ١٤﴾ وقوله: ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾. يقول تعالى ذكره: بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق. وقوله: ﴿مُعْتَدٍ﴾ يقول: معتد على الناس ﴿أَثِيمٌ﴾: ذي إثم بربه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿عَتَلٌ﴾ يقول: وهو عتل، والعتل: الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوي فالعرب تسميه عَتَلًا

كالذي جاء عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله ﷺ: "تَبْكِي السَّمَاءُ مِنْ عَبْدٍ أَصَحَّ اللَّهُ جِسْمَهُ، وَأَرْحَبَ جَوْفَهُ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الدُّنْيَا مِقْصَمًا فَكَانَ لِلنَّاسِ، ظُلُومًا، فَذَلِكَ الْعُتْلُ الزَّيْنِمُ". وقوله: ﴿زَيْنِيمٌ﴾ والزَيْنِمُ في كلام العرب: المَلصَقُ بالقوم وليس منهم وقالوا ﴿الدَّعَى﴾ وقالوا ﴿علامة للكفر﴾ وقالوا ﴿الفاجر﴾ وقالوا ﴿المريب﴾ وقالوا ﴿الظلوم﴾ وقالوا ذو زَمَةِ كالشياه ومعنى الكلام: ولا تطع كلَّ حلاف مهين ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ كأنه نهاه أن يطيعه من أجل أنه ذو مال وبنين. وقوله: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: إذا تقرأ عليه آيات كتابنا، قال: هذا مما كتبه الأولون استهزاء به وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند الله. وقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي قول من قال: معنى ذلك: سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وقال قتادة: معنى ذلك: شين لا يفارقه آخر ما عليه، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف. ويعني بقوله: ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سنكويه. وقال بعضهم: معنى ذلك: سنسمه سِمة أهل النار: أي سنسوّد وجهه. وقال: إن الخرطوم وإن كان حصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤدّي عن بعض، والعرب تقول: والله لأسمنك وسما لا يفارقك، يريدون الأنف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۖ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أي بلونا مشركي قريش، يقول: امتحناهم فاختبرناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ يقول: كما امتحنا أصحاب البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يقول: إذ حلفوا ليصرمن ثمرها إذا أصبحوا. ﴿وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾: ولا يقولون إن شاء الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وذكر عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا﴾... الآية، قال: كانوا من أهل الكتاب، والصرم: القطع، وإنما عنى بقوله: ﴿لَيَصْرُنَّهَا﴾ لَيَجُذُنَّ ثمرتها؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۚ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلا ولا يكون نهارا، وقد يقولون: أطفت بها نهارا. وعن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن الطوفان ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: هو أمر من أمر الله. وقوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عني بالصريم فقال بعضهم كالليل كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: أخبرني نعيم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جبير يقول: هي أرض باليمن يقال لها صُرُوان من صنعاء على ستة أميال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۚ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ۚ فَانْظُرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۚ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۚ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة. يقول: نادى بعضهم بعضا مصبحين

يقول: بعد أن أصبحوا أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ وذلك الزرع إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ يقول: إِن كنتم حاصدي زرعكم فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ يقول: فمضوا إلى حرثهم وهم يتسارون بينهم أَن لا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ يقول: وهم يتسارون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم مسكين. كما جاء عن قتادة واختلف أهل التأويل في معنى الحرْد في هذا الموضع و المعروف من معنى الحرْد في كلام العرب القصد من قولهم: قد حرْد فلان حرْد فلان: إذا قصد قصده؛ والذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ وَغَدُوا على أمر قد قصده واعتمدوه، واستسروه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوا ما محترقا حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرْمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يعني: أعدلهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ يقول: هلا تستثنون إذ قلتم ﴿لَيْصِرْ مَتْنَهَا مُصْبِحِينَ﴾ فتقولوا إن شاء الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال أصحاب الجنة: ﴿سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في تركنا الاستثناء في قسمنا وعزمننا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا. وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: فأقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضا على تفریطهم فيما فرطوا فيه من الاستثناء، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنتهم. وقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ يقول: قال أصحاب الجنة: يا ويلنا إنا كنا مُبْعِدِينَ: مخالفين أمر الله في تركنا الاستثناء والتسييح.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل أصحاب الجنة: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ بتوبتنا من خطأ فعلنا الذي سبق منا خيرا من جنتنا ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ يقول: إنا إلى ربنا راغبون في أن يبدلنا من جنتنا إذ هلك خيرا منها. قوله تعالى ذكره ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ يقول جل ثناؤه: كفعلنا بجنة أصحاب الجنة، إذ أصبحت كالصريم بالذي أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة، فعلنا بمن خالف أمرنا وكفر برسلنا في عاجل الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يعني عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ ٣٦ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ٣٧ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٨ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ يعني: بساتين النعيم الدائم. وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذي اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كلا ما الله بفاعل ذلك. وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أتجعلون المطيع لله من عبده، والعاصي له منهم في كرامته سواء. يقول جل ثناؤه: لا تسووا بينهما فأنهما لا يستويان عند الله، بل المطيع له الكرامة الدائمة، والعاصي له الهوان الباقي.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ٣٩ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٤٠ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ٤١ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين في كرامة الله كتاب نزل من عند الله أتاكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرُونَ، فأنتم تدرسونه فيه ما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ يقول جل ثناؤه: إِنَّ لَكُمْ في ذلك الذي تَخَيَّرُونَ من الأمور لأنفسكم، وهذا أمر من الله، توبخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل، ويتمنون من الأمان الكاذبة. وقوله: أَمْ لَكُمْ فِيهِ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يقول: هل لكم أيمان علينا تنتهي بكم إلى يوم القيامة، بأن لكم ما تحكمون أي: بأن لكم حكمكم، ولكن الألف كسرت من "إِنَّ" لما دخل في الخبر اللام: أي هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ ٤٢ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤٣ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سل يا محمد هؤلاء المشركين أيهم بأن لهم علينا أيماننا بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة ﴿زَعِيمٌ﴾ يعني: كفيل به، والزعيم عند العرب: الضامن والمتكلم عن القوم. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التي يزعمون أنها لهم، فليأتوا بشركائهم في ذلك إِنْ كَانُوا فيما يدعون من الشركاء صادقين.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٤

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلُّهُ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ ٤٥ يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد. كما جاء عن إبراهيم وغيره وجاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "يَأْخُذُ اللَّهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعُهُ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عَزِيزٍ، فَتَبَعُهُ الْيَهُودُ، وَجَعَلَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى فَتَبَعَهُ النَّصَارَى، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ أَسْمَعَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، فَقَالَ: أَلَا لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِأَلِهَتِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا مِثْلُ لَهُ أَلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا

الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَيُّهَا النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ، ذَهَبَ النَّاسُ، الْحَقُّوْا بِالْهَيْكَلِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَهُوَ اللَّهُ بُنْيَتُهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ الثَّانِيَّةُ مِثْلَ ذَلِكَ: الْحَقُّوْا بِالْهَيْكَلِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقَالُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَهُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيَقَعُ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى فَقَاهُ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ أَصْلَابَهُمْ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ. وقوله: ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقول: ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك. وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلة من عذاب الله. ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ يقول: وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له، وهم سالمون، لا يمنعهم من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم حائل. وقد قيل: السجود في هذا الموضع: الصلاة المكتوبة. كما جاء عن إبراهيم التيمي وغيره وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي في الدنيا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي في الدنيا. كما جاء عن قتادة، قال: بلغني أنه يُؤَذَّن للمؤمنين يوم القيامة في السجود بين كل مؤمنين منافق، يسجد المؤمنون، ولا يستطيع المنافق أن يسجد؛ وأحسبه قال: تقسو ظهورهم، ويكون سجود المؤمنين توبيخا عليهم، قال: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَدَرَنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: كل يا محمد أمر هؤلاء المكذبين بالقرآن إلي، وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلا دعني وإياه، واخلني وإياه، بمعنى: انه من وراء مساءته. و"من" في قوله: ﴿وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ في موضع نصب، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو نظير قولهم: لو تركت ورأيك ما أفلحت. والعرب تنصب: ورأيك، لأن معنى الكلام: لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح. وقوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول جلَّ ثَنَاؤُهُ: سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتنعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون. وقوله: ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنسى في آجالهم ملاوة من الزمان، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمردهم على الله لتكامل حجج الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يقول: إن كيدي بأهل الكفر قوي شديد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أسأل يا محمد هؤلاء المشركين بالله على ما أتيتهم به من النصيحة، ودعوتهم إليه من الحق، ثوبا وجزاء ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ يعني: من غرم ذلك الأجر مثقلون، قد أثقلهم القيام بأدائهم، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك، وتجنبوا العظم ما أصابهم من ثقل الغرم الذي سألتهم على ذلك الدخول في الذي دعوتهم إليه من الدين. وقوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن، فهم يكتبون منه ما فيه، ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم برهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ٤٨﴾ لَوْلَا أَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فاصبر يا محمد لفضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين، وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك. وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ الذي حبسه في بطنه، وهو يونس بن مَتَّى ﷺ فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ يقول: إذ نادى وهو مغموم، قد أثقله الغم وكظمه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وكان قتادة يقول في قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: لا تكن مثله في العجلة والغضب. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَوْلَا أَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه، فرحمه بها، وتاب عليه من مغاضبته ربه ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ وهو الفضاء من الأرض ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ فقال بعضهم: معناه وهو مُلِيمٌ. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهو مذنب كما جاء عن بكر

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: فاجتبي صاحب الحوت ربُّه، يعني: اصطفاه واختاره لنبوته ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم، المنتهين عما نهاهم عنه. وقوله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يكاد الذين كفروا يا محمد يُنْزِلُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ من شدة عداوتهم لك ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظاً عليك. وقد قيل: إنه عَنِي بذلك: وإن كان الذين كفروا مما عانوك بأبصارهم ليرمون بك يا محمد، ويصرعونك، كما تقول العرب: كاد فلان يصرعني بشدة نظره إليّ، قالوا: وإنما كانت قريش عانوا رسول الله ﷺ ليصبيوه بالعين، فنظروا إليه ليعينوه، وقالوا: ما رأينا رجلاً مثله، أو إنه لمجنون، فقال الله لنبية عند ذلك: وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾. وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ يقول: لما سمعوا كتاب الله يتلى ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم إن محمداً لمجنون، وهذا الذي جاءنا به من الهذيان الذي يَهْدِي به في جنونه ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ وما محمد إلا ذكر ذكر الله به العالمين الثقلين الجن والإنس.

آخر تفسير سورة ن والقلم.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ يقول تعالى ذكره: الساعة ﴿الْحَاقَّةُ﴾ التي تحقّ فيها الأمور، ويجب فيها الجزاء على الأعمال ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ يقول: أي الساعة الحاقة. وذكر عن العرب أنها تقول: لما عرف الحاقة متى والحقة متى، وبالكسر بمعنى واحد في اللغات الثلاث، وتقول: وقد حقّ عليه الشيء إذا وجب، فهو يحقّ حقوقاً. والحاقة الأولى مرفوعة بالثانية، لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها، كأنه عجب منها، فقال: ﴿الحاقة﴾: ما هي، كما يقال: زيد ما زيد. والحاقة الثانية مرفوعة بما، وما بمعنى أي، وما رفع بالحاقة الثانية، ومثله في القرآن ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ و ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾، فما في موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى بجملة الكلام بعدها. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأي شيء أدراك وعرفك أي شيء الحاقة. كما جاء عن سفيان وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: كَذَّبَتْ ثُمُودُ قوم صالح، وعاد قوم هود بالساعة، التي تفرق قلوب العباد فيها بهجومها عليهم. والقارعة أيضاً: اسم من أسماء القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُنْقَلَبُونَ ۝٧﴾ فَمَلَأْنَا ثَمُودَ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨ يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ﴾ قوم صالح، فأهلكهم الله بالطاغية. واختلف - في معنى الطاغية التي أهلك الله بها ثمود - أهل التأويل وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتياعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت. وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصفوف، مع شدة بردها، ﴿عَاتِيَةٍ﴾ يقول: عتت على خزائنها في الهبوب، فتجاوزت في الشدة والعصفوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: "ما أرسل الله من ريح قطّ إلا بمكيال ولا أنزل قطرة قطّ إلا بمثال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا

طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ، وإن الرّيح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَاتِيَةٌ﴾. وقوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يقول تعالى ذكره: سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوماً؛ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿حُسُومًا﴾: متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وكان بعض أهل العربية يقول: الحسوم: التباع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه حسوم؛ قال: وإنما أخذوا والله أعلم من حسم الداء: إذا كوى صاحبه، لأنه لحم يكوى بالكمواة، ثم يتابع عليه. وقوله: ﴿فَفَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ يقول: فترى يا محمد قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام الحسوم صرعى، قد هلكوا، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَّخْلٌ خَاوِيَةٌ﴾ يقول: كأنهم أصول نخل قد خوت. كما عن قتادة وقوله: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فهل ترى يا محمد لعاد قوم هود من بقاء. وقيل: عني بذلك: فهل ترى منهم باقيا. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من البصريين يقول: معنى ذلك: فهل ترى لهم من بقية، ويقول: مجازها مجاز الطاغية مصدر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۚ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَةٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ مصر. واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ومكة خلا الكسائي ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ بفتح القاف وسكون الباء، بمعنى: وجاء من قبل فرعون من الأمم المكذبة بآيات الله، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بالخطيئة. وقرأ ذلك عامة قراء البصرة والكسائي ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى: وجاء مع فرعون من أهل بلده مصر من القبط. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ يقول: والقرى التي أنفكت بأهلها فصار عاليها سافلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ يعني بالخطيئة ﴿كما جاء عن مجاهد﴾. وكانت خطيئتهما: إتيانها الذكران في أدبارهم. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم. وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ يقول: فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة، يعني أخذة زائدة شديدة نامية، من قولهم: أربيت: إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا؛ يقال: أربيت قريبا رباك، والفضة والذهب قد ربوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا لما كثر الماء فتجاوز حده المعروف، كان له، وذلك زمن الطوفان. وقيل: إنه زاد فعلا فوق كل شيء بقدر خمس عشرة ذراعا. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يقول: حملناكم في السفينة التي تجري في الماء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد، في قوله: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ والجارية: سفينة نوح التي حملتم فيها؛ وقيل: حملناكم، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد

حملاً لذريتهم، على ما قد بينا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا. وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يقول: لنجعل السفينة الجارية التي حملناكم فيها لكم تذكرة، يعني عبرة وموعظة تتعظون بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَتَعْيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾ يعني: حافظة عقلت عن الله ما سمعت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وكان بريدة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: "يا علي، إن الله أمرني أن أذنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق على الله أن تعي"، قال: فنزلت ﴿وَتَعْيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ إسرافيل ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وهي النفخة الأولى، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: فزلزلنا زلزلة واحدة. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: صارت غباراً. وقيل: ﴿فَدُكَّتَا﴾ وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل: فدككن، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد وكما قيل: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾. ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يقول جل ثناؤه: فيومئذ وقعت الصيحة الساعة، وقامت القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۚ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وانصدعت السماء ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يقول: منشقة متصدعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء الضحاك بن مزاحم، قال: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صف، ثم نزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله الله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُنَادَى بِمُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾. كما جاء عن ابن عباس ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾، اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ فقال ابن عباس: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية أملاك، وقال، قال رسول الله ﷺ: "يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ"، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أقدامَهُمْ لَفِي الْأَرْضِ السَّابِغَةِ، وَإِنْ مَنَاجِبُهُمْ لَخَارِجَةٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ عَلَيْهَا الْعَرْشُ". قال ابن زيد: الأربعة، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: "لَمَّا خَلَقَهُمُ اللَّهُ قَالَ: تَدْرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ؟ قَالُوا: خَلَقْتَنَا رَبَّنَا لِمَا نَسَاءُ، قَالَ لَهُمْ: تَحْمِلُونَ عَرْشِي، ثُمَّ قَالَ: سَلُونِي مِنَ الْقُوَّةِ مَا شِئْتُمْ أَجْعَلَهَا فِيكُمْ،

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: قَدْ كَانَ عَرْشُ رَبِّنَا عَلَى الْمَاءِ، فَاجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْمَاءِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْمَاءِ؛ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ السَّمَوَاتِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ؛ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْأَرْضِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ؛ وَقَالَ آخَرُ: اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الرِّيحِ، قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الرِّيحِ؛ ثُمَّ قَالَ: احْمِلُوا، فَوَضَعُوا الْعَرْشَ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ، فَلَمْ يَزُولُوا؛ قَالَ: فَجَاءَ عِلْمٌ آخَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ عِلْمُهُمُ الَّذِي سَأَلُوهُ الْقُوَّةَ، فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ يَلْغُهُ عِلْمُهُمْ، فَحَمَلُوا. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ أيها الناس تعرضون على ربكم، وقيل: تعرضون ثلاث عرضات. كالذي جاء عن أبي موسى الأشعري، قال: "تعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً ومعاذير. وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ يمينه، وأخذ بشماله". وقوله: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ يقول جل ثناؤه: لا تخفى على الله منكم خافية، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ (١٩) إِلَى ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول تعالى ﴿أَفْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ يقول: إني علمت أني ملاق حسابيه إذا وردت يوم القيامة على ربي. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي وصفت أمره، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه، في عيشة مرضية، أو عيشة فيها الرضا، فوصفت العيشة بالرضا وهي مرضية، لأن ذلك مدح للعيشة، والعرب تفعل ذلك في المدح والذم فتقول: هذا ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق، فيوجهون الفعل إليه، وهو في الأصل مقول لما يراد من المدح أو الذم، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب مضروب، ولا للمضروب ضارب، لأنه لا مدح فيه ولا ذم. وقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يقول: في بستان عال رفيع، و"في" من قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ من صلة عيشة. وقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ يقول: ما يقطف من الجنة من ثمارها دانٍ قريب من قاطفه. وذكر أن الذي يريد ثمرها يتناوله كيف شاء قائماً وقاعداً، لا يمنعه منه بُعد، ولا يحول بينه وبينه شوك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ يقول لهم ربهم جل ثناؤه: كلوا معشر من رضيت عنه، فأدخلته جنتي من ثمارها، وطيب ما فيها من الأطعمة، واشربوا من أشربتها، هنيئاً لكم لا تتأذون بما تأكلون، ولا بما تشربون، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول، ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ يقول: كلوا واشربوا هنيئاً: جزاء من الله لكم، وثواباً بما أسلفتم، أو على ما أسلفتم: أي على ما قدتم في دنياكم لا آخرتكم من العمل بطاعة الله، ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ يقول: في أيام الدنيا التي خلت فمضت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهُ ۖ وَلَمْ أَدْرَ مَا حِسَابِيَهُ ۚ﴾ ^(٢٦) **يا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ** ^(٢٧) يقول تعالى ذكره: وأما من أعطى يومئذ كتاب أعماله بشماله، فيقول: يا ليتني لم أعط كتابي، ^(٢٨) ﴿وَلَمْ أَدْرَ مَا حِسَابِيَهُ﴾ يقول: ولم أدري شيء حسابيه. وقوله: ^(٢٩) ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ﴾ يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث؛ والقضاء: وهو الفراغ. وقيل: إنه تمنى الموت الذي يقضي عليه، فتخرج منه نفسه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ ۖ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۚ﴾ ^(٣٠) ثم في سلسلة ذُرْعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ^(٣١) **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** ^(٣٢) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذي أوتي كتابه بشماله: ^(٣٣) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ يعني أنه لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئا، ^(٣٤) ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ﴾ يقول: ذهبت عني حجبتي، وضلت، فلا حجة لي أحتج بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال ابن زيد، في قوله: ^(٣٥) ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ﴾ قال: سلطان الدنيا. وقوله: ^(٣٦) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ يقول تعالى ذكره لملائكته من خزان جهنم: ^(٣٧) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ يقول: ثم في نار جهنم أوردوه ليصلى فيها، ^(٣٨) ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ يقول: ثم اسلكوه في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا، بذراع الله أعلم بقدر طولها وقيل: إنها تدخل في دبره، ثم تخرج من منخرية. وقال بعضهم: تدخل في فيه، وتخرج من دبره. كما جاء عن نوف البكالي وغيره وكالذي جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال، قال رسول الله ﷺ: "لَوْ أَنَّ رُصَابَةَ مِثْلَ هَذِهِ، وَأُشَارَ إِلَى جَمْعِمَةٍ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَصْلَهَا". وقوله: ^(٣٩) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا، إنه كان لا يصدق بوحدانية الله العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾ ^(٤٠) **القول في تأويل قوله تعالى:** ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا ۚ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۚ﴾ ^(٤١) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقي الذي أوتي كتابه بشماله: إنه كان في الدنيا لا يحض الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة. وقوله: ^(٤٢) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: ^(٤٣) ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ﴾ وذلك يوم القيامة، ^(٤٤) ﴿هَاهُنَا﴾ يعني في الدار الآخرة، ^(٤٥) ﴿حَمِيمٌ﴾، يعني قريب يدفع عنه، ويغيثه مما هو فيه من البلاء. وقوله: ^(٤٦) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا له طعام كما كان لا يحض في الدنيا على طعام المسكين، إلا طعام من غسلين، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار. كما جاء عن ابن زيد وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ^(٤٧) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: صديد أهل النار. قال ابن زيد، في قوله: ^(٤٨) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ قال: الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو. وقوله: ^(٤٩) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يقول: لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون، وهم المذنبون الذين ذنبهم كفر بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ۚ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۚ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ ۚ﴾ ^(٥٠) يقول تعالى ذكره:

فلا ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسله، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها، والتي لا تبصرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لقول رسول كريم، وهو محمد ﷺ يتلوه عليهم. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما هذا القرآن بقول شاعر؛ لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر، فتقولوا هو شعر، ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ يقول: تصدقون قليلاً به أنتم، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ يقول: ولا هو بقول كاهن، لأن محمداً ليس بكاهن، فتقولوا: هو من سجع الكهان، ﴿قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ يقول: تتعظون به أنتم، قليلاً ما تعتبرون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٣ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ١٤ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ١٦ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَكِنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزل عليه، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ محمد، ﴿بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ الباطلة، وتكذب علينا، ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ يقول: لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة، ثم لقطعنا منه نياط القلب، وإنما يعني بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة، ولا يؤخره بها. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾: لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه؛ قالوا: وإنما ذلك مثل، ومعناه: إنا كنا ندله ونهينه، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين، قالوا: وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه، خذ بيده فأقمه، وافعل به كذا وكذا، قالوا: وكذلك معنى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي لأهناه كالذي يفعل بالذي وصفنا حاله. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿الْوَتِينَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ١٧ ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٨ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ ١٩ ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْبَقِيَّةِ﴾ ٢١ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٢٢ يقول تعالى ذكره: فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد لو تقول علينا بعض الأقاويل، فأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، حاجزين يحجزوننا عن عقوبته، وما نفعله به. وقيل: حاجزين، فجمع، وهو فعل لأحد، وأحد في لفظ واحد رداً على معناه، لأن معناه الجمع، والعرب تجعل أحداً للواحد والاثنتين والجمع، كما قيل ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ وبين: لا تقع إلا على اثنين فصاعداً. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لتذكرة، يعني عظة يتذكر به، ويتعظ به للمتقين، وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا لنعلم أن منكم مكذبين أيها الناس بهذا القرآن، ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: وأن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

تفسير سورة سأل سائل (المعارج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝﴾ قال أبو جعفر: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله، بمن هو واقع كما جاء عن مجاهد، في قول الله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال: دعا داع، ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. وقوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم، ومعنى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ على الكافرين، كالذي حدث عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: واقع على الكافرين، واللام في قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ من صلة الواقع. وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم. وقوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: تصعد الملائكة والروح، وهو جبريل عليه السلام إليه، يعني إلى الله جل وعزّ، والهاء في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ عائدة على اسم الله، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يقول: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره، من فوق السموات السبع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن مجاهد ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة؛ ويوم كان مقداره ألف سنة، يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض، مسيرة خمس مئة عام. وقال آخرون: بل معنى ذلك: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه، كان قدر ذلك اليوم الذي فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة. كما جاء عن عكرمة أن ذاك يوم القيامة وجاء عن سعيد، أنه قال لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا؟ فقال النبي ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَحَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيُهَا فِي الدُّنْيَا". وقد روي عن ابن عباس في ذلك غير القول الذي ذكرنا عنه، وذلك ماجاء عن ابن أبي مليكة، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن

يقول في كتاب الله ما لا يعلم. وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ يعني: صبرا لا جزع فيه. يقول له: اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك، ولا يثنيك ما تلقى منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۖ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۖ يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين يرون العذاب الذي سألوأ عنه، الواقع عليهم، بعيدا وقوعه، وإنما أخبر جل ثناؤه أنهم يرون ذلك بعيدا، لأنهم كانوا لا يصدقون به، وينكرون البعث بعد الممات، والثواب والعقاب، فقال: إنهم يرونه غير واقع، ونحن نراه قريبا، لأنه كائن، وكل ما هو آت قريب. والهاء والميم من قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ من ذكر الكافرين، والهاء من قوله: ﴿يَرَوْنَهُ﴾ من ذكر العذاب. وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم تكون السماء كالشيء المذاب، وقد بينت معنى المهمل فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين فيه، وذكرنا ما قال فيه السلف، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ يقول: وتكون الجبال كالصوف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالهاء والميم في قوله: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميما عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفر بعضهم من بعض، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم بينه وصاحبته، وهي زوجته، وأخيه وفصيلته، وهم عشيرته التي تؤويه، يعني التي تضمه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته، لقربة ما بينها وبينه، وبمن في الأرض جميعا من الخلق، ثم ينجيهم ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم، وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلاما منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيل بأحب الناس إليه، كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسبا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى ۖ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ۖ تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: كلا ليس ذلك كذلك، ليس ينجيهم من عذاب الله شيء. ثم ابتداء الخبر عما أعده له هنالك جل ثناؤه، فقال: ﴿إِنَّهَا لَأَطَى ۖ وَلَطَى ۖ﴾ اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم يجر. وقوله: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن لطى: إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن، والشوى: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلا يقال: رمى فأشوى إذا لم يصب مقتلا فرما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿نَزَاعَةٌ﴾

قال: تقطع عظامهم كما ترى، ثم يجدد خلقهم، وتبدل جلودهم. وقوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ يقول: تدعو لظي إلى نفسها من أدبر في الدنيا عن طاعة الله، وتولى عن الإيمان بكتابه ورسله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ يقول: وجمع ما لا فجعله في وعاء، ومنع حق الله منه، فلم يترك ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ والهلوع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ يقول: إذا قل مال ونااله الفقر والعدم فهو جزوع من ذلك، لا صبر له عليه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ يقول: وإذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا ينفقه في طاعة الله، ولا يؤدي حق الله منه. وقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ يقول: إلا الذين يطيعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة، وهم على أداء ذلك مقيمون لا يضيعون منها شيئاً، فإن أولئك غير داخلين في عداد من خلق هلوعا، وهو مع ذلك كافر لا يصلي لله. وقيل: عني بقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ؛ وقيل: عني به كل من صلى الخمس. كالذي جاء عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا...﴾ إلى قوله: ﴿دَائِمُونَ﴾ ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد ﷺ قال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: وإلا الذين في أموالهم حق مؤقت، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله، والمحروم الذي قد حرم الغنى، فهو فقير لا يسأل. واختلف أهل التأويل في المعنى بالحق المعلوم الذي ذكره الله في هذا الموضع فجاء عن قتادة، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ قال: الحق المعلوم: الزكاة. وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ يقول: هو سوى الصدقة يصل بها رحمه، أو يقري بها ضيفا، أو يحمل بها كلا أو يعين بها محروما. واختلفوا أيضا في معنى المحروم في هذا الموضع، نحو اختلافهم فيه في الذاريات، وقد ذكرنا ما قالوا فيه هنالك، ودلنا على الصحيح منه عندنا، غير أن نذكر بعض ما لم نذكر من الأخبار هنالك. فقال ابن عباس قال: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: المحارف الذي ليس له في الإسلام نصيب. وعن حصين، قال: سألت عكرمة عن السائل والمحروم، قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمي له مال. وجاء عن أبي قلابة، قال: جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا المحروم. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ﴾ يقول: وإلا الذين يقرون بالبعث يوم البعث والمجازاة. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ يقول: والذين هم في الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضا، ولا

يتعدون له حداً. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أن ينال من عصاه وخالف أمره.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩) **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** (٣٠) **فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** (٣١) **يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ يعني: أقبالهم حافظون عن كل ما حرم الله عليهم وضعها فيه، **﴿إِلَّا﴾** أنهم غير ملومين في ترك حفظها، **﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾** من إمائهم. وقيل: **﴿لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾** **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ** ولم يتقدم ذلك جحد لدلالة قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾**، على أن في الكلام معنى جحد، وذلك كقول القائل: اعمل ما بدا لك إلا على ارتكاب المعصية، فإنك معاقب عليه، ومعناه: اعمل ما بدا لك إلا أنك معاقب على ارتكاب المعصية. قوله: **﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾** فمن التمس لفرجه منكما سوى زوجته، أو ملك يمينه، ففاعلو ذلك هم العادون، الذي عدوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم فهم الملمون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٣٢) **وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ** (٣٣) **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** (٣٤) **أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ** (٣٥) **يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ:** **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾** وأمانات عباد الله التي اتّمنهم عليها من فرائضه، وأمانات عباد الله التي اتّمنوا عليها، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم، وعهود عباد الله التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون، يرقبون ذلك، ويحفظونه فلا يضيعونه، ولكنهم يؤدونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾** يقول: والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدلة، **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** يقول: والذين هم على مواقيت صلاتهم التي فرضها الله عليهم وحدودها التي أوجبها عليهم يحافظون، ولا يضيعون لها ميقاتاً ولا حداً. وقوله: **﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾** يقول عزَّجَلَّ: هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال في بساتين مكرمون، يكرمهم الله بكرامته.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** (٣٧) **أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ** (٣٨) **كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ** (٣٩) **يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ:** فما شأن الذين كفروا بالله قبلك يا محمد مهطعين؛ وقد بينا معنى الإهطاع، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك. فقال قتادة في قوله: **﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾** يقول: عامدين. وقال ابن زيد في قوله: **﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾** قال: المهطع: الذي لا يطرف. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معناه: مسرعين. ورؤي فيه عن الحسن في قوله: **﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ﴾** قال: منطلقين.، وقوله: **﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾** يقول: عن يمينك يا محمد، وعن شمالك متفرقين حلقة ومجالس، جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: **﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾** يقول: أي بساتين نعيم نعيم فيها. وقوله: **﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾** يقول عزَّجَلَّ: ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار من أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم. وقوله: **﴿إِنَّا**

خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ يقول جلّ وعزّ: أنا خلقناهم من منّي قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجه منهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرّة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿١١﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فلا أقسم برّب مشارق الأرض ومغاربها، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ يقول: إنا لقادرون على أن نهلكهم، ونأتي بخير منهم من الخلق يطيعونني ولا يعصونني، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه، فيعجزنا هربا. وبتحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس: إن الشمس تطلع كلّ سنة في ثلاث مئة وستين كوة، تطلع كلّ يوم في كوة، لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة، تقول: ربّ لا تطلعي على عبادك، فإني أراهم يعصونك، يعملون بمعاصيك أراهم، قال أولم تسمعوا إلى قول أمية بن أبي الصلت: حتى تُجَرَّ وتُجَلَّدَ قلت: يا مولاه وتجلد الشمس؟ فقال: عضضت بهن أبيك، إنما اضطره الرّوي إلى الجلد. وقوله: ﴿فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: فذر هؤلاء المشركين المهطئين عن اليمين وعن الشمال عزين، يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في هذه الدنيا، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يقول: حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذي يوعدونه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١٤﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذي في قوله: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، وتأويل الكلام: حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث وهي القبور: واحدا جدث ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾. وقد بينا الجدث في ما مضى قبل بشواهد، وما قال أهل العلم فيه. وقوله: ﴿إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ يقول: كأنهم إلى علم قد نصب لهم يستقون. وأما قوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ فإن الإيفاض: هو الإسراع؛ كما جاء عن أبي العالية وفي قوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ قال: يُسرعون إليه كما يُسرعون إلى نصب يوفضون؛ قال ابن زيد: والأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها، كان أحدهم يحملها معه، فإذا رأى أحسن منه أخذها، وألقى هذا، فقال له: ﴿كُلْ عَلَى مَوْلَاهُ أَيَنَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان، ﴿تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلة، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يقول عزّ وجلّ: هذا اليوم الذي وصفت صفته، وهو يوم القيامة، الذي كان مشركو قريش يوعدون في الدنيا أنهم لا قوه في الآخرة، كانوا يكذبون به. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة سأل سائل.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤ إِذَا جَاءَ لَا يُوَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ وهو نوح بن لمك ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم؛ وذلك العذاب الأليم هو الطوفان الذي غرقهم الله به. وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه: يا قوم إني لكم نذير مبين، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: قد أبنت لكم إنذاري إياكم. وقوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل نوح لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بأن اعبدوا الله، يقول: إني لكم نذير أنذركم، وأمركم بعبادة الله ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ يقول: واتقوا عقابه بالإيمان به، والعمل بطاعته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ يقول: وانتهاوا إلى ما أمركم به، وابقبلوا نصيحتي لكم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ يقول: يغفر لكم ذنوبكم. وقوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب، لا بغرق ولا غيره ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: إلى حين كتب أنه يقيكم إليه، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه، في أم الكتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُوَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن أجل الله الذي قد كتبه على خلقه في أم الكتاب إذا جاء عنده لا يؤخر عن ميقاته، فينظر بعده ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو علمتم أن ذلك كذلك، لأنتم إلى طاعة ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٦ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ٧ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ٨ وَاسْتَكْبَرُوا ٩﴾ يقول تعالى ذكره: قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه، وأنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه، وردوا عليه ما أتاهم به من عنده ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ إلى توحيدك وعبادتك، وحذرهم بأسك وسطوتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ يقول: فلم يزد دعائي إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحق الذي أرسلتني به لهم ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ يقول: إلا إدارا عنه وهربا منه وإعراضا عنه. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يقول جل وعز: وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كل ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي إياهم إلى ذلك ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَصْرُوا﴾ يقول: وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ يقول: وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحق، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ يقول: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى ما أمرتني أن أدعوهم إليه ﴿جَهَارًا﴾ ظاهرا في غير خفاء. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ يقول: صرخت لهم، وصححت بالذي أمرتني به من الإنذار. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ يقول: وأسريت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ يقول: فقلت لهم: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحدوه، وأخلصوا له العبادة، يغفر لكم، إنه كان غفارا لذنوب من أناب إليه، وتاب إليه من ذنوبه. وقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ يقول: يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدتموه وأخلصتم له العبادة الغيث، فيرسل به السماء عليكم مدرارا متتابعا. وعن الشعبي، قال: خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاذيع السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُمِدْدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ وقوله: ﴿وَيُمِدْدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يقول: ويعطكم مع ذلك ربكم أموالا وبنيين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ يقول: يرزقكم بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ تسقون منها جناتكم ومزارعكم؛ وقال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا فيما ذكر قوم يحبون الأموال والأولاد. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ما لكم لا تخافون الله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يقول: وقد خلقكم حالا بعد حال، طورا نُطْفَةً، وطورا علقة، وطورا مضغة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أُنْتَبِذَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه، لقومه المشركين برهم، محتجا عليهم بحجج الله في وحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها القوم فتعبروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

طَبَاقًا ﴿١٧﴾ بعضها فوق بعض، والطباق: مصدر من قولهم: طبقت مطابقة وطباقا. وإنما عني بذلك: كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة. وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نورا ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ﴾ فيهن ﴿سِرَاجًا﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عبد الله بن عمرو وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٨﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٩﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٠﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢١﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه، مذكّرهم بنعم ربه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تستقرون عليها وتمتهدونها. وقوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ يقول: لتسلكوا منها طرقا صعبا متفرقة؛ والفجاج: جمع فجّ، وهو الطريق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فخالفوا أمري، وردّوا عليّ ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول: واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده، فلم تزد كثره ماله وولده إلا خسارا، بعدا من الله، وذهابا عن محبّة الطريق. وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ يقول: ومكروا مكرا عظيما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن إخبار نوح، عن قومه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ كان هؤلاء نفرا من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا يعبدونها. وكان من خبرهم فيما بلغنا ما عن محمد بن قيس ويعوق ونسرا قال: كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُستقون المطر فعبدوهم. وكالذي جاء عن عكرمة، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام. وقال آخرون: هذه أسماء أصنام قوم نوح. كالذي جاء عن قتادة، قوله: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا قال: كان ود لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت سواع لهذيل برباط، وكان يغوث لبني عطف من مراد بالجرف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخ، وكان نسر لذي كلاع من حمير؛ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدوها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك. والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجرا. وقوله: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح: وقد ضلّ عبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس فنسب الضلال إذ ضلّ بها عابدها إلى أنها المضلة. وقوله: وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بآياتنا إلا ضلالا إلا طبعاً على قلبه، حتى لا يهتدي للحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٤﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مِمَّا

خَطِيئَاتِهِمْ ﴿أَغْرُقُوا﴾ والعرب تجعل "ما" صلة فيما نوى به مذهب الجزاء، كما يقال: أينما تكن أكن، وحيثما تجلس أجلس، ومعنى الكلام: من خطيئاتهم أغرقوا. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ قال: فبخطيئاتهم ﴿أَغْرُقُوا﴾ فأدخلوا ناراً، وكانت الباء ههنا فصلاً في كلام العرب. وقوله: ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ جهنم ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ تقتص لهم ممن فعل ذلك بهم، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم. وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ويعني بالديار: من يدور في الأرض، فيذهب ويحيي فيها وهو فيعال من الدوران ديواراً، اجتمعت الياء والواو، فسبقت الياء الواو وهي ساكنة، وأدغمت الواو فيها، وصيرت ياءً مشددة، كما قيل: الحَيَّ القيام من قمت، وإنما هو قيوام، والعرب تقول: ما بها ديار ولا عريب، ولا دوي ولا صافر، ولا نافخ ضرمه، يعني بذلك كله: ما بها أحد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح في دعائه إياه على قومه: إِنَّكَ يَا رَبِّ إِنْ تَذَرِ الْكَافِرِينَ أَحْيَاءَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ تَهْلِكْهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ الذين قد آمنوا بك، فيصدوهم عن سبيلك، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا﴾ في دينك ﴿كَفَّارًا﴾ لنعمتك. وذكر أن قيل نوح هذا القول ودعاه هذا الدعاء، كان بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾. كالذي جاء عن قتادة، في قوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ثم دعاه دعوة عامة فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾... إلى قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾. عن معمر، قال: تلا قتادة ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ثم ذكره نحوه. وقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ يقول: رَبِّ اعف عني، واستر عليّ ذنوبي وعلى والدي ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ يقول: ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصلياً مؤمناً، يقول: مصداً بواجب فرضك عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول: وللمصدقين بتوحيدك والمصدقات. وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ يقول: ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خساراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقد بينت معنى قول القائل: تبرت، فيما مضى بشواهد، وذكرت أقوال أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. و عن مجاهد، قال: كانوا يضربون نوحاً حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

آخر تفسير سورة نوح ﷺ.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد أوحى الله إليّ ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ هذا القرآن ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما سمعوه: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يقول: يدل على الحق وسبيل الصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ يقول: فصدقناه ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ من خلقه. وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجن القرآن، كما جاء عن ابن عباس، قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم؛ انطلق رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، قال: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث. قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؛ قال: فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ قال: فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. وقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجد في كلام العرب معنيين أحدهما الجد الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ومن وصف الله بأن له ولدًا أو جدًا أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين. والمعنى الآخر: الجد الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يُقال له بالفارسية: البخت، وهذا المعنى قصده هؤلاء النفر من الجن بقليلهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إن شاء الله. وإنما عتوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن

الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا مُلك ربنا وسُلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفاً ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد. وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ يقال منه: رجل جدِّي وجديد ومجدود: أي ذو حظ فيما هو فيه، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ يعني زوجة ﴿وَلَدًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ يقول عز وجل مخبراً عن قيل النفر من الجن الذين استمعوا القرآن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقُولُ سَفِيهًا﴾ وهو إبليس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وأما الشطط من القول، فإنه ما كان تعدياً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: قالوا: وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجن على الله كذبا من القول، والظن هاهنا بمعنى الشك، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن تكون علمت أن أحداً يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعه وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن الله صاحبة وولداً، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذباً في كل ذلك، فلذلك قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ فسموه سفيهاً. وقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء النفر: وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم. وكان ذلك من فعلهم فيما ذكر لنا، كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزير هذا الوادي، فزادهم ذلك إثماً. حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال: كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزير هذا الوادي من شر سفهاء قومه. وقوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فراد الإنس الجن بفعلهم ذلك إثماً، وذلك زادوهم به استحلالاً لمحارم الله. والرهق في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرًّا شَدِيدًا وَشُهْبًا ﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره. مخبراً عن قيل هؤلاء النفر من الجن ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ يعني أن الرجال من الجن ظنوا كما ظن الرجال من

الإنس أن لن يبعث الله أحدا رسولا إلى خلقه، يدعوهم إلى توحيده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الكلبي وقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ يقول عَزَّجَلَّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر: وأنا طلبنا السماء وأردناها، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ﴾ يقول: فوجدناها ملئت ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ يعني حفظة ﴿وَشُهْبًا﴾ وهي جمع شهاب، وهي النجوم التي كانت تُرجم بها الشياطين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن سعيد بن جبير، قال: كانت الجن تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض؛ قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبي ﷺ خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم مُنذرين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ۚ﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ يقول عَزَّجَلَّ: وَأَنَا كُنَّا معشر الجن نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث، وما يكون فيها، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ فيها منا ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يعني: شهاب نار قد رصد له به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وذكر لنا أن أشراف الجن كانوا بنصبيين، فطلبوا ذلك، وضربوا له حتى سقطوا على نبي الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه عامداً إلى عكاظ. كالذي جاء ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾... حتى بلغ ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس، فقالوا: منع منا السمع، فقال لهم: إن السماء لم تُحرس قط إلا على أحد أمرين: إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغته، وإما نبي مرشد مصلح؛ قال: فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾. وقوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ يقول عَزَّجَلَّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجن: وَأَنَا لَا نَدْرِي أَعَذَابَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْزِلَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجمه من استمع منا فيها بالشهب ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ يقول: أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمُ الْهُدَى بَأَنْ يَبْعَثَ مِنْهُمْ رَسُولًا مَرشِدًا يَرشدهم إِلَى الْحَقِّ وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ قَبْلَ. وَذَكَرَ عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أَنْ يَطِيعُوا هَذَا الرَّسُولَ فَيَرشدهم أَوْ يَعصوه فِيهِلْكُهُمْ. وَإِنَّمَا قُلْنَا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ عَقِيبُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾... الْآيَةُ، فَكَانَ ذَلِكَ بَأَنْ يَكُونَ مِنْ تَمَامِ قِصَّةِ مَا وَلِيَهُ وَقَرَّبَ مِنْهُ أَوْلَى بَأَنْ يَكُونَ مِنْ تَمَامِ خَبَرِ مَا بَعْدَ عَنْهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۚ﴾ وَأَنَّا ظَنَّنا أَنَّا لَنُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُغْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قائلهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ وهم المسلمون العاملون بطاعة الله ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: ومنا دون الصالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ يقول: وَأَنَا كُنَّا أَهْوَاءَ مُخْتَلَفَةٍ، وَفِرْقَا شَتَى، مِنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. وَالطَّرَائِقُ: جَمْعُ طَرِيقَةٍ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الرَّجُلِ وَمَذْهَبُهُ.

والقدد: جمع قدة، وهي الضروب والأجناس المختلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: وأنا علمنا أن لن نُعْجِزَ الله في الأرض إن أراد بنا سوءاً ﴿وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أن طلبنا فنفته. وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ يقول: قالوا: وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي إلى الطريق المستقيم آمنا به، يقول: صدقنا به، وأقرنا أنه حق من عند الله ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقول: فمن يصدق بربه فلا يخاف بخساً: يقول: لا يخاف أن ينقص من حسناته، فلا يجازى عليها؛ ولا رهقاً: ولا إثماً يحمل عليه من سيئات غيره، أو سيئة يعملها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل النفر من الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ الذين قد خضعوا لله بالطاعة ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم الجاثرون عن الإسلام وقصد السبيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك تعمدوا وترجّوا رشداً في دينهم. ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يقول: الجاثرون عن الإسلام، ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ توقد بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غداً ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنختبرهم فيه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يقول عز وجل: ومن يعرض عن ذكر ربه الذي ذكره به، وهو هذا القرآن؛ ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذاباً صعداً: يقول: يسلكه الله عذاباً شديداً شاقاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ أيها الناس ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ولا تشركوا به فيها شيئاً، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: وأنه لما قام محمد رسول الله ﷺ يدعو الله يقول: "لا إله إلا الله" ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يقول: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض، واحدها لبدة، وفيها لغتان: كسر اللام لبدة، ومن

كسرها جمعها ليد؛ وضم اللام لبدة، ومن ضمها جمعها لبُد بضم اللام، أو لا بد؛ ومن جمع لا بد قال: لبداً، مثل راعٍ وركعاً، والعرب تدعو الجراد الكثير الذي قد ركب بعضه بعضاً لبدةً واختلف أهل التأويل في الذين عنو في بقوله: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعو كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عقيب قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وذلك من خبر الله فذلك قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة. كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ٢١ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢٢ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٣

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين على وجه الخبر قال: بالألف؛ ومن قرأ ذلك كذلك، جعله خبراً من الله عن نبيه محمد ﷺ أنه قال: فيكون معنى الكلام: وأنه لما قام عبد الله يدعو تلبدوا عليه، قال لهم: إنما أدعو ربي، ولا أشرك به أحداً. وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قراء الكوفة على وجه الأمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ: قل يا محمد للناس الذين كادوا يكونوا عليك لبداً، إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً. والصواب من القول في ذلك أنهم أقرأتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي العرب الذين ردوا عليك ما جئتهم به من النصيحة: إني لا أملك لكم ضراً ولا دينكم ولا في دنياكم، ولا رشداً أرشدكم، لأن الذي يملك ذلك، الله الذي له ملك كل شيء. وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ من خلقه إن أرادني أمراً، ولا ينصرنى منه ناصر. وذكر أن هذه الآية أنزلت على النبي ﷺ؛ لأن بعض الجن قال: أنا أجيره. كالذي جاء المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرفهم إذا تبع، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾. وقوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ يقول: ولن أجد من دون الله ملجئاً إلجأ إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ٢٤ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ٢٥

ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لمشركي العرب: إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ يقول: إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني بتليغكم إياه، وإلا رسالاته التي أرسلني بها إليكم؛ فأما الرشد والخذلان، فبيد الله، هو مالكة دون سائر خلقه يهدي من يشاء ويخذل من أراد. وينحو

الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقد يحتمل ذلك معنى آخر، وهو أن تكون "إلا" حرفين، وتكون "لا" منقطعة من "إن" فيكون معنى الكلام: قل إني لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته؛ ويكون نصب البلاغ من إضمار فعل من الجزاء كقول القائل: إن لا قياما فقعودا، وإن لا إعطاء فردا جميلا بمعنى: إن لا تفعل الإعطاء فردا جميلا. وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، ويكذب به ورسوله، فجحد رسالاته، فإن له نار جهنم يصلها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ما كثرين فيها أبدا إلى غير نهاية. وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أجند الله الذي أشركوا به، أم هؤلاء المشركون به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۚ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۚ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: ما أدري أقرب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ يعني: غاية معلومة تطول مدتها. وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ يعني بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ يقول: فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه. كالذي جاء عن الضحاک ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك. وقوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عُني بقوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه. وقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ يقول: وعلم بكل ما عندهم ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يقول: علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء. وقد جاء عن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾... إلى قوله: ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ قال: ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم، فبلغوا رسالاتهم.

آخر تفسير سورة الجن.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۚ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۚ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝١﴾ يعني بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ هو الملتف بشيابه. وإنما عني بذلك نبي الله ﷺ. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه الآية من التزمّل قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة هو الذي تزمّل بشيابه؛ لأنه قد عقبه بقوله: ﴿قُمْ اللَّيْلَ﴾ فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنيه. وقوله: ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُمْ اللَّيْلَ﴾ يا محمد كله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منه ﴿نِصْفَهُ﴾ يقول: قم نصف الليل ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يقول: أو زد عليه؛ خير الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم. كالذي جاء عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلي عليه من الليل، فتسامع به الناس، فاجتمعوا، فخرج كالمغضب، وكان بهم رحيمًا، فخشني أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: "يا أَيُّهَا النَّاسُ اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا دُمْتُمْ عَلَيْهِ" ونزل القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل. وقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ يقول جلّ وعزّ: وبين القرآن إذا قرأته تبينًا، وترسل فيه ترسلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۖ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۖ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٢﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ كما جاء عن قتادة وغيره وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه. وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ يعني جلّ وعزّ بقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: إن ساعات الليل، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل. وقد اختلف أهل التأويل في ذلك. فجاء عن مجاهد، قال: الليل كله إذا قام يصلي فهو ناشئة. وقال آخرون: بل ذلك ما كان بعد العشاء، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة. كما جاء عن أبي مجلز ويعني بقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار وأثبت في

القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار. وحُكي عن العرب وَطِئْنَا الليل وطأ: إذا ساروا فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال من أهل التأويل كما جاء عن قتادة وغيره وجاء عن مجاهد ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ قال: أن تَوَاطَى قلبك وسمعتك وبصرك. وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ يقول: وأصوب قراءة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أنس وغيره قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: إن لك يا محمد في النهار فراغا طويلا تتسع به، وتتقلب فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وإنما عني بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: إن لك في النهار سعة لقضاء حوائجك وقومك. والسبح والسبخ قريبا المعنى في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ يقول تعالى ذكره: ﴿وَاذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ فادعه به: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ يقول: وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره، وهو من قولهم: تَبَتَّلْتُ هذا الأمر؛ ومنه قيل لأم عيسى ابن مريم البتول، لانقطاعها إلى الله، ويقال للعباد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتل؛ ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ "أنه نهى عن التبتل". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قال: أخلص له إخلاصا. وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا ينبغي أن يُعبد إله سوى الله الذي هو ربّ المشرق والمغرب. وقوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ فيما يأمرُك وفوض إليه أسبابك. وقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم، واهجرهم في الله هجرا جميلا. والهجر الجميل: هو الهجر في ذات الله، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾... الآية، وقيل: إن ذلك نُسَخ. كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ براءة نسخت ما ههنا؛ أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يقبل منهم غيرها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ فدعني يا محمد والمكذبين بأياتي ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ يعني أهل النعم في الدنيا ﴿وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ يقول: وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله. وذكر أن الذي كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير. كالذي جاء عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا... الآية، قال: لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر. وقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن عندنا لهؤلاء المكذبين بأياتنا أنكالا يعني قيودا، واحدها: نِكل. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره وقوله: ﴿وَجَحِيمًا﴾ يقول: ونارا تسعر ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يقول: وطعاما يَعَصُّ به أكله، فلا هو نازل عن

حلقة، ولا هو خارج منه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: وعذابا مؤلما موجعا. وجاء عن حُمُرَانِ بن أعين "أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فصعق ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد العقوبات التي وصفها في يوم ترجف الأرض والجبال؛ ورُجْفَانِ ذلك: اضطرابه بمن عليه، وذلك يوم القيامة. وقوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾ يقول: وكانت الجبال رملا سائلا متناثرا. والمهيل: مفعول من قول القائل: هلت الرمل فانا أهيله، وذلك إذا حُرِّك أسفله، فانهاه عليه من أعلاه؛ وللعرب في ذلك لغتان، تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يقول: مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون مصر رسولا بدعائه إلى الحق، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ الذي أرسلناه إليه ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ يقول: فأخذناه أخذا شديدا، فأهلكناه ومن معه جميعا، وهو من قولهم: كلاً مستوبل، إذا كان لا يستمرأ، وكذلك الطعام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به: فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله، ولم تصدقوا به. وذكر أن ذلك كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني يوم القيامة، وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكرهه. كما كان الضحاك يقول في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ كان ابن مسعود يقول: "إذا كان يوم القيامة دعا ربنا المَلِكُ آدم، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم: أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيساقون إلى النار سودا مقرنين، زُرْقا كالْحِجْنِ، فيشيب هنالك كل وليد". وكالذي جاء عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم. وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وذكرت السماء في هذا الموضع لأن العرب تذكرها وتؤنثها، فمن ذكرها وجهها إلى السقف، كما يقال: هذا سماء البيت: لسقفه. وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها لأنها من الأسماء التي لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها؛

وقوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا لأنه لا يخلف وعده، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون ولدان شيئا يقول: فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس، فإنه كائن لا محالة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِي عَلَيْكُمْ فَاقرءُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقرءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: إن هذه الآيات التي ذكر فيها أمر القيامة وأهلها، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر تذكرة يقول: عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يقول: فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقا بالإيمان به، والعمل بطاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ يقول لنبى محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثي الليل مصليا، ونصفه وثلثه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالساعات والأوقات. وقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ يقول: علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه ﴿فَتَأْتِي عَلَيْكُمْ﴾ إذ عجزتم وضعفتم عنه، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وجاء عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: "خلتان لا يحصيها رجلٌ مُسلمٌ إلا أدخلناه الجنة، وهما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليلٌ، يُسبِّحُ الله في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، ويَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا" قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قال: "فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةً بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمَدَ وَكَبَّرَ مِئَةً؛ قال: فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيْكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَلْفِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ سَبَّحَةً؟" قالوا: فكيف لا نحصيها؟ قال: "يَأْتِي أَحَدَكُمْ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا حَتَّى يَنْفَتِلَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَعْقِلُ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ". وقوله: ﴿فَاقرءُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يقول: فاقراءوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم؛ وهذا تخفيف من الله عز وجل عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله: ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾. كالذي جاء عن أبي رجاء محمد، قال. قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك؛ قال الله للعبد الصالح: ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلِمْتَاهُ﴾ ﴿وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ قلت: يا أبا سعيد قال الله: ﴿فَاقرءُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ قال: نعم، ولو خمسين آية. وقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل ﴿وَآخَرُونَ

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ فِي سَفَرٍ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِي تِجَارَةٍ قَدْ سَافَرُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ فَأَعْجَزَهُمْ، فَأَضْعَفَهُمْ أَيْضًا عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ﴿وَأَخْرُورَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: وآخرون أيضا منكم يجاهدون العدو فيقاتلونهم في نُصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم، ووضع عنكم فرض قِيَامِ اللَّيْلِ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يقول: فاقْرءوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسر من القرآن. والهاء قي قوله "منه" من ذكر القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة، قال: ثم أنبأ بخصال المؤمنين، فقال: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى وَأَخْرُورَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُورَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: افترض الله القيام في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: وأقيموا المفروضة وهي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يقول: وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال: القرض: النوافل سوى الزكاة. وقوله: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يقول: وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيرا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا: أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قد قدمتموه ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة للذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

آخر تفسير سورة المزمل.

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثَيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ يقول جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ يأبها المتدثر بشيابه عند نومه. وذكر أن نبي الله ﷺ قيل له ذلك، وهو متدثر بقطيفة. كما جاء عن أبرهيم وذكر أن هذه الآية أول شيء نزل من القرآن على رسول الله ﷺ، وأنه قيل له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. كالذي جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي: "بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: "فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فذَرُونِي" فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قال: ثم تتابع الوحي. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: يا أيها النائم في ثيابه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل معنى ذلك: يا أيها المتدثر النبوة وأثقالها. كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قم من نومك فأنذر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله، وعبدوا غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد. وقوله: ﴿وَتَثَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك قال: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره أن يتطهر، ويظهر ثيابه. أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس، وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عني به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك. وقوله ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ﴿الرُّجْزِ﴾ في هذا الموضع فقال بعضهم اهجر الأوثان وقال بعضهم الأثام والمعاصي فاهجر وقد بينا معنى الرجز فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه ﷺ بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها. وذكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك في قراءته ﴿وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ﴾. وقوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولربك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل على اختلاف فيه بين أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ قال: حمل أمرا عظيما محاربة العرب، ثم العجم من بعد العرب في الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولربك فاصبر على عطيتك. كما جاء عن إبراهيم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢﴾. يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فذلك يومئذ يوم شديد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قال: إن نبي الله ﷺ خرج إلى أصحابه، فقال: "كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ نَقَمَ الْقُرْنُ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنِهِ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصَّيْحَةِ؟ فاشتد ذلك على أصحابه، فأمرهم أن يقولوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، على الله توكلنا". وقوله: ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: كل يا محمد أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيدًا، لا شيء له من مال ولا ولد إلبي. وذكر أنه عني بذلك: الوليد بن المغيرة المخزومي. كما جاء عن ابن عباس وغيره اختلف أهل التأويل في هذا المال الذي ذكره الله، وأخبر أنه جعله للوحيد ماهو؟ وما مبلغه؟ والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ وهو الكثير الممدود، عدده أو مساحته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا ١٣ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥﴾. كلاً إنَّه كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ١٦ سَأَرْهُقَهُ صُعُودًا ١٧﴾. يقول تعالى ذكره: وجعلت له بنين شهوداً، ذكر أنهم كانوا عشرة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره: وبسطت له في العيش بسطاً. كما جاء عن سفيان وقوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد على ما أعطيته ﴿كلاً﴾ يقول: ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزيده مالا وولداً، وتمهيدا في الدنيا ﴿إِنَّه كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ يقول: إن هذا الذي خلقته وحيداً كان لآياتنا - وهي حجج الله على خلقه من الكتب والرسول - عنيداً، يعني معانداً للحق مجانباً له، كالبعير العنود كما جاء عن قتادة وغيره كالذي جاء عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ ﴿سَأَرْهُقَهُ صُعُودًا﴾ قال: هو جبل في النار من نار، يكلفون أن يصعدوه، فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّه فَكَرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥﴾. يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقته وحيداً، فكر فيما أنزل على عبده محمد ﷺ من القرآن، وقدر فيما يقول فيه ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ يقول: ثم لعن كيف قدر النازل فيه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ يقول: ثم روى في ذلك ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ يقول: ثم قبض ما بين عينيه ﴿وَبَسَرَ﴾ يقول: كلع وجهه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت الأخبار عن الوحيد أنه فعل. كالذي جاء عن عكرمة، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لم؟ قال: يعطونك فإني أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكراً لما قال، وأنت كاره له؟ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكر قال: هذا سحر يآثره عن غيره، فنزلت ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ قال قتادة: خرج من بطن

الله. وقوله: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ يقول تعالى ذكره: وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقاً إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدة خزنة جهنم. وقوله: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمة محمد ﷺ. وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدة خزنة جهنم، أي شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيماناً ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من خلقه فيخذله عن إصابة الحق ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم، فيوقه لإصابة الصواب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ من كثرتهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني: الله. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما النار التي وصفتها إلا تذكرة ذكر بها البشر، وهم بنو آدم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۖ إِنَّهَا لِإْحْدَى الْكُبَرِ ۖ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۚ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿كَلَّا﴾ ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها، ثم أقسم ربنا تعالى فقال: ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ يقول: والليل إذ ولى ذاهبا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال آخرون في ذلك ما جاء عن ابن عباس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ دبوره: إظلامه. وقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: والصبح إذا أضاء. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن النار لإحدى الكبر، نذيرا لبني آدم. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، وما الموصوف بذلك فقال بعضهم: عني بذلك النار، وقالوا: هي صفة للهاء التي في قوله ﴿إِنَّهَا﴾ وقالوا: هي النذير، فعلى قول هؤلاء النذير نصب على القطع من إحدى الكبر؛ لأن إحدى الكبر معرفة، وقوله: ﴿نَذِيرًا﴾ نكرة، والكلام قد يحسن الوقوف عليه دونه. كما جاء عن الحسن وقال آخرون: بل ذلك من صفة الله تعالى، وهو خبر من الله عن نفسه، أنه نذير لخلقه، وعلى هذا القول يجب أن يكون نصب قوله ﴿نَذِيرًا﴾ على الخروج من جملة الكلام المتقدم، فيكون معنى الكلام: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرا للبشر، يعني: إنذارا لهم؛ فيكون قوله ﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى إنذارا لهم؛ كما قال: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ بمعنى إنذارى؛ ويكون أيضا بمعنى: إنها لإحدى الكبر؛ صيرنا ذلك كذلك نذيرا، فيكون قوله: ﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ مؤديا عن معنى صيرنا ذلك كذلك، وهذا المعنى قصد من قال ذلك إن شاء الله. كما جاء عن أبي رزين وقال آخرون: بل ذلك من صفة رسول الله ﷺ، وقالوا: نصب نذيرا على الحال مما في قوله "قم"، وقالوا: معنى الكلام: قم نذيرا للبشر فأنذر. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ يقول تعالى ذكره: نذيرا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله، أو يتأخر في معصية الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ۖ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ ﴿٤٥﴾﴾. يقول تعالى ذكره: كل نفس مأمورة بمنهية بما عملت من معصية الله في الدنيا، رهينة في جهنم ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ فإنهم غير مرتين، ولكنهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره واختلف أهل التأويل في أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع فجاء عن علي رضي الله عنه في هذه الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: هم ولدان. وجاء عن ابن عباس، قال: هم الملائكة، وإنما قال من قال: أصحاب اليمين في هذا الموضع: هم ولدان وأطفال المسلمين؛ ومن قال: هم الملائكة، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ إلا إنهم لم يقرئوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية. وقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ يقول: أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سلكوا في سقر، أي شيء سلككم في سقر؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ يقول: قال المجرمون لهم: لم نك في الدنيا من المصلين لله ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ بخلا بما حوّلهم الله، ومنعنا له من حقه. ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ يقول: وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّمَاتِ الدِّينِ ۖ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۖ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۖ ﴿٤٩﴾﴾. وقوله: ﴿وَكَُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّمَاتِ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا: وكنا نكذب بيوم المجازاة والثواب والعذاب، ولا نصدق بثواب ولا عقاب ولا حساب ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يقول: قالوا: حتى أتانا الموت الموقن به ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ يقول: فما يشفع لهم الذين شفّعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنتفعهم شفاعتهم، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه في بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: ثم تشفع الملائكة والنبون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار، ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، ثم قرأ عبد الله يأبها الكفار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكَُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّمَاتِ الدِّينِ﴾ وعقد بيده أربعا، ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير، ألا ما يترك فيها أحد فيه خير. وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يقول: فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين، لا يستمعون لها فيتعتظوا ويعتبروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَانَ لَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۖ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ۖ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۖ﴾. يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين، مولين عنها تولية الحُمُر المستنفرة ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾. وقوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى القسورة فقالوا هم الرماة وقالوا هم القناص وقالوا هم الرجال وقالوا الأسد وقالوا صوت الأسد وقالوا النبل وقالوا اصوات الرجال وقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين في إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لا يعلمون أنه من عند الله، ولكن كل رجل منهم يريد أن يؤتى كتابا من السماء ينزل عليه. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفا منشرة صدقوا، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، يقول: لكنهم لا يخافون عقاب الله، ولا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب؛ فذلك الذي دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله، وهون عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۖ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۖ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه، ذكرهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمَنْ شَاءَ من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به، ويستعملون ما فيه، إلا أن يشاء الله أن يذكروه؛ لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه، ويعطيه القدرة عليه. وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويسارعوا إلى طاعته، ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة المدثر

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ ١. **أَيْحَسِبُ** ٢. **الْإِنْسَانُ** ٣. **أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ** ٤. **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ** ٥. **﴿اِخْتَلَفْتَ الْقَرَاءَ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصُّوَابِ قَوْلٌ مِنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، وَجَعَلَ "لَا" رَدًّا لِكَلَامِ قَد كَانَ تَقَدَّمَهُ مِنْ قَوْمٍ، وَجَوَابًا لَهُمْ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أُولَى الْأَقْوَالِ بِالصُّوَابِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ إِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: لَا وَاللَّهِ، لَا فَعَلْتُ كَذَا، أَنَّهُ يَقْصِدُ بِلَا رَدِّ الْكَلَامِ، وَيَقُولُهُ: وَاللَّهِ، ابْتِدَاءً يَمِينٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لَا أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَا فَعَلْتُ كَذَا؛ فَإِذَا كَانَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعْنَى ذَلِكَ مَا وَصَفْنَاهُ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ سَائِرُ مَا جَاءَ مِنْ نَظَائِرِهِ جَارِيًا مَجْرَاهُ، مَا لَمْ يَخْرُجْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الْمَعْرُوفِ بِمَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ. وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْجَمِيعَ مِنَ الْحِجَةِ مَجْمُوعُونَ عَلَىٰ أَنْ قَوْلُهُ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قِسْمٌ فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ حِجَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنْ أَحَدَهُمَا قِسْمٌ وَالْآخَرُ خَبَرٌ. وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنْ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ الْحَرْفَ الْأَوَّلَ لِأَقْسَمَ بِوَصْلِ اللَّامِ بِأَقْسَمَ قِرَاءَةً غَيْرَ جَائِزَةٍ بِخِلَافِهَا مَا عَلَيْهِ الْحِجَةُ مَجْمُوعَةٌ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا: لَا مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَبِيعُ عِبَادَهُ بَعْدَ مَوَاتِهِمْ أَحْيَاءَ، أَقْسَمَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ يَقُولُ: قِيَامَةُ كُلِّ نَفْسٍ مَوْتَهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَمَّنْ ذَكَرْنَاهَا عَنْهُ وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ بَهَا أَلْفَاظٌ قَائِلِيهَا، فَمُتَقَارِبَاتُ الْمَعْنَى، وَأَشْبَهُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَنَّهَا تَلُومُ صَاحِبِهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَتَنْدَمُ عَلَىٰ مَا فَاتَ، وَالْقَرَّاءُ كُلُّهُمْ مَجْمُوعُونَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ هَذِهِ بِفَصْلِ "لَا" مِنْ أَقْسَمَ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: أَيْظُنُّ ابْنُ آدَمَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَىٰ جَمْعِ عِظَامِهِ بَعْدَ تَفَرُّقِهَا، بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ، وَهِيَ أَصَابِعُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَنَجْعَلُهَا شَيْئًا وَاحِدًا كَخَفِّ الْبَعِيرِ، أَوْ حَافِرِ الْحِمَارِ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ مَا يَأْكُلُ إِلَّا بَفِيهِ كَسَائِرُ الْبِهَائِمِ، وَلَكِنَّهُ فَرَّقَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ يَأْخُذُ بِهَا، وَيَتَنَاوَلُ وَيَقْبِضُ إِذَا شَاءَ وَيَبْسِطُ، فَحَسَنَ خَلْقَهُ. وَبَنَحُو الذِّي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ بَنَ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ**

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۚ فَإِذَا بَرَاقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ﴾. يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: مَا يَجْهَلُ ابْنُ آدَمَ أَنَّ رَبَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَمْضِيَ أَمَامَهُ قُدُّمَا فِي مَعَاصِي اللَّهِ، لَا يَتَنَبَّهُ عَنْهَا شَيْءٌ، وَلَا يَتُوبُ مِنْهَا أَبَدًا وَيُسَوِّفُ التُّوبَةَ. وَبَنَحُو الذِّي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَكَانَ الضَّحَّاكُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هُوَ الْأَمَلُ يُؤْمِلُ الْإِنْسَانُ، أَعِيشْ وَأَصِيبْ مِنَ الدُّنْيَا كَذَا،

وأصيب كذا، ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس، قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يقول: الكافر يكذب بالحساب. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة، والهاء على هذا القول في قوله: ﴿أَمَامَهُ﴾ من ذكر القيامة، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل. قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: يسأل ابن آدم السائر داثبا في معصية الله قُدمًا: متى يوم القيامة؟ تسويفا منه للتوبة، فبين الله له ذلك فقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ الآية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: متى يوم القيامة، قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من سئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ بمعنى: فزع فشق وفتح من هول القيامة وفزع الموت. وقوله: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ يقول: ذهب ضوء القمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر لي ﴿وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوّران، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وإنما قيل: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إنما قيل: وجمع على مذهب وجمع النوران، كأنه قيل: وجمع الضياءان، وهذا قول الكسائي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كورت في الأرض والقمر معها. عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوما: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ قال: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى. وقوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ يعني بذلك: يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة: أين المفر من هول هذا الذي قد نزل، ولا فرار. يقول تعالى ذكره: ﴿لَا وَزَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ليس هناك فرار ينفع صاحبه، لأنه لا ينجيه فراره، ولا شيء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل، من أمر الله الذي قد حضر، وهو الوزر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار، وهو الذي يقر جميع خلقه مقرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥). يقول تعالى ذكره: يُخَبِّرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ، يعني يوم يُجْمَعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فيكوّران بما قَدَّمَ وأخَّر. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبا بكل ما قَدَّمَ أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته، وأخَّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قَدَّمَ وأخَّر، كذلك ما قَدَّمَ من عمل عمله من خير أو شر، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيعة، فلم يعملها مما قَدَّمَ وأخَّر، ولم يخص الله من ذلك بعضا دون بعض، فكل ذلك مما ينبا به الإنسان يوم القيامة. وقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾

يقول: سمعه وبصره ويدا ورجله وجوارحه، وقال ابن زيد، في قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال: هو شاهد على نفسه، وقرأ: ﴿أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ومن قال هذه المقالة يقول: أدخلت الهاء في قوله ﴿بَصِيرَةٌ﴾ وهي خبر للإنسان، كما يقال للرجل: أنت حجة على نفسك، وهذا قول بعض نحويي البصرة. وكان بعضهم يقول: أدخلت هذه الهاء في بصيرة وهي صفة للذكر، كما أدخلت في راوية وعلامة. وقوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ اختلف أهل الرواية في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحق، فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾. يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به. واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وأشبه القولين بما دل عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان يحرك به لسانه وشفثيه، فيشتد عليه، فكان يعرف ذلك فيه، فأنزل الله هذه الآية في "لا أقسم بيوم القيامة" ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. ، وذلك أن قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك. وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبت فيه ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: فإذا تلي عليك فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أمرت به فيه، لأنه قيل له: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ ودللنا على أن معنى قوله: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: وقرآته، فقد بين ذلك عن معنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه، وأحكامه لك مفصلة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَتَّظَرُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾. يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تومنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة. وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ، يعني يوم القيامة ناصرة: يقول حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نُصِرَ وجه فلان: إذا حَسُنَ من النعمة، ونَصَرَ الله وجهه: إذا حَسَنَ كذلك. كما جاء عن الحسن وغيره وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول

الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ: كالذي جاء عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنْ أَذْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةٌ، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ، قَالَ: وَإِنْ أَفْضَلُهُمْ مَنَزَلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ؛ قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: باليباض والصفاء، قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قال: تنظر كل يوم في وجه الله عز وجل". وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ووجوه يومئذ متغيرة الألوان، مسودة كالحة، يقال: بسرت وجهه أبسره بسرا: إذا فعلت ذلك، وبسر وجهه فهو باسر بين البسور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ وَالْتَفَتَ ۖ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربه بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي مماته وحشرج بها. وقال ابن زيد في قول الله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ قال: التراقي: نفسه. كالذي جاء عن ابن زيد: وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: مَنْ رَاقٍ وقال آخرون: بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض: من يرقى بنفسه فيصعد بها. كالذي جاء عن ابن عباس كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ قال: إذا بلغت نفسه يرقى بها، قالت الملائكة: من يصعد بها، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ وقوله: وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ يقول تعالى ذكره: وأيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والْتَفَتَ ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلاع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه كما جاء عن ابن عباس وقوله: إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ يقول: إلى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَ ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ دَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ يَتَمَطَّىٰ ۖ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يصدق بكتاب الله، ولم يصل له صلاة، ولكنه كذب بكتاب الله، وتولى فادبر عن طاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ يقول: إلى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَ ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ دَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ يَتَمَطَّىٰ ۖ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يصدق بكتاب الله، ولم يصل له صلاة، ولكنه كذب بكتاب الله، وتولى فادبر عن طاعة

الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ قال: يتبختر، قال: هي مشية بني مخزوم. وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جهل. كما جاء عن مجاهد وغيره وإنما عني بقوله: ﴿يَتَمَطَّى﴾ يلوي مطاه تبخترًا، والمطا: هو الظهر، ومنه الخبر عن رسول الله ﷺ: "إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطِيطَاءُ" وذلك أن يلقي الرجل يديه ويتكفأ. وقوله ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل. كما جاء عن قتادة ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ وعيد على وعيد، كما تسمعون، زعم أن هذا أنزل في عدو الله أبي جهل. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ بمجامع ثيابه فقال: ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ فقال عدو الله أبو جهل: أيو عدني محمد؟ والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئًا، والله لأننا أعز من مشى بين جبلية. وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ يقول تعالى ذكره: أبطئ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملاً أن لا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكْ نُطْفَعْ مِنْ مَنِيِّ يَمْنَى﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾. يقول تعالى ذكره: ألم يك صلب الرجل من مني. وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ثم كان دما من بعد ما كان نطفة، ثم علقه، ثم سواه بشراً سوياً، ناطقاً سميعاً بصيراً ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ يقول تعالى ذكره: فجعل من هذا الإنسان بعدما سواه خلقاً سوياً أولاداً له، ذكورا وإناثا ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ يقول تعالى ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقه حتى صيره إنساناً سوياً، له أولاد ذكور وإناث، بقادر على أن يحيي الموتى من مماتهم، فيوجد لهم كما كانوا من قبل مماتهم. يقول: معلوم أن الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة من مني يمني، حتى صيره بشراً سوياً، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته، وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك قال: بلى. وجاء عن قتادة، قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلى.

آخر تفسير سورة القيامة.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة هل أتى على الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ قَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ، وهل في هذا الموضع خبر لا جحد، وذلك كقول القائل لآخر يقرّره: هل أكرمك؟ وقد أكرمه؟ أو هل زرتك؟ وقد زاره، وقد تكون جحدا في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل لآخر: هل يفعل مثل هذا أحد؟ بمعنى: أنه لا يفعل ذلك أحد. والإنسان الذي قال جل ثناؤه في هذا الموضع: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ: هو آدم ﷺ كذلك. كما جاء عن قتادة وقوله: حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم: هو أربعون سنة، وقالوا: مكثت طينة آدم مصورة لا تنفخ فيها الروح أربعين عاما، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، قالوا: ولذلك قيل: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا لأنه أتى عليه وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح أربعين عاما، فكان شيئا، غير أنه لم يكن شيئا مذكورا، قالوا: ومعنى قوله: لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا لم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة، ولا شرف، إنما كان طينا لازبا وحما مسنونا. وقال آخرون: لا حدّ للحين في هذا الموضع؛ وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد، وقبل أن يكون شيئا، وإذا أُريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يُخلق، ولم يقل أتى عليه. وأما الدهر في هذا الموضع، فلا حدّ له يوقف عليه. وقوله: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة، يعني: من ماء الرجل وماء المرأة، والنطفة: كلّ ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قربة، أو غير لك، وقوله: أَمْشَاجٍ يعني: أخلاط، واحدها: مشج ومشيج، مثل خدن وخدين؛ واختلف أهل التأويل في معنى الأَمْشَاجِ الذي عني بها في هذا الموضع وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نطفة الرجل ونطفة المرأة كما جاء عن ابن عباس وقوله: نَبْتَلِيهِ نخبره، وقوله: فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا يقول تعالى ذكره: فجعلناه ذا سمع يسمع به، وذا بصر يبصر به، إنعاما من الله على عباده بذلك، ورأفة منه لهم، وحجة له عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٦﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٧﴾. يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ إنا بينا له طريق الجنة، وعرفناه سبيله، إن شكر، أو كفر. وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا المعنى، كانت إما وإما في معنى الجزاء، وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد، كما قال: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ فيكون قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالا من الهاء التي في هديناه، فيكون معنى الكلام إذا وُجِّه ذلك إلى هذا التأويل: إنا هديناه السبيل، إما شقيا وإما سعيدا، وكان بعض نحويي البصرة يقول ذلك كما قال: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ كأنك لم تذكر إما، قال: وإن شئت ابتدأت ما بعدها فرفعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا وخالف أمرنا سلاسل يُسْتَوْتَقُّ بها منهم شدا في الجحيم ﴿وَأَغْلَالًا﴾ يقول: وتشد بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم. وقوله: ﴿وَسَعِيرًا﴾ يقول: ونارا تُسْعَرُ عليهم فتتوقد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٨﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٩﴾. يقول تعالى ذكره: إن الذين برّوا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه، واجتناب معاصيه، يشربون من كأس، وهو كل إناء كان فيه شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يقول: كان مزاج ما فيها من الشراب ﴿كَافُورًا﴾ يعني: في طيب رائحتها كالكاפור. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكاפור في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة، ويعني بقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يُرَوَّى بها ويُتَقَع. وقوله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا، ويعني بالتفجير: الإسالة والإجراء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تاويل قوله جل ثناؤه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝١٠﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝١١﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝١٢﴾. يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا يندرونها في طاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن سفيان، قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قال: في غير معصية، وفي الكلام محذوف اجتزئ بدلالة الكلام عليه منه، وهو كان ذلك. وذلك أن معنى الكلام: إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، كانوا يوفون بالنذر، فترك ذكر كانوا لدلالة الكلام عليها، والنذر: هو كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من

فعل؛ وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا الله من برٍّ في يوم كان شرُّه مستطيرًا، ممتدًّا طويلا فاشيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا﴾ يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه، وشهوتهم له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿مَسْكِينًا﴾ يعني جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله مسكينا: ذوي الحاجة الذين قد أذلّتهم الحاجة، ﴿وَيَتِيمًا﴾ وهو الطفل الذي قد مات أبوه ولا شيء له ﴿وَأَسِيرًا﴾: وهو الحربي من أهل دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحق، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرّبا بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم. واختلف أهل العلم في الأسير الذي ذكره الله في هذا الموضع والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته؛ واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم فالخبر على عمومته حتى يخصه ما يجب التسليم له. وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك، فإن ذلك وإن كان كذلك، فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ، وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معني به أسير المشركين والمسلمين يومئذ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة. وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُؤْجُهُ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يقولون: إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون طلب رضا الله، والقربة إليه ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام: لا نريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثوابا ولا شكورا. وفي قوله: ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون جمع الشكر كما الفلوس جمع فلس، والكفور جمع كُفْر. والآخر: أن يكون مصدرا واحدا في معنى جمع، كما يقال: قعد قعودا، وخرج خروجا. كالذي جاء عن سعيد بن جبير ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُؤْجُهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَیْبًا قَمَطِرًا﴾ ﴿٥٠٣﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿٥٠٤﴾. يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة: ما نطعمكم طعاما نطلب منكم عوضا على إطعامناكم جزاء ولا شكورا، ولكننا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدّة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتدّ. والقمطير: هو الشديد، يقال: هو يوم قمطير، أو يوم قماطر، ويوم عصب. وعصّب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطارا، وذلك أشدّ الأيام وأطول في البلاء والشدّة كالذي جاء عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا

يَوْمًا عَبْدًا قَمْطَرِيًّا ﴿١٢﴾ عسست فيه الوجوه، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم. وقوله: ﴿فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ يقول جل ثناؤه: دفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شر اليوم العبوس القمطير بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضي عنهم ربهم، لقَّاهم نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٤﴾. يقول تعالى ذكره: وأثابهم الله بما صبروا في الدنيا على طاعته، والعمل بما يرضيه عنهم جنة وحريرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يقول: متكئين في الجنة على السُرر في الحجال، وهي الأرائك واحدها أريكة. وقد بينا ذلك بشواهد، وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته، غير أنا نذكر في هذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى قبل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: لا يَرَوْنَ فِيهَا شمسًا فيؤذيهم حرها، ولا زمهريرا، وهو البرد الشديد، فيؤذيهم بردها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وكالذي جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "اشتكت النارُ إلى ربِّها، فقالت: رَبِّ، أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَفَسَّنِي، فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِنَفْسَيْنِ؛ فَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرِّدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ وَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٦﴾. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ وقربت منهم ظلال أشجارها. وقوله: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ يقول: وذلل لهم اجتناء ثمر شجرها، كيف شاءوا قعودا وقيامًا ومتكئين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويُطَافُ على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شراهم، هي من فضة كانت قواريرًا، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ يقول: ويُطَافُ مع الأواني بجرار ضخام فيها الشراب، وكل جرّة ضخمة لا عروة لها فهي كوب. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ يقول: كانت هذه الأواني والأكواب قواريرًا، فحوّلها الله فضة. وقيل: إنما قيل: ويُطَافُ عليهم بآنية من فضة، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة، لأن كل آنية تتخذ، فإنما تتخذ من ترّة الأرض التي فيها، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفه الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة، ليعلم عباده أن ترّة أرض الجنة فضة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿قَوَارِيرَ﴾ في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ قال: صفاء الزجاج في بياض الفضة. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ يقول: قَدَّرُوا تلك الآنية التي يُطاف عليهم بها تقديرا على قَدَرِ رِيَّتِهِمْ لا تزيد ولا تنقص عن ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقال آخرون: بل معنى ذلك: قَدَّرُوهَا على قدر الكفِّ. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: وَيُسْقَى هؤلاء القوم الأبرار في الجنة كأسا، وهي كلُّ إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له: كأس، وإنما يقال له: إناء، كما يقال للطبق الذي تهدي فيه الهدية: المِهْدَى مقصورا ما دامت عليه الهدية فإذا فرغ مما عليه كان طبقا أو خَوَانًا، ولم يكن مِهْدَى ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ يقول: كان مزاج شراب الكأس التي يُسْقَوْنَ منها زنجبيلًا. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال قتادة، في قوله: ﴿مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ قال: تمزج بالزنجبيل وقال بعضهم: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. كما جاء أيضا عن قتادة وقوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: عينا في الجنة تسمى سلسبيلًا. قيل: عُنِيَ بقوله سلسبيلًا سلسلة مُنْقَادَا ماؤها. كما جاء عن قتادة وعن مجاهد، قال: سلسلة الجرية. واختلف أهل اللغة في ذلك والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ صفة للعين، وصفت بالسلسلة في الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاءوا، كما قال مجاهد وقاتدة؛ وإنما عني بقوله ﴿تُسَمَّى﴾: توصف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾. يقول تعالى ذكره: ويَطَوَّفُ على هؤلاء الأبرار ولدان، وهم الوصفاء، مُخَلَّدُونَ. اختلف أهل التأويل في معنى: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أنهم لا يموتون كما جاء عن قتادة وقال آخرون: عني بذلك ﴿وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ﴾ مُسَوَّرُونَ. وقال آخرون: بل عني به أنهم مقرطون. وقيل: عني به أنهم دائم شبابهم، لا يتغيرون عن تلك السن. وذكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره: إنه لمُخَلَّد؛ كذلك إذا كبر وثبت أضراسه وأسنانه قيل: إنه لمُخَلَّد، يراد به أنه ثابت الحال، وهذا تصحيح لما قال قتادة من أن معناه: لا يموتون، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت، فهم مُخَلَّدُونَ. وقيل: إن معنى قوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مُسَوَّرُونَ بلغة حَمِيرٍ وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إذا رأيت يا محمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين، تحسبهم في حُسْنِهِمْ، ونقاء بياض وجوههم، وكثرتهم، لُؤْلُؤًا مَبْدَدًا، أو مجتمعًا مصبوبًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا نظرت ببصرك يا محمد، ورميت بطرفك فيما أعطيت هؤلاء الأبرار في الجنة من

الكرامة. وعني بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾، وذلك أن أدناهم منزلة من ينظر في ملكه فيما قيل في مسيرة ألفي عام، يرى أقصاه، كما يرى أدناه. وقوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يقول: ورأيت مع النعيم الذي ترى لهم ثَمَّ مُلْكًا كبيرًا. وقيل: إن ذلك الملك الكبير: تسليم الملائكة عليهم، واستئذانهم عليهم. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١). يقول تعالى ذكره: فوقهم، يعني فوق هؤلاء الأبرار ثياب سُنْدُسٍ. وكان بعض أهل التأويل يتأول قوله: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ فوق حجالهم المثبتة عليهم ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ وليس ذلك بالقول المدفوع، لأن ذلك إذا كان فوق حجالهم فيها، فقد علاهم فهو عاليهم. وقوله: ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ يعني: ثياب ديباج رقيق حسن، والسندس: هو ما رق من الديباج. وقوله: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ يقول: وحلاهم ربهم أساور، وهي جمع أسورة من فضة. وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهم شرابا طهورا، ومن طهره أنه لا يصير بولا نجسا، ولكنه يصير رشحا من أبدانهم كرشح المسك. كالذي جاء عن إبراهيم التيمي، قال: إن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سقي شرابا طهورا، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحا من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢٢). ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣). فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا (٢٤). يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء الأبرار حيثئذ: إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابا على ما كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ يقول: كان عملكم فيها مشكورا، حمدكم عليه ربكم، ورضيه لكم، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه. وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا نحن نزلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلا ابتلاء منا واختبارا ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يقول: اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالته، والقيام بما أزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك ﴿وَلَا تَطْغِ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثما يريد بركوبه معاصيه، أو كفورا: يعني جحودا لنعمه عنده، وآلائه قبلك، فهو يكفر به، ويعبد غيره. وقيل: إن الذي عني بهذا القول أبو جهل. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦). ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٢٧). يقول تعالى ذكره: ﴿وَادْكُرْ﴾ يا محمد ﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ فادعه به بكرة في صلاة الصبح، وعشيا في صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يقول: ومن الليل فاسجد له في صلاتك، فسبحه ليلا طويلا يعني: أكثر الليل، كما قال جل ثناؤه: ﴿فِيمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ

انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ قال: كان هذا أول شيء فريضة. وقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلِّ فِيمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفُهُ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: مُجِي هذا عن رسول الله ﷺ وعن الناس، وجعله نافلة فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ قال: فجعلها نافلة. وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة، يعني، الدنيا، يقول: يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للأخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ، وقد تأولوه بعضهم بمعنى: ويدرون أمامهم يوما ثقيلا وليس ذلك قولاً مدفوعاً، غير أن الذي قلناه أشبه بمعنى الكلمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن سفيان

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ (٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٩). يقول تعالى ذكره: نَحْنُ خَلَقْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْمُخَالَفِينَ أَمْرَهُ وَنَبِيَّهُ ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: وشددنا خلقهم، من قولهم: قد أُسِرَ هذا الرجل فأَحْسِنَ أسرَه، بمعنى: قد خلق فأحسن خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ يقول: وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق، مخالفين لهم في العمل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يقول: إن هذه السورة تذكرة لمن تذكر واتعظ واعتبر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٤). يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ اتخذ السبيل إلى ربكم أيها الناس ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك لكم لأن الأمر إليه لا إليكم، وهو في قراءة عبد الله فيما ذكر ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فلن يعدو منكم أحد ما سبق له في علمه بتدبيركم. وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ يقول: يدخل ربكم من يشاء منكم في رحمته، فيتوب عليه حتى يموت تائباً من ضلالتة، فيغفر له ذنوبه، ويدخله جنته ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعد لهم في الآخرة عذاباً مؤلماً موجعاً، وهو عذاب جهنم. ونصب قوله: ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ لأن الواو ظرف لأعد، والمعنى: وأعد للظالمين عذاباً أليماً. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾ بتكرير اللام، وفد تفعل العرب ذلك

آخر تفسير سورة الإنسان. والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة والمرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝۱﴾ **فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝۲** **وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝۳** **فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝۴** **فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝۵** **عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ۝۶**. اختلف أهل التأويل في معنى قول الله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا، وقد ترسل عُرُفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدل على أن المعني بذلك أحد الحزبين دون الآخر، وقد عمَّ جُلُّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكل من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك ملكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلا. وقوله: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يقول جُلُّ ذكره: فالرياح العاصفات عصفا، يعني: الشديديات الهبوب السريعات الممرِّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي وغيره وقوله: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرًا، ولم يخصَّ شيئا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا. وقوله: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ اختلف أهل التأويل في معناه والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جُلُّ ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصَّ بذلك منهنَّ بعضا دون بعض، فذلك قَسَمَ بكلِّ فارقة بين الحق والباطل، ملكا كان أو قرآنا، أو غير ذلك. وقوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ يقول: فالمبلِّغات وحي الله رسله، وهي الملائكة. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: فالملقىات ذكرا إلى الرسل إعدارا من الله إلى خلقه، وإنذارا منه لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝۷﴾ **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝۸** **وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝۹** **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ۝۱۰** **وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ ۝۱۱** **لَأَيِّ يَوْمٍ أَجَلَتْ ۝۱۲** **لَيَوْمِ الْقُصْلِ ۝۱۳** **وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْقُصْلِ ۝۱۴** **وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۱۵**. يقول تعالى ذكره: والمرسلات عرفا، إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع، وهو كائن لا محالة، يعني بذلك يوم القيامة، وما ذكر الله أنه أعدَّ لخلقه يومئذ من الثواب والعذاب. وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ يقول: فإذا النجوم ذهب ضياؤها، فلم يكن لها نور ولا ضوء ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ يقول: وإذا السماء شققت وصدعت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ يقول:

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۞ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِجَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۞ وَيُلَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞﴾. يقول تعالى ذكره: منبها عباده على نعمه عليهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ أيها الناس ﴿الْأَرْضَ﴾ لكم ﴿كِفَاتًا﴾ يقول: وعاء، تقول: هذا كفت هذا وكفيت، إذا كان وعاء. وإنما معنى الكلام: ألم نجعل الأرض كِفَاتٍ أي حياض وأمواتكم، تَكُفَّتْ أياءكم في المساكن والمنازل، فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور، فَيُدفَنُونَ فيها. وجائز أن يكون عني بقوله: ﴿كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ تكفت أذاهم في حال حياتهم، وجفنفهم بعد مماتهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الشعبي وغيره وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا

رَوَاسِي شَاهِدَاتٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ جَبَالًا ثَابِتَاتٍ فِيهَا، بَادَخَاتٍ شَاهِقَاتٍ. كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ يَقُولُ: وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءَ عَذْبَا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يَقُولُ: وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ خَلْقِي الْكَافِرِينَ بِهَا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ^(٣١) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ^(٣٢) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ^(٣٣) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ^(٣٤) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ^(٣٥) وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٣٦). يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ هَذِهِ النِّعَمَ وَالْحُجُجَ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِلَى ظِلِّ دُخَانٍ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَرْتَفِعُ مِنْ وَقُودِهَا الدُّخَانُ فِيمَا ذُكِرَ، فَإِذَا تَصَاعَدَ تَفَرَّقَ شُعْبَا ثَلَاثًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ كَالَّذِي جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قَالَ: وَالسَّرَادِقُ: دُخَانُ النَّارِ، فَاحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَ، فَكَانَ ثَلَاثَ شُعَبٍ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ: شُعْبَةُ هَاهُنَا، وَشُعْبَةُ هَاهُنَا، وَشُعْبَةُ هَاهُنَا ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ يَقُولُ: لَا هُوَ يَظْلِمُهُمْ مِنْ حَرِّهَا ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ وَلَا يُكْفِيهِمْ مِنْ لَهَبِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ جَهَنَّمَ تَرْمِي بِشَرٍّ كَالْقَصْرِ، فَقَرَأَ ذَلِكَ قَرَاءَ الْأَمْصَارِ: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ بِجَزْمِ الصَّادِ. وَاخْتَلَفَ الَّذِينَ قَرَأُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ وَاحِدُ الْقُصُورِ. وَأَوَّلَى الْقَرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا عَلَيْهِ قَرَاءَةُ الْأَمْصَارِ، وَهُوَ سَكُونُ الصَّادِ، وَأَوَّلَى التَّأْوِيلَاتِ بِهِ أَنَّهُ الْقَصْرُ مِنَ الْقُصُورِ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ عَلَى صِحَّتِهِ، وَالْعَرَبُ تَشَبَّهُ الْإِبِلَ بِالْقُصُورِ الْمَبْنِيَّةِ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: كَعِظَمِ الْقَصْرِ كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْجِمَالَاتِ الصُّفْرُ: الْإِبِلُ السُّودُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَنَّ الْجِمَالَاتِ جَمْعُ جِمَالٍ، نَظِيرُ رِجَالٍ وَرِجَالَاتٍ، وَبُيُوتٍ وَبُيُوتَاتٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَيُلِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا الْوَعِيدَ الَّذِي تَوَعَّدَ اللَّهُ بِهِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ^(٣٧) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ^(٣٨) وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٣٩) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ^(٤٠) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون ^(٤١) وَيُلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٤٢). يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ ثَوَابُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أَهْلُ التَّكْذِيبِ ثَوَابُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ مِمَّا اجْتَرَمُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الذُّنُوبِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قِيلَ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَقَدْ عَلِمْتَ بِخَبَرِ اللَّهِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ فِي نِظَائِرِ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَهُ. قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ دُونَ بَعْضٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ يَخْبِرُ عَنْهُمْ

أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله. فإن قال: فهل من بُرهان يعلم به حقيقة ذلك؟ قيل: نعم، وذلك إضافة يوم إلى قوله: ﴿لَا يُنْطِقُونَ﴾ والعرب لا تُضيف اليوم إلى فعل يفعل، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: آتاك يومَ يقدمُ فلان، وأتيتك يومَ زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو آتيتك ساعة يقدم، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يصف اليوم إلى فعل ويفعل، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء. وقوله: ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ رفعا عطفا على قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رءوس التي قبلها، ولو كان جاء نصبا كان جائزا، كما قال: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ وكل ذلك جائز فيه، أعني الرفع والنصب، كما قيل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفُهُ لَهُ﴾ رفعا ونصبا. وقوله: ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين بخبر الله عن هؤلاء القوم، وما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَنَاكُمْ وَالْأُولَيْنِ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث يوم يبعثون: هذا يوم الفصل الذي يفصل الله فيه بالحق بين عباده ﴿جَمْعَنَاكُمْ وَالْأُولَيْنِ﴾ يقول: جمعناكم فيه لموعدهم الذي كنا نعدكم في الدنيا، الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة. فقد وفينا لكم بذلك ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون﴾ يقول: والله منجز لكم ما وعدكم في الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها في التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا. وقوله: ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل يومئذ للمكذبين بهذا الخبر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ۝١١ وَقَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝١٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٣ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٤ وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾. يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ ظليلة، وكن كنين، لا يصيبهم أذى حر ولا قر، إذ كان الكافرون بالله في ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من الالهب ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري خلال أشجار جناتهم ﴿وَقَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يأكلون منها كلما اشتبهوا لا يخافون ضررها، ولا عاقبة مكر وهما. وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم هنيئا: يقول: لا تكدير عليكم، ولا تغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم. وقوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: يقال لهم: هذا جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه. وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم. وقوله: ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل للذين يكذبون خبر الله عما أخبرهم به

به من تكريمه هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَشَبَبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٩. يقول تعالى ذكره تهديدًا ووعيدًا منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ مَسْنُونٌ بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي تمتعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين الذين كذبوا خبر الله الذي أخبرهم به عما هو فاعل بهم في هذه الآية. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذبين بوعد الله أهل التكذيب به: اركعوا؛ لا يركعون. واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين أنهم كانوا له مخالفين في أمره ونهيه، لا يأتون بأمره، ولا يبتعدون عما نهاهم عنه. وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: ويل للذين كذبوا رسل الله، فردوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم، ونهيه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: فبأي حديث بعد هذا القرآن، أي أنتم أيها القوم كذبتم به مع وضوح برهانه، وصحة دلائله، أنه حق من عند الله تؤمنون: تصدقون. وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا المخبر عنه، ولم يعاينوه، وأنهم إن صدقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن، والله أعلم.

آخر تفسير سورة والمرسلات

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۗ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يا محمد، وقيل ذلك له ﷺ، وذلك أن قريشا جعلت فيما ذكر عنها تختصم وتتجادل في الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإقرار بنبوته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون، و"في" و"عن" في هذا الموضوع بمعنى واحد. قال أبو جعفر، ثم أخبر الله نبيه ﷺ عن الذي يتساءلون، فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم. واختلف أهل التأويل في المعنى بالنبأ العظيم وهو كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ قال: يوم القيامة؛ قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وأباؤنا، قال: فهم فيه مختلفون، لا يؤمنون به، فقال الله: بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون: يوم القيامة لا يؤمنون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: كَلَّا يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم، وتوعدهم جل ثناؤه على هذا القول منهم، فقال: سَيَعْلَمُونَ يقول: سيعلم هؤلاء الكفار المنكرون وعيد الله أعداءه، ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم أكد الوعيد بتكرير آخر، فقال: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم على كفرهم به، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله، وأفضوا إلى ما قدموا من سيئ أعمالهم. وذكر عن الضحاك بن مزاحم في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك كَلَّا سَيَعْلَمُونَ الكفار ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ المؤمنون، وكذلك كان يقرأها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۚ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۚ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ﴾ يقول تعالى ذكره معددا على هؤلاء المشركين نعمة وأياديه عندهم، وإحسانه إليهم، وكفرانهم ما أنعم به عليهم، ومتوعدهم بما أعد لهم عند ورودهم عليه من صنوف عقابه، وأليم عذابه، فقال لهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ لَكُمْ مِهَادًا﴾ تمتدونها وتفرشونها. كالذي جاء عن قتادة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: أي بساطا ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ يقول: والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكرنا وإنثا، وطوالا وقصارا، أو ذوي دمامة وجمال، مثل قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني به: صيرناهم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ يقول: وجعلنا نومكم لكم راحة ودعة، تهدئون به وتسكنون، كأنكم أموات لا

تشعرون، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح، والسبت والسبات: هو السكون، ولذلك سمي السبت سبتاً، لأنه يوم راحة ودعة ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ١٢ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ ١٣ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ١٤ يقول تعالى ذكره: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾: وسقفنا فوقكم، فجعل السقف بناء، إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت - وهي سماؤها - بناءً وكانت السماء للأرض سقفاً، فخطبهم بلسانهم إذ كان التنزيل بلسانهم، وقال ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾: إذ كانت وثاقاً محكمة الخلق، لا صدوع فيهن ولا فطور، ولا يبلهن من الليالي والأيام. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا سراجاً، يعني بالسراج: الشمس وقوله: ﴿وَهَّاجًا﴾ يعني: وقادا مضيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ اختلف أهل التأويل في المعني بالمعصرات، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات - وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب - ماء. وأما قوله: ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ يقول: ماء منصبا يتبع بعضه بعضاً كتحج كماء البدن، وذلك سفكها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال بعضهم: عني بالثجاج: الكثير. كما جاء عن ابن وهب

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ١٥ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ ١٦ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ ١٧ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ١٨ ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ١٩ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ٢٠. يقول تعالى ذكره: لنخرج بالماء الذي ننزله من المعصرات إلى الأرض حبا، والحب كل ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد، وهي جمع حبة، كما الشعير جمع شعيرة، وكما التمر جمع ثمرة: وأما النبات فهو الكلاء الذي يُرعى، من الحشيش والزرع. وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ يقول: ولنخرج بذلك الغيث جنات، وهي البساتين، وقال: ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ والمعنى: وثمر جنات، فترك ذكر الثمر استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره. وقوله: ﴿أَلْفَافًا﴾ يعني: ملتفة مجتمعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه، يأخذ فيه من بعضهم لبعض، كان ميقاتا لما أنفذ الله لهؤلاء المكذبين بالبعث، ولضربائهم من الخلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ترجم يوم ينفخ عن يوم الفصل، فكأنه قيل: يوم الفصل كان أجلا لما وعدنا هؤلاء القوم، يوم ينفخ في الصور، وقد بينت معنى الصور فيما مضى قبل، وذكرت اختلاف أهل التأويل فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، وهو قرن يُنفخ فيه عندنا. كالذي جاء عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: "الصور: قرن". وقوله: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يقول: فيجيئون زمرا زمرا، وجماعة جماعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وإنما قيل: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها كما

قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وشققت السماء فصُدِّعت، فكانت طُرُقًا، وكانت من قبل شدادا لا فطور فيها ولا صدوع. وقيل: معنى ذلك: وفتحت السماء فكانت قطعًا كقطع الخشب المشققة لأبواب الدور والمسكن، قالوا: ومعنى الكلام: وفتحت السماء فكانت قطعًا كالأبواب، فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر، كما يقال في الكلام: كان عبد الله أسدا، يعني: كالأسد. وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ يقول: ونُسفت الجبال فاجتشت من أصولها، فصيرت هباء منبثًا، لعين الناظر، كالسراب الذي يظن من يراه من بُعد ماء، وهو في الحقيقة هباء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَابًا ۝ لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝﴾. يعني تعالى ذكره بقوله: إن جهنم كانت ذات رِصْد لأهلها الذين كانوا يكذبون في الدنيا بها وبالمرعاد إلى الله في الآخرة، ولغيرهم من المصدقين بها. ومعنى الكلام: إن جهنم كانت ذات ارتقاب ترقب من يجتازها وترصدهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿لِلطَّاغِينَ مَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن جهنم للذين طغوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارا على ربهم كانت منزلا ومرجعا يرجعون إليه، ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الطاغين في الدنيا لا يثبون في جهنم، فماتون فيها أحقابًا. وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ مدة الحُقب فجاء عن بشير بن كعب، في قوله: ﴿لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: بلغني أن الحُقب ثلاث مئة سنة، كل سنة ثلاث مئة وستون يوما، كل يوم ألف سنة. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام لهلال الهجري: ما تجدون الحُقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجد ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة. وعن سالم، قال: سمعت الحسن يُسأل عن قول الله: ﴿لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب فليس لها عِدَّة إلا الخلود في النار؛ ولكن ذكروا أن الحُقب الواحد سبعون ألف سنة، كل يوم من تلك الأيام السبعين ألفا كالف سنة مما تعدون. حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن في قوله: ﴿لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب، فلا يدري أحد ما هي، وأما الحُقب الواحد: فسبعون ألف سنة، كل يوم كالف سنة. ورؤي عن خالد بن معدان في هذه الآية أنها في أهل القبلة. فعن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَا يَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة. فإن قال قائل: فما أنت قائل في هذا الحديث؟ قيل: الذي قاله قتادة عن الربيع بن أنس في ذلك أصح. فإن قال: فما للكفار عند الله عذاب إلا أحقابا، قيل: إن الربيع وقاتدة قد قالوا إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع لها. وقد يحتمل أن يكون

معنى ذلك: لا يثبون فيها أحقابا في هذا النوع من العذاب هو أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ فإذا انقضت تلك الأحقاب، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال جل

ثناؤه في كتابه: ﴿وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية. وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يقول: لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السعير عنهم، إلا الغساق، ولا شرابا يرويههم من شدة العطش الذي بهم، إلا الحميم. كما جاء عن الربيع وقوله: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ يقول تعالى ذكره: لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميمًا قد أغلي حتى انتهى حرّه، فهو كالمهل يَسْوِي الوجوه، ولا بردًا إلا عَسَاقًا. اختلف أهل التأويل في معنى العَسَاق والغساق عندي: هو الفعال، من قولهم: عَسَقَتْ عين فلان: إذا سالت دموعها، وعَسَقَ الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يعني بالغاسق: الليل إذا لَبَسَ الأشياءَ وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجوم السيل السائل. فإذا كان الغَسَاق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة برده التنن. كالذي جاء عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: "لَوْ أَنَّ دُلُومًا مِنْ عَسَاقٍ يُهْرَاقُ إِلَى الدُّنْيَا لَأَتَنَّ أَهْلُ الدُّنْيَا". وكالذي جاء عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "أتدرون أي شيء الغَسَاق؟" قالوا: الله أعلم، قال: "هو القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب لأتنت أهل المشرق، ولو تهراق بالمشرق، لأتنت أهل المغرب". فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغَسَاق: هو الزمهرير، والزمهرير، هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلًا؟ قيل: إن البرد الذي لا يُسْتَطَاع ولا يُطَاق يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۖ﴾. يقول تعالى ذكره: هذا العقاب الذي عَوِّبَ به هؤلاء الكفار في الآخرة فعله بهم ربهم جزاء، يعني: ثوابا لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التي كانوا يعملونها في الدنيا، وهو مصدر من قول القائل: وافق هذا العقاب هذا العلم وفاقا. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، وسوء شكرهم له على ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكذب هؤلاء الكفار بحُجَجِنَا وأدلتنا تكذيبا. وقيل: ﴿كِذَابًا﴾، ولم يقل تكذيبا تصديرا على فعله. وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء أحصيناه فكتبناه كتابا، كتبنا عدده ومبلغه وقدره، فلا يعزُب عنا علم شيء منه، ونصب كتابا، لأن في قوله: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ مصدر أثبتناه وكتبناه، كأنه قيل: وكل شيء كتبناه كتابا. وقوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يقول جل ثناؤه: يقال لهؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغَسَاق: ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي كتبتم به في الدنيا تكذبون، فلن نزيدكم إلا

عذاباً على العذاب الذي أنتم فيه، لا تخفيفاً منه، ولا ترفهاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۚ﴾. يقول: إن للمتقين منجى من النار إلى الجنة، ومخلصاً منها لهم إليها، وظفراً بما طلبوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿حَدَائِقَ﴾ والحدائق: ترجمة وبيان عن المفاز، وجاز أن يترجم عنه، لأن المفاز مصدر من قول القائل: فاز فلان بهذا الشيء، إذا طلبه فظفر به، فكأنه قيل: إن للمتقين ظفراً بما طلبوا من حدائق وأعنان، والحدائق: جمع حديقة، وهي البساتين من النخل والأعنان والأشجار المحوطة عليها الحيطان المحدقة بها، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يقل لها حديقة، وإحداقها بها: اشتمالها عليها. وقوله: ﴿وَأَعْنَابًا﴾ يعني: وكروم أعنان، واستغنى بذكر الأعنان عن ذكر الكروم. وقوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ يقول: ونواهد في سنٍّ واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ يقول: وكأساً ملاًى متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدهق: وهو متتابعة الضغط على الإنسان بشدة وعنف، وكذلك كأس الدهاق: متابعته على شاربها بكثرة وامتلاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقال بعضهم الصافية وقال آخرون المتتابعة وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسمعون في الجنة لغوا، يعني باطلا من القول، ولا كذاباً، يقول: ولا مكاذبة، أي لا يكذب بعضهم بعضاً، كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۖ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۚ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۚ﴾. يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ﴾ أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثواباً من ربك بأعمالهم، على طاعتهم إياه في الدنيا. وقوله: ﴿عَطَاءٌ﴾ يقول: تفضلاً من الله عليهم بذلك الجزاء، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشراً في بعض وفي بعض بالواحد سبع مئة، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء، فعطاء من الله. وقوله: ﴿حِسَابًا﴾ يقول: محاسبة لهم بأعمالهم لله في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ يقول جل ثناؤه: جزاء من ربك رب السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلق. واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ بالرفع في كليهما. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض الكوفيين: ﴿رَبِّ﴾ خفضاً: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفعاً ولكل ذلك عندنا وجه صحيح، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب، غير أن الخفض في الرب، لقربه من قوله: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾: أعجب إليّ، وأما ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالرفع فإنه أحسن لبعده من ذلك. وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة، إلا من أذن له منهم وقال صواباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ اختلف أهل العلم

في معنى الروح في هذا الموضع والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطاباً، يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت ﴿من أنه جبريل عليه السلام أو ملك عظيم أو هو القرآن أو بنى آدم أو خلق آخر يخلق الله عز وجل﴾، والله أعلم أي ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به. وقيل: إنه يقول: سَمَاطَان. كالذي جاء عن الشعبي، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال: هما سَمَاطَان لرب العالمين يوم القيامة؛ سَمَاط من الروح، وسَمَاط من الملائكة. وقوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قيل: إنهم يؤذن لهم في الكلام حين يؤمر بأهل النار إلى النار، وبأهل الجنة إلى الجنة. واختلف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفاً، إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صواباً، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عني بذلك نوعاً من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا ﴿٣٦﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٣٧﴾﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴿الْحَقُّ﴾ يقول: إنه حق كائن لا شك فيه. وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا﴾ يقول: فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحق، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله ﴿مَا بَا﴾، يعني: مرجعاً، وهو مفعول من قولهم: أب فلان من سفره كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يقول: إنا حذرناكم أيها الناس عذاباً قد دنا منكم وقرب، وذلك ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ المؤمن ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير اكتسبه في الدنيا، أو شر سلفه، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها. وقوله: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول الكافر يومئذ تمنياً لما يلقي من عذاب الله الذي أعدّه لأصحابه الكافرين به، يا ليتني كنت تراباً كالبهائم التي جُعِلَتْ تراباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عبد الله بن عمرو، قال: "إذا كان يوم القيامة، مُدَّ الأديم، وحُشِرَ الدوابُّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاء الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، قال: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً". وكالذي جاء عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقْبِذُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرَنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا".

آخر تفسير سورة عم يتساءلون.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝﴾. أقسم ربنا جل جلاله بالنازعات، واختلف أهل التأويل فيها، وما هي، وما تنزع؟ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقا، ولم يخص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقا، فداخله في قسمه، ملكا كان أو موتا، أو نجما، أو قوسا، أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات إغراقا كما يغرق النازع في القوس. وقوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: واختلف أهل التأويل أيضا فيهنّ، وما هنّ، وما الذي ينشط والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات نشطا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تنشط فكل ناشط فداخل فيما أقسم به إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بأن المعنى بالقسم من ذلك بعض دون بعض. وقوله: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ يقول تعالى ذكره: واللواتي تسبح سبحا. واختلف أهل التأويل في التي أقسم بها جل ثناؤه من السابحات والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالسابحات سبحا من خلقه، ولم يخص من ذلك بعضا دون بعض، فذلك كل سابح، لما وصفنا قبل في النازعات. وقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: واختلف أهل التأويل فيها والقول عندنا في هذه مثل القول في سائر الأحرف الماضية. وقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ يقول: فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم ترجف الأرض والجبال للنفخة الأولى ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ تتبعها الأخرى بعدها، هي النفخة الثانية التي ردت الأولى لبعث يوم القيامة. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر الصور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: "قَرْنٌ". قال: فكيف هو؟ قال: "قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ فَيَدِيمُهُا، وَيَطْوِلُهَا، وَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي تَقُولُ: مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾". وقال آخرون: في ذلك ما جاء عن مجاهد، في قول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة وقوله: ﴿الرَّادِفَةُ﴾: قال: هو قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

اَشَقَّتْ ﴿فَدَكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾. وقال آخرون: ترجف الأرض، والرادفة: الساعة. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قلوب خلق من خلقه يومئذ، خائفة من عظيم الهول النازل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يقول: أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم من عظيم هول ذلك اليوم. كما جاء ابن زيد، في قوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ قال: خاشعة للذل الذي قد نزل بها. وعن قتادة، قوله: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ يقول: ذليلة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَبَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ﴿١٧﴾ أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١٨﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٩﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿٢١﴾. يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أننا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا، وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ بمعنى بالية كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي رجعة خاسرة. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، ونفخة تنفخ في الصور، وذلك هو الزجرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كم جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا هؤلاء المكذبون بالبعث المتعجبون من إحياء الله إياهم من بعد مماتهم، تكذيباً منهم بذلك بالساهرة، يعني بظهر الأرض، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة، وأراهم سموا ذلك بها، لأن فيه نوم الحيوان وسهرها، فوصف بصفة ما فيه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ﴿١٥﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿١٨﴾. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران، وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدس، يعني بالمقدس: المطهر المبارك. وقد ذكرنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع، وكذلك بينا معنى قوله: ﴿طُوًى﴾ وما قال فيه أهل التأويل، غير أننا نذكر بعض ذلك هاهنا. وقد اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿طُوًى﴾ فقال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: اسم المقدس طوى. وعن مجاهد: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قال: طأ الأرض بقدمك. وقال آخرون: بل معنى ذلك أن الوادي قدس طوى: أي مرتين، وقد بينا ذلك كله ووجوهه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ يقول تعالى ذكره: نادى موسى ربه: أن اذهب إلى فرعون، فحذفت "أن" إذ كان النداء قولاً فكأنه قيل لموسى قال ربه: اذهب إلى فرعون. وقوله: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ يقول: عتا وتجاوز حده في العدوان، والتكبر على ربه. وقوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟ كما جاء عن ابن زيد

وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ١٩﴾ فَأَرَاهُ الْكُتُبَى ٢٠ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ٢٢ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤﴾. يقول تعالى ذكره لنبى موسى: قل لفرعون: هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضى ربك، وذلك الدين القيم ﴿فَتَخْشَى﴾ يقول: فتخشى عقابه بأداء ما ألزمتك من فرائضه، واجتناب ما نهك عنه من معاصيه. قوله: ﴿فَأَرَاهُ الْكُتُبَى﴾ يقول تعالى ذكره: فأرى موسى فرعون الآية الكبرى، يعني الدلالة الكبرى، على أنه الله رسول أرسله إليه، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين، وعصاه إذ تحولت ثعبانا مبينا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ يقول: فكذب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه، وخشيته إياه. وقوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ يقول: ثم ولّى معرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده. ﴿يَسْعَى﴾ يقول: يعمل في معصية الله، وفيما يسخطه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ يقول: فجمع قومه وأتباعه، فنادى فيهم ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ الذي كل رب دوني، وكذب الأحمق. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ٢٦﴾ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ٢٧ ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ٢٨﴾. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ فعاقبه الله ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ يقول: عقوبة الآخرة من كلمتيه، وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن في العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا، وفي أخذه إياه نكال الآخرة والأولى، عظة ومعتبرا لمن يخاف الله ويخشى عقابه، وأخرج نكال الآخرة مصدرا من قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ لأن قوله ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ نكل به فجعل ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ مصدرا من معناه لا من لفظه. وقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره للمكذّبين بالبعث من قريش، القائلين: ﴿أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أأنتم أيها الناس أشد خلقا، أم السماء بناها ربكم، فإن من بنى السماء فرفعها سقفا، هيّن عليه خلقكم وخلق أمثالكم، وإحياءكم بعد مماتكم وليس خلقكم بعد مماتكم بأشد من خلق السماء. وعني بقوله: ﴿بَنَاهَا﴾: رفعها فجعلها للأرض سقفا. وقوله: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فسوّى السماء، فلا شيء أرفع من شيء، ولا شيء أخفض من شيء، ولكن جميعها مستوي الارتفاع والامتداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ٣١ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ٣٢ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ٣٣ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ٣٤ وقوله: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أظلم ليل السماء، فأضاف الليل إلى السماء، لأن الليل غروب الشمس، وغروبها وطلوعها فيها، فأضيف إليها لما كان فيها، كما قيل: نجوم الليل، إذ كان فيه الطلوع والغروب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره وقوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ يقول: وأخرج ضياءها، يعني: أبرز نهارها فأظهره، ونور ضحاها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدر فيها أوقاتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، لأنه جل ثناءه قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ والمعروف من معنى "بَعْدَ" أنه خلاف معنى "قَبْلَ" وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد خلق السموات لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمد يقال منه: دحا يدحو دحوا، ودحيث أدحي دحيا، لغتان وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ يقول: فجّر فيها الأنهار ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ يقول: أنبت نباتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ يقول: والجبال أثبتها فيها، وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فيها، وذلك أن معنى الكلام: والجبال أرساها فيها. فعن قتادة ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أي: أثبتها لا تميد بأهلها كالذي جاء عن علي قال: لما خلق الله الأرض قمصت وقالت: تخلق علي آدم وذريته يلقون علي ننتهم، ويعملون علي بالخطايا، فأرساها الله، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، فكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِرَ يحتلج لحمها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ٣٥ وَإِذْ جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ٣٦ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ٣٧ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ٣٨ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أنه خلق هذه الأشياء، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها منفعة لنا ومتاعا إلى حين. وقوله: ﴿إِذْ جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت التي تطم على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها، وقيل: إنها اسم من أسماء يوم القيامة. وقوله: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يقول: إذا جاءت الطامة يوم يتذكر الإنسان ما عمل في الدنيا من خير وشر، وذلك سعيه ﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ﴾ يقول: وأظهرت الجحيم، وهي نار الله لمن يراها، يقول: لأبصار الناظرين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١﴾. يقول تعالى ذكره: فأما من عتا على ربه، وعصاه واستكبر عن عبادته. كما جاء عن مجاهد قوله: ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول: وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعد الله فيها لأولئها، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك

العمل للآخرة ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يقول: فإن نار الله التي اسمها الجحيم، هي منزله ومأواه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ يقول: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يقول: فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ ﴿٤٤﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ﴿٤٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يسألك يا محمد هؤلاء المكذبون بالبعث عن الساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾، متى قيامها وظهورها. وكان الفراء يقول: إن قال القائل: إنما الإرساء للسفينة، والجبال الراسية وما أشبههن، فكيف وصف الساعة بالإرساء؟ قلت: هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست، ورسوها: قيامها؛ قال: وليس قيامها كقيام القائم، إنما هي كقولك: قد قام العدل، وقام الحق؛ أي ظهر وثبت. قال أبو جعفر رحمه الله: يقول الله لنبيه: ﴿فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ يقول: في أي شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. وذكر أن رسول الله ﷺ كان يكثر ذكر الساعة، حتى نزلت هذه الآية. كالذي جاء عن عائشة، قالت: لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾. وقوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ يقول: إلى ربك تنتهي علمها، أي إليه ينتهي علم الساعة، لا يعلم وقت قيامها غيره. وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد: إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه ولم تكلف علم وقت قيامها، يقول: فدع ما لم تكلف علمه واعمل بما أمرت به من إنذار من أمرت بإنذاره. وقوله: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ يقول جل ثناؤه: كأن هؤلاء المكذبين بالساعة، يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحى تلك العشية، والعرب تقول: آتاك العشية أو غداتها، وآتاك الغداة أو عشيتها، فيجعلون معنى الغداة بمعنى أول النهار، والعشية: آخر النهار فكذلك قوله: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ إنما معناه إلا آخر يوم أو أوله كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة النازعات.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿عَبَسَ﴾ قبض وجهه تكبرها، ﴿وَتَوَلَّى﴾ يقول: وأعرض ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ يقول: لأن جاءه الأعمى. وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يطول الألف ويمدها من ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ فيقول: ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾، وكأن معنى الكلام كان عنده: أن جاءه الأعمى؟ عبس وتولى، كما قرأ من قرأ: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِيٍّ﴾ بمد الألف من "أن" وقصرها. وذكر أن الأعمى الذي ذكره الله في هذه الآية، هو ابن أم مكتوم، عوتب النبي ﷺ بسببه. كالذي جاء عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ قال: "بيننا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدى لهم كثيرا، ويعرض عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين؛ فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خفق برأسه، ثم أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له: "ما حاجتك، هل تريد من شيء؟" وإذا ذهب من عنده قال له: "هل لك حاجة في شيء؟" وذلك لما أنزل الله: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما يدريك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عبست في وجهه يَزَّكَّى: يقول: يتطهر من ذنوبه. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ يسلم. وقوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ يقول: أو يتذكر فتنبه الذكرى: يعني: يعتبر فينبهه الاعتبار والاعتاظ، والقراءة على رفع: ﴿فَتَنْفَعَهُ﴾ عطفًا به على قوله: ﴿يَذَّكَّرُ﴾، وقد روي عن عاصم النصب فيه والرفع، والنصب على أن تجعله جوابا بالفاء للعلل

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ وَهُوَ يَخْشَى ۚ﴾ يعني تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أما من استغنى بماله فأنت له تتعرض رجاء أن يسلم. كالذي جاء عن مجاهد، قوله: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ قال عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ يقول: وأي شيء عليك أن لا يتطهر من كفره

فَيُسَلِّمُ؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ يقول: وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعياً، وهو يخشى الله ويتقيه ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ يقول: فأنت عنه تعرض، وتشاغل عنه بغيره وتغافل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۚ﴾ ﴿١٣﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۖ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ﴾ ﴿١٤﴾ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا﴾ ما الأمر كما تفعل يا محمد من أن تعبس في وجه من جاءك يسعياً وهو يخشى، وتتصدى لمن استغنى ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة: يقول: عظة وعبرة ﴿فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ يقول: فمن شاء من عباد الله ذكره، يقول: ذكر تنزيل الله ووحيه والهاء في قوله: "إِنَّهَا" للسورة، وفي قوله: "ذَكَرَهُ" للتنزيل والوحي. ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ يعني: في اللوح المحفوظ، وهو المرفوع المطهر عند الله. وقوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يقول: الصحف المكرمة بأيدي سفرة، جمع سافر. واختلف أهل التأويل فيهم ما هم؟ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الملائكة الذين يَسْفِرُونَ بين الله ورسله بالوحي. وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سفرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم، وإذا وُجِّه التأويل إلى ما قلنا، احتمل الوجه الذي قاله القائلون: هم الكتبة، والذي قاله القائلون: هم القراء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب، وتُسَفِّرُ بين الله وبين رسله. وقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ والبررة: جمع بارٍّ، كما الكفرة جمع كافر، والسحرة جمع ساحر، غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا: رجل بر، وامرأة برّة، وإذا جمعوا ردّوه إلى جمع فاعل، كما قالوا: رجل سري، ثم قالوا في جمعه: قوم سراة وكان القياس في واحده أن يكون سارياً، وقد حُكي سماعاً من بعض العرب: قوم خيرة بررة، وواحد الخيرة: خير، والبررة: برّ. وقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: لعن الإنسان الكافر ما أكفره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مجاهد. حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا عبد الحميد الجماني، عن الأعمش، عن مجاهد قال: ما كان في القرآن قُتِلَ الإنسان أو فُعل بالإنسان، وإنما عني به: الكافر. وفي قوله: ﴿أَكْفَرَهُ﴾ وجهان: أحدهما: التعجب من كفره مع إحسان الله إليه، وأياديه عنده. والآخر: ما الذي أكفره، أي: أي شيء أكفره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ﴾ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ﴾ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۚ﴾ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ﴾ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۚ﴾ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۚ﴾ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: من أي شيء خلق الإنسان الكافر ربه حتى يتكبر ويتعظم عن طاعة ربه، والإقرار بتوحيده. ثم بين جل ثناؤه الذي منه خلقه، فقال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ أحوالاً نطفة تارة، ثم علقة أخرى، ثم مضغة، إلى أن أتت عليه أحواله وهو في رحم أمه. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يقول: ثم يسره للسبيل، يعني للطريق. واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسره لها وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه،

وتصرفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده. وقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ يقول: ثم قبض رُوحه، فأماته بعد ذلك. يعني بقوله: ﴿أَقْبَرَهُ﴾ صيره ذا قبر، والقابر: هو الدافن الميت بيده، والمقبر: هو الله، الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته، فصيره ذا قبر. والعرب تقول فيما ذكر لي: بترت ذنب البعير، والله أبتره، وعضبت قرن الثور، والله أعضبه؛ وطردت عني فلانا، والله أطرده، صيره طريدا. وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ يقول: ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه، يقال: أنشر الله الميت بمعنى: أحياه، ونشر الميت بمعنى حياى هو بنفسه، وقوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه، في نفسه وماله، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض ربُّه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ١١ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ١٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ١٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ١٧ وَعَنْبًا وَقَضْبًا ١٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ١٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٢٠. يقول تعالى ذكره: فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره. وقوله: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالا وصببناه عليها صبا ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ يقول: ثم فتقنا الأرض فصدعناها بالنبات ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يعني: حب الزرع، وهو كل ما أخرجته الأرض من الحبوب كالحنطة والشعير، وغير ذلك ﴿وَعَنْبًا﴾ يقول: وكرم عنب ﴿وَقَضْبًا﴾ يعني بالقضب: الرطبة، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو الزيتون الذي منه الزيت ﴿وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ وقد بينا أن الحديقة البستان المحوَّط عليه. وقوله: ﴿غُلْبًا﴾ يعني: غلاظا. ويعني بقوله: ﴿غُلْبًا﴾ أشجارا في بساتين غلاظ. والغلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة من الرجال كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ٢١ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ٢٢ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ٢٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٢٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٢٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ٢٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٢٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ٢٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ٢٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ٣٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ٣١ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ٣٢﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿وَفَاكِهَةً﴾ ما يأكله الناس من ثمار الأشجار، والأب: ما تأكله البهائم من العشب والنبات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقال ابن عباس، قوله ﴿وَأَبًّا﴾ يقول: الثمار الرطبة. وقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ يقول: أنبتنا هذه الأشياء التي يأكلها بنو آدم متاعا لكم أيها الناس، ومنفعة تتمتعون بها، وتتفعون، والتي يأكلها الأنعام لأنعامكم، وأصل الأنعام الإبل، ثم تستعمل في كل راعية. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ ذكر أنها اسم من أسماء القيامة، وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له، إلا أن هذا يقال منه: هو مُصِيخ له، ولعل الصوت هو الصاخ، فإن يكن ذلك كذلك، فينبغي أن يكون قبل ذلك لنفخة الصور. كما جاء

عن ابن عباس وقوله: ﴿يَوْمَ يَقْرَ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يقول: فإذا جاءت الصاخة في هذا اليوم الذي يقر فيه المرء من أخيه. ويعني بقوله: يقر من أخيه: يقر عن أخيه ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعني: زوجته التي كانت زوجته في الدنيا ﴿وَوَبَّيْهِ﴾ حذرا من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم. وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿يَقْرَ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يقر عن أخيه لئلا يراه، وما ينزل به، ﴿لكل امرئ﴾ يعني: من الرجل وأخيه وأمه وأبيه، وسائر من ذكر في هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة إذا جاءت الصاخة يوم القيامة ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يقول: أمر يغنيه، ويُسْغِلْهُ عن شأن غيره. كالذي جاء عن أنس قال: سألت عائشة رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني سئلتك عن حديث أخبرني أنت به، قال: "إن كان عندي منه علم" قالت: يا نبي الله كيف يُحْشَرُ الرجال؟ قال: "حفاة عُرَاة"، ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله كيف يُحْشَرُ النساء؟ قال: "كذلك حفاة عُرَاة"، قالت: واسوأناه من يوم القيامة، قال: "وعن ذلك تسأليني؟ إنَّه قد نزلت علي آية لا يَصْرُكُكَ كَانَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ أَمْ لَا"، قالت: أي آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضى الله عنهم، يقال: أسفر وجه فلان: إذا حَسُنَ، ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء، وكل مضيء فهو مسفر، وأما سَفَرٌ بغير ألف، فإنما يقال للمرأة إذا أَلْقَتْ نَقَابَهَا عن وجهها أو برقعها، يقال: قد سَفَرَتِ المرأة عن وجهها إذا فعلت ذلك فهي سافرة ﴿صَاحِكَةٌ﴾ يقول: ضاحكة من السرور بما أعطاه الله من النعيم والكرامة ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ لما ترجو من الزيادة. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَجُوهٌ﴾ وهي وجوه الكفار يومئذ عليها غبرة. ذكر أن البهائم التي يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها، يحول ذلك التراب غبرة في وجوه أهل الكفر ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يقول: يغشى تلك الوجوه قَتَرَةٌ، وهي الغبرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله، كانوا في الدنيا الفجرة في دينهم، لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله، وركبوا من محارمه، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده.

آخر تفسير سورة عبس.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة إذا الشمس كورت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: ﴿كُوِّرَتْ﴾ كما قال الله جل ثناؤه، والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعلى التأويل الذي تأولناه وبيّناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرَتْ ورُمي بها، ذهب ضوءها. كالذي جاء عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واحترقت، وفزعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش، وماجوا بعضهم في بعض ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: اختلطت ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أهملها أهلها ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج؛ قال: فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم فأماتهم. وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ يقول: وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت، وأصل الانكدار: الانصباب كما جاء عن الربيع بن خثيم وغيره وقال آخرون: انكدرت: تغيرت. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يقول: وإذا الجبال سيرها الله، فكانت سرايا، وهباء منبثا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد قوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ والعشار: جمع عشراء، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم فكيف بغيرها؟! وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي بن كعب وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾. ^(١٠) يختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى حشرت: جمعت، فأमित لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالطَّيْرَ فَحْشُورَةً﴾ يعني: مجموعة. وقوله: ﴿فَحْشَرْتُ فَتَادَى﴾ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول. وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ يختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: مُلئت حتى فاضت، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر، فقال: "وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ" والعرب تقول تقول للنهر أو للركي المملوء: ماء مسجور؛ وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ يختلف أهل التأويل في تأويله وأولى التأويلين في ذلك بالصحة، الذي تأوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: أزواج في الجنة، وأزواج في النار. ^(١١) للعلة التي اعتل بها، وذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، وقوله: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ وذلك لا شك الأمثال والأشكال في الخير والشر، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بالقرناء والأمثال في الخير والشر. وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بمعنى: سُئلت الموءودة بأي ذنب قُتلت، ومعنى قُتلت: قُتلت غير أن ذلك رد إلى الخبر على وجه الحكاية وقد يتوجه معنى ذلك إلى أن يكون: وإذا الموءودة سألت قتلتها ووائديها، بأي ذنب قتلوها؟ ثم رد ذلك إلى ما لم يسم فاعله، فقيل: بأي ذنب قُتلت. وقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَبَابِلُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَةُ أُرْلِفَتْ ۖ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ ۖ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۖ﴾. ^(١٢) يقول تعالى ذكره: وإذا السماء نزع وتجدبت ثم طويت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَبَابِلُ سُجِّرَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الجحيم أوقد عليها فأحميت. كما جاء عن الربيع وقوله: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ يقول تعالى ذكره: علمت نفس عند ذلك ما أحضرت من خير، فتصير به إلى الجنة، أو شر فتصير به إلى النار، يقول: يتبين له عند ذاك ما كان جاهلا به، وما الذي كان فيه صلاحه من غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ جواب لقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما بعدها، كما يقال: إذا قام عبد الله قعد عمرو. وقوله: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ يختلف أهل التأويل في الخنس الجوار الكنس وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس

أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها: مَكْنَسٌ وكناس فالكناس في كلام العرب ما وصفت، وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يُعمَ بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف جل ثناؤه من صفتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّعَسَ ٧ وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ١٠﴾. أقسم ربنا جل ثناؤه بالليل إذا عسعس، يقول: وأقسم بالليل إذا عسعس. واختلف أهل التأويل في قوله: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا عَسَّعَسَ﴾ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فدل بذلك على أن القسم بالليل مدبراً، وبالنهار مقبلاً والعرب تقول: عسعس الليل، وسعسع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير؛ وقوله: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يقول: وضوء النهار إذا أقبل وتبين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لتنزِيل رسول كريم؛ يعني: جبريل، نزله على محمد بن عبد الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ذي قوَّة، يعني: جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يقول: هو مكيّن عند ربّ العرش العظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ ١١ ثُمَّ أَمِينٌ ١٢ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ١٣ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ١٤ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ١٥ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ١٦ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: مُطَاعٌ ثُمَّ يعني جبريل ﷺ، مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمين يقول: أمين عند الله على وحيه ورسالته وغير ذلك مما ائتمنه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما صاحبكم أيها الناس محمد بمجنون فيتكلم عن جنة، ويهدي هذيان المجانين بل جاء بالحقّ وصدّق المرسلين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ميمون ابن مهران وقوله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ يقول تعالى ذكره: ولقد رآه أي محمد جبريل ﷺ في صورته بالناحية التي تبين الأشياء، فترى من قبلها، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قبل المشرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عامر، قال: ما رأى جبريل النبي ﷺ في صورته إلا مرة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له: دَحْيَة، فأتاه يوم رآه في صورته قد سدّ الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدرّ، فذلك قول الله: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ وذكر أن هذه الآية في "إذا الشمس كورت" إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ

كَرِيمٍ فِي جَبْرِيلَ، إِلَى قَوْلِهِ: وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ. وَقَوْلُهُ: وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ بِمَعْنَى: كَالَّذِي جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ بِبَخِيلٍ. وَقَالَ: ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ الْغَيْبِ: الْقُرْآنَ، لَمْ يَضَنَّ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَذَاهُ وَيُلْغُهُ، بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ جَبْرِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَدَّى جَبْرِيلَ مَا اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَأَدَّى مُحَمَّدٌ مَا اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ وَجَبْرِيلَ إِلَى الْعِبَادِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ضَنَّ، وَلَا كَتَمَ، وَلَا تَخَرَّصَ. وَقَوْلُهُ: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيِهِ. وَقَوْلُهُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٤﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾. يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿إِنْ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ: إِلَّا تَذَكُّرٌ وَعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فَجَعَلَ ذَلِكَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ذِكْرًا لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ذِكْرًا لَجَمِيعِهِمْ، فَالْإِلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ إِبْدَالٌ مِنَ الْإِلَامِ فِي الْعَالَمِينَ. وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ، وَيُؤْمِنُ بِهِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: يَتَّبِعُ الْحَقَّ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَمَا تَشَاءُونَ أَيُّهَا النَّاسُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ. وَذَكَرَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، مَا جَاءَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قَالَ أَبُو جَهْلٍ ذَلِكَ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

آخر تفسير سورة (إذا الشمس كورت)

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت، وإذا كواكبها انتشرت منها فتساقطت، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ يقول: فُجِّرَ بعضها في بعض، فملاً جميعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في بعض ذلك. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يقول: وإذا القبور أُثِّرت فاستخرج من فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثر فلان حوض فلان: إذا جعل أسفله أعلاه، يقال: بعثرة وبحثرة: لغتان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ يقول تعالى ذكره: علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخرت وراءه من شيء سنَّه فعمل به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر، أي شيء غرَّكَ بربك الكريم، غرَّ الإنسان به عدوه المسلط عليه. وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ يقول: الذي خلقك أيها الإنسان فسوى خلقك ﴿فَعَدَلَكَ﴾ باختلاف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والشام والبصرة ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها، وكأن من قرأ ذلك بالتشديد وجَّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدلاً الخلق مقوِّماً، وكأن الذين قرءوه بالتخفيف، وجَّهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إلي أن أقرأ به قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول "في" للتعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد. وبنحو الذي قلنا في ذلك وذكرنا أن قارئ ذلك تأوّلوه، جاءت الرواية عن أهل التأويل أنهم قالوه. ذكر الرواية بذلك: كالذي جاء عن مجاهد، في قول الله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم. وكما جاء عن إسماعيل، في قوله: ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قال: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝١ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝٢ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝٣ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝٤ إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٥﴾. يقول تعالى ذكره: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب، والحساب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يقول: وإن عليكم رُقباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويُحصونها عليكم ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يقول: كراما على الله كاتبين يكتبون أعمالكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أيوب وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شر، يحصون ذلك عليكم. وقوله: ﴿إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يقول جل ثناؤه: إن الذين برّوا بأداء فرائض الله، واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان ينعمون فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝٦ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝٧ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝٩ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٠ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝١١ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٢﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ﴾ الذين كفروا برهم ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾. وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول جل ثناؤه: يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة، يوم يُدان العباد بالأعمال، فيُجازون بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبدا، فغائبين عنها، ولكنهم فيها مخلّدون ماكثون، وكذلك الأبرار في النعيم، وذلك نحو قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أدراك يا محمد، أي وما أشعرك ما يوم الدين؟ يقول: أي شيء يوم الحساب والمجازاة، معظما شأنه جلّ ذكره، بقبلة ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يقول: ثم أي شيء أشعرك يوم المجازاة والحساب يا محمد، تعظيما لأمره، ثم فسّر جلّ ثناؤه بعض شأنه فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ يقول: ذلك اليوم، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ يقول: يوم لا تُغني نفس عن نفس شيئا، فتدفع عنها بليّة نزلت بها، ولا تنفعها بنافعة، وقد كانت في الدنيا تحميها، وتدفع عنها من بغاها سوءا، فبطل ذلك يومئذ، لأن الأمر صار لله الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات، وحصل الملك للملك الجبار، وذلك قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يقول: والأمر كله يومئذ، يعني: الدين لله دون سائر خلقه، ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

آخر تفسير سورة (إذا السماء انفطرت)

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى التَّائِسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾. يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَفِّفُونَ، يعني: للذين ينقصون الناس، ويخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفف: المقلل حقَّ صاحب الحقَّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطَفَّ الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلى منه ناقص عن الملاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى التَّائِسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين إذا اکتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حق، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا، و"على" و"من" في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل: اکتلت منك، يراد: استوفيت منك. وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ يقول: وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم. ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا: وزنك حقك، وكلتك طعامك، بمعنى: وزنت لك وكلت لك. ومن وجَّه الكلام إلى هذا المعنى جعل الوقف على "هم"، وجعل "هم" في موضع نصب. وكان عيسى بن عمر فيما دُكر عنه يجعلهما حرفين، ويقف على كالوا، وعلى وزنوا، ثم يتدئى هم يخسرون. فمن وجَّه الكلام إلى هذا المعنى جعل "هم" في موضع رفع، وجعل كالوا ووزنوا مكتفين بأنفسهما. والصواب في ذلك عندي الوقف على "هم"، لأن كالوا ووزنوا لو كانا مكتفين، وكانت هم كلاما مستأنفا، كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما، إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر ذلك إذا لم يكن متصلا به شيء من كنيات المفعول، فكتابهم ذلك في هذا الموضع بغير ألف أوضح الدليل على أن قوله: ﴿هُم﴾ إنما هو كناية أسماء المفعول بهم. فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا على ما بينا. وقوله: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يقول: ينقصونهم. وقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا يظن هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازنهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه: هائل أمره، فظيع هوله. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيوم يقوم تفسير عن اليوم الأول المخفوض، ولكنه لما لم يعد عليه اللام ردَّ إلى "مبعوثون"، فكأنه قال: ألا

يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض، لأنها إضافة غير محضة، ولو خفض ردّا على اليوم الأول لم يكن لحنًا، ولو رفع جاز، وذكر أن الناس يقومون لربّ العالمين يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، فبعض يقول: مقدار ثلثمائة عام، وبعض يقول: مقدار أربعين عاما. كالذي جاء عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: يقوم أحدكم في رشحه إلى أنصاف أذنيه. وجاء عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال لبشير الغفاري: "كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مَقْدَارَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، لَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ"، قال بشير: المستعان الله يا رسول الله، قال: "إِذَا أَنْتَ أُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسُوءِ الْحِسَابِ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ ۝ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيُّومَ الدِّينِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا﴾، أي ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفار، أنهم غير مبعوثين ولا معذّبين، إن كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ﴿لَفِي سَجِّينَ﴾ وهي الأرض السابعة السفلى، وهو "فعيل" من السجن، كما قيل: رجل سَكِرَ من السكر، وفَسِقَ من الفسق. كما جاء عن مغيث بن سمي والذي جاء عن البراء، أن رسول الله ﷺ، قال: وذكر نفس الفاجر، وأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، قال: "فَيُصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ قال: يَقُولُونَ: فَلَانُ بِأَفْجِجِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَتَّهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ. فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾" يَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى". وقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وأي شيء أدراك يا محمد، أي شيء ذلك الكتاب، ثم بين ذلك تعالى ذكره، فقال: هو ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ وعنى بالمرقوم: المكتوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين بهذه الآيات، ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيُّومَ الدِّينِ﴾، يقول: الذين يكذبون بيوم الحساب والمجازاة. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: وما يكذب بيوم الدين إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ اعتدى على الله في قوله، فخالف أمره أثيم بربه. كالذي جاء عن قتادة ونُلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ قال الله: وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ أي بيوم الدين، إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ في قوله، أثيم بربه، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا يقول تعالى ذكره: إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ حُجُجُنَا وَأَدْلَتُنَا الَّتِي بَيَّنَّاها فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ يقول: قال: هذا ما سطره الأولون فكتبوه، من الأحاديث والأخبار.

وقوله: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَكْذِبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: كَلَّا، مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ. يقول: غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي ترين عليه رينا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ عَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧. يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذبون بيوم الدين، من أن لهم عند الله زُلْفَةً، إنهم يومئذ عن ربهم لممحجوبون، فلا يرونه، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويحتمل أن يكون مرادا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله ﷺ قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته إذ كان الخبر عاما، لا دلالة على خصوصه. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إنهم لو أوردوا الجحيم، فمشويون فيها، ثم يقال: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ثم يقال لهؤلاء المكذبين بيوم الدين: هذا العذاب الذي أنتم فيه اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تخبرون أنكم ذاقوه، فتكذبون به، وتكبرونه، فذوقوه الآن، فقد صليتم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ ١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّونَ ١٩ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢. يقول تعالى ذكره: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ والأبرار: جمع برّ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئا حتى الذرّ. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى عليين والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار في عليين؛ والعليون: جمع معناه: شيء فوق شيء، وعلو فوق علو، وارتفاع بعد ارتفاع، فلذلك جُمعت بالياء والنون، كجمع الرجال، إذا لم يكن له بناء من واحده واثنيه، كما حكي عن بعض العرب سماعا أطعمنا مَرَقَةً مَرَقَتَيْنِ: يعني اللحم المطبوخ فيكون معنى قوله: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ معناه: في علو وارتفاع في سماء فوق سماء، وعلو فوق علو وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة، وإلى سدرة المنتهى، وإلى قائمة العرش، ولا خبر يقطع العذر بأنه معني به بعض ذلك دون بعض. والصواب أن يقال في ذلك، كما قال جل ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدّ

قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه، ولا علم عندنا بغايته، غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وقوله: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مُعْجِبُهُ مِنْ عِلِّيِّينَ: وأي شيء أشعرك يا محمد ما عليون. وقوله: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن كتاب الأبرار لفي عليين، ﴿كتاب مرقوم﴾: أي مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة، والفوز بالجنة، كما قد ذكرناه قبل عن كعب الأحبار والضحاك بن مزاحم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يقول: يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبرّ من عباده من النار، وفوزه بالجنة، المقربون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين برّوا باتقاء الله وأداء فرائضه، لفي نعيم دائم، لا يزول يوم القيامة، وذلك نعيمهم في الجنان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ ٢٣ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ٢٤ ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ ٢٥ ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ ٢٦ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ٢٧ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم، والحبرة في الجنان. كما جاء عن ابن عباس وغيره. وقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: تعرف في الأبرار الذين وصف الله صفتهم ﴿نضرة النعيم﴾، يعني: حسنه وبريقه وتلاؤه. وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ يقول: يُسْقَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ مِنْ خَمْرٍ صَرَفَ لَا غَشٍّ فِيهَا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عبد الله وغيره وأما قوله: ﴿مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح، إن ريحها في آخر شربهم يختم لها بريح المسك. وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي هذا النعيم الذي وصف جلّ ثناؤه أنه أعطى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ فِي الْقِيَامَةِ، فليتنافس المتنافسون. والتنافس: أَنْ يَنْفَسَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرَصُ عَلَيْهِ نَفُوسُ النَّاسِ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ. فليجد الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ٢٨ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٣٠ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَزَاجَ هَذَا الرَّحِيقِ مِنْ تَسْنِيمٍ؛ وَالتَّسْنِيمُ: التَّغْيِيلُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَنَّمْتُهُمُ الْعَيْنَ تَسْنِيمًا: إِذَا أَجْرَيْتَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَكَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَمَزَاجُهُ مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَيَنْحَدِرُ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ كَانَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ يَقُولَانِ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ. وَأَمَّا سَائِرُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، فَقَالُوا: هُوَ عَيْنٌ يَمْزِجُ بِهَا الرَّحِيقَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا

المقربون، فيشربونها صِرْفًا. كما جاء عن عبد الله وغيره فتأويل الكلام: ومزاج الرحيق من عين تُسَنَّم عليهم من فوقهم، فتنصبّ عليهم ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الله صرفًا، وتمزج لأهل الجنة. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اكتسبوا المآثم، فكفروا بالله في الدنيا، كانوا فيها من الذين أقروا بوحداية الله، وصدّقوا به ﴿يضحكون﴾، استهزاء منهم بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ٢١ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٢٢ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ ٢٣ يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون؛ يقول: كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن، استهزاء به وسخرية. وقوله: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ يقول: وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المجرمون المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون عن محجة الحق، وسبيل القصد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لضالون﴾ حافظين عليهم أعمالهم. يقول: إنما كلّفوا الإيمان بالله، والعمل بطاعته، ولم يجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم أعمالهم ويتفقدونها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ٢٤ ﴿الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ٢٥ هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٦ يقول تعالى ذكره: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله في الدنيا ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾ فيها ﴿يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ يقول: على سررهم التي في الحجال ينظرون إليهم وهم في الجنة، والكفار في النار يعذبون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ قال: يعني: السرر المرفوعة عليها الحجال. وكان ابن عباس يقول: إن السور الذي بين الجنة والنار يُفتح لهم فيه أبواب، فينظر المؤمنون إلى أهل النار، والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذبون، فيضحكون منهم، فيكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم، كيف ينتقم الله منهم. وقوله: ﴿هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هل أئيب الكفار وجُزوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم، وضحكهم بهم بضحك المؤمنين منهم في الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم في النار يعذبون. و ﴿تُوبَ﴾ فعل من الثواب والجزاء، يقال منه: توب فلان فلائًا على صنيعه، وأثابه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره

آخر تفسير سورة ويل للمطففين.

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة إذا السماء انشقت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: إذا السماء تصدعت وتقطعت فكانت أبواباً. وقوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ يقول: وَسَمِعَتِ السَّمَوَاتُ فِي تَصَدُّعِهَا وَتَشَقُّقِهَا لِرَبِّهَا وَأَطَاعَتْ لَهُ فِي أَمْرِ إِيَّاهَا، والعرب تقول: أذن لك في هذا الأمر أذنًا بمعنى: استمع لك، ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ: "مَا أَذِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَعَنَّي بِالْقُرْآنِ" يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتعنى بالقرآن، وأصل قولهم في الطاعة سمع له من الاستماع، يقال منه: سمعت لك، بمعنى سمعت قولك، وأطعت فيما قلت وأمرت. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَحُقَّتْ﴾ يقول: وحقق الله عليها الاستماع بالانشقاق والانتهاه إلى طاعته في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الأرض بسطت، فزيدت في سعتها. كالذي جاء علي بن حسين، أن النبي ﷺ قال: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ حَتَّى لَا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللَّهُ مَا رَأَاهُ قَبْلَهَا، فَأَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنَّكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ، فَيَقُولُ: صَدَقَ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ عَبْدُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ. - قال: - وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ". وقوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ يقول جل ثناؤه: وألقت الأرض ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلت منهم إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ يقول: وسمعت الأرض في إلقاتها ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء، أمر ربها وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ يقول: وحققها الله للاستماع لأمره في ذلك، والانتهاه إلى طاعته. ومعنى الكلام: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ رأى الإنسان ما قدّم من خير أو شر، وقد بين ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ والآيات بعدها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝﴾. يقول تعالى ذكره: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ عَامِلٌ إِلَى رَبِّكَ عَمَلًا فَمُلَاقِيهِ بِهِ خَيْرًا كَانَ عَمَلُكَ ذَلِكَ أَوْ شَرًّا، فيمكن عَمَلُكَ مِمَّا يُنْجِيكَ مِنْ سُخْطِهِ، ويوجب لك رضاه، ولا يكن مما يُسَخِّطُهُ عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويُجازي على حسنِها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاء

الخبر عن رسول الله ﷺ. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الواحد بن حمزة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا" قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: "أَنْ يُنْظَرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ". وقوله: ﴿وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يقول: وينصرف هذا المحاسب حسابًا يسيرًا إلى أهله في الجنة مسرورًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۚ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۚ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۚ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۚ﴾. يقول تعالى ذكره: وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم بشمالهم، وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ يقول: فسوف ينادي بالهلاك، وهو أن يقول: واثبورا، واويلاه، وهو من قولهم: دعا فلان لهفه: إذا قال: والهفاه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكرنا معنى الثبور فيما مضى بشواهد، وما فيه من الرواية. كما جاء عن الضحاك وقوله: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء مكة والمدينة والشام: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ بضم الياء وتشديد اللام، بمعنى: أن الله يصلهم تصلياً بعد تصلياً، وإنضاجاً بعد إنضاج، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك، بقوله: ﴿ثُمَّ الْحُجِيمَ صَلَّوْهُ﴾ وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ بفتح الياء وتخفيف اللام، بمعنى: أنهم يصلونها ويردونها، فيحترقون فيها، واستشهدوا بتصحيح قراءتهم ذلك كذلك بقول الله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ و ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجُحِيمِ﴾. والصواب من القول في ذلك عندي أنهم قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنه كان في أهله في الدنيا مسروراً لما فيه من خلافه أمر الله، وركوبه معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظن في الدنيا أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم؛ لأنه لم يكن يرجو ثواباً، ولم يكن يخشى عقاباً، يقال منه: حار فلان عن هذا الأمر: إذا رجع عنه، ومنه الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الْكُورِ" يعني بذلك: من الرجوع إلى الكفر، بعد الإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: بلى ليحورن وليرجعن إلى ربه حيا كما كان قبل مماته. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ يقول جل ثناؤه: إن رب هذا الذي ظن أن لن يحور، كان به بصيرا، إذ هو في الدنيا بما كان يعمل فيها من المعاصي، وما إليه يصير أمره

في الآخرة، عالم بذلك كله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۖ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۖ﴾ وهذا قسم أقسم ربنا بالشفق، والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس في قول بعضهم. واختلف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أقسم بالنهار مدبراً، والليل مقبلاً. وأما الشفق الذي تحل به صلاة العشاء، فإنه للحمرة عندنا لليلة التي قد بيناها في كتابنا كتاب الصلاة. وقوله: وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ يقول: والليل وما جمع مما سكن وهدأ فيه من ذي روح كان يطير، أو يدب نهاراً، يقال منه: وَسَقَتْهُ أَسْفُهُ وَسَقَا، ومنه طعام موسوق، وهو المجموع في غرائر أو وعاء، ومنه الوسق، وهو الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن، يقال: هو ستون صاعاً، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. كما جاء عن عكرمة وغيره وقال آخرون: معنى ذلك: وما ساق. كما جاء عن الضحاك وقوله: وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ يقول: وبالقمر إذا تم واستوى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدة حالاً بعد حال. وقوله: طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ من قول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر شديد. وقوله: فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا يقرّون بالبعث بعد الموت، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقاً عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده. وقوله: وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ يقول تعالى ذكره: وإذا قرئ عليهم كتاب ربهم لا يخضعون ولا يستكينون، وقد بينا معنى السجود قبل بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۚ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ﴾. قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا يكذبون بآيات الله وتنزيله. وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله أعلم بما توعيه صدور هؤلاء المشركين من التكذيب بكتاب الله ورسوله. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال: المرء يوعي متاعه وماله هذا في هذا، وهذا في هذا، هكذا يعرف الله ما يوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما توعيه قلوبهم، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشر، فالقلوب وعاء هذه الأعمال كلها، الخير والشر، يعلم ما يسرون وما يعلنون، ولقد وعى لكم ما لا يدري أحد ما هو من القرآن وغير ذلك، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال بعض هذه الخبث ما يفسدها. وقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات: ثواب غير محسوب ولا منقوص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس.

آخر تفسير سورة (إذا السماء انشقت)

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى ﴿جَلَّ ثَنَاؤُهُ ۖ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ۝﴾. قال أبو جعفر رحمه الله: قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أقسم الله جلَّ ثَنَاؤُهُ بالسَّماءِ ذاتِ البروجِ. واختلف أهل التأويل في معنى البروج في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معنى ذلك: والسَّماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ هي منازل مرتفعة عالية في السَّماء، وهي اثنا عشر برجاً، فمسير القمر في كل برج منها يومان وثلاث، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كل برج منها شهر. وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأقسم باليوم الذي وعده عبادي لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاء الخبر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ". وقوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: مثل ما قال أبو هريرة: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وجاء عن ابن عباس قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة، وقال مجاهد، في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: ابن آدم، والمشهود يوم القيامة. وجاء عن عكرمة، في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم الجمعة، وجاء عن عمر وابن الزبير، قالوا يوم الذبح، ويوم الجمعة. وعن ابن عباس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة. وجاء عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَكْثَرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ". هو المعني مما يستحق أن يقال له: ﴿شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾. وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ يقول: لعن أصحاب الأُخدود. وكان بعضهم يقول: معنى قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ خبر من الله عن النار أنها قتلتهم. وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأُخدود؛ من هم؟ وأولي التأويلين بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: لعن أصحاب الأُخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأُخدود. وإنما قلت: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ للذي ذكرنا عن الربيع من العلة، وهو أن الله أخبر أن لهم

عذاب الحريق مع عذاب جهنم، ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا، لم يكن لقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
الْحَرِيقُ﴾ معنى مفهوم، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم؛ لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع
سائر أنواع عذابها في الآخرة، والأخدود: الحفرة تحفر في الأرض. وجاء عن صهيب، قال: قال
رسول الله ﷺ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ الْمَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبُرَتْ
سِنِّي، وَدَنَا أَجْلِي، فَادْفَعْ لِي غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ"، قال: "فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ السَّحْرَ"، قال: "فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا
مَرَّ بِالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ، فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ، فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبُهُ وَقَالَ: مَا
حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ضَرْبُهُ وَقَالُوا: مَا
حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي
أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ
عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ لَا تَدْعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ الْغُلَامُ: الْآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ
أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا"، قال: فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ
إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَأَتِي أَرْضِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلَهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَارَ النَّاسُ؛
فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ"، قال: وَأَتَاهُ الْغُلَامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلَامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنْ ابْتُلَيْتَ فَلَا تَدُلَّنَّ
عَلَيَّ"، قال: "وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ:
فَعَمِي، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلَامًا يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ فَلَوْ أَنْتَبَهْتَ؟ قَالَ: "فَاتَّخَذَ
لَهُ هَدَايَا"، قال: "ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الْهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ
يَشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيكَ"، قال: "فَأَمَّنَ الْأَعْمَى، فَدَعَا اللَّهَ فَشَفَاهُ،
فَقَعَدَ الْأَعْمَى إِلَى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَنْ
شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ"، قال: "فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ فَقَالَ:
لَتَدُلَّنِي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا"، قال: "فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَدَعَا الْغُلَامُ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ"، قال:
"فَأَبَى الْغُلَامُ"، قال: "فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ"، قال: "فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبُ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ
دِينِكَ فَأَبَى"، قال: "فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْضَ"، قال: "وَأَخَذَ الْأَعْمَى
فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لَا قُتِلْتَنَكَ"، قال: "فَأَبَى الْأَعْمَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ
الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لَا قُتِلْتَنَكَ"، قال: "فَأَبَى"، قال: "فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا
بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَدْهَبُوهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ.
وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيَهُمُ اللَّهُ. قَالَ: فَادْهَبُوا
بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَعَرِّقُوهُ" قال: "فَدْهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا
تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْغُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَاكْفَأَتْ بِهِمُ السَّيْفِينَةُ. وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ

عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: دَعَوْتُ اللَّهَ فَكَفَّانِيَهُمْ، قَالَ: لَا قِتْلَتَكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَصْنَعَ مَا أَمُرُكَ"، قَالَ: "فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعْ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَصْلُبْنِي، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَأَرْمِنِي وَقُلْ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي"، قَالَ: "فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ"، قَالَ: "وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْغُلَامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ وَمَاتَ الْغُلَامُ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السَّكِّ فَأُخِذَتْ، وَخُذَّ الْأَخْدُودَ وَضَرَّمْ فِيهِ النَّيِّرَانَ، وَأَخْذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا وَإِلَّا فَالْقُوهُمْ فِي النَّارِ"، قَالَ: "فَكَانُوا يُلْقَوْنَهُمْ فِي النَّارِ"، قَالَ: "فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا"، قَالَ: "فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَانْكَصَتْ"، قَالَ: "فَقَالَ لَهَا صَبِيَّهَا يَا أُمَاهُ امْضِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ". وقال آخرون: بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين.

كما جاء عن الربيع بن أنس، قال: كان أصحاب الأخدود قومًا مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جبارًا من عبدة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فخذأ أخدودًا، وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول في دينه، وبين القائه في النار، فاختاروا الإلقاء في النار، على الرجوع عن دينهم، فآلقوا في النار، فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا. وقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ فقلوه ﴿النَّارِ﴾: ردّ على الأخدود، ولذلك خفضت، وإنما جاز ردّها عليه وهي غيره، لأنها كانت فيه، فكأنها إذ كانت فيه هو، فجرى الكلام عليه لمعرفة المخاطبين به بمعناه، وكأنه قيل: قتل أصحاب النار ذات الوُقُودِ، ويعني بقوله: ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ذات الحطب الجزل، وذلك إذا فتحت الواو، فأما الوقود بضم الواو، فهو الاتقاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾. يقول تعالى ذكره: النار ذات الوقود، إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها، يعني على النار، فقال عليها، والمعنى أنهم قعود على حافة الأخدود، فقل: على النار، والمعنى: لشفير الأخدود، لمعرفة السامعين معناه. وقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يعني: حضور. وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب، إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وقال: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ لأن المعنى إلا إيمانهم بالله، فلذلك حسن في موضعه ﴿يُؤْمِنُوا﴾، إذ كان الإيمان لهم صفة ﴿الْعَزِيزِ﴾ يقول: الشديد في انتقامه ممن انتقم منه ﴿الْحَمِيدِ﴾ يقول: المحمود بإحسانه إلى خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٠١ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ١٠٢. يقول تعالى ذكره: الذي له سلطان السموات السبع والأرضين وما فيهن ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله على فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم جزاءهم. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول: إن الذين ابتكروا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم، وإحراقهم بالنار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يقول: ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا. كما جاء عن الربيع

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ١٠٣ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٠٤. يقول تعالى ذكره: إن الذين أقرؤا بتوحيد الله، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بطاعة الله، وأتمروا لأمره، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا، وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم. وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه، وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد ﷺ، أن يحل بهم من عذابه ونقمته، نظير الذي حل بأصحاب الأخدود على كفرهم به، وتكذيبهم رسوله، وقتلهم المؤمنين والمؤمنات منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ ١٠٥ ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ الْوَدُودُ﴾ ١٠٦ ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ١٠٧ ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ ١٠٨ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ١٠٩ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ١١٠. اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أنه يُبْدِيُ العذاب لأهل الكفر به ويعيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا، فأبدأ ذلك لهم في الدنيا، وهو يعيده لهم في الآخرة. وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ الْوَدُودُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: ذو العرش الكريم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ يقول: هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها، معاقب من أصر عليها وأقام، لا يمنعه مانع، مِنْ فِعْلٍ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له مُلْكُ السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم. وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هل جاءك يا محمد حديث الجنود الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروهم؟ يقول: قد أتاك ذلك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك لما نالوك به من مكروه كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتي، كما لم يُثْنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء، فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك، كالذي كان من هؤلاء الجنود، ثم بين جل ثناؤه عن الجنود من هم، فقال: ﴿فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ﴾ يقول: ﴿فِرْعَوْنُ﴾، فاجترى بذكره، إذ كان رئيس جنده من ذكر جنده وأتباعه. وإنما معنى الكلام: هل أتاك حديث الجنود، فرعون وقومه وثمرود، وخفض فرعون رداً على الجنود، على الترجمة عنهم، وإنما فتح لأنه لا يجرى وثمرود.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۝٢٢﴾. يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء القوم الذين يكذبون بوعيد الله أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذبة رسل الله كفرعون وقومه، وثمرود وأشكالهم، وما أحل الله بهم من النقم بتكذيبهم الرسل، ولكنهم في تكذيبهم بوحى الله وتنزيله، إثارة منهم لأهوائهم، وأتباعاً منهم لسنن آبائهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بأعمالهم مُحْصٍ لها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميعها. وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ يقول - تكذيباً منه جل ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعر وسجع -: ما ذلك كذلك، بل هو قرآن كريم. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم مُثَبَّتٌ في لوح محفوظ. وعن قتادة ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ عند الله. وقال آخرون: إنما قيل محفوظ لأنه في جبهة إسرافيل. كما جاء عن أنس بن مالك، في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ في جبهة إسرافيل.

آخر تفسير سورة البروج
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة السماء والطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠. أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلاً من النجوم المضيئة، ويخفى نهاراً، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذي أقسمتُ به، ثم بين ذلك جل ثناؤه، فقال: هو النجم الثاقب، يعني: يتوقد ضياؤه ويتوهج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ والمعنى: إن كل نفس عليها حافظ من ربها، يحفظ عملها، ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلينظر الإنسان المكذَّب بالبعث بعد الممات، المنكر قُدرة الله على إحيائه بعد مماته، ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ يقول: من أي شيء خلقه ربه، ثم أخبر جل ثناؤه عما خلقه منه، فقال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ يعني: من ماء مدفوق، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل، وهو بمعنى المفعول، ويقال: إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب سكان الحجاز إذا كان في مذهب النعت، كقولهم: هذا سرُّ كاتم وهم ناصب، ونحو ذلك. وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: يخرج من بين ذلك، ومعنى الكلام: منهما، كما يقال: سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير، بمعنى: يخرج منهما. واختلف أهل التأويل في معنى الترائب وموضعها والصواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: هو موضع القِلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق، فجعلكم بشراً سوياً، بعد أن كنتم ماء مدفوقاً، على رجعه لقادر. واختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ على ما هي عائدة وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إن الله على ردِّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حياً، كهيبته قبل مماته لقادر. وإنما قلت: هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فكان في إتباعه

قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نَبَأٌ مِنْ أَنْبَاءِ الْقِيَامَةِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السَّابِقَ قَبْلُهَا أَيْضًا مِنْهُ، وَمِنْهُ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّهُ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ لِقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، فَالْيَوْمُ مِنْ صِفَةِ الرَّجْعِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ لِقَادِرٌ. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يَوْمَ تُخْتَبَرُ سَرَائِرُ الْعِبَادِ، فَيُظْهِرُ مِنْهَا يَوْمَئِذٍ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مُسْتَخْفِيًّا عَنْ أَعْيُنِ الْعِبَادِ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَ اللَّهُ أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا، وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهَا. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ رَبَاحٍ وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَمَا لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَأَلِيمٌ نِكَالُهُ، وَلَا نَاصِرَ يَنْصُرُهُ فَيَسْتَنْقِذُهُ مِنْ نَالِهِ بِمَكْرُوهِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَرْجِعُ إِلَى قُوَّةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ، يَمْتَنِعُ بِهِمْ مِنْ أَرَادِهِ بِسُوءٍ، وَنَاصِرٍ مِنْ حَلِيفٍ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ وَاضْطَهَدَهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ١١ ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ١٢ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا ١٧. يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ تَرْجِعُ بِالْغَيْومِ وَأَرْزَاقُ الْعِبَادِ كُلِّ عَامٍ وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا يَغِيبُ وَيَطْلُعُ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَقَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ بِالنبات. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ وَهَذَا الْخَبَرَ لِقَوْلِ فَصْلٍ: يَقُولُ: لِقَوْلِ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بَيَانَهُ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِقَوْلِ حَقٍّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِقَوْلِ حَكْمٍ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ يَقُولُ: وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا الْبَاطِلِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَكِيدِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ يَمْكُرُونَ مَكْرًا. وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يَقُولُ: وَأَمْكُرُ مَكْرًا؛ وَمَكْرُهُ جَلٌّ ثَنَائُهُ بِهِمْ: إِمْلَاؤُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَكَفْرِهِمْ بِهِ. وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَمَهْلٌ يَا مُحَمَّدُ الْكَافِرِينَ وَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴿أَمَهُلُهُمْ رُويًا﴾ يَقُولُ: أَمَهُلُهُمْ أَنَا قَلِيلًا وَأَنْظِرُهُمْ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي هُوَ وَقْتُ حُلُولِ النِّقْمَةِ بِهِمْ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِ

آخر تفسير سورة والسماء والطارق.

والحمد لله رب العلمين

تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۝ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه كان عندهم معلوما: عظم اسم ربك ونزوه. وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ يقول: الذي خلق الأشياء فسوى خلقها، وعدلها، والتسوية التعديل. وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: والذي قدر خلقه فهدى. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عني بقوله: ﴿فَهَدَى﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عمّ بقوله: ﴿فَهَدَى﴾ الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسييل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومته حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دال على خصوصه. واجتمعت قراء الأمصار على تشديد الدال من قدر، غير الكسائي فإنه خففها. والصواب في ذلك التشديد، لإجماع الحجة عليه. وقوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ يقول: والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات وأنواع الحشيش. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ يقول تعالى ذكره: فجعل ذلك المرعى غثاء، وهو ما جف من النبات ويس، فطارت به الريح؛ وإنما عني به هاهنا أنه جعله هشيما يابساً متغيراً إلى الحوّة، وهي السواد من بعد البياض أو الخضرة، من شدة اليبس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه، إلا ما شاء الله. ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه. وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يعلم الجهر ما أظهرته وأعلنته ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ يقول: وما يخفى منه فلم تظهره مما كنتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك سرّها وعلايتها؛ يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغير الذي أذن لك به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ۝﴾. يقول تعالى ذكره: ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليسرى، واليسرى: هو الفعل من اليسر. وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن

نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: فذكر عباد الله يا محمد عظمتهم، وعظمتهم، وحذرهم عقوبته ﴿١٥﴾ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١٦﴾ يقول: إن نفعت الذكرى الذين قد آيستكم من إيمانهم، فلا تنفعهم الذكرى. وقوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أمر من الله لنبيه ﷺ بتذكير جميع الناس، ثم قال: إن نفعت الذكرى هؤلاء الذين قد آيستكم من إيمانهم. وقوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ يقول جل ثناؤه: سَيَذَكِّرُ يا محمد إذا ذكرت الذين أمرتكم بتذكيرهم من يخشى الله، ويخاف عقابه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ يقول: ويتجنب الذكرى ﴿الْأَشْقَى﴾ يعني: أشقى الفريقين ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وهم الذين لم تنفعهم الذكرى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ يقول: الذي يرد نار جهنم، وهي النار الكبرى، ويعني بالكبرى لشدة الحر والألم. وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ يقول: ثم لا يموت في النار الكبرى ولا يحيا، وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقة، فلا تخرج فتفارقها فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. وقيل: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. وقال آخرون: قيل ذلك؛ لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة، قالوا: لا هو حي، ولا هو ميت، فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾. يقول تعالى ذكره: قد نجح وأدرك طلبته من تطهر من الكفر ومعاصي الله، وعمل بما أمره الله به، فأدى فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره. وقوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ والصواب من القول في ذلك أن يقال: وذكر الله فوحده، ودعاه ورغب إليه؛ لأن كل ذلك من ذكر الله، ولم يُخصص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع. وقوله: ﴿فَصَلَّى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. والصواب من القول أن يقال: عُنِيَ بقوله: ﴿فَصَلَّى﴾: الصلوات، وذكر الله فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء. وقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول للناس: بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَبْقَى﴾ يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى، لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تتفد ولا تفنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ اختلف أهل التأويل في الذي أشير إليه بقوله هذا وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران. وجاء عن أبي الخلد، قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين.

آخر تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهُ يُومِذُ خَاشِعَةً ۝٢ عَامِلَةً نَّاصِبَةً ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝٧﴾. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يعني: قصتها وخبرها. واختلف أهل التأويل في معنى الغاشية والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبية ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار. وكلتاها غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه، والشواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصح من أن يقال كما قال جل ثناؤه، ويعم الخبر بذلك كما عمه. وقوله: ﴿وَجُوهُ يُومِذُ خَاشِعَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ، وهي وجوه أهل الكفر به خاشعة، يقول: ذليلة. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿عَامِلَةً﴾ يعني: عاملة في النار. وقوله: ﴿نَّاصِبَةً﴾ يقول: ناصبة فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ترد هذه الوجوه نارًا حامية قد حميت واشتد حرها. وقوله: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ يقول: تسقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عين قد أنى حرها، فبلغ غايته في شدة الحر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقال بعضهم: عني بقوله: ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ من عين حاضرة. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ يقول: ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة طعام، إلا ما يطعمونه من ضريع. والضريع عند العرب: نبت يُقال له الشُّبْرُق، وتسميه أهل الحجاز الضَّرِيع إذا يبس، ويسميه غيرهم: الشُّبْرُق، وهو سم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وعن سعيد، في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الحجارة. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: الضريع: الشوك من النار. قال: وأما في الدنيا فإنَّ الضريع: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، تدعوه العرب الضريع، وهو في الآخرة شوك من نار وقوله: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: لا يُسمن هذا الضريع يوم القيامة أكلته من أهل النار، ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: ولا يُشبعهم من جوع يصيبهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۖ لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۖ﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَاعِمَةٌ﴾ يقول: هي ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته، وهم أهل الإيمان بالله. وقوله: ﴿لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ يقول: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية، وقيل: ﴿لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: لثواب سعيها في الآخرة راضية. وقوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وهي بستان، عالية يعني: رفيعة. وقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاحِيَةً﴾ يقول: لا تسمع هذه الوجوه - المعنى: لأهلها فيها في الجنة العالية - لآغية. يعني باللاغية: كلمة لغو واللغو: الباطل، فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية، كما قيل لصاحب الدرع: دارع، ولصاحب الفرس: فارس، ولقائل الشعر شاعر وقوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يقول: في الجنة العالية عين جارية في غير أخدود. وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ والسُرر: جمع سرير، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما حوِّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره. وقيل: عُني بقول مرفوعة: موضونة. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ وهي جمع كوب، وهي الأباريق التي لا أذان لها. وقد بينا ذلك فيما مضى، وذكرنا ما فيه من الرواية بما أغنى عن إعادته. وعُني بقوله: ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: أنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها مملأى من الشراب. وقوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ يعني بالنمارق: الوسائد والمرافق؛ والنمارق: واحدها مُمرِّقة، بضم النون. وقد حُكي عن بعض كلب سماعاً نِمْرِقة، بكسر النون والراء. وقيل: مصفوفة؛ لأن بعضها بجنب بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفيها طنافس وبُسُط كثيرة مَبْثُوثَة، والواحدة: زَرَبِيَّة، وهي الطَّنْفَسَة التي لها حمل رقيق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾. يقول تعالى ذكره لمُنْكَرِي قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذلكلها وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جَلَّ ثَنَاؤُه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن شريح وغيره وقوله: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يقول جَلَّ ثَنَاؤُه: أفلا ينظرون أيضاً إلى السماء كيف رفعها الذي أخبركم أنه معدّ لأوليائه ما وصف، ولأعدائه ما ذكر، فيعلموا أن قُدرة القُدرة التي لا يُعجزه فعل شيء أراد فعله. وقوله: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ

كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١﴾ يقول: وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبه لا تسقط، فتنبسط في الأرض، ولكنها جعلها بقدرته منتصبه جامدة، لا تبرح مكانها، ولا تزول عن موضعها. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ يقول: وإلى الأرض كيف بُسِطَتْ، يقال: جبل مُسَطَّحٌ: إذا كان في أعلاه استواء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٦﴾﴾. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي وبلغهم رسالتي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكرا لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرفهم اللازم لهم، وتعظمهم. وقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ يقول: لست عليهم بمسلط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد. يقول: كلهم إلي، ودعهم وحكمي فيهم؛ يقال: قد تسيطر فلان على قومه: إذا تسلط عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ يتوجه لوجهين: أحدهما: فذكر قومك يا محمد، إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر، فيكون قوله "إلا" استثناء من الذين كان التذكير عليهم، وإن لم يذكروا، كما يقال: مضى فلان، فدعا إلا من لا ترجى إجابته، بمعنى: فدعا الناس إلا من لا ترجى إجابته. والوجه الثاني: أن يجعل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ منقطعاً عما قبله، فيكون معنى الكلام حيثئذ لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر، يعذبه الله، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن، فإذا حسنت معه كان منقطعاً، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلًا صحيحاً، كقول القائل: سار القوم إلا زيدا، ولا يصلح دخول إن هاهنا لأنه استثناء صحيح. وقوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: هو عذاب جهنم، يقول: فيعذبه الله العذاب الأكبر على كفره في الدنيا، وعذاب جهنم في الآخرة. وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ يقول: إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعْلَمُ بذلك نبيه محمداً ﷺ أنه المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

آخر تفسير سورة الغاشية
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ هَذَا قَسَمٌ، أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْفَجْرِ، وَهُوَ فَجْرُ الصَّبْحِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِذَلِكَ فَجَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: وَالْفَجْرُ قَالَ: النَّهَارُ. وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ صَلَاةُ الصَّبْحِ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ: وَالْفَجْرُ قَوْلُ: الْفَجْرِ: فَجْرُ الصَّبْحِ. وَقَوْلُهُ: وَلَيَالٍ عَشْرٍ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْعَشْرِ أَيَّ لَيَالٍ هِيَ صَوَابٌ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عَدَدُنَا: أَنَّهَا عَشْرُ الْأَضْحَى لِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ، كَالَّذِي، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "وَالْفَجْرُ وَلَيَالٍ عَشْرٍ قَالَ: عَشْرُ الْأَضْحَى". وَقَوْلُهُ: وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنَ الْوَتْرِ بِقَوْلِهِ: وَالْوَتْرُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فِي قَوْلِهِ: وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ قَالَ: الشَّفْعُ: يَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ النَّفَرِ الْآخِرِ وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ قَالَ: كُلُّ خَلْقٍ اللَّهِ شَفْعٌ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَاللَّهُ الْوَتْرُ وَحْدَهُ. وَجَاءَ عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ قَالَ عُمَرَانُ: هِيَ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ فِيهَا الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يَخْصُصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بَخْبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قِسْمِهِ هَذَا لِعُمُومِ قِسْمِهِ بِذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرِ يَقُولُ: وَاللَّيْلُ إِذَا سَارَ فَذَهَبَ، يُقَالُ مِنْهُ: سَرَى فُلَانٌ لَيْلًا يَسْرِي: إِذَا سَارَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرِ لَيْلَةُ جَمْعٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْمَزْدَلِفَةِ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَقَوْلُهُ: هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجَرٍ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: هَلْ فِيمَا أَقْسَمْتَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَقْنَعٌ لِذِي حَجَرٍ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنْ فِي هَذَا الْقِسْمِ مَكْتَنَى لِمَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ مِمَّا هُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ فِي الْإِقْسَامِ. فَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: لِذِي حَجَرٍ: فَإِنَّهُ لِذِي حَجَجِي وَذِي عَقْلٍ؛ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ مَالِكًا نَفْسَهُ قَاهِرًا لَهَا ضَابِطًا: إِنَّهُ لَذُو حَجَرٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى فُلَانٍ. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ١ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٢ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٣ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي ٤ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ٥ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ٦﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بَعِينَ قَلْبِكَ، فَتَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ؟ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِرْمَ﴾ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنْ إِرْمَ إِمَّا بِلَدَةٌ كَانَتْ عَادٌ تَسْكُنُهَا، فَلِذَلِكَ رَدَّتْ عَلَى عَادٍ لِلِاتِّبَاعِ لَهَا، وَلَمْ

يجر من أجل ذلك، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضا، كما لا يُجرى أسماء القبائل، كتميم وبكر، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة، وأما اسم عاد فلم يجز، إذ كان اسما أعجميا. وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد وقوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ يختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ في هذا الموضع وأشبه الأقوال في ذلك بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: عُنِيَ بذلك أنهم كانوا أهل عمود، سيارة لأن المعروف في كلام العرب من العماد، ما عمل به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجه أهل التأويل قوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إلى أنه عُنِيَ به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنه عُنِيَ به عماد خيامهم، فأما عماد البنيان، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وجد إلى ذلك سبيلا دون الأنكر. وقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد، يعني: مثل عاد، والهاء عائدة على عاد. وجائز أن تكون عائدة على إرم لما قد بينا قبل أنها قبيلة. وإنما عُنِيَ بقوله: لم يخلق مثلها في العظم والبطش والأيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال ابن زيد في قوله: فذكر نحوه. وهذا قول لا وجه له، لأن العماد واحد مذكر، والتي للأنثى، ولا يوصف المذكر بالتي، ولو كان ذلك من صفة العماد لقليل: الذي لم يخلق مثله في البلاد، وإن جعلت التي لإرم، وجعلت الهاء عائدة في قوله: ﴿مِثْلُهَا﴾ عليها، وقيل: هي دمشق أو إسكندرية، فإن بلاد عاد هي التي وصفها الله في كتابه فقال: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف: هي جمع حقف، وهو ما انعطف من الرمل وانحنى، وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال، بل ذلك الشحر من بلاد حضرموت، وما والاها. وقوله: ﴿وَتُؤَمِّدُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي﴾ يقول: وبثمود الذين حرقوا الصخر ودخلوه فاتخذوه بيوتا، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَكَاُنُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ والعرب تقول: جاب فلان الفلاة يجوبها جوبا: إذا دخلها وقطعها وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضا بفراعون صاحب الأوتاد. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ولم قيل له ذلك وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي توتد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان يعدب الناس بها، كما قال أبو رافع وسعيد بن جبير، وإما أن يكون كان يلعب له بها. وقوله: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ﴿الَّذِينَ﴾: عادًا وثمود وفرعون وجنده، ويعني بقوله ﴿طَغَوْا﴾: تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم، وعتوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفر به. وقوله: ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: التي كانوا فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ ١٦ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٧ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسِرٌ صَادِقٌ ١٨ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٩ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَاكْثُرُوا فِي الْبِلَادِ الْمَعَاصِي، وركوب ما حرم الله عليهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنزل بهم يا محمد ربك عذابه، وأحل بهم نعمته، بما أفسدوا في البلاد، وطمعوا على الله فيها. وقيل: فصب عليهم ربك سوط عذاب. وإنما كانت نعمة تنزل بهم، إما ريحا تدمرهم،

وإما رَجفا يَدْمَدَم عليهم، وإما عَرَقاً يُهْلِكُهُمْ من غير ضرب بسوط ولا عصا؛ لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن، الجلد بالسياط، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدة العذاب الذي يعذب به الرجل منهم أن يقولوا: ضُرب فلان حتى بالسياط، إلى أن صار ذلك مثلاً فاستعملوه في كل معذب بنوع من العذاب شديد، وقالوا: صَبَّ عليه سَوَوطُ عَذَابٍ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: إن ربك يا محمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قَصَصَهُمْ، وَلِضَرْبَائِهِمْ من أهل الكفر، لِبِالْمِرْصَادِ يرصدهم بأعمالهم في الدنيا وفي الآخرة، على قناطر جهنم، ليكردهم فيها إذا وردوها يوم القيامة. وقوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال، وأفضل عليه، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بما أوسع عليه من فضله ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ويسر به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ١٦ ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ١٧ ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ١٨ ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ ١٩. وقوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يقول: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يقول: فضيق عليه رزقه وقتره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ يقول: فيقول ذلك الإنسان: ربي أهانني، يقول: أدلني بالفقر، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه، ورزقه من العافية في جسمه. وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿كَلَّا﴾ في هذا الموضع وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن قتادة لدلالة قوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ والآيات التي بعدها، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، وسائر المعاني التي عدت، وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان، الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم، وفي تيسنه ذلك عقيب قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ بيان واضح عن الذي أنكر من قوله ما وصفنا. وقوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب، فقال: بل لستم تكرمون اليتيم، فلذلك أهنتكم ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾. وقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وتأكلون أيها الناس الميراث أكلاً لَمًّا، يعني: أكلاً شديداً لا تتركون منه شيئاً، وهو من قولهم: لممت ما على الإخوان أجمع، فأنا أُلِمْتُ لَمًّا: إذا أكلت ما عليه فأُتيت على جميعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ٢٠ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٢ ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ ٢٣. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديداً، من قولهم: قد جمَّ الماء في الحوض: إذا اجتمع ويعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿كَلَّا﴾: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن ندمهم على أفعالهم السيئة في الدنيا، وتلهفهم على ما سلف

منهم حين لا ينفعهم الندم، فقال جل ثناؤه: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يعني: إذا رجت وزلزلت زلزلة، وحرّكت تحريكا بعد تحريك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف. كالذي جاء عليكم، فتبكون حتى ينقطع الدمع، ثم تدمعون دما وتبكون حتى يبلغ ذلك منكم الأذقان، أو يلجمكم فتصجّون، ثم تقولون من يشفع لنا إلى ربنا، فيقضي بيننا، فيقولون من أحق بذلك من أياكم، جعل الله تربيته وخلقته بيده، وفتح فيه من روجه، وكلمه قبلا فيؤتى آدم ﷺ فيطلب ذلك إليه فيأبى، ثم يستفرون الأنبياء نبيًا نبيًا، كلما جاءوا نبيًا أبى "قال رسول الله ﷺ: "حتى يأتوني، فإذا جاءوني خرجت حتى آتي الفحص"، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحص؟ قال: "قدّام العرش، فأخبر ساجدًا، فلا أزال ساجدًا حتى يبعث الله إليّ ملكًا، فيأخذ بعضدي، فيزغني ثم يقول الله لي: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فأقول: نعم، فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا ربّ وعدتني الشفاعة، شفّعني في خلقك فأقضى بينهم، فيقول: قد شفّعك، أنا آتيكم فأقضي بينهم". قال رسول الله ﷺ: "فأنصرف حتى أقف مع الناس، فبينما نحن وقوف، سمعنا حسًا من السماء شديدًا، فهالنا، فنزل أهل السماء الدنيا بمثلني من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض، بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلني من نزل من الملائكة، وبمثلني من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت. ثم نزل أهل السموات على قدر ذلك من الضعف حتى نزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة، ولهم رجل من تسيحهم، يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ربّ العرش ذي الجبروت، سبحان الحيّ الذي لا يموت سبحان الذي يميّت الخلائق ولا يموت، سبحان قدوس ربّ الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة سبحانه أبدًا أبدًا، يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، فوضع الله عرشه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي بندا يسمع الخلائق فيقول يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت منذ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع كلامكم، وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إليّ، فإنما هي صحتكم وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فتخرج منها عنقا ساطعًا مظلمًا، ثم يقول الله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، ﴿وَأَمَّا زَاوَى الْيَوْمِ أَيْهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فيتميز الناس ويحشون، وهي التي يقول الله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ...﴾ الآية، فيقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، فإنه

لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ لِلْجَمَاءِ مِنْ ذَاتِ الْقُرُونِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ". وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه في الدنيا في طاعة الله، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ يقول: من أي وجه له التذكير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ١٤ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ ١٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ١٦ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ١٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ١٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ١٩ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ٢٠﴾. وقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلطف ابن آدم يوم القيامة، وتندمه على تفريطه في الصالحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له، يا ليتني قدمت لحياتي في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه، التي لا موت بعدها، ما ينجنيني من غضب الله، ويوجب لي رضوانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ يعني: فيومئذ لا يعذب بعذاب الله أحد في الدنيا، ولا يوثق كوثاقه يومئذ أحد في الدنيا. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لأوليائه يوم القيامة: يا أيُّها النفس المطمئنة، يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدقت بذلك. وقوله: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك، أن ذلك إنما يقال لهم عند ردِّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾. اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: فادخلي في عبادي الصالحين، وادخلي جنتي. كما جاء عن قتادة وعن محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ قال: في طاعتي ﴿وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ قال: في رحمتي. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ إلى: فادخلي في حزبي. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأول ذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بالإيمان والمصدقة بالثواب والبعث ارجعي، تقول لهم الملائكة: إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى ما أعد الله لك من الثواب؛ قال: وقد يكون أن تقول لهم: شبه هذا القول ينوون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع؛ قال: وأنت تقول للرجل ممن أنت؟ فيقول: مُصْرِي، فتقول: كن تميميا أو قيسيا، أي: أنت من أحد هذين، فتكون كن صلة، كذلك الرجوع يكون صلة، لأنه قد صار إلى يوم القيامة، فكان الأمر بمعنى الخبر، كأنه قال: أيتها النفس أنت راضية مرضية.

آخر تفسير سورة والفجر، والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۝ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة، وكذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: بمكة؛ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وأنت يا محمد حلٌ بهذا البلد، يعني بمكة؛ يقول: أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله، وأسر من أردت أسره، مُطْلَقٌ ذلك لك؛ يقال منه: هو حلٌّ، وهو حلال، وهو حرمٌ، وهو حرام، وهو محلٌّ، وهو محرم، وأحللنا، وأحرمنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني بذلك: نبي الله ﷺ، أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحيي من شاء؛ فقتل يومئذ ابن خَطْلَ صَبْرًا وهو أخذ بأستار الكعبة، فلم تحل لأحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أن يقتل فيها حراما حرّمه الله، فأحل الله له ما صنع بأهل مكة، ألم تسمع أن الله قال في تحريم الحرم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يعني بالناس أهل القبلة. وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأقسم بوالد وبولده الذي ولد. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك من الوالد وما ولد والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكل والد وولده، لأن الله عم كل والد وما ولد. وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومته كما عمه. وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وهذا هو جواب القسم. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يُكابِدُ الأمور ويُعالِجها، فقوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه: في شدة. وقوله: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ذكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمَح، كان يُدعى أبا الأشد، وكان شديدًا، فقال جل ثناؤه: أيعسب هذا القويّ بجَلَدِهِ وقوّته، أن لن يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره. وقوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ يقول هذا الجليل الشديد:

أهلك ما لا كثيرا، في عداوة محمد ﷺ، فأنفقت ذلك فيه، وهو كاذب في قوله ذلك، وهو فعل من التلبّد، وهو الكثير، بعضه على بعض، يقال منه: لبد بالأرض يلبّد: إذا لصق بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أیظن هذا القائل ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبَدًا﴾ أن لم يره أحد في حال إنفاقه يزعم أنه أنفقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿١٠﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿١١﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٢﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٤﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٦﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٧﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٨﴾﴾. يقول تعالى ذكره: ألم نجعل له عَيْنَيْنِ ﴿١٠﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿١١﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٢﴾ عَيْنَيْنِ يبصر بهما حجج الله عليه، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد، وشفتين، نعمة منا بذلك عليه. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ نِعَمَ من الله متظاهرة، يقرر كها كيما تشكره. وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهديناه الطريقين، ونجد: طريق في ارتفاع. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُنِيَ بذلك طريق الخير والشر، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدّد على العبد نِعَمَه بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. وقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يركب العقبة فيقطعها ويحوزها. وذكر أن العقبة: جبل في جهنم. كما جاء عن ابن عمر وغيره وأفرد قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ بذكر "لا" مرة واحدة، والعرب لا تكاد تفرد لها في كلام في مثل هذا الموضع، حتى يكررها مع كلام آخر، كما قال: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع، استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه، من إعادتها مرة أخرى، وذلك قوله إذ فسّر اقتحام العقبة، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ففسر ذلك بأشياء ثلاثة، فكان كأنه في أول الكلام، قال: فلا فعل ذا ولا ذا ولا ذا. وتأول ذلك ابن زيد، بمعنى: أفلا ومن تأوله كذلك، لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن في الكلام متروكا. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: وأي شيء أشعرك يا محمد ما العقبة. ثم بين جلّ ثناؤه له، ما العقبة، وما النجاة منها، وما وجه اقتحامها؟ فقال: اقتحامها وقطعها فك رقة من الرق، وأسر العبودية. كما جاء عن الحسن

وغيره وقوله: ﴿أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ يقول: أو أطعم في يوم ذي مجاعة، والساغب: الجائع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يقول: أو أطعم في يوم مجاعة صغيرًا لا أب له من قرابته، وهو اليتيم ذو المقربة؛ وعني بذئ المقربة: ذا القرابة. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عني به: أو مسكينًا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة؛ لأن ذلك هو الظاهر من معانيه. وأن قوله: ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ إنما هي "مَفْعَلَةٌ" من ترب الرجل: إذا أصابه التراب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: ثم كان هذا الذي قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا﴾ من الذين آمنوا بالله ورسوله، فيؤمن معهم كما آمنوا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وممن أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على ما ناهى في ذات الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضًا بالمرحمة. كما جاء عن ابن عباس ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ قال: مَرْحَمَةُ النَّاسِ. وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يقول: الذين فعلوا هذه الأفعال التي ذكرتها، من فك الرقاب، وإطعام اليتيم، وغير ذلك، أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَا﴾ يقول: والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرسل وغير ذلك ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يقول: هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال. وقد بينا معنى المشأمة، ولم قيل ليسار المشأمة فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: عليهم نار جهنم يوم القيامة مُطَبَّقَةٌ؛ يقال منه: أوصدت وأصدت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره

آخر تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد.
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ② وَالتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾. قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّاهَا﴾ قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالشمس وضحاها؛ ومعنى الكلام: أقسم بالشمس، وبضحى الشمس. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَضَحَّاهَا﴾ والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار. وقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والقمر إذا تبع الشمس، وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس، تلاها القمر طالعا. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَالْتَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ يقول: والنهار إذا جَلَّاهَا، قال: إذا أضاء. وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: والليل إذا يغشي الشمس، حتى تغيب فَتُظْلِمُ الْآفَاقُ. وكان قتادة يقول في ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: إذا غَشَّاهَا الليل. وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يقول جل ثناؤه: والسماء ومن بناها، يعني: ومن خلقها، وبناؤه إياها: تصديره إياها للأرض سقفا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقيل: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ وهو جل ثناؤه بانيها، فوضع "ما" موضع "من" كما قال ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، فوضع "ما" في موضع "من" ومعناه، ومن ولد، لأنه قَسَمَ أقسم بآدم وولده، وكذلك: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقوله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ وإنما هو: فانكحوا من طاب لكم. وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر، كأنه قال: والسماء وبنائها، ووالد وولادته. وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا﴾ وهذه أيضا نظير التي قبلها، ومعنى الكلام: والأرض ومن طحَّاهَا. ومعنى قوله: ﴿طَحَّاهَا﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: والأرض وما خلق فيها. كما جاء عن ابن عباس وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَا طَحَّاهَا﴾ قال: بَسَطَهَا. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما قسمها. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ يعني جل ثناؤه

بقوله: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ نفسه؛ لأنه هو الذي سوى النفس وخلقها، فعَدَّلَ خلقها، فوضع "ما" موضع "مَنْ" وقد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضا المصدر، فيكون تأويله: ونفس وتساويتها، فيكون القسم بالنفس وتساويتها. وقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شر أو طاعة، أو معصية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وجاء عن عمران بن حصين قال: رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلما؟ قال: ففرغت منه فرعا شديدا، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلَقَهُ، ومِلْكُ يده، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قال: سدّدك الله، إنما سألتك "أظنه أنا" لأخبر عقلك. إن رجلا من مُزينة أو جهينة، أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون شيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه السلام وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: "في شيء قد قُضِيَ عَلَيْهِمْ"؛ قال: ففيم نعمل؟ قال: "مَنْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ لِإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ يَهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝٣ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝٤ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝٥ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝٦ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝٧﴾. قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ يقول: قد أفلح من زكّى الله نفسه، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وقد خاب في طلبته، فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح مَنْ دساها يعني: من دَسَسَ الله نفسه فأَحْمَلَهَا، ووضع منها، بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله. وقيل: دَسَّاهَا وهي دَسَّسَهَا، فقلبت إحدى سيناتها ياء وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ يقول: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بطغيانها، يعني: بعذابها الذي وعدهموه صالح عليه السلام، فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن كان فيه اختلاف بين أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني بذلك جلّ ثناؤه: صالحا

رسول الله ﷺ، فقال لشمود صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ احذروا ناقة الله وسُقْيَاهَا، وإنما حذرهم سُقْيَا الناقة، لأنه كان تقدّم إليهم عن أمر الله، أن للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر، غير يوم الناقة، على ما قد بيّنت فيما مضى قبل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ يقول: فكذبوا صالحا في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شرب الناقة يوما، ولهم شرب يوم معلوم، وأن الله يحلّ بهم نقمته، إن هم عقروها، كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، وقد يُحتمل أن يكون التكذيب بالعقر. وإذا كان ذلك كذلك، جاز تقديم التكذيب قبل العقر، والعقر قبل التكذيب، وذلك أن كلّ فعل وقع عن سبب حسنّ ابتدأه قبل السبب وبعده، كقول القائل: أعطيت فأحسنّت، وأحسنّت فأعطيت؛ لأن الإعطاء هو الإحسان، ومن الإحسان الإعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب، جاز تقديم أيّ ذلك شاء المتكلم. وقد زعم بعضهم أن قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كلمة مكتفية بنفسها، وأن قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جواب لقوله: ﴿إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ كأنه قيل: إذ انبعث أشقاها فعقرها، فقال: وكيف قيل ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وقد كان القوم قبل قتل الناقة مُسْلِمِينَ، لها شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر. قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قتلها قاتلها، وعقرها من عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم، فقال جلّ ثناؤه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾. وقوله: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فدمّر عليهم ربهم بذنوبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحا، وعقرهم ناقته ﴿فَسَوَّاهَا﴾ يقول: فسوّى الدممة عليهم جميعهم، فلم يُفْلِتْ منهم أحد. وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وهو كالذي جاء عن السديّ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: الذي لا يخاف الذي صنع، عُقْبَى ما صنع.

آخر تفسير سورة الشمس وضحاها

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الليل إذا يغشى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١﴾ وَالتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠﴾. يقول تعالى ذكره مقسما بالليل إذا غشى النهار بظلمته، فأذهب ضوئه، وجاءت ظلمته: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١﴾ النهار ﴿وَالْتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢﴾ وهذا أيضا قسم، أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار، وظهر للأبصار. ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عيانا، وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لعظم شأنه عنده. وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣﴾ يحتمل الوجهين اللذين وصفت في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ٤﴾ وفي ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاها ٥﴾ وهو أن يجعل "ما" بمعنى "من"، فيكون ذلك قسما من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى، وهو ذلك الخالق، وأن تجعل "ما" مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى. وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤﴾ يقول: إن عملكم لمختلف أيها الناس، لأن منكم الكافر بربه، والعاصي له في أمره ونهيه، والمؤمن به، والمطيع له في أمره ونهيه. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥﴾ يقول تعالى ذكره: فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله، واتقى الله واجتنب محارمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦﴾ وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وأولاها بالصواب عندي: قول من قال: عني به التصديق بالخلف من الله على نفقته. وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله ذكر قبله مُنْفِقًا أَنْفَقَ طَالِبًا بِنَفَقَتِهِ الخلف منها، فكان أولى المعاني به أن يكون الذي عقيقه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف إذ كانت نفقته على الوجه الذي يرضاه، مع أن الخبر عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك ورد. كالذي جاء عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَبَجَنِيهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا" فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦...﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لِلْعُسْرَى ١٠﴾. وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يُعْتَقُ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يَعْتَقُ عَجَائِرَ وَنِسَاءً إِذَا أَسْلَمْنَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَيُّ بَنِيَّ، أَرَأَيْكَ تَعْتَقُ أَنْاسًا ضَعَفَاءَ، فَلَوْ أَنَّكَ أَعْتَقْتَ رَجُلًا جَلْدًا يَقُومُونَ مَعَكَ، وَيَمْنَعُونَكَ، وَيَدْفَعُونَ

عنك، فقال: أي أبت، إنما أريد "أظنه قال": ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي، أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾. وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ يقول: فسنيهيته للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليوجب له به في الآخرة الجنة. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربه، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته بالزيادة فيما حوّل من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وأما قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله نحو اختلافهم في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ وأما نحن فنقول: معناه: وكذب بالخلف. وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: فسنيهيته في الدنيا للخلة العسرى، وهو من قولهم: قد يسرت غنم فلان: إذا ولدت وتهيات للولادة، وقيل: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ولا تسير في العسرى للذي تقدم في أول الكلام من قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشر، جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعاً؛ والعسرى التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يسره لها: العمل بما يكرهه ولا يرضاه. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن علي، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَتَبَ الْأَرْضَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ". قلنا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: "لَا أَعْمَلُوا فَكُلَّ مُيَسَّرٌ"، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيَجْزِيهَا الْآتَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨). يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾: أي شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، ماله يوم القيامة ﴿إِذَا﴾ هو ﴿تَرَدَّى﴾ ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إذا تردى في جهنم، لأن ذلك هو المعروف من التردي، فأما إذا أريد معنى الموت، فإنه يقال: رَدِيَ فلان، وقلما يقال: تردى. وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن علينا لبيان الحق من الباطل، والطاعة من المعصية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وكان بعض أهل العربية يتأوله بمعنى: أنه من سلك الهدى فعلى الله سبيله، ويقول وهو مثل قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ويقول: معنى ذلك: من أراد الله فهو على السبيل القاصد، وقال: يقال معناه: إن علينا للهدى والإضلال، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ وهي تقي الحر والبرد. وقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ يقول: وإن لنا ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي منهما من أردنا من خلقنا، ونحرمه من شئنا. وإنما عني بذلك جل ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحب من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهيئه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة. ثم قال جل ثناؤه: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ يقول تعالى

ذكره: فأندرتكم أيها الناس نارا تتوهج، وهي نار جهنم، يقول: احذروا أن تعصوا ربكم في الدنيا، وتكفروا به، فتصلونها في الآخرة. وقيل: تلظى، وإنما هي تلظى، وهي في موضع رفع، لأنه فعل مستقبل، ولو كان فعلا ماضيا لقليل: فأندرتكم نارا تلظت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يقول جل ثناؤه: لا يدخلها فيصلى بسعيها إلا الأشقى، ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ يقول: الذي كذب بآيات ربه، وأعرض عنها، ولم يصدق بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: لتدخلن الجنة إلا من يأبى، قالوا: يا أبا هريرة: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: فقرا: ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾. وكان بعض أهل العربية يقول: لم يكن كذب برد ظاهر، ولكن قصر عما أمر به من الطاعة، فيجعل تكذيبا، كما تقول: لقي فلان العدو، فكذب إذا نكل ورجع، وذكر أنه سمع بعض العرب يقول: ليس لحدهم مكذوبة، بمعنى: أنهم إذا لقوا صدقوا القتال، ولم يرجعوا؛ قال: وكذلك قول الله: ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كاذِبَةٌ﴾. وقوله: ﴿وَسَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يقول: وسيوقى صلي النار التي تلظى التقى، ووضع أفعل موضع فاعيل، كما قال طرفة: تَمَنَّى رَجُلٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتَ... فَمِنْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ وقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ يقول: الذي يعطي ماله في الدنيا في حقوق الله التي ألزمه إياها، ﴿يَتَزَكَّى﴾: يعني: يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ١٩
ولسوف يرضى ٢٠. كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتركى ﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ يعني: من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك، ويعطي ما يعطي، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه، أنعمها عليه، ولكن يؤتيه في حقوق الله ابتغاء وجهه الله. قال: وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن، وقال: يجوز أن يكون يفعل في المكافأة مستقبلا فيكون معناه: ولم يرد بما أنفق مكافأة من أحد، ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده، فكأنك قلت: وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتبس ثوابها، قال: وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان معروفا، وقالوا: نزلت في أبي بكر بعثته من أعتق. كما جاء عن قتادة وغيره وعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن هؤلاء، ينبغي أن يكون قوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ نصبا على الاستثناء من معنى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ لأن معنى الكلام: وما يؤتي الذي يؤتي من ماله ملتصقا من أحد ثوابه، إلا ابتغاء وجه ربه. وجائز أن يكون نصبه على مخالفة ما بعد إلا ما قبلها وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يقول: ولسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل، يتركى بما يشبهه الله في الآخرة عوضا مما أتى في الدنيا في سبيله، إذا لقي ربه تبارك وتعالى.

آخر تفسير سورة الليل إذا يغشى
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة والضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿١﴾ وَالضُّحَى ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴿٤﴾ وَمَا قَلَى ﴿٥﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٦﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٨﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٩﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿١٠﴾ . أقسم ربنا جل ثناؤه بالضحى، وهو النهار كله، وأحسب أنه من قولهم: ضحى فلان للشمس: إذا ظهر منه؛ ومنه قوله: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظُنُّ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾: أي لا يصيبك فيها الشمس. وقد ذكرت اختلاف أهل العلم في معناه في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ مع ذكرى اختيارنا فيه. وقيل: عُني به وقت الضحى. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكنا وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وهذا جواب القسم، ومعناه: ما تركك يا محمد ربك وما أبغضك. وقيل: ﴿وَمَا قَلَى﴾ ومعناه: وما قلاك، اكتفاء بفهم السامع لمعناه، إذ كان قد تقدّم ذلك قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ فعرف بذلك أن المخاطب به نبي الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وذكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ تكذيباً من الله قريشاً في قيلهم لرسول الله، لما أبطأ عليه الوحي: قد ودّع محمداً ربه وقلاه. كالذي جاء عن ابن عبد الله، قال: لما أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقالت امرأة من أهلها، أو من قومه: ودّع الشيطان محمداً، فأنزل الله عليه: ﴿وَالضُّحَى﴾ ... إلى قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. وقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة، وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها. وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ يقول تعالى ذكره: ولسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى ترضى. وقد اختلف أهل العلم في الذي وعده من العطاء، فقال بعضهم: هو ما جاء عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كفراً كفراً، فسرّ بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم. وقال آخرون في ذلك ما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

رَبِّكَ فَتَرَضَى ﴿١﴾ قال: من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ يقول تعالى ذكره معدداً على نبيه محمد ﷺ نعمه عنده، ومذكّره آلاءه قبله: أَلَمْ يَجِدْكَ يا محمد ربك يتيماً فآوَى، يقول: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً تنزله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم. وقال السدي في ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ قال: كان على أمر قومه أربعين عاماً. وقيل: عُنِيَ بذلك: ووجدك في قوم ضلال فهداك. وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ غَالِيًا فَأَغْنَى﴾ يقول: ووجدك فقيراً غالياً فأغناك، يقال منه: عال فلان يعيل عيلاً، وذلك إذا افتقر كما جاء عن سفيان

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ يا محمد ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ يقول: فلا تظلمه، فتذهب بحقه، استضعافاً منك له. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ يقول: وأما من سألَكَ من ذي حاجة فلا تنهره، ولكن أطعمه واقض له حاجته ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: يقول: فاذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي نضرة، قال: كان المسلمون يرون أن من شُكِرَ النعم أن يحدث بها.

آخر تفسير سورة الضحى

ولله الحمد والشكر



تفسير سورة ألم نشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ﴾ (١) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٢) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٣) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٤) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٦) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٧). يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مذكره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: ﴿وَحَلَّلْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر قد أوهنه السفر، وأذهب لحمه: هو يُقْضُ سفر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره.

وفي قوله: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال: أثقله وجهده، كما يُقْضُ البعير حمله الثقيل، حتى يصير نقضا بعد أن كان سمينا ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال: ذنبك الذي أنقض ظهرك، أثقل ظهرك، ووضعناه عنك، وخففنا عنك ما أثقل ظهرك.

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يقول: ورفعنا لك ذكرك، فلا أذكرُ إلا ذكركَ معي، وذلك قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره.

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فَإِنَّ مَعَ الشدة التي أنت فيها من جهاد هؤلاء المشركين، ومن أوله ما أنت بسبيله رجاء وفرجا بأن يُظْفِرَكَ بهم، حتى ينقادوا للحق الذي جنتهم به طوعا وكرها. ورؤي عن النبي ﷺ أن هذه الآية لما نزلت، بشر بها أصحابه وقال: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ". كما قال الحسن: لما نزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال رسول الله ﷺ: "ابشروا أتاكم اليسر، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ".

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشغولا من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قرّبه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشغولا لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى.

وقوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

آخر تفسير سورة ألم نشرح
والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يقال له زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون. وقوله: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتا للطور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منونا، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته، لغير علة تدعو إلى ذلك. وقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يقول: وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله، أو يغزوهم. وقيل: الأمين، ومعناه: الآمن، وإنما عني بقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وهذا جواب القسم، يقول تعالى ذكره: والتين والزيتون، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وبعد فإن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها؛ لأن قوله: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إنما هو نعت لمحدوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم. وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الحَرَفَى، الذين ذهبت عقولهم من الهرم والكبر، فهو في أسفل من سفلى في إدبار العمر وذهاب العقل. وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجا بذلك على مُنْكَرِي قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، ألا ترى أنه

يقول: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ يعني: بعد هذه الحجة. ومحال أن يحتج على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين. وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدر على دفعه، مما يعاينونه ويحسونه، أو يقرّون به، وإن لم يكونوا له مُحسين. وإذا كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار- التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة- مُنكرين، وكانوا لأهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين، علم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له مُعاینين، من تصرفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهرم والضعف وفناء العمر، وحدث الخرف. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى هذا الاستثناء، وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم، فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل. وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ إلى أرذل العمر. اختلفوا في تأويل قوله: ﴿غَيْرِ مَمْنُونٍ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: فلهم أجر غير منقوص، كما كان له أيام صحته وشبابه، وهو عندي من قولهم: جبل مئین: إذا كان ضعيفا

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى "ما" معنى "من"، ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟ يعني: بطاعة الله، ومجازاته العباد على أعمالهم. وقد تأول ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ وكأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا. واختلفوا في معنى قوله: ﴿بِالدِّينِ﴾ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الدين في هذا الموضع: الجزاء والحساب، وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب: الجزاء والحساب؛ وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه، وفصل قضائه بين عباده؟ وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ ذلك فيما بلغنا قال: بلى. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: "بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين".

آخر تفسير سورة التين
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة اقرأ باسم ربك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ كلا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْصَمَ ﴿٢﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٣﴾﴾. يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ محمدًا ﷺ يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ثم بين الذي خلق فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يعني: من الدم، وقال: من علق؛ والمراد به من علقه، لأنه ذهب إلى الجمع، كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب، وكذلك علقه وعلق. وإنما قال: من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع، وإن كان في لفظ واحد، فلذلك قيل: من علق. وقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ خلقه للكتابة والخط. كما جاء عن قتادة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قرأ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ قال: القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش. وقيل: إن هذه أول سورة نزلت في القرآن على رسول الله ﷺ. عن عائشة أنها قالت كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة؛ كانت تحيي مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يغار حراء يتحنن فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله: "فَجِئْتُ لِرُبُّكَ وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنِّي الرُّوعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقِ [مِنْ جَبَلٍ]، فَنَمَثَلَ إِلَيَّ حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جِبْرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فَقَرَأْتُ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَأَخْبَرْتُهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَىٰ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَجِئْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ، إِلَّا عُودِي، وَلَكِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ ﴿اقْرَأْ﴾: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿١١﴾ وَالصَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿١٢﴾. وقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يقول تعالى ذكره: علّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يَعْلَمُهُ، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن يُنْعِمَ عليه ربُّه بتسويته خلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كُفءَ له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك، ويطغى عليه، أن رآه استغنى. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ يقول: إن الإنسان ليتجاوز حدّه، ويستكبر على ربه، فيكفر به، لأن رأى نفسه استغنت. وقوله: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾: يقول: إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعُهُ، فذاق من أليم عقابه ما لا قبل له به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ١٠ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١١﴾. ذكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت في أبي جهل بن هشام، وذلك أنه قال فيما بلغنا: لئن رأيت محمدا يصلي، لأطأن رقبتَه؛ وكان فيما ذُكر قد نهى رسول الله ﷺ أن يصلي، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: أَرَأَيْتَ يا محمد أبا جهل الذي يَنْهَاكَ أن تصلي عند المقام، وهو مُعرض عن الحقّ، مكذّب به. يُعَجِّبُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نبِيَه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجراءته على ربه، في نبیه محمدا عن الصلاة لربه، وهو مع أياديه عنده مكذّب به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ١٢ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ١٣﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ محمد ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ يعني: على استقامة وسداد في صلاته لربه ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ أو أمر محمد هذا الذي ينهي عن الصلاة، باتقاء الله، وخوف عقابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٤﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أبو جهل بالحق الذي بعث به محمدا ﴿وَتَوَلَّى﴾ يقول: وأدبر عنه، فلم يصدّق به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ١٥﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٦ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٧ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٨ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٩﴾ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ٢٠﴾. يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه، والصلاة له، بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه. وقيل: أَرَأَيْتَ الذي ينهى عبدا إذا صلى، أَرَأَيْتَ إن كان على الهدى، فكررت أَرَأَيْتَ مرات ثلاثًا على البذل. والمعنى: أَرَأَيْتَ الذي ينهى عبدا إذا صلى، وهو مكذّب متول عن ربه، ألم يعلم بأن الله يراه. وقوله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ يقول: ليس كما قال: إنه يطأ عنق محمد، يقول: لا يقدر على

ذلك، ولا يصل إليه. قوله: ﴿لَيْنٌ لَمْ يَنْتَهُ﴾ يقول: لئن لم ينته أبو جهل عن محمد ﴿لَنْسَقَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾ يقول: لنأخذن بمقدم رأسه، فلنضمنه ولنذله؛ يقال منه: سفعت بيده: إذا أخذت بيده. وقيل: إنما قيل ﴿لَنْسَقَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾ والمعنى: لنسودن وجهه، فاكثفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه. وقيل: معنى ذلك: لنأخذن بناصيته إلى النار، كما قال: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾. وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فخفض ناصية رداً على الناصية الأولى بالتكرير، ووصف الناصية بالكذب والخطيئة، والمعنى لصاحبها. وقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره، من عشيرته وقومه، والنادي: هو المجلس. وإنما قيل ذلك فيما بلغنا، لأن أبا جهل لما نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند المقام، انتهره رسول الله ﷺ، وأغلظ له، فقال أبو جهل: علام يتوعدني محمد وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ فقال الله جل ثناؤه: ﴿لَيْنٌ لَمْ يَنْتَهُ لَنْسَقَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾، فليدع حينئذ ناديه، فإنه إن دعا ناديه، دعونا الزبانية. ونحن الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار، وقال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقل نعم، قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك، لأطأن على رقبتة، لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبتة، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه؛ قال: فقل له: مالك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: "لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَطَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا" قال: وأنزل الله، لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ أَلَّا يَشْكُرَ﴾ قال: فليدع ناديه؛ يدعو قومه ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ الملائكة ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾. وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يقول أبو جهل، إذ ينهي محمداً عن عبادة ربه، والصلاة له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك ﴿وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ﴾ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ منه، بالتحبب إليه بطاعته، فإن أبا جهل لن يقدر على ضرك، ونحن نمنعك منه.

آخر تفسير سورة اقرأ باسم ربك،

والحمد لله وحده.

تفسير سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۚ﴾. يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وهي ليلة الحكم التي يقضي الله فيها قضاء السنة؛ وهو مصدر من قولهم: قَدَرَ الله عليّ هذا الأمر، فهو يَقْدُرُ قَدْرًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله، بعضه في أثر بعض، ثم قرأ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد أي شيء ليلة القدر خير من ألف شهر. اختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأشبهه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معان باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل. عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل. وقال آخرون في ذلك ما حدثني أبو الخطاب الجارودي سهيل، قال: ثنا سلم بن قتيبة، قال: ثنا القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنه: يا مسود وجه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل، فبايعت له، يعني معاوية بن أبي سفيان، فقال: إن رسول الله ﷺ أرى في منامه بني أمية يعلون منبره خليفة خليفة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني ملك بني أمية؛ قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية، فإذا هو ألف شهر. وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، والصواب من القول في ذلك: القول الأول: تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ يعني بإذن ربهم، من كل أمر قضاؤه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك. وقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سلام ليلة القدر من الشر كله من أولها إلى طلوع الفجر من ليلتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وعني بقوله: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: إلى مطلع الفجر.

آخر تفسير سورة القدر والشكر لله

تفسير سورة لم يكن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ١ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ٢ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ ٣ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ ٤ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ٥ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البينة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه، رسول من الله. وقوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيين أحدهما من الآخر، ولذلك صُلح بغير خبر، ولو كان بمعنى ما زال، احتاج إلى خبر يكون تاما له، واستؤنف قوله ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ هي نكرة على البينة، وهي معرفة، كما قيل: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالَ﴾ فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثة الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البينة، فقال: تلك البينة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يقول: يقرأ صحفا مطهرة من الباطل ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ يقول: في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ يقول: وما تفرق اليهود والنصارى في أمر محمد ﷺ، فكذبوا به، إلا من بعد ما جاءتهم البينة، يعني: من بعد ما جاءت هؤلاء اليهود والنصارى البينة، يعني: أن بيان أمر محمد أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه، يقول: فلما بعثه الله تفرقوا فيه، فكذب به بعضهم، وآمن بعضهم، وقد كانوا قبل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ٦ يقول تعالى ذكره: وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين؛ يقول: مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم بهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عزيرا ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحدوهم نبوة محمد ﷺ. وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ قد مضى بياننا في معنى الحنيفية قبل بشواهد المغنية عن إعادتها، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر قبل من الأخبار في ذلك. كما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ يقول: حجاجا مسلمين غير مشركين، يقول: ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويحجوا وذلك دين القيمة. وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقول: وليقيموا الصلاة، وليؤتوا الزكاة. وقوله: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ يعني أن هذا الذي ذكر أنه أمر به هؤلاء الذين

كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هو الدين القيمة، ويعني بالقيمة: المستقيمة العادلة، وأضيف الدين إلى القيمة، والدين هو القيم، وهو من نعت لا اختلاف لفظيهما. وهي في قراءة عبد الله فيما أرى فيما ذكر لنا: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ وأنثت القيمة، لأنها جعلت صفة للملة، كأنه قيل: وذلك الملة القيمة، دون اليهودية والنصرانية. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد ﷺ، فجددوا نبوته، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين لا يثن فيها ﴿أَبَدًا﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شر من برأه الله وخلقه، والعرب لا تهمز البرية، وترك الهمز فيها قرأتها قراءة الأمصار، غير شيء يذكر عن نافع بن أبي نعيم، فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان يهمزها، وذهب بها إلى قول الله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وأنها فعيلة من ذلك. وأما الذين لم يهمزوها، فإن لتركهم الهمز في ذلك وجهين: أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها، كما تركوه من الملك، وهو مفعول من ألك أو لأك، ومن يرى، وترى، ونرى، وهو يفعل من رأيت. والآخر: أن يكونوا وجَّهوها إلى أنها فعيلة من البري وهو التراب. حكى عن العرب سماعا: بفيك البري، يعني به: التراب. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ يعني بساتين إقامة لا ظعن فيها، تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ماكثين فيها أبداً، لا يخرجون عنها، ولا يموتون فيها ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة. وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الخير الذي وصفته، ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة، لمن خشي ربه؛ يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلايته، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وبالله التوفيق.

آخر تفسير سورة لم يكن
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة إذا زلزلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ۝ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لقيام الساعة ﴿زُلْزَالَهَا﴾ فَرَجَّتْ رَجًّا؛ والزلال: مصدر إذا كسرت الزاي، وإذا فتحت كان اسما؛ وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها، كما يقال: لأكرمك كرامتك، بمعنى: لأكرمك كرامة. وحسن ذلك في زلزالها، لموافقتها رءوس الآيات التي بعدها. كما جاء عن سعيد وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يقول: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى أحياء، والميت في بطن الأرض ثقل لها، وهو فوق ظهرها حيا ثقل عليها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الناس إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة: ما للأرض وما قصتها ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا﴾. كان ابن عباس يقول في ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ قال الكافر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا﴾ يقول: يومئذ تحدث الأرض أخبارها، وتحديثها أخبارها، على القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود، أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إلي به، وأذن لي فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقيل: عنى بقوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أوحى إليها. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ قيل: إن معنى هذه الكلمة التأخير بعد ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ قالوا: ووجه الكلام: يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها، ليُرَوْا أعمالهم، يومئذ يصدر الناس أشتاتًا. قالوا: ولكنه اعترض بين ذلك هذه الكلمة. ومعنى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ عن موقف الحساب فرقا متفرقين، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار. وقوله: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول: يومئذ يصدر الناس أشتاتًا متفرقين، عن اليمين وعن الشمال، ليروا أعمالهم، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا، وكفره به. وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن

ذرة من شر يرى جزاءه هنالك، وقيل: ومن يعمل والخبر عنها في الآخرة، لفهم السامع معنى ذلك، لما قد تقدم من الدليل قبل، على أن معناه: فمن عمل؛ ذلك دلالة قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ على ذلك. ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين، وكان في قوله: ﴿يَعْمَلُ﴾ حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله، والزجر عن معاصيه، مع الذي ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضي فعله، وما لهم على ذلك، أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل. وبنحو الذي قلنا من أن جميعهم يرون أعمالهم، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ قال: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا ولا شرا في الدنيا، إلا آتاه الله إياه. فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيرد حسناته، ويعذب به سيئاته. وقيل في ذلك غير هذا القول، فقال بعضهم: أما المؤمن، فيعجل له عقوبة سيئاته في الدنيا، ويؤخر له ثواب حسناته، والكافر يعجل له ثواب حسناته، ويؤخر له عقوبة سيئاته. وجاء عن أنس، قال: كان أبو بكر رضى الله عنه يأكل مع النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرفع أبو بكر يده من الطعام، وقال: يا رسول الله إني أجزي بما عملت من مثقال ذرة من شر، فقال: "يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا ممّا تكره فمِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَرٍّ، وَيَذْخُرُ لَكَ اللَّهُ مِثْقَالَ الْخَيْرِ حَتَّى تُوفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أنزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: "ما يُبْكِيكَ يَا أبا بكر؟" قال: يُبْكِينِي هَذِهِ السُّورَةُ، فقال له رسول الله ﷺ: "لَوْلَا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ لَخَلَقَ اللَّهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ". فهذه الأخبار عن رسول الله ﷺ وغيرها تُنبئ عن أن المؤمن إنما يرى عقوبة سيئاته في الدنيا، وثواب حسناته في الآخرة، وأن الكافر يرى ثواب حسناته في الدنيا، وعقوبة سيئاته في الآخرة، وأن الكافر لا ينفعه في الآخرة ما سلف له من إحسان في الدنيا مع كفره.

آخر تفسير سورة إذا زلزلت الأرض.



تفسير سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لَكَبِيرُ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ۝١١﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضح، وإنما تضح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحا، والضح: هو ما قد ذكرنا قبل. وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن علي رضي الله عنه قال: الضبح من الخيل: الحممة، ومن الإبل: النفس. وقوله: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ اختلف أهل التأويل، في ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا؛ فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان - مثلا - يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر - مثلا -، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر. وقوله: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحا، ولم يخص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحا، فداخلة فيما أقسم به؛ وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأبأها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به. وقوله ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يقول تعالى ذكره: فرفعن بالوادي غبارا؛ والنقع: الغبار، ويقال: إنه التراب. والهاء في قوله "به" كناية اسم الموضع، وكنى عنه، ولم يجز له ذكر، لأنه معلوم أن الغبار لا يثار إلا من موضع، فاستغنى بفهم السامعين بمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يقول تعالى ذكره: فوسطن بركبانهن جمع القوم، يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطته بالتشديد، وتوسطته: بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة

وغيره عن عبد الله ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يعني: مزدلفة. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يقول: إن الإنسان لكفور لنعم ربه. والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئاً وقيل: إنما سميت كندة: لقطعها أباهاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله على كنوده ربه لشهيد. يعني لشاهد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سفيان وغيره وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الإنسان لحب المال لشديد. وهو كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ قال: الخير: الدنيا؛ وقرأ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ قال: فقلت له: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: المال؟ قال: نعم، وأي شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراماً، ولكن الناس يعدونه خيراً، فسماه الله خيراً، لأن الناس يسمونه خيراً في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثاً، وسمي القتال في سبيل الله سوءاً، وقرأ قول الله: ﴿فَأَنقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ﴾ قال: لم يمسسهم قتال؛ قال: وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءاً. وتأويل الكلام: إن الإنسان لربه لكنود، وإنه لحب الخير لشديد، وإن الله على ذلك من أمره لشاهد. ولكن قوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قدم، ومعناه التأخير، فجعل معترضا بين قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، وبين قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. يقول: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته، إذا أثير ما في القبور، وأخرج ما فيها من الموتى وبحث. وذكر أنها في مصحف عبد الله: "إذا بحث ما في القبور"، وكذلك تأول ذلك أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يقول: وميز وبين، فأبرز ما في صدور الناس من خير وشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾ يقول: إن ربهم بأعمالهم، وما أسروا في صدورهم، وأضمره فيها، وما أعلنوه بجوارحهم منها، عليم لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ.

آخر تفسير سورة: والعاديات

والحمد لله

تفسير سورة القارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿الْقَارِعَةُ﴾: الساعة التي يقرع قلوب الناس هولها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها، وذلك صبيحة لا ليل بعدها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وكيع وغيره وقوله: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ يقول تعالى ذكره معظما شأن القيامة والساعة التي يقرع العباد هولها: أي شيء القارة، يعني بذلك: أي شيء الساعة التي يقرع الخلق هولها: أي ما أعظمها وأقطعها وأهولها. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد أي شيء القارة. وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يقول تعالى ذكره: القارة يوم يكون الناس كالفرش، وهو الذي يتساقط في النار والسراج، ليس ببعوض ولا ذباب، ويعني بالمبثوث: المفروق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعهن: هو الألوان من الصوف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ يقول: فأما من ثقلت موازين حسناته، يعني بالموازين: الوزن، والعرب تقول: لك عندي درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك ووزن دارك، يراد: حذاء دارك. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يقول: وأما من خفت وزن حسناته، فمأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه في جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: وما أشعرك يا محمد ما الهاوية، ثم بين ما هي، فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾، يعني بالحامية: التي قد حميت من الوقود عليها.

آخر تفسير سورة القارة

تفسير سورة الهاكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾. يقول تعالى ذكره: ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم، وعما ينجيكم من سخطه عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وروى عن النبي ﷺ كلام يدل على أن معناه التكاثر بالمال. عن أبي بن كعب، قال: كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن: "لو أن لابن آدم واديين من مال، لتمنى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب" حتى نزلت هذه السورة: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها. وقوله ﷺ بعقب قراءته "ألهاكم" ليس لك من مالك إلا كذا وكذا، ينبى أن معنى ذلك عنده: ألهاكم التكاثر: المال. وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلحقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهديدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: كَلَّا ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يُلْهِمَكُمُ التَّكَاثُرَ. وقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غب فعلكم، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم. وقوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يُلْهِمَكُمُ التَّكَاثُرَ بالأموال، وكثرة العدد، سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، ما تلقون إذا أنتم زرتموها، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم بالتكاثر. وكرر قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مرتين، لأن العرب إذا أرادت التعليل في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين. وروى عن الضحاك في ذلك ما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن ثابت، عن الضحاك ﴿كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٥٨٦﴾ قال: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: المؤمنون. وكذلك كان يقرأها. وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس، لو تعلمون أيها الناس علما يقينا، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتكم إلى عبادته، والانتفاء إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا إشفافا على أنفسكم من عقوبته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ فتأويل الكلام: لترون أيها المشركون جهنم يوم القيامة، ثم لترونها عيانا لا تغيبون عنها. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يقول: ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، من أين وصلتم إليه، وفيه أصبتموه، وماذا عملتم به. واختلف أهل التأويل في ذلك النعيم ما هو؟ والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عم بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض. وجاء عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ لأبي بكر وعمر: "انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ الْأَنْصَارِيِّ"، فانطلق بهم إلى ظل حديقته، فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة، فجاء يقنو، فقال رسول الله ﷺ: "فَهَلَا تَنْقَتَ لَنَا مِنْ رُطْبِهِ؟" فقال: أردت أن تخيروا من رطبه وبُسره، فأكلوا وشربوا من الماء؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: "هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ، الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مَسْئُولُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذَا الظِّلُّ الْبَارِدُ، وَالرُّطْبُ الْبَارِدُ، عَلَيْهِ الْمَاءُ الْبَارِدُ".

آخر تفسير سورة ألهاكم

والحمد لله



تفسير سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل جلاله وتقدست أسماؤه: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ﴿وَالْعَصْرِ﴾ اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان. وكان علي رضي الله عنه يقرأ ذلك: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ وإنه فيه إلى آخر الدهر. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره يقول في ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ قال: الحق: كتاب الله. وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره

آخر تفسير سورة العصر

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ويل لكل همزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ^١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ^٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ^٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ^٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ^٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ^٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ^٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ^٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ^٩﴾. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقبحهم، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: يقول: لكل مغتاب للناس، يغتابهم ويغضهم ويعني باللمزة: الذي يعيب الناس، ويطعن فيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره واختلف في المعنى بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله عمّ بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائن من كان من الناس. وقوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ يقول: الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه. وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يقول: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، وبخل بإنفاقه، مخلده في الدنيا، فمزيل عنه الموت. وقيل: أخلده، والمعنى: يخلده، كما يقال للرجل الذي يأتي الأمر الذي يكون سببا لهلاكه: عطب والله فلان، هلك والله فلان، بمعنى: أنه يعطب من فعله ذلك، ولما يهلك بعد ولم يعطب؛ وكالرجل يأتي الموبقة من الذنوب: دخل والله فلان النار. وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ما ذلك كما ظنّ، ليس ماله مخلده، ثم أخبر جل ثناؤه أنه هالك ومعذب على أفعاله ومعاصيه، التي كان يأتيها في الدنيا، فقال جل ثناؤه: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ يقول: ليُثْبَتَنَّ يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، كما قيل لها: جهنم وسقر ولظى، وأحسبها سميت بذلك لحطمتها كل ما ألقى فيها، كما يقال للرجل الأكل: الحطمة. ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: "لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ" يعني: هذا الهمزة للهمزة وماله، فثنائه لذلك. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ يقول: وأي شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة، ثم أخبره عنها ما هي، فقال جل ثناؤه: هي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ يقول: التي يطلع ألمها ووهجها

القلوب؛ والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى، حُكي عن العرب سماعاً: متى طلعت أرضنا؛ وطلعت أرضي: بلغت. وقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الحطمة التي وصفت صفتها عليهم، يعني: على هؤلاء الهمازين اللمازين ﴿مُّوَصَّدَةٌ﴾: يعني: مطبقة؛ وهي تهمز ولا تهمز؛ وقد قرئنا جميعاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وجاء عن سعيد، قال: في النار رجل في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا حنان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا ربَّ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ فيقول: يا جبريل فكها، وأخرج عبي من النار، فيفكها، ويخرج مثل الخيال، فيطرح على ساحل الجنة حتي يُنبت الله له شعراً ولحماً ودماً. وقوله: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ واختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معناه: أنهم يعذبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها، ولا وضع لنا عليها دليل، فنذكر به صفة ذلك، فلا قول فيه، غير الذي قلنا يصحّ عندنا، والله أعلم.

آخر تفسير سورة البقرة



تفسير سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۚ﴾. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى بها ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الذين قَدِمُوا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ يقول: ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ يعني: في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها. وقوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأرسل عليهم ربك طيرا متفرقة، يتبع بعضها بعضا من نواح شتي؛ وهي جماع لا واحد لها، مثل الشمايط والعباديد ونحو ذلك. وذكر أنها كانت طيرا أخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قبل البحر. ثم اختلفوا في صفتها، فقال بعضهم: كانت بيضاء. وقال آخرون: كانت سوداء. وقال آخرون: كانت خضراء، لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأف الكلاب. كالذي جاء عن ابن عباس، وكالذي جاء عن عبيد بن عمير، قال: طير سود تحمل الحجارة في أظافيرها ومنافيرها. وقوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ترمي هذه الطير الأبابل التي أرسلها الله على أصحاب الفيل، بحجارة من سجيل. وقد بينا معنى سجيل في موضع غير هذا، غير أنا نذكر بعض ما قيل من ذلك في هذا الموضع، من أقوال مَنْ لم نذكره في ذلك الموضع. كما جاء عن عكرمة وغيره وقال ابن زيد، في قوله: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قال: السماء الدنيا، قال: والسماء الدنيا اسمها سجيل، وهي التي أنزل الله جلَّ وعزَّ على قوم لوط. - كان السبب الذي من أجله حُلَّتْ عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل، مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل، إلى بيت الله الحرام لتخريبه. وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانيا، فسامها القليس؛ لم يُر مثُلهَا في زمانها بشيء من الأرض؛ وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم بين مثُلهَا لملك كان قبلك، ولست بمُنته حتى أصرف إليها حاجَّ العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي، غضب رجل من النساء أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، فخرج حتى أتى القليس، فقعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت،

الذي تحجَّ العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجَّ العرب، فغضب، فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل؛ فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِمُوا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزاعي بن حِزَابَة الدُّكَوَانِي، ثم السُّلَمِي، في نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خُزاعي؛ فبينما هم عنده، غَشِيَهُمْ عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصَى؛ فلما أتى القوم بغذائه، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خُزاعي، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك، إن هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجُنب والأَيْدِي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليك ما أحببتم، فإنما أكرمتمكم بغذائي، لمنزلتكم عندي. ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزاعي، وأمره على مضر، وأمره أن يسير في الناس، يدعوهم إلى حج القَلْبِيس، كنيسة التي بناها، فسار محمد بن خُزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، بعثوا إليه رجلا من هذيل يقال له عُروَة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله؛ وكان مع محمد بن خُزاعي أخوه قيس بن خُزاعي، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحقا، وحلف ليغزون بني كنانة، وليهدمنَّ البيت. ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُجْشَانَ فتهيأت وتجهَّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُطِعُوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفَر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعَرَضَ له، وقتاله، فهزم وتفرق أصحابه، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرا؛ فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي؛ فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلا حليما. ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخِذَ له أسيرا، فأتي به؛ فلما هم بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة؛ فأعفاه وخلَّى سبيله، وخرج به معه، يده على الطريق؛ حتى إذا مرَّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمَّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فَرَجَمَتِ العرب قبره، فهو القبر الذي ترحم الناس بالمغمَّس. ولما نزل أبرهة المغمَّس، بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قریش وغيرهم، وأصاب فيها مَتًى بغير لعبد المطلب بن هاشم، وهو

يومئذ كبير قريش وسيدها؛ وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُرد حربي فأُتني به. فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، ف قيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، قال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة؛ هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخل بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال؛ فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقا، فدل عليه، فجاءه وهو في محبسه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقا: وما غناء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غدواً أو عشيا! ما عندي ناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب غير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب الملك له مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل. فكلَّم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك، فليكلمك بحاجته، وأحسن إليه. قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما؛ فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرُدّ عليّ مئتي بعير أصابها لي؛ فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، أردد إليّ إبلي. وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يعمر بن نفثة بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو يومئذ سيّد بني كنانة، وخويلد بن واثلة الهذليّ وهو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، والله أعلم. وكان أبرهة، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم

الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شعف الجبال والشعاب، تخوفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش؛ ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ حلقة باب الكعبة: يا رَبِّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ... يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَاذَاكَ... امْنَعْهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرْأَكَ ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفِ الجبال، فتحرّزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها؛ فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة، وهياً فيله، وعباً جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مُجَمِّعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجَّهوا الفيل، أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك محمود، وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام؛ ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم، فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه، فبزغوه بها ليقوم، فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيْل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته: أَيْنَ الْمَقَرُّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ... وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتهام مدةٌ تمثُّ قيحا ودماء، حتى قَدِمُوا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون. وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ﴾ يعني تعالى ذكره: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرائثه، فيبس وتفرقت أجزاءه؛ شَبَّهَ تَقَطُّعَ أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرقت آراب أبدانهم بها، بتفرقت أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع. وقد كان بعضهم يقول: العصف: هو القشر الخارج الذي يكون على حبّ الحنطة من خارج، كهيئة الغلاف لها. كما جاء عن مجاهد وغيره وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن حبيب بن أبي ثابت: ﴿كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال: كطعام مطعوم.

آخر تفسير سورة الفيل

والحمد لله

تفسير سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ۝١ إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾. اختلف أهل العلم في تأويل ذلك والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن هذه اللام بمعنى التعجب. وأن معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فليعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف. والعرب إذا جاءت بهذه اللام، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها كالذي جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ قال: نهاهم عن الرحلة، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت، وكفاهم المؤنة، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، فلم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف، فأطعمهم بعد ذلك من جوع، وآمنهم من خوف، وألّفوا الرحلة، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا، وإذا شاءوا أقاموا، فكان ذلك من نعمة الله عليهم. وقوله: ﴿إِلَّا فِيهِمْ﴾ مخفوضة على الإبدال، كأنه قال: لإيلاف قريش لإيلافهم، رحلة الشتاء والصيف، وأما الرحلة فنُصبت بقوله. ﴿إِلَّا فِيهِمْ﴾، ووقعه عليها. وقوله: ﴿رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يقول: رحلة قريش الرحلتين: إحداهما إلى الشام في الصيف، والأخرى إلى اليمن في الشتاء. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ يقول: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة، وليعبدوا ربّ هذا البيت، يعني بالبيت: الكعبة. كما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال بعضهم: أمروا أن يألّفوا عبادة ربّ مكة كإلّفهم الرحلتين. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يقول: الذي أطعم قريشاً من جوع. كما جاء عن ابن عباس ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه ﴿آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام، ولا من الجذام دون العدو، بل عمّ الخبر بذلك، فالصواب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما.

آخر تفسير سورة قريش

تفسير سورة أُرِيتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۖ قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۖ﴾. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يكذب بالدين﴾ أُرِيتْ يا محمد الذي يكذب بثواب الله وعقابه، فلا يطيعه في أمره ونهيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يقول: فهذا الذي يكذب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويظلمه. يقال منه: دععت فلاناً عن حقه، فأنا أدعه دعاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحث غيره على إطعام المحتاج من الطعام. وقوله: ﴿قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون، لا يريدون الله عَزَّوَجَلَّ بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلحوا. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: ﴿سَاهُونَ﴾: لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحياناً، وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال: عُنِيَ بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عُنِيَ به تركها لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت. وقد روي عن رسول الله ﷺ بذلك خبران يؤيدان صحة ما قلنا في ذلك: أحدهما: ما جاء عن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت النبي ﷺ، عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. والآخر منهما: ما جاء عن أبي هريرة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: "لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه". وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ يقول: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي

ذرائعهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، يستبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام، كذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يقول: ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء منفعة، يقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون واختلف أهل التأويل في الذي عُني به من معاني الماعون في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعون الناس، خبراً عاماً، من غير أن يخص من ذلك شيئاً أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاونونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض.

آخر تفسير سورة أرايت
والحمد لله



تفسير سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾ واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعظم قدره. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك. كالذي جاء عن أنس قال: لما عُرج بنبي الله ﷺ في الجنة، أو كما قال، عرض له نهر حافته الياقوت المجوف، أو قال: المجوب، فضرب الملك الذي معه بيده فيه، فاستخرج مسكا، فقال محمد للملك الذي معه: "ما هَذَا؟" قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله؛ قال: ورفعت له سدرة المنتهى، فأبصر عندها أثرا عظيما" أو كما قال. وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ اختلف أهل التأويل في الصلاة التي أمر الله نبيه ﷺ أن يصليها بهذا الخطاب وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر. فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافا لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان. وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إن مبغضك يا محمد وعدوك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني بالأبتر: الأقل والأذل المنقطع دابره، الذي لا عقب له. واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل والأذل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

آخر تفسير سورة الكوثر

والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ، وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبي الله ﷺ آلهتهم سنة، فأنزل الله معرفه جوابهم في ذلك: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عِبَادَةَ آلِهِتِهِمْ سَنَةً، عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَكَ سَنَةً﴾ **يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴿بِاللَّهِ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة والأوثان الآن ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الآن ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ فيما أستقبل ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فيما تستقبلون أبدا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أنا الآن، وفيما أستقبل. وإنما قيل ذلك كذلك، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله ﷺ من الطمع في إيمانهم، ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف، وهلك بعض قبل ذلك كافرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت به الآثار. عن ابن عباس: أن قريشا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي؟" قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة، قال: "حتى أنظر ما يأتي من عند ربي"، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ... إلى قوله: ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ يقول تعالى ذكره: لكم دينكم فلا تتركوه أبدا، لأنه قد ختم عليكم، وقضي أن لا تفكوا عنه، وأنكم تموتون عليه، ولي دين الذي أنا عليه، لا أتركه أبدا، لأنه قد مضى في سابق علم الله أني لا أنتقل عنه إلى غيره. كما: قال ابن زيد في

قول الله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ قال: للمشركين؛ قال: واليهود لا يعبدون إلا الله ولا يشركون، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء، وبما جاءوا به من عند الله، ويكفرون برسول الله، وبما جاء به من عند الله، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعدوانا، قال: إلا العصابة التي بقوا، حتى خرج بختنصر، فقالوا: عزير ابن الله، دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى، قالوا: المسيح ابن الله وعبدوه. وكان بعض أهل العربية يقول: كرّر قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وما بعده على وجه التوكيد، كما قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

آخر تفسير سورة الكافرون

والحمد لله



تفسير سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش، والفتح: فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم، وقبائل نزار ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يقول: في دين الله الذي ابتعثك به، وطاعتك التي دعاهم إليها أفواجًا، يعني: رُمرًا، فوجًا فوجًا. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على ما أنجز لك من وعده. فإنك حينئذ لاحق به، وذائق ما ذاق من قبلك من رُسله من الموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا بن عباس ما تقول: قلت: مثل ضرب لمحمد ﷺ نعت إليه نفسه. وجاء عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول قبل أن يموت: "سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك"؛ قالت: فقلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها؟ قال: "قد جعلت لي علامة في أممي إذا رأيتها قلتها" ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة". وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يقول: وسله أن يغفر ذنوبك. يقول: إنه كان ذا رجوع لعبده، المطيع إلى ما يحب. والهاء من قوله "إنه" من ذكر الله عزَّ وجلَّ.

آخر تفسير سورة النصر

والحمد لله

تفسير سورة تبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ⑤﴾. يقول تعالى ذكره: خسرت يدا أبي لهب، وخسر هو. وإنما عني بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ تب عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: دعاء عليه من الله. وأما قوله: ﴿وَتَبَّ﴾ فإنه خبر. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ". وفي دخول "قد" فيه دلالة على أنه خبر، ويمثل ذلك بقول القائل، لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحا وقد جعلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقيل: إن هذه السورة نزلت في أبي لهب، لأن النبي ﷺ لما خص بالدعوة عشيرته، إذ نزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وجمعهم للدعاء، قال له أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا؟ ذكر الأخبار الواردة بذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال: "يا صباحاء!" فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: "أرأيتمكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقوني؟" قالوا: بلى، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا وجمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها. وقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يقول تعالى ذكره: أي شيء أغنى عنه ماله، ودفع من سخط الله عليه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وهم ولده. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كالذي جاء عن أبي الطفيل، قال: جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس، فقاموا يختصمون في البيت، فقام ابن عباس، فحجز بينهم، وقد كف بصره، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش، فغضب وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث. وقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ يقول: سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب. وقوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يقول: سيصلى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب، نارا ذات لهب. قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قال: كانت تأتي بأغصان الشوك، فتطرحها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقال آخرون: قيل لها

ذلك: حمالة الحطب، لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتعير رسول الله ﷺ بالفقر. كما جاء عن عكرمة وغيره وقال بعضهم: كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحطب فعُيرت بأنها كانت تحطب. كما جاء عن سفيان وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك. وقوله ﴿فِي حَبْلِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ يقول في عنقها؛ والعرب تسمي العنق جيذا كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة وكذلك المسد الذي في جيد امرأة أبي لهب، أمر من أشياء شتى، من ليف وحديد ولحاء، وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع.

آخر تفسير سورة تبت
والحمد لله



تفسير سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾^(١) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب رب العزة، فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم. وقال بعضهم: بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فأنزلت جوابا لهم. كما جاء عن أبي العالية وغيره وكالذي جاء عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتفخ لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه. قال: "يقول الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ فلما تلا عليهم النبي ﷺ، قالوا: صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه، فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول، وساورهم غضبا، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه عنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا: قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ربك وصفته، ومن خلقه: الرب الذي سألتوني عنه، هو الله الذي له عبادة كل شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، ولا تصلح لشيء سواه. وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له الصمد. واختلف أهل التأويل في معنى الصمد قال أبو جعفر: الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرفها؛ فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه؛ ولو كان حديث ابن بريدة، عن أبيه صحيحا قال: الصمد الذي لا جوف له، كان أولى الأقوال بالصحة، لأن رسول الله ﷺ أعلم بما عنى الله جل ثناؤه، وبما أنزل عليه. وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يقول: ليس بفانٍ، لأنه لا شيء يلد إلا هو فانٍ بائد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول: وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، ودائم لم يبد، ولا يزول ولا يفنى. وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فجاء عن أبي العالية قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثل شيء. وجاء عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: صاحبة.

آخر تفسير سورة الإخلاص والشكر لله

تفسير سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد، أستجير برَبِّ الفلق من شرِّ ما خلق من الخلق. واختلف أهل التأويل في معنى ﴿الفلق﴾ والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلَّ ثناؤه أمر نبية محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أيمن من فلق الصُّبح، ومن فرق الصبح. وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فلق. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جلَّ ثناؤه وضع دلالة على أنه عُنِيَ بقوله: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ بعض ما يُدعى الفلق دون بعض، وكان الله تعالى ذكره ربَّ كل ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفلق، إذ كان ربَّ جميع ذلك. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ٢ لأنه أمر نبية أن يستعيذ ﴿من شر كل شيء﴾، إذ كان كل ما سواه، فهو ما خلق. وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يقول: ومن شرِّ مظلم إذا دخل، وهجم علينا بظلامه. ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُنِيَ في هذه الآية، وأمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة منه وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله أمر نبية ﷺ أن يستعيذ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وهو الذي يُظلم، يقال: قد غَسَقَ الليلُ يَغْسُقُ غَسوقًا: إذا أظلم ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمَّ الأمر بذلك، فكلَّ غاسق، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب. وكان يقول في معنى وقب: ذهب. وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يقول: ومن شرِّ السواحر اللَّاتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْخِيَطِ، حين يَرْقِينَ عليها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شرِّ حسده به، وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شرِّ كل حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا. وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله عزَّ وجلَّ لم يخصص من قوله ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حاسدا دون حاسد، بل عمَّ أمره إياه بالاستعاذة من شرِّ كل حاسد، فذلك على عمومته.

آخر تفسير سورة الفلق، والحمد لله

تفسير سورة التائيس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ التَّائيسِ ﴿١﴾ مَلِكِ التَّائيسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ التَّائيسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَائِ الْخَنَّائِيسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ التَّائِيسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجَنَّةِ وَالتَّائِيسِ ﴿٦﴾﴾. يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد أستجير ﴿بِرَبِّ التَّائِيسِ مَلِكِ التَّائِيسِ﴾ وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم، وغير ذلك، إعلاماً منه بذلك من كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم أنه ملك من يعظمه، وأن ذلك في ملكه وسلطانه، تجري عليه قدرته، وأنه أولى بالتعظيم، وأحق بالتعبد له ممن يعظمه، ويُتَعَبَدُ له، من غيره من الناس. وقوله: ﴿إِلَهِ التَّائِيسِ﴾ يقول: معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه. وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَائِ﴾ يعني: من شر الشيطان ﴿الْخَنَّائِيسِ﴾ الذي يخنس مرةً ويوسوس أخرى، وإنما يخنس فيما ذكر عند ذكر العبد ربه. كما جاء عن ابن عباس وروي عن ابن عباس، في قوله ﴿الْوَسْوَائِ﴾ قال: هو الشيطان يأمره، فإذا أطيع خنس. والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمداً ﷺ أن يستعيذ به من شر شيطان يوسوس مرةً ويخنس أخرى، ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها، ولا خنوسه على وجه دون وجه، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله، فإذا أطيع فيها خنس، وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله فإذا ذكر العبد أمر ربه فأتاعه فيه، وعصى الشيطان خنس، فهو في كل حالتيه وسواس خناس، وهذه الصفة صفته. وقوله: ﴿الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ التَّائِيسِ﴾ يعني بذلك: الشيطان الوسواس، الذي يوسوس في صدور الناس: جنهم وإنسهم. فإن قال قائل: فالجنّ ناس، فيقال: الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. قيل: قد سماهم الله في هذا الموضع ناساً، كما سماهم في موضع آخر رجالاً فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ فجعل الجنّ رجالاً وكذلك جعل منهم ناساً. وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث، إذ جاء قوم من الجنّ فوقفوا، ف قيل: من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجنّ، فجعل منهم ناساً، فكذلك ما في التنزيل من ذلك.

آخر كتاب التفسير، والحمد لله العلي الكبير.

الموفق لكل خير صاحب المنة على عباده

وما توفيقى إلا بالله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

اختصره الفقير الى عفوريه

محمد بن إبراهيم أبوكرات

فهرس الكتاب

مقدمة الشيخ الفقيه العالم المؤدب أبي بكر بن محمد بن الحنبلي حفظه الله على طاعته	٥
حكم الإيمان والعمل بالقرآن الكريم:	٦
دلالة آيات القرآن:	٧
حكم من استهان بالقرآن أو سبه:	٧
ترجمة ابن جرير الطبري	١١
اسمه ونسبه وكنيته:	١١
ثناء العلماء عليه:	١١
أما شيوخه:	١٢
أما مصنفاته:	١٢
وفاته:	١٢
تفسير سورة العنكبوت	١٣
تفسير سورة الروم	٣١
تفسير سورة لقمان	٤٦
تفسير سورة السجدة	٥٥
تفسير سورة الأحزاب	٦٢
تفسير سورة سبأ	٩١
تفسير سورة فاطر	١٠٧
تفسير سورة يس	١١٩
تفسير سورة الصافات	١٣٣
تفسير سورة ص	١٥٢

١٧٢	تفسير سورة الزمر
١٩٣	تفسير سورة غافر
٢١٣	تفسير سورة فصلت
٢٢٨	تفسير سورة الشورى
٢٤٢	تفسير سورة الزخرف
٢٥٩	تفسير سورة الدخان
٢٦٧	تفسير سورة الجاثية
٢٧٦	تفسير سورة الأحقاف
٢٨٩	تفسير سورة محمد
٣٠١	تفسير سورة الفتح
٣١٥	تفسير سورة الحجرات
٣٢٣	تفسير سورة ق
٣٣٢	تفسير سورة الذاريات
٣٤٠	تفسير سورة الطور
٣٤٦	تفسير سورة النجم
٣٥٥	تفسير سورة القمر
٣٦٤	تفسير سورة الرحمن
٣٧٤	تفسير سورة الواقعة
٣٨٤	تفسير سورة الحديد
٣٩٥	تفسير سورة المجادلة
٤٠٤	تفسير سورة الحشر
٤١٥	تفسير سورة الممتحنة
٤٢٣	تفسير سورة الصف
٤٢٨	تفسير سورة الجمعة
٤٣٢	تفسير سورة المنافقون
٤٣٦	تفسير سورة التغابن
٤٤٠	تفسير سورة الطلاق
٤٤٧	تفسير سورة التحريم

٤٥٢	تفسير سورة الملك
٤٥٧	تفسير سورة ن (القلم)
٤٦٤	تفسير سورة الحاقة
٤٧٠	تفسير سورة سأل سائل (المعارج)
٤٧٥	تفسير سورة نوح
٤٧٩	تفسير سورة الجن
٤٨٥	تفسير سورة المزمل
٤٩٠	تفسير سورة المدثر
٤٩٦	تفسير سورة القيامة
٥٠١	تفسير سورة هل أتى على الإنسان
٥٠٨	تفسير سورة والمرسلات
٥١٣	تفسير سورة النبأ
٥١٩	تفسير سورة النازعات
٥٢٤	تفسير سورة عبس
٥٢٨	تفسير سورة إذا الشمس كورت
٥٣٢	تفسير سورة الانفطار
٥٣٤	تفسير سورة المطففين
٥٣٩	تفسير سورة إذا السماء انشقت
٥٤٢	تفسير سورة البروج
٥٤٧	تفسير سورة والسماء والطارق
٥٤٩	تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى
٥٥١	تفسير سورة الغاشية
٥٥٤	تفسير سورة الفجر
٥٥٩	تفسير سورة البلد
٥٦٢	تفسير سورة الشمس
٥٦٥	تفسير سورة والليل إذا يغشى
٥٦٨	تفسير سورة والضحي
٥٧٠	تفسير سورة ألم نشرح

٥٧٢	تفسير سورة التين
٥٧٤	تفسير سورة اقرأ باسم ربك
٥٧٧	تفسير سورة القدر
٥٧٨	تفسير سورة لم يكن
٥٨٠	تفسير سورة إذا زلزلت
٥٨٢	تفسير سورة العاديات
٥٨٤	تفسير سورة القارعة
٥٨٥	تفسير سورة الهاكم
٥٨٧	تفسير سورة العصر
٥٨٨	تفسير سورة ويل لكل همزة
٥٩٠	تفسير سورة الفيل
٥٩٤	تفسير سورة قريش
٥٩٥	تفسير سورة أرايت
٥٩٧	تفسير سورة الكوثر
٥٩٨	تفسير سورة الكافرون
٦٠٠	تفسير سورة النصر
٦٠١	تفسير سورة تبت
٦٠٣	تفسير سورة الإخلاص
٦٠٤	تفسير سورة الفلق
٦٠٥	تفسير سورة الناس
٦٠٦	فهرس الكتاب

